سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦٠٢)

وأعرض عن بعض

خلق التغافل

فضائل و ترغيب

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب. وقال بعض أهل العلم: إن الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم، وعليه فلا تجب في بني الأعمام وبني الأخوال. وقيل: بل هذا في كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الأرحام في المواريث، محرما كان أو غير محرم. فيخرج من هذا أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم. وهذا ليس بصحيح، والصواب أن كل ما يشمله ويعمه الرحم تجب صلته على كل حال، قربة ودينية، على ما ذكرناه أولا والله أعلم. وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده قال: حدثنا شعبة قال أخبرني محمد بن عبد الجبار قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:] إن للرحم لسانا يوم القيامة تحت العرش يقول يا رب قطعت يا رب ظلمت يا رب أسيئ إلي فيجيبها ربها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك [. وفي صحيح مسلم عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:] لا يدخل الجنة قاطع [. قال ابن أبي عمر قال سفيان: يعني قاطع رحم. ورواه البخاري. الرابعة- قوله عليه السلام:] إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم ... [" خلق" بمعنى اخترع وأصله التقدير، كما تقدم «١». والخلق هنا بمعنى المخلوق. ومنه قوله تعالى:" هذا خلق الله" «٢» أي مخلوقه. ومعنى] فرغ منهم [كمل خلقهم. لا أنه اشتغل بهم ثم فرغ من شغله بهم، إذ ليس. فعله بمباشرة ولا مناولة، ولا خلقه بآلة ولا محاولة، تعالى عن ذلك. وقوله:] قامت الرحم فقالت [يحمل على أحد وجهين: أحدهما- أن يكون الله تعالى أقام من يتكلم عن الرحم من الملائكة فيقول ذلك، وكأنه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها ويكتب ثواب من وصلها ووزر من قطعها، كما وكل الله بسائر الأعمال كراما كاتبين، وبمشاهدة أوقات الصلوات ملائكة متعاقبين. وثانيهما- (هامش)

---

(١). راجع ج ١ ص (٢٢٦) [.....]

(٢). آية ١١ سورة لقمان.." (١)

"الثانية تخفيفا. وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الإدغام. (وما عليك ألا يزكى) أي لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، إنما أنت رسول، ما عليك إلا البلاغ. قوله تعالى: (وأما من جاءك يسعى) يطلب العلم لله (وهو يخشى) أي يخاف الله. (فأنت عنه تلهى) أي تعرض عنه بوجهك وتشغل بغيره. وأصله تتلهى، يقال: لهيت عن الشيء ألهى: أي تشاغلت عنه. والتلهي: التغافل. ولهيت عنه وتليت: بمعنى.

[سورة عبس (٨٠): الآيات ١١ الى ١٦]

كلا إنها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢) في صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بأيدي سفرة (١٥)

كرام بررة (١٦)

قوله تعالى: (كلا إنها تذكرة) كلا كلمة ردع وزجر، أي ما الأمر كما تفعل مع الفريقين، أي لا تفعل بعدها مثلها: من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٨/١٦

إقبالك على الغني، وإعراضك عن المؤمن الفقير. والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الأولى كما تقدم، ولو حمل على صغيرة لم يبعد، قاله القشيري. والوقف على كلا على هذا الوجه: جائز. ويجوز أن تقف على تلهى ثم تبتدئ كلا على معنى حقا. إنها أي السورة أو آيات القرآن تذكرة أي موعظة وتبصرة للخلق (فمن شاء ذكره) أي اتعظ بالقرآن. قال الجرجاني: إنها أي القرآن، والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة، أخرجه على لفظ التذكرة، ولو ذكره لجاز، كما قال تعالى في موضع آخر: كلا إنه تذكرة. ويدل على أنه أراد القرآن قوله: فمن شاء ذكره أي كان حافظا له غير ناس، وذكر الضمير، لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ. وروى الضحاك عن ابن عباس في قول تعالى: فمن شاء ذكره قال من شاء الله تبارك وتعالى ألهمه. ثم أخبر عن جلالته فقال: في صحف جمع صحيفة مكرمة أي عند الله، قاله السدي. الطبري: مكرمة في الدين لما فيها من العلم والحكم. وقيل: مكرمة لأنها نزل بها كرام الحفظة، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ. وقيل: مكرمة." (١)

"(وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا)، قال لحفصة أبوك وأبو عائشة واليا الناس بعدي، فإياك أن تخبري أحدا بهذا "، قال الشوكاني رحمه الله: وهذا ليس فيه أنه سبب نزول قوله: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك، بل فيه أن الحديث الذي أسره النبي هو هذا فعلى فرض أن له إسنادا يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة، وهي مقدمة عليه ومرجحة بالنسبة إليه.

(فلما نبأت به) أخبرت به غيرها ظنا منها أن لا حرج في ذلك فهو باجتهاد منها، وهي مأجورة فيه، وذلك لأن الاجتهاد جائز في عصره صلى الله عليه وسلم على الصحيح، كما في جمع الجوامع وأصل نبأ وأنبأ وخبر وأخبر وحدث أن تتعدى لاثنين إلى الأول بنفسها، وإلى الثاني بحرف الجر، وقد يحذف الجار تخفيفا، وقد يحذف الأول للدلالة عليه، وقد جاءت الاستعمالات الثلاث في هذه الآية، فقوله: (فلما نبأت به) تعدى لاثنين حذف أولهما، والثاني مجرور بالباء، وقوله: (فلما نبأها به) ذكرهما، وقوله: (من أنبأك هذا)؟ ذكرهما وحذف الجار.

(وأظهره الله عليه) أي أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الإخبار لغيرها على لسان جبريل (عرف بعضه) أي بعض ما أخبرت به وهو تحريم مارية أو العسل قرأ الجمهور: عرف مشددا من التعريف، ومعناه عرف حفصة بعض الحديث، وأخبرها ببعض ما كان منها، وقرىء بالتخفيف أي عرف بعض الذي فعلته حفصة واختار أبو عبيد وأبو حاتم الأولى لقوله: (وأعرض عن بعض) ولو كان مخففا لقال في ضده: وأنكر بعضا، والمعنى لم يعرفها إياه ولم يخبرها به تكرما منه وحياء وحسن عشرة.

قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال سفيان: ما زال التغافل من." (٢)

"ويجوز أن يكون الكلام مستعملا في النهي عن أخذ المال الخبيث، فيكون الكلام منصرفا إلى غرض ثان وهو النهي عن أخذ المال الخبيث والمعنى لا تأخذوه، وعلى كلا الوجهين هو مقتض تحريم اللأخذ المال المعلومة على من هو بيده ولا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩/٢١٥

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤/٢١١

يحله انتقاله إلى غيره.

والإغماض إطباق الجفن ويطلق مجازا على لازم ذلك، فيطلق تارة على الهناء والاستراحة لأن من لوازم الاغماض راحة النائم قال الأعشى:

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... جفنا فإن لجنب المرء مضطجعا

أراد فاهنئي. ويطلق تارة علا لازمه من عدم الرؤية فيدل على التسامح في الأمر المكروه كقول الترماح:

لم يفتنا بالوتر قوم وللض ... يم رجال يرضون بالإغماض

فإذا أرادوا المبالغة **في التغافل عن** المكروه الشديد قالوا: أغمض عينه على قذى، وذلك لأن إغماض الجفن مع وجود القذى في العين. لقصد الراحة من تحرك القذى، قال عبد العزيز بن زرارة الكلائي١:

وأغمضت جفون على قذاها ... ولم أسمع إلى قا وقيل

والاستثناء في قوله: ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ على الوجه الأول من جعل الكلام إخبارا، هو تقييد للنفي. وأما على الوجه الثاني من جعل النفي بمعنى النهي فهم من تأكيد الشيء بما يشبه ضده أما لا تأخذوه إلا إذا تغاضيتم عن النهي وتجاهلتموه. وقوله: ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ تذييل، أي شاكر لمن تصدق صدقة طيبة. وافتتحه باعلموا للاهتمام بالخبر كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ [البقرة:٢٢٣] أو نزل المخاطبون الذين نهوا عن الإنفاق من الخبيث منزلة من لا يعلم أن الله

_

١ الكلائي نسبة إلى الكلاء بوزن جبار محلة بالبصرة قرب الشاطي. وهذه الأبيات قالها بعد أن مكث عاما بباب معاوية لم يؤذن له ثم أذن له وأدناه وأولاه مصر، وقبله:

دخلت على معاوية ابن حرب ... ولكن بعد يأس من دخول

وما نلت الدخول عليه حتى ... حللت محلة الرجل الذليل." (١)

"اهتمام ببحر مخصوص ولكن بفرد من هذا النوع.

وقد أغرق فرعون وجنده في البحر الأحمر حين لحق بني إسرائيل يريد صدهم عن الخروج من أرض مصر وتقدمت الإشارة إلى ذلك في سورة البقرة وسيأتي تفصيله عند قوله تعالى ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ في سورة يونس [٩٠].

والباء في ﴿بأنهم﴾ للسببية، أي: أغرقناهم جزاء على تكذيبهم بالآيات.

والغفلة ذهول الذهن عن تذكر شيء، وتقدمت في قوله تعالى ﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ في سورة الأنعام [١٥٦]، وأريد **بها التغافل عن** عمد وهو الإعراض عن التفكر في الآيات، وإباية النظر في دلالتها على صدق موسى، فإطلاق الغفلة على هذا مجاز، وهذا تعريض بمشركي العرب في إعراضهم عن التفكر في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ودلالة معجزة القرآن، فلذلك أعيد التصريح بتسبب الإعراض في غرقهم مع استفادته من التفريع بالفاء في قوله ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٢٨/٢

في اليم﴾ تنبيها للسامعين للانتقال من القصة إلى العبرة.

وقد صيغ الإخبار عن إعراضهم بصيغة الجملة الاسمية للدلالة على أن هذا الاعراض ثابت لهم، وراسخ فيهم، وأنه هو علة التكذيب المصوغ خبره بصيغة الجملة الفعلية لإفادة تجدده عند تجدد الآيات.

[١٣٧] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾.

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾

عطف على ﴿فانتقمنا منهم﴾ [الأعراف: ١٣٦]. والمعنى: فأخذناهم بالعقاب الذي استحقوه وجازينا بني إسرائيل بنعمة عظيمة.

وتقدم آنفا الكلام على معنى ﴿أورثنا﴾ عند قوله تعالى ﴿أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ [الأعراف: ١٠٠] والمراد هنا تمليك بني إسرائيل جميع الأرض المقدسة بعد أهلها من الأمم التي كانت تملكها من الكنعانيين وغيرهم. وقد قيل إن فرعون كان له سلطان على بلاد الشام، ولا حاجة إلى هذا إذ ليس في الآية تعيين." (١)

"المحمل لا يكون له موقع رشيق في المقام لأن الغرض من ذكر ما أصاب عادا وثمود هو تهديد مشركي مكة بحلول عذاب مثله في الدنيا لأنهم قد علموه ورأوا آثاره فللتهديد بمثله موقع لا **يسعهم التغافل عنه**، وأما عذاب عاد وثمود في الآخرة فهو موعود به في المستقبل وهم لا يؤمنون به فلا يناسب أن يجعل موعظة لقريش بل الأجدر أن يقع إنذار قريش رأسا بعذاب يعذبونه في الآخرة، ولذلك أطيل وصفه لتهويله ما لم يطل بمثله حين التعرض لعذاب عاد في الآخرة بقوله ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ [فصلت:١٦] المكتفي به عن ذكر عذاب ثمود. ولهذا فليس في قوله ﴿أعداء الله﴾ إظهار في مقام الإضمار من ضمير عاد وثمود. ويجوز أن يكون ﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾ مفعولا لفعل "واذكر" محذوفا مثل نظائره الكثيرة.

والحشر: جمع الناس في مكان لمقصد. ويتعلق قوله ﴿إلى النار﴾ ب ﴿يحشر﴾ لتضمين ﴿يحشر﴾ معنى: نرسل، أي نرسلهم إلى النار.

والفاء في قوله ﴿فهم يوزعون﴾ عطف وتفريع على ﴿يحشر﴾ لأن الحشر يقتضي الوزع إذ هو من لوازمه عرفا، إذ الحشر يستلزم كثرة عدد المحشورين وكثرة العدد تستلزم الاختلاط وتداخل بعضهم في بعض فلا غنى لهم عن الوزع لتصفيفهم ورد بعضهم عن بعض.

والوزع: كف بعضهم عن بعض ومنعهم من الفوضى، وتقدم في سورة النمل، وهو كناية عن كثرة المحشورين. وقرأ نافع ويعقوب ﴿يحشر﴾ بنون العظمة مبنيا للفاعل ونصب ﴿أعداء﴾ . وقرأه الباقون بياء الغائب مبنيا للنائب.

و ﴿حتى﴾ ابتدائية وهي مفيدة لمعنى الغاية فهي حرف انتهاء في المعنى وحرف ابتداء في اللفظ، أي أن ما بعدها جملة مستأنفة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٢٦٠

و ﴿إذا﴾ ظرف لمستقبل متضمن معنى الشرط وهو متعلق بجوابه، و ﴿ما﴾ زائدة للتوكيد بعد ﴿إذا﴾ تفيد توكيد معنى ﴿إذا﴾ من الارتباط بالفعل الذي بعد ﴿إذا﴾ سواء كانت شرطية كما في هذه الآية أم كانت لمجرد الظرفية كقوله تعالى ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ ويظهر أن ورود ﴿ما﴾ بعد ﴿إذا﴾ يقوي معنى الشرط في ﴿إذا﴾ ، ولعله يكون معنى الشرط حينئذ نصا احتمالا. وضمير المؤنث الغائب في ﴿جاءوها﴾ عائد إلى ﴿النار﴾ أي إذا وصلوا إلى جهنم.." (١)

"لهم الأمثال، وانتقل الكلام من مجال إلى مجال، أعيد خطابهم هنا بمثل ما خوطبوا به بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف:٢]، أي هل أدلكم على أحب العمل إلى الله لتعملوا به كما طلبتم إذ قلتم لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به فجاءت السورة في أسلوب الخطابة.

والظاهر أن الضمير المستتر في ﴿أدلكم﴾ عائد إلى الله تعالى لأن ظاهر الخطاب أنه موجه من الله تعالى إلى المؤمنين. ويجوز أن يجعل الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم على تقدير قول محذوف وعلى اختلاف الاحتمال يختلف موقع قوله الآتي ﴿وبشر المؤمنين﴾ [الصف:١٣].

والاستفهام مستعمل في العرض مجازا لأن العارض قد يسأل المعروض عليه ليعلم رغبته في الأمر المعروض كما يقال: هل لك في كذا؟ أو هل لك إلى كذا؟

والعرض هنا كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض، وهو دلالته إياهم على تجارة نافعة. وألفاظ الاستفهام تخرج عنه إلى معان كثيرة هي من ملازمات الاستفهام كما نبه عليه السكاكي في المفتاح ، وهي غير منحصرة فيما ذكره.

وجيء بفعل ﴿أدلكم﴾ لإفادة ما يذكر بعده من الأشياء التي لا يهتدي إليها بسهولة.

وأطلق على العمل الصالح لفظ التجارة على سبيل الاستعارة لمشابهة العمل الصالح التجارة في طلب النفع من ذلك العمل ومزاولته والكد فيه، وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ في سورة البقرة[١٦].

ووصف التجارية بأنها تنجي من عذاب أليم، تجريد للاستعارة لقصد الصراحة بهذه الفائدة لأهميتها وليس الإنجاء من العذاب من شأن التجارة فهو من مناسبات المعنى الحقيقي للعمل الصالح.

وجملة ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا لأن ذكر الدلالة مجمل والتشويق الذي سبقها مما يشير في أنفس السامعين التساؤل عن هذا الذي تدلنا عليه وعن هذه التجارة.

وإذ قد كان الخطاب لقوم مؤمنين فإن فعل ﴿تؤمنون بالله﴾ مع ﴿وتجاهدون﴾ مراد به تجمعون بين الإيمان بالله ورسوله وبين الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم تنويها بشأن الجهاد. وفي التعبير بالمضارع إفادة الأمر بالدوام على الإيمان وتجديده في كل آن، وذلك تعريض بالمنافقين وتحذير **من التغافل عن** ملازمة الإيمان وشؤونه.." (٢)

"يتعدى بحرف ﴿على﴾ .

وضمير ﴿عليه﴾ عائد على الإنباء المأخوذ من ﴿نبأت به﴾ أو على الحديث بتقدير مضاف يدل عليه قوله: ﴿نبأت به﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٦/٢٥

(٢) التحرير والتنوير، ١٧٣/٢٨

تقديره: أظهره الله على إفشائه.

وهذا تنبيه إلى عناية الله برسوله صلى الله عليه وسلم وانتصاره له لأن إطلاعه على ما لا علم له به مما يهمه، عناية ونصح له.

وهذا حاصل المعنى الثالث من المعاني التي اشتملت عليها الآيات وذكرناها آنفا.

ومفعول ﴿عرف﴾ الأول محذوف لدلالة الكلام عليه، أي عرفها بعضه، أي بعض ما أطلعه الله عليه، وأعرض عن تعريفها ببعضه. و الحديث يحتوي على أشياء: اختلاء النبي بسريته مارية، وتحريمها على نفسه، وتناوله العسل في بيت زينب، وتحريمه العودة إلى مثل ذلك، وربما قد تخلل ذلك كلام في وصف عثور حفصة على ذلك بغتة، أو في التطاول بأنها استطاعت أن تريهن من ميله إلى مارية. وإنما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليوقفها على مخالفتها واجب الأدب من حفظ سر زوجها.

وهذا هو المعنى الرابع من المعاني التي سبقت إشارتي إليها.

وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه صلى الله عليه وسلم في معاتبة المفشية وتأديبها إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعض ما أفشته فتوقن أن الله يغار عليه.

قال سفيان: ما **زال التغافل من** فعل الكرام، وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، وما زاد على المقصود يقلب العتاب من عتاب إلى تقريع.

وهذا المعنى الخامس من مقاصد ذكر هذا الحديث كما أشرنا إليه آنفا.

وقولها: ﴿من أنبأك هذا﴾ يدل على ثقتها بأن عائشة لا تفشي سرها وعلمت أنه لا قبل للرسول صلى الله عليه وسلم بعلم ذلك إلا من قبل عائشة أو من طريق الوحي فرامت التحقق من أحد الاحتمالين.

والاستفهام حقيقي ولك أن تجعله للتعجيب من علمه بذلك.

وفي هذا كفاية من تيقظها بأن إفشاءها سر زوجها زلة خلقية عظيمة حجبها عن مراعاتها شدة الصفاء لعائشة وفرط إعجابها بتحريم مارية لأجلها، فلم تتمالك عن أن تبشر." (١)

"سورة الروم (٤٦٢)

لا أعتبإ٤٦٣) سبحانه أهل مكة ونعى عليهم تبح صنيعهم **في التغافل عن**

الاعتبار بحالهم كونهم مع قلة عددهم قد منع الله بلدهم عن قاصد نهبه، وكف أيدمم! العتاة والمتمردين عنهم مع تعاون أيدي المنتخبين من حولهم، وتكرر ذلك و(طراده صونا منه لحرمه وبيته فقال تعالى: "ألم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهأ) (العنكبوت: ٦٧) أعط أولم يكفهم هذا في الاعتبار ويتبين! أن ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع، وإنما هو بصون الله إياهم بمجاورة بيته وملازمة أمنه مع أنهم أقل العرب، أفلا يرون هذه النعمة ويقابلونها بالذكر والاستجابة قبل أن يحل بهم نقمه ويسلبهم نعمه، فلما قدم تذكارهم (٤٦٠) بهذا أعقبها؟٦ هو بذكر طائفة هم مر منهم

(١) التحرير والتنوير، ٣١٦/٢٨

وأشد قوة وأوسع بلادا وقد أيد غهصم ولم يغن عنهم انتشارهم وكرتهم فقال: "ألم غلبت الروم في أدنى الأرض... الآيات " لآية: أ وما بعدها) فذكر تعالى (غلبة) (٤٦٦) غيرهم لهم، وأنهم ستكون لهم كرة ثم يغلبون، وما ذلك إلا نصر الله من شاء من عبيده ينصر من يشاءفلو كشف عن أبصار من كان بمكة من الكفار لرأو((٤٦٧) أن اعتصام بلادهم وسلامة ذرياتهم وأولادهم مما

(٤٦٢) سورة اليم مكية بلا خلاف. عمد ذكر في مطلعها ظهور الريم على فارين بعد هزيمتهم التي أسقط لها المسلمون وبطرحها المركون، حمد تردد كثير وفي هذه السورة الإشارة إلى قدرة الله عز وجل ومصرفه في ملكوته، ويظهر لي أن وجه تعلقها بسابقتها هو أن ما سر ما من دلائل التوحيد والنظر في الآفاق والأنفس والأمر بالسير في فجاج الأرض، والتفكر في عوقب السالفين لائق لم يسعوا في اكرا فينظهو(كيف كان عاقبة الدين من قبلهم كانت أشد منهم قوة و(ثا!وا اكرم !حمر!!ا مما مما عمر!!ا....، (ه ه ان لأقل سعوا في اكرا فانخوا كيفن كان عاقبة الذين من قبل، (٤٢). يما ورد فيها من ذكر آيات الله والتنبيه إليها كخلق السماو(ت واعرض، و(حياء الموتى،." [١]

"الإشارة : تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه وذكر محاسنه ، من أجل القربات وأعظم الطاعات ؛ لأن تعظيمه ناشئ عن محبته ، ومحبته عقد من عقود الإيمان ، لا يتم الإيمان إلا بها ، والإخلال بهذا الجانب من أعظم المعاصي عند الله ، ولذلك قبح كفر المنافقين واليهود ، الذين يؤذون جانب النبوة ، وما عابه به المنافقون في هذه الآية هو عين الكمال عند أهل الكمال. قال القشيري : عابوه بما هو أماره كرمه ، ودلالة فضله ، فقالوا : إنه ؛ لحسن خلقه ، يسمع ما يقال له ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم ". قالوا : من الفاضل ؟ قالوا : الفطن المتغافل ، وأنشدوا :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٩١

وإذا الكريم أتيته بخديعة

فرأيته فيما تروم يسارع

فاعلم بأنك لم تخادع جاهلا

إن الكريم . بفضله . يتخادع

وكل ولي يتخلق بهذا الخلق السني ؛ الذي **هو التغافل والانخداع** في الله ، وكان عبد الله بن عمر يقول : (من خدعنا في الله انخدعنا له). ورأى سيدنا عيسى عليه السلام رجلا يسرق ، فقال له : سرقت يا فلان ؟ فقال : والله ما سرقت ، فقال عليه السلام : (آمنت بالله وكذبت عيني). فمن أخلاق الصوفي أن يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين ، كيفا كانوا ، ورحمة للذين آمنوا ، فمن آذى من هذا وصفه فله عذاب أليم. وبالله التوفيق.

---

(١) البرهان في تفسير سور القرآن، ص/٣٤٥

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٩١
" (١).

"وعن ابن عباس رضي الله عنه : (من أذنب ذنبا وتاب قبلت توبته ، إلا من خاض في أمر عائشة – رضي الله عنها) ، وهذا منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك ، وقد برأ الله تعالى أربعة ؛ برأ يوسف بشاهد من أهلها ، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه : أنه آدر ، بالحجر الذي ذهب بثوبه ، ومريم بنطق ولدها ، وعائشة بهذه الآي العظام في كتابه المعجز ، المتلو على وجود الدهر ، بهذه المبالغات. فانظر : كم بينها وبين تبرئة أولئك ؟ ! وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسوله ، والتنبيه على إنافة محله صلى الله عليه وسلم.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٦٣
وقد رام بعض النصارى الطعن على المسلمين بقضية الإفك ، فقال : كيف تبقى زوجة نبيكم ، مع رجل أجنبي ؟ فقال له ، من كان يناظره من العلماء : قد برأها من برأ أم نبيكم ، فبهت الذي كفر. والله تعالى أعلم.
الإشارة : قد مدح الله تعالى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أوصاف ، هي من أكمل الأوصاف : العفة ، والتغافل ، وتحقيق الإيمان ؛ أما العفة : فهي حفظ القلب من دخول الهوى ، والجوارح من معاصي المولى ، **وأما التغافل** : فهو الغيبة عما سوى الله ، والتغافل عن مساوئ الناس. وفي الحديث : " المؤمن ثلثاه تغافل " ، وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : " المومن غر كريم ، والمنافق خب لئيم " وأما تحقيق الإيمان فيكون بالتفكر والاعتبار ، وبصحبة الصالحين الأبرار ، ثم يصير الإيمان ضروريا بصحبة العارفين الكبار.
قال القشيري : قوله تعالى : ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ : تصير المعارف ضرورية ، فيجدون المعافاة في النظر والتذكر ، ويستريح القلب من وصفي تردده وتغيره ، باستغنائه ببصره عن تبصره. ويقال : لا يشهدون هذا إلا بالحق ، فهم قائمون بالحق للحق مع الحق ، يبدي لهم أسرار التوحيد وحقائقه ، فيكون القائم فيهم والآخذ لهم عنهم ، من غير أن يردهم عليهم. هـ. وبالله التوفيق.
" (٢).

"يقول الحق جل جلاله : ﴿وإذ أسر﴾ أي : واذكر أيها السامع حين أسر ﴿النبي إلى بعض أزواجه﴾ يعني حفصة ﴿حديثا﴾ ؛ حديث تحريم مارية ، أو العسل ، أو إمامة الشيخين ، ﴿فلما نبأت به﴾ أي : أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته ، فحذف المفعول ، وهو عائشة ، ﴿وأظهره الله عليه﴾ أي : أطلع الله تعالى نبيه . عليه الصلاة والسلام . على إفشاء حفصة على لسان جبريل عليه السلام ، أو : أظهر الله عليه الحديث ، من الظهور ، ﴿عرف بعضه﴾ أي : عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض الحديث الذي أفشته ، قيل : هو حديث الإمامة ، روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لها : " ألم أقل لك اكتمي علي " ؟ قالت : " والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي " فرحا بالكرامة التي خص الله

---

(١) البحر المديد. ، ٣/١٢٧
(٢) البحر المديد. ، ٥/٩٩

تعالى بها أباها.

﴿وأعرض عن بعض﴾ فلم يخبرها تكرما. قال سفيان : ما زال التغافل من فعل الكرام ، وقال الحسن : ما استقصى كريم قط. وقرأ الكسائي : " عرف " بالتخفيف ، أي :

٨٢

جازى عليه ، من قولك للمسيء : لأعرفن لك ما فعلت ، أي : لأجازينك عليه ، فاجازاها عليه السلام بأن طلقها ، وآلى من نسائه شهرا ، وقعد في مشربة مارية حتى نزلت آية التخيير ، وقيل : هم بطلاقها ، فقال له جبريل : لا تطلقها ، فإنها صوامة قوامة. هـ. قيل : المعرف : حديث الإمامة ، والمعرض عنه : حديث مارية. ﴿فلما نبأها به﴾ أي : أخبر صلى الله عليه وسلم حفصة بما عرفه من الحديث ، قالت حفصة للنبي عليه السلام : ﴿من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾ الذي لا تخفى عليه خافية.

". (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٤ ، ص : ٤٧٠

فالمراد بالإظهار : الاطلاع ، وهو مشتق من الظهور بمعنى التغلب.

وعبر بالإظهار عن الاطلاع ، لأن حفصة وعائشة كانتا حريصتين على عدم معرفة ما دار بينهما في هذا الشأن ، فلما أطلع الله - تعالى - نبيه على ذلك كانتا بمنزلة من غلبتا على أمرهما.

وقوله - سبحانه - : عرف بعضه وأعرض عن بعض بيان للمسلك السامي الذي سلكه صلى الله عليه وسلم في معاتبته لحفصة على إفشائها لما أمرها أن تكتمه والمفعول الأول لعرف محذوف أى : عرفها بعضه.

أى : فحين خاطب صلى الله عليه وسلم حفصة في شأن الحديث الذي أفشته ، اكتفى بالإشارة إلى جانب منه ، ولم يذكر لها تفاصيل ما قاله لها سابقا. لسمو أخلاقه صلى الله عليه وسلم إذ في ذكر التفاصيل مزيد من الخجل والإحراج لها.

قال بعضهم : ما زال التغافل من فعل الكرام وما استقصى كريم قط وقال الشاعر :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

و إنما عرفها صلى الله عليه وسلم ببعض الحديث ، ليوقفها على خطئها وعلى أنه كان من الواجب عليها أن تحفظ سره صلى الله عليه وسلم.

قالوا : ولعل حفصة رضى الله عنها - قد فعلت ذلك ، ظنا منها أنه لا حرج في إخبار عائشة بذلك ، أو أنها اجتهدت فأخطأت ، ثم تابت وندمت على خطئها.

ثم حكى - سبحانه - ما قالته حفصة للرسول صلى الله عليه وسلم وما رد به عليها فقال : فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير.

أى : فلما سمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه قد اطلع على ما قالته لعائشة ، قالت له : من أخبرك

---

(١) البحر المديد ، ٨/١١٩

بما دار بيني وبينها؟ فأجابها صلى الله عليه وسلم بقوله : أخبرني بذلك الله – تعالى – العليم بجميع أحوال عباده وتصرفاتهم .. الخبير بما تكنه الصدور ، وبما يدور في النفوس من هواجس وخواطر.

وإنما قالت له صلى الله عليه وسلم : من أنبأك هذا لتتأكد من أن عائشة لم تخبره صلى الله عليه وسلم بما دار بينهما في هذا الشأن ... فلما قال لها صلى الله عليه وسلم : نبأني العليم الخبير تحقق ظنها في كتمان عائشة لما قالته لها ، وتيقنت أن الذي أخبره بذلك هو الله – عز وجل – .

وفي تذييل الآية الكريمة بقوله : العليم الخبير إشارة حكيمة وتنبيه بليغ ، إلى أن من الواجب على كل عاقل ، أن يكون ملتزما لكتمان الأسرار التي يؤتمن عليها ، وأن إذاعتها – ولو في أضيق الحدود – لا تخفى على الله – عز وجل – لأنه – سبحانه – عليم بكل معلوم ، ." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٥ ، ص : ٣٧٣

غطاه ، والمقصود بالغاشية يوم القيامة ، ووصف يوم القيامة بذلك ، لأنه يغشى الناس بأهواله وشدائده ، ويغطى عقولهم عن التفكير في أى شيء سواه.

والمعنى : هل بلغك – أيها الرسول الكريم أو أيها المخاطب – حديث يوم القيامة ، الذي يغشى الناس بأحواله المفزعة ، ويعمهم بشدائده .. إن كان لم يأتك فهذا خبره ، وتلك هي أقسام الناس فيه.

وافتتاح السورة بهذا الافتتاح – بجانب ما فيه من تشويق – يدل على أهمية هذا الخبر ، وأنه من الأخبار التي ينبغي الاستعداد لما اشتملت عليه من معاني لا **يصح التغافل عنها**.

ثم فصل – سبحانه – أحوال الناس في هذا اليوم فقال : وجوه يومئذ خاشعة.

قال الشوكانى : الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : ما هو؟ أو مستأنفة استئنافا نحويا ، لبيان ما تضمنته من كون ثم وجوه في ذلك اليوم متصفة بهذه الصفة المذكورة ، و« وجوه » مرتفع على الابتداء – وإن كانت نكرة – لوقوعه في مقام التفصيل ..

والتنوين في « يومئذ » عوض عن المضاف إليه. أى : يوم غشيان الغاشية.

والخاشعة : الذليلة الخاضعة ، وكل متضائل ساكن يقال له خاشع .. « ١ ».

والمراد بالوجوه : أصحابها ، من باب التعبير عن الكل بالبعض ، وخصت الوجوه بالذكر ، لأنها أشرف أعضاء الإنسان ، ولأنها هي التي تظهر عليها الآثار المختلفة من حزن أو فرح. أى : وجوه في يوم قيام الساعة ، تكون خاشعة ذليلة ، تبدو عليها آثار الهوان والانتكاس والخزي ، كما قال – تعالى – : وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ...

وهذه الوجوه – أيضا – من صفاتها أنها عاملة ناصبة أى : مكلفة بالعمل الشاق المرهق الذي تنصب له الوجوه في هذا اليوم ، وتتعب تعبا ما عليه من مزيد ، كجر السلاسل ، وحمل الأغلال ، والخوض في النار.

فقوله : عاملة اسم فاعل من العمل ، والمراد به هنا : العمل الشاق المهين.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٤/٤٧٠

وقوله : ناصبة من النصب ، بمعنى : التعب والإعياء يقال : نصب فلان بكسر الصاد – كفرح – ينصب نصبا ، إذا تعب في عمله تعبا شديدا.

وفي هذه الصفات زيادة توبيخ لأهل النار ، لأنهم لما تركوا في الدنيا الخشوع لله – تعالى –

---

(١) تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٤٢٨ للشوكانى.." (١)

" ١٣١ الله وذلك قلة أدب على منصب النبوة قد فرض الله لكل تحلة أيمانكم التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها واختلف في المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف وقال والله لاأطؤها أبدا واما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف أيضا فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه وقيل هي في يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرا والله مولاكم يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال لحفصة لا تخبري بذلك أحدا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاقب حفصة على إفشائها لسره فطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أي أطلعه على إخبارها به وقوله عرف بعضه أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما فإن من عادة **الفضلاء التغافل عن** الزلات والتقصير في العتاب وقرئ عرف بالتخفيف من المعرفة فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا أي لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له من أنبأك هذا." (٢)

"" " صفحة رقم ٢٣٤ " "

قوله : " واليتامى " وزنه " فعالى " ، وألفه للتأنيث ، وهو جمع " يتيم " ك " نديم وندامى " ولا ينقاس هذا الجمع .

وقال ابن الخطيب : جمعه " أيتام ويتامى " واليتم : الانفراد ، ومنه اليتيم ؛ لانفراده عن أبويه أو أحدهما ، ودرة يتيمة : إذا لم يكن لها نظير .

وقيل : اليتيم : الإبطاء ، ومنه : صبي يتيم ؛ لأنه يبطيء عنه البر وقيل : **هو التغافل**، لأن الصبي يتغافل عما يصلحه .

قال الأصمعي : " اليتيم في الآدميين من فقد الآباء ، وفي غيرهم من فقد الأمهات " .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣٧٣/١٥

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٩٦/٣

وقال الماوردي : إن اليتم أيضا في الناس من قبل فقد الأمهات .
والأول هو المعروف عند أهل اللغة ، ويسمى يتيما إلى أن يبلغ ، يقال : يتم ييتم يتما مثل : سمع يسمع سمعا ويتم ييتم يتما مثل : عظم يعظم عظما ، فهاتان لغتان مشهورتان حكاهما الفراء ، ويقال : أيتمه الله إيتاما ، أي : فعل به ذلك .
وعلامة الجر في " القربى " و " اليتامى " كسرة مقدرة على الألف ، وإن كانت للتأنيث ؛ لأن ما لا ينصرف إذا أضيف أو دخلته " أل " انجز بالكسرة ، وهل يسمى حينئذ منجرا أو منصرفا .
ثلاثة أقوال ، يفصل في الثالث بين أن يكون أحد سببيه العلمية ، فيسمى منصرفا نحو : " يعمركم " أو لا يسمى منجرا نحو : " بالأحمر " ، و " القربى واليتامى " من هذا الأخير .
فصل في رعاية اليتيم
[اليتيم كالتالي] لرعاية حقوق الأقارب ؛ لأنه لصغره لا ينتفع به وليتمه وخلوه عمن يقوم به يحتاج إلى من ينفعه ، والإنسان قلما يرغب في صحبة مثل هذا ، وإن كان هذا التكليف شاقا على الأنفس لا جرم كانت درجته عظيمة في الدين .
قال عليه الصلاة والسلام : " أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة " وأشار بالسبابة والوسطى . وقال عله الصلاة والسلام : [" ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب." (١)
"" صفحة رقم ٤١٣ " "
الفراء : المعنى على الشرط والجزاء ؛ لأن معناه : إن أغمضتم أخذتم ، ولكن لما وقعت " إلا " على " أن " ، فتحها ، ومثله ،) إلا أن يخافآ ([البقرة : ٢٢٩]) إلا أن يعفون ([البقرة : ٢٣٩] . وهذا قول مردود .
والجمهور على : " تغمضوا " بضم التاء ، وكسر الميم مخففة ؛ من " أغمض " ، وفيه وجهان :
أحدهما : أنه على حذف مفعوله ، تقديره : تغمضوا أبصاركم ، أو بصائركم .
والثاني : في معنى ما لا يتعدى ، والمعنى إلا أن تغضوا ، من قولهم : " أغضى عنه " .
وقرأ الزهري : " تغمضوا " بضم التاء ، وفتح الغين ، وكسر الميم مشددة ؛ ومعناها كالأولى . وروي عنه أيضا : " تغمضوا " بفتح التاء ، وسكون الغين ، وفتح الميم ؛ مضارع " غمض " بكسر الميم ، وهي لغة في " أغمض " الرباعي ، فيكون مما اتفق فيه فعل وأفعل .
وروي عن اليزيدي : " تغمضوا " بفتح التاء ، وسكون الغين ، وضم الميم .
قال أبو البقاء – رحمه الله – : " وهو من : يغمض ، كظرف يظرف ، أي : خفي عليكم رأيكم فيه " .
وروي عن الحسن : " تغمضوا " بضم التاء ، وفتح الغين ، وفتح الميم مشددة على ما لم يسم فاعله . وقتادة كذلك ، إلا أنه خفف الميم ، والمعنى : إلا أن تحملوا **على التغافل عنه** ، والمسامحة فيه . وقال أبو البقاء – رحمه الله – في قراءة قتادة : " ويجوز أن يكون من أغمض ، أي : صودف على تلك الحال ؛ كقولك : أحمدت الرجل ، أي : وجدته محمودا " وبه قال أبو الفتح .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٢/٢٣٤

وقيل فيها أيضا : إن معناها إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه .

والإغماض : في اللغة غض البصر ، وإطباق الجفن ، وأصله من الغموض ، وهو الخفاء ، يقال : هذا كلام غامض أي خفي الإدراك .

قال القرطبي : من قول العرب : أغمض الرجل ؛ إذا أتى غامضا من الأمر ؛ كما." (١)

"لسمو أخلاقه – A – إذ فى ذكر التفاصيل مزيد من الخجل والإحراج لها .

قال بعضهم : ما زال التغافل من فعل الكرام وما استقصى كريم قط وقال الشاعر :

ليس الغبي بسيد فى قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

وإنما عرفها – A – ببعض الحديث ، ليوقفها على خطئها وعلى أنه كان من الواجب عليها أن تحفظ سره – A – .

قالوا : ولعل حفصة رضى الله عنها – قد فعلت ذلك ، ظنا منها أنه لا حرج فى إخبار عائشة بذلك ، أو أنها اجتهدت فأخطأت ، ثم تابت وندمت على خطئها .

ثم حكى – سبحانه – ما قالته حفصة للرسول – A – وما رد به عليها فقال : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا قَالَ نَبَّأَنِيَ العليم الخبير ﴾ .

أى : فلما سمعت من الرسول – A – ما يدل على أنه قد أطلع على ما قالته لعائشة ، قالت له : من أخبرك بما دار بينى وبينها؟ فأجابها – A – بقوله : أخبرنى بذلك الله – تعالى – العليم بجميع أحوال عباده وتصرفاتهم . . الخبير بما تكنه الصدور ، وبما يدور فى النفوس من هواجس وخواطر .

وإنما قالت له – A – : ﴿ مَنْ أَنبَأَكَ هذا ﴾ لتتأكد من أن عائشة لم تخبره – A – بما دار بينهما فى هذا الشأن . . . فلما قالت لها – A – : ﴿ نَبَّأَنِيَ العليم الخبير ﴾ تحقق ظنها فى كتمان عائشة لما قالته لها ، وتيقنت أن الذى أخبره بذلك هو الله – عز موجل – .

وفى تذلل الآية الكريمة بقوله : ﴿ العليم الخبير ﴾ إشارة حكيمة وتنبيه بليغ ، إلى أن من الواجب على كل عاقل ، أن يكون ملتزما لكتمان الأسرار التى يؤتمن عليها ، وأن إذاعتها – ولو فى أضيق الحدود – لا تخفى على الله – D – لأنه – سبحانه – عليم بكل معلوم ، ومحيطب بخبايا النفوس وخلجاتها .

ثم وجه – سبحانه – بعد ذلك خطابه إلى حفصة وعائشة ، فأمرهما بالتوبة عما صدر منهما .

فقال : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ .

ولفظ ﴿ صَغَتْ ﴾ بمعنى مالت وانحرفت عن الواجب عليهما . يقال صغا فلان يصغو ويصغى صغوا ، إذا مال نحو شيء معين . ويقال : صغت : الشمس ، إذا مالت نحو الغروب ، ومنه قوله – تعالى – : ﴿ ولتصغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخرة ﴾ وجواب الشرط محذوف ، والتقدير : إن تتوبا إلى الله ، فلتوبتكما موجب أو سبب ، فقد مالت قلوبكما عن

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٤١٣/٤

الحق ، وانحرفت عما يجب عليكما نحو الرسول – A – من كتمان لسره ، ومن حرص على راحته ، ومن احترام لكل تصرف من تصرفاته .." (١)

"الاستفهام فى قوله – تعالى – : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية ﴾ للتحقيق والتقرير ، أو المقصود به التعجيب من حديث القيامة ، والتشويق إلى الاستماع إليه .

والغاشية : لفظ مشتق من الغشيان ، وهو تغطية الشئ لغيره ، يقال : غشيه الأمر ، إذا غطاه ، والمقصود بالغاشية يوم القيامة ، ووصف يوم القيامة بذلك ، لأنه يغشى الناس بأهواله وشدائده ، ويغطى عقولهم عن التفكير فى أى شئ سواه .

والمعنى : هل بلغك – أيها الرسول الكريم أو أيها المخاطب – حديث يوم القيامة ، الذى يغشى الناس بأحواله المفزعة ، ويعمهم بشدائده . . إن كان لم يأتك فهذا خبره ، وتلك هى أقسام الناس فيه .

وافتتاح السورة بهذا الافتتاح – بجانب ما فيه من تشويق – يدل على أهمية هذا الخبر ، وأنه من الأخبار التى ينبغى الاستعداد لما اشتملت عليه من معانى لا **يصح التغافل عنها** .

ثم فصل – سبحانه – أحوال الناس فى هذا اليوم فقال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ .

قال الشوكانى : الجملة مستأنفة من كون ثَمَّ وجوه فى ذلك اليوم متصفة بهذهالصفة المذكورة ، و " وجوه " مرتفع على الابتداء – وإن كانت نكرة مرتفع على الابتداء – وإن كانت نكرة – لوقوعه فى مقام التفصيل . . والتنوين فى " يومئذ " عوض عن المضاف إليه . أى : يوم غشيان الغاشية .

والخاشعة : الذليلة الخاضعة ، وكل متضائل ساكن يقال له خاشع . .

والمراد بالوجوه : أصحابها ، من باب التعبير عن الكل بالبعض ، وخصت الوجوه بالذكر ، لأنها أشرف أعضاء الإنسان ، ولأنها هى التى تظهر عليها الآثار المختلفة من حزن أو فرح . أى : وجوه فى يوم قيام الساعة ، تكون خاشعة ذليلة ، تبدو عليها آثار الهوان والانتكاس والخزى ، كما قال – تعالى – : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذل . . . ﴾ وهذه الوجوه – أيضا – من صفاتها أنها ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ أى : مكلفة بالعمل الشاق المرهق الذى تَنْصَبُ له الوجوه فى هذا اليوم ، وتتعب تعبا ما عليه من مزيد ، كجر السلاسل ، وحمل الأغلال ، والخوض فى النار .

فقوله : ﴿ عاملة ﴾ اسم فاعل من العمل ، والمراد به هنا : العمل الشاق المهين .

وقوله : ﴿ ناصبة ﴾ من النَّصب ، بمعنى : التعب والإعياء يقال : نَصِب فلان بكسر الصاد – كفرح – ينصب نصبا ، إذا تعب فى عمله تعبا شديدا .

وفى هذه الصفات زيادة توبيخ لأهل النار ، لأنهم لما تركوا فى الدنيا الخشوع لله – تعالى – والعمل الصالح ، وآثروا متع الدنيا على ثواب الآخرة . . كان جزاؤهم يوم القيامة ، الإذلال ، والعمل الشاق المهين الذى لا تعقبه راحة .

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٤٢٥٢

ثم أخبر – سبحانه – عن هذه الوجوه الشقية بأخبار أخرى فقال : ﴿ تصلى نَاراً حَامِيَةً ﴾ أى : أن هذه الوجوه تشوى بالنار الحامية يوم القيامة . يقال : صَلِيَ فلان النار فهو يصلاها ، إذا لفحته بحرها لفحا شديدا .." (١)

"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٥٨١

و يقال للجنابة سراية فإذا أمسك الجاني عن الجناية فلا ينفعه ذلك ما لم يمض حكم السراية.

قوله جل ذكره :

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٦٦ الى ٦٧]

قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون (٦٦) مستكبرين به سامرا تهجرون (٦٧)

ذكر هذا من باب إملاء العذر ، وإلزام الحجة ، والقطع بألا ينفع – الآن – الجزع ولا يسمع العذر والملوك إذا أبرموا حكما ، فالاستغاثة غير مؤثرة فى الحاصل منهم ، قال قائلهم :

إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد إليه بوجه – آخر الدهر – تقبل

قوله جل ذكره :

]

سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٦٨]

أ فلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين (٦٨)

يعنى أنهم لو أنعموا النظر ، وسلطوا على أحوالهم صائب الفكر لاستبصروا فى الحال ، ولا نتفى عن قلوبهم الاستعجام والإشكال ، ولكنهم استوطنوا مركب الكسل ، وعرجوا فى **أوطان التغافل** ، فتعودوا الجهل ، وأيسوا من الاستبصار.

قوله جل ذكره :

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٦٩]

أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (٦٩)

ذهلوا عن التحقيق فتطوحوا فى أودية المغاليط ، وترجمت بهم الظنون الخاطئة ، وملكتهم كواذب التقديرات «١» ، فأخبر الله (الرسول) «٢» عن أحوالهم فمرة قابلوه بالتكذيب ، ومرة رموه بالسحر ، ومرة عابوه بتعاطيه أفعال العادة بما عليه الناس من المآكل والمشارب ، ومرة قدحوا فيه بما هو فيه من الفقر وقلة ذات اليد ... فأخبر الله عن تشتت أحوالهم ، وتقسم أفكارهم

---

(١) هكذا فى م أما في ص فهى (التقدير) ونحن نرجه الأولى حتى يقتصر إطلاق (التقدير) بالمفرد على الفعل الإلهى أما

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٤٤٩٢

هنا فهى (التقديرات الإنسانية) أي الظنون.

(٢) السياق يتطلب وجود كلمة (الرسول) وهى غير موجودة فى التسخين فوضعناها من عندنا لينسجم الأسلوب.." [١]

"" صفحة رقم ٢٧٥ "

الرزق ، وتكثر المال ، وتعمر الدار .

وأما التي في الآخرة فتستر العورة ، وتصير ظلا فوق الرأس ، وتكون سترا من النار) .

وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع .

وفي قوله) واركعوا مع الراكعين (وجوه : أحدها أن اليهود لا ركوع في صلاتهم ، فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين .

وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لأن الأول أمر بإقامتها ، والثاني أمر بالجماعة .

وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء ، فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل للمؤمنين ، ثم إنه سبحانه لما أمرهم بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر ، وهو **أن التغافل عن** أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول .

والهمزة في) أتأمرون (للتقرير مع التقريع ، والتعجيب من حالهم .

والبر اسم جامع لأعمال الخير ، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي .

واختلف في البر ههنا .

قال السدي : إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها .

وقال ابن جريج .

تأمرون الناس بالصلاة والزكاة وتتركونهما .

أبو مسلم : كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو إلى الحق ويرغبونهم في أتباعه ، فلما بعث الله محمدا (صلى الله عليه وسلم) حسدوه وأعرضوا عن دينه .

الزجاج : يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها .

وقيل : يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا يتبعونه .

وقيل : يأمرون غيرهم باتباع التوراة وهم يخالفونها لأنهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم ما آمنوا به .

وقيل : لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباعه في الظاهر وينكرونه (صلى الله عليه وسلم) في الباطن ، فوبخهم الله على ذلك .

والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم ، والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه ؟ فإذن المراد

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٥٨١/٢

وتغفلون عن حق أنفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع) وأنتم تتلون الكتاب (أي التوراة وتدرسونها وتعلمون ما فيها من أعمال البر ومن نعت محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل) أفلا تعقلون (؟ وهو تعجيب للعقلاء من أفعالهم .

وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير : أفعلتم ذلك فلا تعقلون .

وقس على هذا نظائره في القرآن فإنها كثيرة .

وللتعجيب وجوه : منها أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرشاد الغير إلى المصالح وتحذيره عن المفاسد ، وإرشاد النفس إليها وتحذيرها منها أهم بشواهد العقل والنقل ، فمن وعظ ولم يتعظ فكأنه أتى بما لا يقبله العقل الصحيح .

ومنها." (١)

"" صفحة رقم ٣٢٠ "

بمعنى التكريم .

عن الحسن أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يكفر عن يمينه لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين .

وعن مقاتل أنه أعتق رقبة في تحريم مارية .

وما حكم تحريم الحلال ؟ قال أبو حنيفة : هو يمين على الامتناع من الانتفاع المقصود ، فلو حرم طعاما فهو يمين على الامتناع من أكله ، أو أمه فعلى الامتناع من وطئها ، أو زوجة فمحمول على ما نوى ، فإن نوى الظهار فظهار ، أو الطلاق فطلاق بائن ، وإن لم ينو شيئا فعلى الإيلاء ، وإن قال : كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ، وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد أن الحرام يمين .

وقال الشافعي : هو في النساء من صرائح ألفاظ الطلاق .

وعن عمر : إذا نوى الطلاق فرجعي .

وعن علي رضي الله عنه : ثلاث .

وعن عثمان : ظهار .

وعن مسروق والشعبي أنه ليس بشيء فما لم يحرمه الله ليس لأحد أن يحرمه) والله مولاكم (متولي أموركم وقيل : أولى بكم من أنفسكم ونصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم) وهو العليم (بما يصلحكم) الحكيم (فيما يأمركم به وينهاكم عنه) و (اذكر) إذا أسر النبي إلى بعض أزواجه (وهي حفصة) حديثا (هو حديث مارية وإمامة الشيخين) فلما نبأت به (حفصة عائشة) وأظهره الله (على نبيه أي أطلعه على إفشائه على لسان جبريل .

وقيل : أهر الله الحديث على النبي فيكون من الظهور) عرف بعضه (أعلم ببعض الحديث .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢٧٥/١

ومن قرأ بالتخفيف من العرفان فمعناه المجازاة من قولك للمسيء (لأعرفن لك ذلك) وكان جزاؤه تطليقه إياها .

وقيل : المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية .

وإنما أعرض عن البعض تكرما .

قال سفيان : ما زال التغافل من فعل الكرام .

وروي أنه قال لها : ألم أقل لك اكتمي علي ؟ قالت : والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أبي .

وإنما ترك المفعول ولم يقل (فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه لأن ذلك ليس بمقصود وإنما الغرض ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به ، وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام بالبعض وهو حديث الإمامة .

ولما كان المقصود في قوله) من أنبأك هذا (ذكر المنبأ به أتى بالمفعولين جميعا .

ثم وبخ عائشة وحفصة على طريقة الالتفات قائلا) إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما (أي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن إخلاص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حب ما يحبه وبغض ما يكرهه والأصل قلباكما .

ووجه الجمع ما مر في قوله) فاقطعوا أيديهما) [المائدة : ٣٨] (وإن تظاهرا (أي تعاونا على ما يوجب غيظه فلم يعدم هو من يظاهره كيف والله) مولاه (أي ناصره) وجبريل (خاصة من بين الملائكة) وصالح المؤمنين (قال أكثر العلماء : هو واحد في معنى الجمع لأنه أريد الجنس لشمول كل من آمن وعمل صالحا وجوز أن يكون جمعاً وقد أسقط الواو في الخط لسقوطه في اللفظ .

عن سعيد بن جبير :." (١)

"[والله مولاكم] أي والله وليكم وناصركم

[وهو العليم الحكيم] أي وهو العليم بخلقه ، الحكيم في صنعه ، فلا يأمر ولا ينهى ، إلا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة .

. ثم شرع تعالى في بيان القصة التي حدثت لرسول الله (ص)مع بعض زوجاته ، فقال سبحانه

[وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا] أي واذكر حين أسر النبي محمد (ص)إلى زوجته حفصة خبرا واستكتمها إياه قال ابن عباس : هو ما أسر إلى حفصة من تحريم الجارية على نفسه ، كما أخبرها بأن الخلافة بعده تكون في أبي بكر وعمر ((قال الرازي : لما رأى النبي (ص) الغيرة في وجه حفصة أراد أن يترضاها ، فأسر إليها بشيئين : تحريم الأمة على نفسه ، والبشارة بأن الخلافة بعده فى أبي بكر وعمر فافشت السر ، فكان ذلك سببا لغضب الرسول (ص))). وطلب منها ألا تخبر بذلك أحدا

[فلما نبأت به] أي فلما أخبرت بذلك السر عائشة وأفشته لها

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٦/٣٢٠

[وأظهره الله عليه] أي وأطلع الله نبيه بواسطة جبريل الأمين على إفشائها للسر

[عرف بعضة وأعرض عن بعض] أي أعلمها وأخبرها رسول الله (ص) ببعض الحديث الذي أفشته معاتبا لها ، ولم يخبرها بجميع ما حصل منها ، حياة منه وكرما ، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات ، والتقصير في اللوم والعتاب قال الحسن : ما استقصى كريم قط ، وقال سفيان : ما زال التغافل من شيم الكرام قال الخازن : المعنى أن النبي (ص) أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة ، وهو تحريم مارية على نفسه ، وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه (ص) كره أن ينتشر ذلك في الناس

[فلما نبأها به] أي فلما أخبر الرسول حفصة بأنها قد أفشت سره

[قالت من أنبأك هذا] أي قالت : من أخبرك يا رسول الله بأني أفشيت سرك ؟ قال أبو حيان : ظنت حفصة أن عائشة فضحتها – وكانت قد استكتمتها – فقالت : من أنبأك هذا على سبيل التثبت ، فأخبرها أن الله جل وعلا هو الذي نبأه به ، فسكتت وسلمت

[قال نبأني العليم الخبير] أي فقال عليه السلام : أخبرني بذلك رب العزة ، العليم بسرائر العباد ، الخبير الذي لا تخفى عليه خافية

[أن تتوبا إلى الله] الخطاب لحفصة وعائشة ، خاطبهما تعالى بطريق الالتفات ، ليكون أبلغ في معاتبتهما ، وحملهما على التوبة ، مما بدر منهما من الإيذاء لسيد الأنبياء ، وجوابه محذوف تقديره أي إن تبتما كان خيرا لكما ، من التعاون على النبي (ص) بالإيذاء

[فقد صغت قلوبكما] أي فقد زاغت ومالت قلوبكما ، عما يجب عليكما ، من الإخلاص لرسول الله ، بحب ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه

[وإن تظاهرا عليه] أي وأن تتعاونا على النبي (ص) بما يسوءه ، من الوقيعة بينه وبين سائر نسائه

[فإن الله هو مولاه] أي فإن الله تعالى هو وليه وناصره ، فلا يضره ذلك التظاهر منكما

[وجبريل وصالح المؤمنين] أي وجبريل كذلك وليه وناصره ، والصالحون من المؤمنين قال ابن عباس : أراد بصالح المؤمنين (أبا بكر وعمر) فقد كانا عونا له عليه الصلاة والسلام عليهما قال في التسهيل : معنى الآية : إن تعاونتما عليه (ص)بما يسوءه من إفراط الغيرة ، وإفشاء سره ونحو ذلك ، فإن له من ينصره ويتولاه ، وقد ورد في الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله : ما يشق عليك من شأن النساء ؟ فإن كنت طلقتهن ، فإن الله معك وملائكته وجبريل ، وأبو بكر وعمر معك ، فنزلت الآية موافقة لقول عمر

(١) ".

"ويجوز أن يكون الكلام مستعملا في النهي عن أخذ المال الخبيث ، فيكون الكلام منصرفا إلى غرض ثان وهو النهي عن أخذ المال الخبيث والمعنى لا تأخذوه ، وعلى كلا الوجهين هو مقتض تحريم أخذ المال المعلومة حرمته على من

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، ٣٧٢/٣

هو بيده ولا يحله انتقاله إلى غيره. أ هـ ﴿التحرير والتنوير حـ ٣ صـ ٥٧﴾

فصل

قال الفخر :

في معنى الإغماض في هذه الآية وجوه الأول : أن المراد بالإغماض هاهنا المساهلة ، وذلك لأن الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك ثم كثر ذلك حتى جعل كل تجاوز ومساهلة في البيع وغيره إغماضا ، فقوله ﴿ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يقول لو أهدى إليكم مثل هذه الأشياء لما أخذتموها إلا على استحياء وإغماض ، فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لأنفسكم

والثاني : أن يحمل الإغماض على المتعدى كما تقول : أغمضت بصر الميت وغمضته والمعنى ولستم بآخذيه إلا إذا أغمضتم بصر البائع يعني أمرتموه بالإغماض والحط من الثمن. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٧ صـ ٥٦﴾

قال أبو حيان :

والظاهر عموم نفي الأخذ بأي طريق أخذ الخبيث ، من أخذ حق ، أو هبة. أ هـ ﴿البحر المحيط حـ ٢ صـ ٣٣٢﴾

وقال ابن عاشور :

الإغماض إطباق الجفن ويطلق مجازا على لازم ذلك ، فيطلق تارة على الهناء والاستراحة لأن من لوازم الإغماض راحة النائم قال الأعشى :

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي

جفنا فإن لجنب المرء مضطجعا...

أراد فاهنئي.

ويطلق تارة على لازمه من عدم الرؤية فيدل على التسامح في الأمر المكروه كقول الطرماح :

لم يفتنا بالوتر قوم وللض

يم رجال يرضون بالإغماض...

فإذا أرادوا المبالغة في التغافل عن المكروه الشديد قالوا أغمض عينه على قذى ؛ وذلك لأن إغماض الجفن مع وجود القذى في العين.

لقصد الراحة من تحرك القذى ، قال عبد العزيز بن زرارة الكلائي :

وأغمضت الجفون على قذاها." (١)

"وقتادة كذلك ، إلا أنه خفف الميم ، والمعنى : إلا أن تحملوا على التغافل عنه ، والمسامحة فيه. وقال أبو البقاء – رحمه الله – في قراءة قتادة : " ويجوز أن يكون من أغمض ، أي : صودف على تلك الحال؛ كقولك : أحمدت الرجل ، أي : وجدته محمودا " وبه قال أبو الفتح.

---

(١) جامع لطائف التفسير، ١٠١/٩

وقيل فيها أيضا : إن معناها إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه.
والإغماض : في اللغة غض البصر ، وإطباق الجفن ، وأصله من الغموض ، وهو الخفاء ، يقال : هذا كلام غامض أي خفي الإدراك. أ هـ ﴿تفسير ابن عادل حـ ٤ صـ ٤٠٧ ـ ٤١٣﴾. بتصرف.." (١)

"ج٢ص١٠١

مقتض الفطرة والعقل قال تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ﴾ [سورة السجدة ، الآية : ١٨] وقال ابن الأعرابي : لم يسمع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب وإنما قالوا فسقت الرطبة عن قشرها. أنتهى. وفي الدر المصون زعم ابن الأنباري أنه لم يسمع في كلام الجاهلية ولا في شعرها فاسق ، وهذا عجيب منه وقد قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا الخ (أقول) الظاهر أنه يعترض على ما ذكر بأنه كيف ينكر هذأ مع وروده في الأشعار القديمة كثيرا لا سيما وقد جاء في أفصح الكلام ولذا عده عجيبا ، والعجب ممن لم يقف على المراد وحاد على طريق السداد فإن هذا مما اتفق عليه أئمة اللغة وقد عقد له ابن فارس في فقه اللغة بابا والعجب من صاحب المزهر أنه نقله عنه وتغ هنا المعرب وليس غفلة منه وإنما هو تغافل كما قيل :

ليس الغبي بسيد في قو! لن سيدهم هو المتغابي

قال ابن فارس رحمه الله في معرفة الألفاظ الإسلامية : كانت العرب في جاهليتها على

إرث من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكم وقوانينهم فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر وعد منها حتى قال : ولم يعرفوا الفسق إلا قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها فجاء الشرع بأن الفسق إلافحاس في الخروج عن طاعة الله تعالى انتهى. وهكذا قاله غيره من أهل اللغة من غير تردد فيه وحاصله أنه خروج الأجرام وبروز الأجسام من غير العقلاء من كون لآخر من حيز إلى حيز فنقله الشرع في الإسلام إلى خروج العقلاء من الناس عن الطاعة وشاع بعد ذلك حتى صار حقيقة عرفية لغوية ومنه بيت رؤبة فإنه ليس شاعرا جاهليا مع أنه في خروج الإبل وهي لا تعقل أيضا فلم يخرج عن الوضع ، ومما أحدثوه منه الفويسقة للفأرة والفاسقية لعمامة كانت معروفة

في العهد الأول وأما الفسقية للحوض فلم يرد في كلام العرب ولا أدري ما أصلها وبعض المتأخرين توهمها منسوبة للفسق فقال :

هجوت فسقيتكم عامدا لأنها في اللهو أصلية

أليس في فسق جمعتم بها فحق أن تدعي بفسقية

قوله : (قال رؤبة الخ) هو رؤبة بن العجاج الراجز المشهور وهو شاعر إسلامي بليغ يستدل بكلامه ورؤبة براء مهملة مضمومة يليها همزة ساكنة ثم باء موحدة وهاء تأنيث ويجوز إبدال همزته واوا لسكونها بعد ضمة وقوله في أدب الكاتب إنه بالهمزة لا غير مما خطئ فيه ، وقد يقال مراده أن هذه مادته الأصلية فلا خطأ فيه وهو علم منقول وأصله من رأب الشيء

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٩/١٠٩

إذا أصلحه والبيت من أرجوزة طويلة له وهو :

يذهبن في نجد وضورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا

وهو من صفة نوق وإبل سائرة في المفازة والنجد ما ارتفع من الأرض! وبه سميت بعض

بلاد العرب والمراد الأول والغور بالفتح ما انخفض منها وغائرا صفة له من لفظه مؤكدة كليل أليل ، وقوله يذهبن للنوق وفواسق بمعنى خوارج ، والقصد هنا بمعنى الطريق المستقيم ويكون بمعنى الإرادة وجوائرا من جار عن الطريق إذا انحرف عنها وصرف فواسق وجوائر للضرورة أي أن الإبل تصعد وتهبط إذا عدلت عن جادة السبيل. قوله : (والفاسق في الشرع الخ) يعني أنه نقل لكل خروج عن طاعة الله فيشمل الكفر والكبيرة والصغيرة لكنه اختص في العرف والاستعمال بمرتكب الكبيرة فلا يطلق على الآخرين إلا نادرا بقرينة ويدخل في أمر الله نهيه أيضا بطريق اللزوم والدلالة إذ لا فرق بينهما وفي الأمر بالشيء نهي عن ضده أو على أن المراد بالأمر واحد الأمور ، وهو ما جاء من قبل الله مطلقا والكلام في الكبيرة والاختلاف فيها مشهور وسيأتي ، والمراد به ما كان شنيعا من المحرمات ويدخل فيه الإصرار على الصغيرة لأنها تصير كبيرة على ما اشتهر فلا حاجة إلى أن يزاد فيها هنا أو الإصرار على الصغيرة قيل : ولو ذكر كان أحسن ، والتغابي **بالمعجمة التغافل من** غير غفلة كالتجاهل لمن يظهر والجهل وليس بجاهل من الغباوة وهي ضد الفطنة وف٣ ارتكاب الكبيرة وما في حكمه إلى ثلاثة أقسام وفسر الأول بأن." (١)

" أي واذكر إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه هي حفصة على ما عليه عامة المفسرين وزعم بعض الشيعة أنها عائشة وليس له في ذلك شيعة نعم رواه ابن مودويه عن ابن عباس وهو شاذ حديثا هو قوله عليه الصلاة و السلام على ما في بعض الروايات : لكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا فلما نبأت أي أخبرت

وقرأ طلحة أنبأت به أي بالحديث عائشة لأنهما كانتا متصادقتين وتضمن الحديث نقصان حظ ضرتهما زينب من حبيبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث أنه عليه الصلاة و السلام كما في البخاري وغيره كان يمكث عندها لشرب ذلك وقد اتخذ ذلك عادة كما يشعر به لفظ كان فاستخفها السرور فنبأتبذلك وأظهره الله عليه أي جعل الله تعالى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرا على الحديث مطلعا عليه من قوله تعالى : ليظهره عل الدين كله والكلام على ما قيل : على التجوز أو تقدير مضافأي على إفشائه وجوز كون الضمير لمصدر نبأت وفيه تفكيك الضمائر أو جعل الله تعالى الحديث ظاهرا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو نظير ظهر لي هذه المسألة وظهرت على إذا كان فيه مزيد كلفة واهتمام بشأن الظاهر فلا تغفل عرف أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حفصة بعضه أي الحديثأي أعلمها وأخبرها ببعض الحديث الذي أفشته

والمراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها : قلت كذا لبعض ما أسره إليها قيل : هو قوله لها : كنت شربت عسلا عند زينت ابنة جحش فلن أعود وأعرض عن بعض هو على ما قيل قوله عليه الصلاة و السلام : وقد حلفت فلم

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ١٠١/٢

يخبرها به تكرما لما فيه من مزيد خجلتها حيث أنه يفيد مزيد اهتمامه صلى الله تعالى عليه وسلم بمرضاة أزواجه وهو لا يحب شيوع ذلك وهذا من كرمه صلى الله تعالى عليه وسلم

وقد أخرج ابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه ما استقصى كريم قط وقال سفيان : ما **زال التغافل من** فعل الكرام وقال الشاعر : ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي وجوز أن يكون عرف بمعنى جازى أي جازاها على بعض بالعتب واللوم أو بتطليقه عليه الصلاة و السلام إياها وتجاوز عن بعض وأيد بقراءة السلمي والحسن وقتادة وطلحة والكسائي وأبي عمرو في رواية هارون عنه عرف بالتخفيف لأنه على هذه القراءة لا يحتمل معنى العلم لأن العلم تعلق به كله بدليل قوله تعالى : أظهره الله عليه مع أن الإعراض عن الباقي يدل على العلم فتعين أن يكون بمعنى المجازاة

قال الأزهري في التهذيب : من قرأ عرف بالتخفيف أراد معنى غضب وجازى عليه كما تقول للرجل يسيء إليك : والله لأعرفن لك ذلك واستحسنه الفراء وقول القاموس : هو بمعنى الإقرار لا وجه له ههنا وجعل المشدد من باب إطلاق المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويجوز أن تكون العلاقة بين المجازاة والتعريف اللزوم وأيد المعنى الأول بقوله عالى : فلما نبأها به قالت لتعرف هل فضحتها عائشة أم لا من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير

٣

- الذي لا تخفى عليه خافية فإنه أوفق للإعلام وهذا على ما في البحر ." (١)

" صفحة رقم ٥٨٣

أهل فارس وإخبار الله تعالى بإدالة الروم فتنة يعرف بها الثابت من المزلزل ، وكان من له كتاب أحسن حالا في الجملة ممن لا كتاب له ، افتتحت هذه بتفصيل ذلك تصريحا بعد أن اشار إليه بالأحرف المقطعة تلويحا غيبا وشهادة ، دلالة على وحدانيته وإبطال الشرك ، فأثبت سبحانه أن له جميع الأمر وأنه يسر المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل ، وخذلان أهل العراقة في الباطل والجهل ، وجعل ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين ، فقال مبتدئا بما أفهمه كونه مع المحسنين مع أنه ليس مع المسيئين : (غلبت الروم) أي لتبديلهم دينهم غلبهم - الفرس في زمن أنوشروان أو بعده) في أدنى الأرض) أي أقرب ارضهم غلى ارضكم ايها العرب ، وهي في أطراف الشام ، وفي تعيين مكان الغلب على هذا الوجه - بشارة للعرب بأنهم يغلبونهم إذا وافقوهم ، فإن موافقتهم لهم تكون في مثل ذلك المكان .

وقد كان كذلك بما كشف عنه الزمان ، فكأنه تعالى يقول لمن فرح من العرب بنصر أهل فارس على الروم لنكاية المسلمين : اتركوا هذا السرور الذي لا يصوب نحوه من له همة الرجال ، وأجمعوا أمركم وأجمعوا شملكم ، لتواقعوهم في مثل هذا الوضع فتنصروا عليهم ، ثم لا يقاومونكم بعدها أبدا ، فتغلبوا على بلادهم ومدنهم وحصونهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما أعتب سبحانه أهل مكة ، ونفى عليهم قبح صنيعهم **في التغافل عن** الاعتبار بحالهم ، وكونهم - مع قلة عددهم - قد منع الله بلدهم عن قاصد نبهه ، وكف ايدي العتاه والمتمردين عنهم مع (تعاور) أيدى المنتهين على من حولهم ، وتكرر ذلك واطراده صونا منه تعالى لحرمه وبيته ، فقال تعالى :

---

(١) روح المعاني، ٢٨/١٥٠

٧٧ ( ) أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويخطف الناس من حولهم ( ) ٧

[العنكبوت : ٦٧] أي ولم يكفهم هذا في الاعتبار ، وتبينوا أن ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع ، وإنما هو بصون الله إياهم بمجاورة بيته وملازمة أمنه مع أنهم أقل العرب ، أفلا يرون هذه النعمة ويقابلونها بالشكر والاستجابة قبل أن يحل بمنقمة ، ويسلبهم نعمه ، فلما قدم تذكارهم بهذا ، أعقب بذكر طائفة هم أكثر منهم وأشد قوة وأوسع بلادا ، وقد ايد عليهم غيرهم ، ولم يغن عنهم انتشارهم وكثرتهم ، فقالت : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض (الآيات ، فكر تعالى غلبة غيرهم لهم ، وأنهم ستكون لهم كرة ، ثم يغلبون ، وما ذلك إلا بنصر الله من شاء من عبيده) ينصر من يشاء (فلو كشف عن إبصار من كان بمكة من الكفار لرأوا أن اعتصام بلادهم وسلامة ذرياتهم وأولادهم مما سلط على من حولهم." [١]

" صفحة رقم ٤٧

قط ، وقال سفيان الثوري : ما زال التغافل من فعل الكبراء وإنما عاتب على أمر الخلافة خوفا من أن ينتشر في الناس ويذيع ، فربما أثار حسدا من بعض المنافقين وأورث الحسود للصديق والفاروق كيدا أو جر غلى مفسدة لا نعلمها ، وخفف الكسائي : عرف أي أقر به والمعرفة سبب التعريف والتعريف عن المعرفة فإطلاق أحدهما على الآخر شائع وعلاقته ذلك وأشار إلى مبادرته بتعريفها ذلك لئلا ينتشر ما يكرهه منه بقوله : (فلما نبأها (بما فعلت من إفشاء ما عرفها منه على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفها) به (شيئا منه ولا من عوارضه ليزداد بصيرة ، روي أنها قالت : قلت لعائشة رضي الله عنها سرا وأنا أعلم أنها لا تظهره ، قاله الملوي وهو معنى قوله : (قالت) أي ظنا منها أن عائشة رضي الله عنها أفشت عليها) من أنبأت هذا) أي مطلق إخبار ، واستأنف قوله : (قال نبأني (وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثيرا للمعنى بالتعميم إشارة إلى أنه أخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة رضي الله عنهما مما عرفها به ومن غيره على أتم ما كان) العليم) أي المحيط بالعلم) الخبير) أي المطلع على الضمائر والظواهر فهو أهل لأن يحذر فلا يتكلم سرا ولا جهرا إلا بما يرضيه .

التحريم : (٤ – ٥) إن تتوبا إلى. .. . . .

) إن تتوبآ إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا (((

ولما عرف من هذا أن المعاتب المنبئة ومن نباته ، وكان قد يكون عددا أشار إلى أنه واحد فالمعاتب اثنتان ، وكانتا قد اتسعت قلوبهما لما يأتي من قبل الله من الرغائب بهذا العتاب على هذا الأمر الخفي جدا والكرم عليهما فيه بعدم الاستقصاء فمالت قلوبهما إلى المعالي وغاصت على جليل المعارف فصاغت من جواهر ذلك دقيق المعاني ، لفت إليهما الخطاب بلطيف العباد لشريف المتاب ، فقال تشريفا آخر له (صلى الله عليه وسلم) بالإقبال على نسائه رضي الله تعالى عنهن بالعتاب لأجله قياما عنه بما ربما أزعجه لو باشره حفظا لخاطره الشريف مما قد يغره) إن تتوبا) أي يا عائشة ويا حفصة

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٨٣

مما صنعته حفصة بالإفشاء وعائشة بالاحتيال على المنع من شرب العسل والتحليف على مارية) إلى الله) أي الملك الذي أحاط علمه فجلت قدرته ولطف بهما لأجله (صلى الله عليه وسلم) غاية اللطف في قوله : (فقد صغت) أي مالت وغاضت بما صاغت) قلوبكما (وفي جمع القلوب جمع كثرة تأكيد لما فهمته من ميل القلب بكثرة المعارف بما أفادهما إظهار هذا السر والعتاب عليه من الحياء ، فصارتا جديرتين بالمبادرة إلى التوبة متأهلتين لذلك غاية التأهل .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ﴾ [٣] .

﴿ وإذ أسر النبي ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ إلى بعض أزواجه حديثا ﴾ هي حفصة في قول الرواة : ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والشعبي والضحاك ، كما نقله ابن جرير ﴿ حديثا ﴾ وهو تحريم فتاته في قولهم . قال ابن جرير : أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له ، وقوله : (٢).

﴿ فلما نبأت به ﴾ أي : أخبرت بالسر ، صاحبتها كما تقدم ، ﴿ وأظهره الله عليه ﴾ أي : أطلعه على تحديثها به ، ﴿ عرف بعضه ﴾ أي : عرفها بعض ما أفشته معاتبا ﴿ وأعرض عن بعض ﴾ أي : بعض الحديث تكرما ، ﴿ فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ﴾ أي : الذي لا تخفى عليه خافية .

تنبيه :

في " الإكليل " : في الآية أنه لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى من يركن إليه من زوجة أو صديق ، وأنه يلزمه كتمانه . وفيها حسن المعاشرة مع الزوجات ، والتلطف في العتب ، والإعراض عن استقصاء الذنب .

وحكى الزمخشري عن سفيان قال : ما زال التغافل من فعل الكرام .

ثم أشار تعالى إلى غضبه لنبيه ، صلوات الله عليه ، مما أتت به من إفشاء السر إلى صاحبتها ، ومن مظاهرتهما على ما يقلق راحته ، وأن ذلك ذنب تجب التوبة منه ، بقوله سبحانه :." (٣)

"وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما أعتب سبحانه أهل مكة ، ونفى عليهم قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم ، وكونهم - مع قلة عددهم - قد منع الله بلدهم عن قاصد نبهه ، وكف ايدي العتاه والمتمردين عنهم مع (تعاور) أيدى المنتهين على من حولهم ، وتكرر ذلك واطراده صونا منه تعالى لحرمه وبيته ، فقال تعالى : ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ [العنكبوت : ٦٧] أي ولم يكفهم هذا في الاعتبار ، وتبينوا أن ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع ، وإنما هو بصون الله إياهم بمجاورة بيته وملازمة أمنه مع أنهم أقل العرب ، أفلا يرون هذه النعمة ويقابلونها بالشكر والاستجابة قبل أن يحل بهمنقمة ، ويسلبهم نعمه ، فلما قدم تذكارهم بهذا ، أعقب بذكر طائفة هم أكثر منهم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧/٨

(٢) لا تذكري ذلك لأحد

(٣) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

وأشد قوة وأوسع بلادا ، وقد ايد عليهم غيرهم ، ولم يغن عنهم انتشارهم وكثرتهم ، فقالت : ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ الآيات ، فكر تعالى غلبة غيرهم لهم ، وأنهم ستكون لهم كرة ، ثم يغلبون ، وما ذلك إلا بنصر الله من شاء من عبيده ﴿ينصر من يشاء﴾ فلو كشف عن إبصار من كان بمكة من الكفار لرأوا أن اعتصام بلادهم وسلامة ذرياتهم وأولادهم مما سلط على من حولهم

٥٨٣

(١) ".

"أطلعه الملك الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿عليه﴾ أي الحديث بأنه قد أفشى مناصحة له في إعلامه بما يقع في غيبته ليحذره إن كان شرا ويثيب عليه إن كان خيرا ﴿عرف﴾ أي النبي صلى الله عليه وسلم التي أسر إليها ﴿بعضه﴾ وهو أمر الخلافة عتابا لها عليه لأنه كان أوصاها أن لا تظهره ، والكف عن بعض العتب أبعث على حياء المعتوب وأعون على توبته وعدم عدده إلى فعل مثله ﴿وأعرض عن بعض﴾ وهو أمر السرية والعسل تكرما منه أن يستقصي في العتاب وحياء وحسن عشرة ، قال الحسن : ما استقصى كريم

٤٦

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٣

قط ، وقال سفيان الثوري : ما **زال التغافل من** فعل الكبراء وإنما عاتب على أمر الخلافة خوفا من أن ينتشر في الناس ويذيع ، فربما أثار حسدا من بعض المنافقين وأورث الحسود للصديق والفاروق كيدا أو جر إلى مفسدة لا نعلمها ، وخفف الكسائي : عرف أي أقر به والمعرفة سبب التعريف والتعريف عن المعرفة فإطلاق أحدهما على الآخر شائع وعلاقته ذلك وأشار إلى مبادرته بتعريفها ذلك لئلا ينتشر ما يكرهه منه بقوله : ﴿فلما نبأها﴾ بما فعلت من إفشاء ما عرفها منه على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفها ﴿به﴾ شيئا منه ولا من عوارضه ليزداد بصيرة ، روي أنها قالت : قلت لعائشة رضي الله عنها سرا وأنا أعلم أنها لا تظهره ، قاله الملوي وهو معنى قوله : ﴿قالت﴾ أي ظنا منها أن عائشة رضي الله عنها أفشت عليها ﴿من أنبأت هذا﴾ أي مطلق إخبار ، واستأنف قوله : ﴿قال نبأني﴾ وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثيرا للمعنى بالتعميم إشارة إلى أنه أخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة رضي الله عنهما مما عرفها به ومن غيره على أتم ما كان ﴿العليم﴾ أي المحيط بالعلم ﴿الخبير *﴾ أي المطلع على الضمائر والظواهر فهو أهل لأن يحذر فلا يتكلم سرا ولا جهرا إلا بما يرضيه.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٣

(٢) ".

---

(١) نظم الدرر . ، ٥/٩٣٦

(٢) نظم الدرر . ، ٨/٦٥

"من الفَلْق ، والتفرد بالخلق ، لأنه المتوحد بالألوهية ، والمتصرِّف بالنهي والأمر .. سبحانه وتعالى (١) . وهو ما يربطها ، أيضاً بالمائدة ، التي ذكر فيها أمر حاكميته الله تعالى وحده ، والتحذير **من التغافل عما** أنزل من الأحكام .
وأما سورة الأعراف ، فقد سبق قريباً أنها تلتقي مع (الأنعام) في الغرض الرئيس العام ، وهو عرض العقيدة .. ولكن تتميز بشخصيتها المستقلة في الأداء والتعبير ، والقضايا المتنوعة التي تصبُّ في ذات الغرض .
هذه هى الرؤية العامة التي توضح ارتباط السور الثلاث ، على رغم اختلاف هُويتها بين المكية والمدنية ، وأيضاً على رغم تنوع موضوعات كلٍّ منها..
والآن .. لننظر في شيء من التفاصيل حول ذلك .. والتي ذكرها الشيخ الغُماري في كتابه (جواهر البيان) .. قال – رحمه الله – :
((٥– سورة المائدة : قال الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين : وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها أنه حيث وعدنا الله بالبيان كراهةَ وقوعنا في الضلال (آخر آية من النساء) ، تمَّم ذلك الوعد بذكر هذه السورة ، فإن فيها أحكاماً لم تكن في غيرها . قال البغوي : عن ميسرة قال : إن الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكماً لم تنزل في غيرها من القرآن .. (...)
٦– سورة الأنعام : ختمت السورة السابقة بقوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ؛ فناسب أن يُبيّن سبب تلك الملكية ومنشأها ، فافتتح هنا بجملة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ . فسبب ملكية الله للسماوات والأرض أنه خالقهما وما فيهما ،

(١) انظر : مصاعد النظر ، ٢/١١٨

١٣٣ | ١٣٦." (١)

"ويكون الغرض أن يعزم العبد في الحال على أدائه في الوقت الثاني . ومعنى الصلاة لغة وشرعا قد تقدم في أول البقرة . وأما الزكاة فهي في اللغة ، الزيادة والنماء ، وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لأنها تزيد في بركة المخرج عنه ، ويمكن أن يقال : مأخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية إذا مدحها وطهرها من العيوب . قال تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ [التوبة : ١٠٣] فإن المخرج يطهر ما بقي من المال . قال A « عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال : ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة . فأما التي في الدنيا فتزيد في الرزق ، وتكثر المال ، وتعمر الدار . وأما التي في الآخرة فتستر العورة ، وتصير ظلا فوق الرأس ، وتكون سترا من النار » وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع .
وفي قوله ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ وجوه : أحدها أن اليهود لا ركوع في صلاتهم ، فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين . وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لأن الأول أمر بإقامتها ، والثاني أمر بالجماعة . وثالثها الركوع

(١) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، ص/١٣٣

والخضوع لغة سواء ، فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل للمؤمنين ، ثم إنه سبحانه لما أمرهم بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر ، وهو **أن التغافل عن** أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول . والهمزة في ﴿ أتأمرون ﴾ للتقرير مع التقريع ، والتعجيب من حالهم . والبر اسم جامع لأعمال الخير ، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي . واختلف في البر ههنا . قال السدي : إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها . وقال ابن جريج . تأمرون الناس بالصلاة والزكاة وتتركونهما . أبو مسلم : كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو إلى الحق ويرغبونهم في أتباعه ، فلما بعث الله محمدا A حسدوه وأعرضوا عن دينه . الزجاج : يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها . وقيل : يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد A ولا يتبعونه . وقيل : يأمرون غيرهم باتباع التوراة وهم يخالفونها لأنهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد A ثم ما آمنوا به . وقيل : لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباعه في الظاهر وينكرونه A في الباطن ، فوبخهم الله على ذلك . والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم ، والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه؟ فإذن المراد وتغفلون عن حق أنفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ أي التوراة وتدرسونها وتعلمون ما فيها من أعمال البر ومن نعت محمد A ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ؟ وهو تعجيب للعقلاء من أفعالهم .." (١)

"قوله ﴿ قد فرض الله لكم تحلة ﴾ بمعنى التحليل كالتكرمة ﴿ أيمانكم ﴾ أي شرع لكم تحليلها بالكفارة . وقيل : قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها وذلك أن يقول : إن شاء الله عقبها حتى لا يحنث . والتحلة تفعلة بمعنى التحليل كالتكرمة بمعنى التكريم . عن الحسن أنه A لم يكفر عن يمينه لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين . وعن مقاتل أنه أعتق رقبة في تحريم مارية . وما حكم تحريم الحلال؟ قال أبو حنيفة : هو يمين على الامتناع من الانتفاع المقصود ، فلو حرم طعاما فهو يمين على الامتناع من أكله ، أو أمه فعلى الامتناع من وطئها ، أو زوجة فمحمول على ما نوى ، فإن نوى الظهار فظهار ، أو الطلاق فطلاق بائن ، وإن لم ينو شيئا فعلى الإيلاء ، وإن قال : كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى . وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد أن الحرام يمين . وقال الشافعي : هو في النساء من صرائح ألفاظ الطلاق . وعن عمر : إذا نوى الطلاق فرجعي . وعن علي Bه : ثلاث . وعن عثمان : ظهار . وعن مسروق والشعبي أنه ليس بشيء فما لم يحرمه الله ليس لأحد أن يحرمه ﴿ والله مولاكم ﴾ متولي أموركم وقيل : أولى بكم من أنفسكم ونصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم ﴿ وهو العليم ﴾ بما يصلحكم ﴿ الحكيم ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذا أسر النبي إلى بعض أزواجه ﴾ وهي حفصة ﴿ حديثا ﴾ هو حديث مارية وإمامة الشيخين ﴿ فلما نبأت به ﴾ حفصة عائشة ﴿ وأظهره الله ﴾ على نبيه أي أطلعه على إفشائه على لسان جبريل . وقيل : أظهر الله الحديث على النبي فيكون من الظهور ﴿ عرف بعضه ﴾ أعلم ببعض الحديث . ومن قرأ بالتخفيف من العرفان فمعناه المجازاة من قولك للمسيء «

---

(١) تفسير النيسابوري، ٢٠٩/١

لأعرفن لك ذلك » وكان جزاؤه تطليقه إياها . وقيل : المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية . وإنما أعرض عن البعض تكرما . قال سفيان : ما **زال التغافل من** فعل الكرام . وروي أنه قال لها : ألم أقل لك اكتمي علي؟ قالت : والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أبي . وإنما ترك المفعول ولم يقل « فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه لأن ذلك ليس بمقصود وإنما الغرض ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به » ، وأن رسول الله A بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام بالبعض وهو حديث الإمامة . ولما كان المقصود في قوله ﴿ من أنبأك هذا ﴾ ذكر المنبأ به أتى بالمفعولين جميعا . ثم وبخ عائشة وحفصة على طريقة الالتفات قائلا ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ أي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن إخلاص رسول الله A من حب ما يحبه وبغض ما يكرهه والأصل قلباكما .." (١)

"أي : يبين بيانا يقود إلى المقصود ﴿لهم﴾ أي : هؤلاء الذين أرسلت إليهم أعظم رسلي ، وفاعل يهد مضمون قوله : ﴿كم أهلكنا﴾ وقال أبو البقاء : الفاعل ما دل عليه أهلكنا أي : إهلاكنا ، والجملة مفسرة له ، وقال الزمخشري : فاعل لم يهد الجملة بعده يريد : ألم يهدلهم هذا بمعناه ومضمونه ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين﴾ (الصافات : ٧٨ ، ٧٩) ، أي : تركنا عليه هذا الكلام ، ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى. وكم خبرية مفعول أهلكنا ﴿قبلهم من القرون﴾ أي : بتكذيبهم لرسلنا حال كونهم ﴿يمشون﴾ أي : هؤلاء العرب من أهل مكة وغيرهم ﴿في مساكنهم﴾ أي : في سفرهم إلى الشام ، ويشاهدون آثار هلاكهم ﴿إن في ذلك﴾ أي : الإهلاك العظيم الشأن المتوالي في كل أمة ﴿لآيات﴾ عظيمات بينات ﴿لأولي النهى﴾ أي : لذوي العقول الناهية **عن التغافل والتعامي**.

ولما هددهم بإهلاك الماضين ذكر سبب التأخير عنهم بقوله تعالى :

﴿

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥٤٣

ولولا كلمة﴾ أي : عظيمة قاضية نافذة ﴿سبقت﴾ أي : في أزل الآزال ﴿من ربك﴾ الذي عودك بالإحسان بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة فإنه يعامل بالحلم والأناة ﴿لكان﴾ أي : العذاب ﴿لزاما﴾ أي : لازما أعظم لزوم لهم في الدنيا مثل ما نزل بعاد وثمود ، ولكن نمد لهم لنرد من شئنا منهم ، ونخرج من أصلاب بعضهم من يؤمن ، وإنما فعلنا ذلك إكراما لك ورحمة لأمتك ، فيكثر أتباعك ، فيعملوا الخيرات ، فيكون ذلك زيادة في شرفك ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم "وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا" ، وفي رفع قوله تعالى ﴿وأجل مسمى﴾ وجهان ؛ أظهرهما : عطفه على كلمة أي ، ولولا أجل مسمى لكان العذاب لازما لهم ، وهذا ما صدر به البيضاوي ، والثاني : أنه معطوف على الضمير المستتر في كان ، وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد ، واقتصر الجلال المحلي على هذا ، وجوزه الزمخشري والبيضاوي ، وفي هذا الأجل المسمى قولان ؛ أحدهما : ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب ، وهو يوم بدر ، والثاني : ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب ، وهذا كما قال الرازي أقرب قال أهل

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٧٩/٧

السنة تعالى بحكم المالكية أن يخص من شاء بفضله ، ومن شاء بعذابه من غير علة إذ لو كان فعله لعلة لكانت تلك العلة إما قديمة ، فيلزم قدم الفعل ، وإما حادثة ، فيلزم افتقارها إلى علة أخرى ، ويلزم التسلسل ، ثم إنه تعالى لما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهلك أحدا قبل استيفاء أجله أمره بالصبر ، فقال :

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ لك من الاستهزاء وغيره ، وهذا كان أول الأمر ، ثم نسخ بآية القتال ﴿وسبح﴾ أي : صل ، وقوله تعالى : ﴿بحمد ربك﴾ حال أي : وأنت حامد لربك على أنه وفقك لذلك ، وأعانك عليه ﴿قبل طلوع الشمس﴾ صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ صلاة العصر ﴿ومن أناء

٥٤٣

الليل﴾ أي : ساعاته ﴿فسبح﴾ أي : صل المغرب والعشاء ، وقوله تعالى : ﴿وأطراف النهار﴾ معطوف على محل من آناء المنصوب أي : صل الظهر ؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس ، فهو طرف النصف الأول ، وطرف النصف الثاني قال ابن عباس : دخلت الصلوات الخمس في ذلك ، وقيل : المراد الصلوات الخمس والنوافل ؛ لأن الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها ، فالليل والنهار داخلان في هاتين العبارتين.

وأوقات الصلوات الواجبة دخلت فيهما ، فبقي قوله : ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار للنوافل ، وقال أبو مسلم : لا يبعد حمل التسبيح على التنزيه والإجلال ، والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥٤٣

فإن قيل : النهار له طرفان ، فكيف قال : وأطراف النهار ، ولم يقل : طرفي النهار أجيب بوجهين أظهرهما : أنه إنما جمع لأنه يلزم في كل نهار ويعود ، والثاني : أن أقل الجمع اثنان ، وقرأ قوله تعالى ﴿لعلك ترضى﴾ أبو بكر والكسائي بضم التاء أي : ترضى بما تنال من الثواب كقوله تعالى : ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾ (مريم ، ٥٥) ، وقرأ الباقون بفتحها أي : ترضى بما تنال من الشفاعة قال تعالى : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (الضحى ، ٥) ، وقال تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ (الإسراء ، س٧٩) ، والمعنى : على القراءتين لا يختلف ؛ لأن الله تعالى إذا أرضاه ، فقد رضيه ، وإذا رضيه ، فقد أرضاه ، ولما كانت النفس ميالة إلى الدنيا مرهونة بالحاضر من فاني العطايا ، وكان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن بعلو همتها قال تعالى مؤكدا إيذانا بصعوبة ذلك : ." (١)

"جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٥١

وروى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل فقال : إني جعلت امرأتي علي حراما ، فقال : كذبت ليست عليك بحرام وتلا عليه هذه الآية. وذهب جماعة إلى أنه يمين فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب الكفارة ما لم يقربها ، كما لو حلف لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله ، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة ، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة.

وعند أبي حنيفة إن نوى الطلاق بالحرام كان بائنا ، وإن قال : كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو ، وإلا

---

(١) تفسير السراج المنير . ، ٣٨٦/٢

فعلى ما نوى ، نقله الزمخشري. وعن عمر : إذا نوى الطلاق فرجعي ، وعن علي : ثلاث ، وعن زيد واحدة بائنة.

وعن ابن عباس رصي الله عنهما قال : إذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها ، وقال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. قال مقاتل : فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة. قال

٣٥٣

زيد بن أسلم : وعاد إلى مارية ، وقال الحسن : لم يكفر عليه السلام لأنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكفارة اليمين في هذه السورة إنما أمر بها الأمة. قال ابن عادل : والأول أصح ، وأن المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم الأمة تقتدي به في ذلك ﴿والله﴾ أي : والحال أن المختص بأوصاف الكمال ﴿مولاكم﴾ أي : يفعل معكم فعل القريب الصديق فهو سيدكم ومتولي أموركم ﴿وهو﴾أي : وحده ﴿العليم﴾ أي : البالغ العلم بمصالحكم وغيرها إلى ما لا نهاية له. ﴿الحكيم﴾ أي : الذي يضع كل ما يصدر عنه لكم في أتقن محاله بحيث لا يقدر غيره أن يغيره ولا شيئا منه.

والعامل في قوله تعالى : ﴿وإذ﴾ اذكر فهو مفعول به لا ظرف ، والمعنى اذكر إذ ﴿أسر النبي﴾ أي : الذي شأنه أن يرفعه الله تعالى دائما فإنه ما ينطق عن الهوى ﴿إلى بعض أزواجه﴾ وأبهمها لم يعينها تشريفا له صلى الله عليه وسلم ولها وهي حفصة صيانة لهن لأن حرمتهن من حرمته صلى الله عليه وسلم ﴿حديثا﴾ ليس هو من شأن الرسالة ولو كان من شأنها لعم به ولم يخص به ، ولا أسره وذلك هو تحريمه فتاته على نفسه ، وقوله لحفصة : لا تخبري بذلك أحدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : أسر أمر الخلافة بعده فحدثت حفصة ، وقال الكلبي : أسر إليها إن أباك وأب عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي ، وقال ميمون بن مهران : أسر أن أبا بكر خليفتي من بعدي ﴿فلما نبأت﴾ أي : أخبرت ﴿به﴾ عائشة ظنا منها أنه لا حرج عليها في ذلك ﴿وأظهره الله﴾ أي : أطلعه الملك الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿عليه﴾ أي : الحديث على لسان جبريل عليه السلام بأنه قد أفشى مناصحة له في إعلامه بما يقع في غيبته ليحذره إن كان شرا ويثبت عليه إن كان خيرا وقيل : أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور ﴿عرف﴾ أي : النبي صلى الله عليه وسلم التي أسر إليها ﴿بعضه﴾ أي : بعض ما فعلت ﴿وأعرض عن بعض﴾ أي : إعلام بعض تكرما منه أن يستقصي في العبارات وحياء وحسن عشرة ، قال الحسن : ما استقصى كريم قط ، وقال سفيان : ما زال التغافل من فعل الكرام ، وإنما عاتبها على ذكر الإمامة وأعرض عن ذكر الخلافة خوفا من أن ينتشر في الناس ، فربما أثار حسد بعض المنافقين وأورث الحسود للصديق كيدا.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٥١

وقال بعض المفسرين : إنه أسر إلى حفصة شيئا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه ، ولم يؤاخذها بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى : ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ (البقرة : ١٩٧) أي : يجازيكم عليه ، وقيل : المعرف حديث الإمامة ، والمعرض عنه حديث مارية. وروي "أنه قال لها : ويلك ألم أقل لك أكتمي علي ، قالت : والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها أباها" ﴿فلما نبأها به﴾ أي : بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفها به شيئا منه ، ولا من عوارضه لتزداد بصيرة.

روي أنها قالت لعائشة سرا فأنا أعلم أنها لا تظهره ، قاله الملوي ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿قالت﴾ أي : ظنا منها أن عائشة أفشت عليها ﴿من أنبأك هذا﴾ أي : من أخبرك أني أفشيت السر ﴿قال نبأني﴾ وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكسيرا للمعنى بالتعميم إشارة أنه أخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة على أتم ما كان. ﴿العليم﴾ أي : المحيط العلم ﴿الخبير﴾ أي : المطلع على الضمائر والظواهر ، فهو أولى أن يحذر فلا يتكلم سرا أو جهرا إلا بما يرضيه.

٣٥٤." (١)

"وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالاقرب فالاقرب.

وقال بعض أهل العلم: إن الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم، وعليه فلا تجب في بني الاعمام وبني الاخوال.

وقيل: بل هذا في كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الارحام في المواريث، محرما كان أو غير محرم.

فيخرج من هذا أن رحم الام التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم.

وهذا ليس بصحيح، والصواب أن كل ما يشمله ويعمه الرحم تجب صلته على كل حال، قربة ودينية، على ما ذكرناه أولا والله أعلم.

وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده قال: حدثنا شعبة قال أخبرني محمد بن عبد الجبار قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [إن للرحم لسانا يوم القيامة تحت العرش يقول يا رب قطعت يا رب ظلمت يا رب أسئ إلي فيجيبها ربها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك].

وفي صحيح مسلم عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا يدخل الجنة قاطع].

قال ابن أبي عمر قال سفيان: يعني قاطع رحم.

ورواه البخاري.

الرابعة - قوله عليه السلام: [إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم...] " خلق " بمعنى اخترع وأصله التقدير، كما تقدم (١).

والخلق هنا بمعنى المخلوق.

ومنه قوله تعالى: " هذا خلق الله " (٢) أي مخلوقه.

ومعنى [فرغ منهم] كمل خلقهم.

لا أنه اشتغل بهم ثم فرغ من شغله بهم، إذ ليس.

فعله بمباشرة ولا مناولة، ولا خلقه بآلة ولا محاولة، تعالى عن ذلك.

وقوله: [قامت الرحم فقالت] يحمل على أحد وجهين: أحدهما - أن يكون الله تعالى أقام من يتكلم عن الرحم من الملائكة فيقول ذلك، وكانه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها ويكتب ثواب من وصلها ووزر من قطعها، كما وكل الله

---

(١) تفسير السراج المنير ، ٢٣٥/٤

بسائر الاعمال كراما كاتبين، وبمشاهدة أوقات الصلوات ملائكة متعاقبين.

وثانيهما -

---

(١) راجع ج ١ ص ٢٢٦ (٢) آية ١١ سورة لقمان.

(*)."[١]

"الثانية تخفيفا.

وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام.

(وما عليك ألا يزكى) أي لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، إنما أنت رسول، ما عليك إلا البلاغ.

قوله تعالى: (وأما من جاءك يسعى) يطلب العلم لله (وهو يخشى) أي يخاف الله.

(فأنت عنه تلهى) أي تعرض عنه بوجهك وتشغل بغيره.

وأصله تتلهى، يقال: لهيت عن الشئ ألهى: أي تشاغلت عنه.

والتلهي: التغافل.

ولهيت عنه وتليت: بمعنى.

قوله تعالى: كلا إنها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢) في صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بأيدى سفرة (١٥) كرام بررة (١٦) قوله تعالى: (كلا إنها تذكرة) "كلا "كلمة ردع وزجر، أي ما الامر كما تفعل مع الفريقين، أي لا تفعل بعدها مثلها: من إقبالك على الغني، وإعراضك عن المؤمن الفقير.

والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الاولى كما تقدم، ولو حمل على صغيرة لم يبعد، قاله القشيري.

والوقف على "كلا " على هذا الوجه: جائز.

ويجوز أن تقف على " تلهى " ثم تبتدئ "كلا " على معنى حقا.

" إنها " أي السورة أو آيات القرآن " تذكرة " أي موعظة وتبصرة للخلق (فمن شاء ذكره) أي اتعظ بالقرآن.

قال الجرجاني: " إنها " أي القرآن، والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة، أخرجه على لفظ التذكرة، ولو ذكره لجاز، كما قال تعالى في موضع آخر: "كلا إنه تذكرة ".

ويدل على أنه أراد القرآن قوله:

" فمن شاء ذكره " أي كان حافظا له غير ناس، وذكر الضمير، لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ.

وروى الضحاك عن ابن عباس في قول تعالى: " فمن شاء ذكره " قال من شاء الله تبارك وتعالى ألهمه.

ثم أخبر عن جلالته فقال: " في صحف " جمع صحيفة " مكرمة " أي عند الله، قاله السدي.

الطبري: " مكرمة " في الدين لما فيها من العلم والحكم.

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٤٨/١٦

وقيل: " مكرمة " لانها نزل بها كرام الحفظة، أو لانها نازلة من اللوح المحفوظ.

وقيل: " مكرمة "." (١)

"يعني أنهم لو أنعموا النظر ، وسلطوا على أحوالهم صائب الفكر لاستبصروا في الحال ، ولانتفى عن قلوبهم الاستعجام والإشكال ، ولكنهم استوطنوا مركب الكسل ، وعرجوا في **أوطان التغافل** ، فتعودوا الجهل ، وأيسوا من الاستبصار .." (٢)

"" صفحة رقم ٥٧٠ "

زال التغافل من فعل الكرام . وقرىء : (عرف بعضه) ، أي : جاز عليه ، من قولك للمسيء : لأعرفن لك ذلك ، وقد عرفت ما صنعت . ومنه : أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، وهو كثير في القرآن ؛ وكان جزاؤه تطليقه إياها . وقيل : المعرف : حديث الإمامة ، والمعرض عنه : حديث مارية : وروي أنه (صلى الله عليه وسلم) قال لها : ألم أقل لك اكتمي علي ، قالت : والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها . فإن قلت : هلا قيل : فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه ؟ قلت : ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعرف ، وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها ، وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكرمه وحلمه ، لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه ، وهو حديث الإمامة . ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله :) فلما نبأها به قالت من أنبأك هاذا (ذكر المنبأ . كيف أتى بضميره .

) إن تتوبآ إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذالك ظهير (

التحريم : (٤) إن تتوبا إلى . . . . .

) إن تتوبا (خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ، ليكون أبلغ في معاتبتهما . وعن ابن عباس :

(١٢١١) لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة ، فسكبت الماء على يده فتوضأ ، فقلت : من هما ؟ فقال : عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال : هما حفصة وعائشة) فقد صغت قلوبكما (فقد وجد منكما ما يوجب التوبة ، وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه . وقرأ ابن مسعود : (فقد زاغت)) وإن تظاهرا (وإن تعاونا) عليه (بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره ، فلن يعدم هو من يظاهره ، وكيف يعلم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره ؛ وزيادة) هو (إيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه ، وأنه يتولى ذلك بذاته) وجبريل (رأس الكروبيين ؛ وقرن ذكره بذكره مفردا له من بين الملائكة تعظيما له وإظهارا لمكانته عنده) وصالح (ومن صلح من المؤمنين

---

(١) تفسير القرطبي، ١٩/٢١٥

(٢) تفسير القشيري، ٥/٢٦٩

، يعني : كل من آمن وعمل صالحا . وعن سعيد بن جبير : من برىء منهم من النفاق . وقيل : الأنبياء وقيل : الصحابة . وقيل :." (١)

"أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ الضمير المرفوع راجع إلى الهدى والمراد منه الكتاب أو الرسول – أو إلى الله تعالى الم ذكور في قوله تعالى وَكَذلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وعلى هذا في الكلام التفات من التكلم إلى الغيبة – ويؤيد هذا التأويل قرأة ا فلم نهدلهم بالنون على صيغة المتكلم – والمعنى ا ولم يهد لهم الله أو القرآن أو الرسول يعنى لكفار مكة – الاستفهام للانكار يعنى هداهم إلى صراط مستقيم فاستحبوا العمى على الهدى والفاء للتعقيب معطوف على محذوف تقديره الم يبين لهم فلم يهد لهم انكار لعدم الهداية بعد البيان لفظا وفي المعنى انكار لعدم اهتدائهم بعد الهداية وقيل ا فلم يهد لهم معطوف على مضمون الكلام السابق فانه تعالى ذكر حال المؤمنين بقوله فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى وحال الكفار بقوله وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً فقال بين الله لهم فيما تلونا حال الفريقين الم يتبين لهم فلم يهد لهم – وقيل لم يهد مسند إلى ما دل قوله تعالى كَمْ أَهْلَكْنا كم خبرية أى أهلكنا كثيرا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أى أهلكنا القرون السابقة أو مسند إلى الجملة بمضمونها يعنى ا لم يهد لهم إهلاكنا القرون يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ حال من القرون يعنى أهلكناهم ماشّين في مساكنهم – أو حال من الضمير المجرور في لهم على تقدير اسناد الفعل إلى مضمون جملة كم أهلكنا يعنى أ فلم يهد لكفار مكة حال كونهم ماشين في مساكن القرون الماضية إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى (١٢٨) أى لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامي – .

وَلَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وهى العدة بتأخير عذاب كفار هذه الامة إلى يوم القيمة – وعدم استيصالهم في الدنيا لكون النبي صلى الله عليه وسلم

التفسير المظهري ج ٦ ، ص : ١٧٥." (٢)

" شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه و سلم النقل فحرم العسل فمعناه تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل تبغي مرضات أزواجك تفسير لتحرم أو حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهي الكفارة أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها وذلك ان يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه و سلم اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين والله مولاكم سيدكم ومتولي أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لم من نصائحكم أنفسكم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فيما أحل وحرم وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه يعني حفصة حديثا حديث

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤/٥٧٠

(٢) تفسير المظهرى، ص/٤١٥٦

مارية وإمامة الشيخين فلما نبأت به أفشته إلى عائشة رضي الله عنها وأظهره الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه و سلم على إفشائها لحديث على لسان جبريل عليها السلام عرف بعضه اعلم ببعض الحديث وأعرض عن بعض فلم يخبر به تكرما قال على لسان جبريل عليه السلام عرف بعضه اعلم ببعض الحديث وأعرض عن بعض فلم يخبر به تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أي جازي عليه من قولك الشيء لأعرفن لك ذلك وقيل المعروف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لما ألم أقل لكم أكتمي على قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها فلما نبأها به نبأ لنبي حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة قالت حفصة النبي صلى الله عليه و سلم من انبأك هذا قال نبأني العليم بالسرائر الخبير بالضمائر ان يتوبا إلى الله خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ ي معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير أن تتوبا إلى الله فهو الواجب ودل على المحذوف فقد صغت مالت قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه و سلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وإن تظاهرا عليه بالتخفيف كوفي وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو ولاه وليه وناصره وزيادة إيذان بانه يتولى ذلك بذاته جبريل أيضا وليه وصالح المؤمنين ." (١)

"" صفحة رقم ٢٨٦ "

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها

تهدي إلي غرائب الأشعار

) وأظهره الله عليه (: أي أطلعه ، أي على إفشائه ، وكان قد تكوتم فيه ، وذلك بإخبار جبريل عليه السلام . وجاءت الكناية هنا عن التفشية والحذف للمفشى إليها بالسر ، حياطة وصونا عن التصريح بالاسم ، إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض . وقرأ الجمهور :) عرف (بشد الراء ، والمعنى : أعلم به وأنب عليه . وقرأ السلمي والحسن وقتادة وطلحة والكسائي وأبو عمرو في رواية هارون عنه : بخف الراء ، أي جازى بالعتب واللوم ، كما تقول لمن يؤذيك : لأعرفن لك ذلك ، أي لأجازينك . وقيل : إنه طلق حفصة وأمر بمراجعتها . وقيل : عاتبها ولم يطلقها . وقرأ ابن المسيب وعكرمة : عراف بألف بعد الراء ، وهي إشباع . وقال ابن خالويه : ويقال إنها لغة يمانية ، ومثالها قوله : أعوذ بالله من العقراب

الشائلات عقد الأذناب

يريد : من العقرب .) وأعرض عن بعض (: أي تكرما وحياء وحسن عشرة . قال الحسن : ما استقصى كريم قط . وقال سفيان : ما زال التغافل من فعل الكرام ، ومفعول عرف المشدد محذوف ، أي عرفها بعضه ، أي أعلم ببعض الحديث . وقيل : المعرف خلافة الشيخين ، والذي أعرض عنه حديث مارية . ولما أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتتمتها إياه ، ونبأها الرسول الله (صلى الله عليه وسلم)) به ، ظنت أن عائشة فضحتها فقالت :) من أنبأك هاذا (على سبيل التثبت ، فأخبرها أن الله هو الذي نبأه به ، فسكنت وسلمت .

التحريم : (٤) إن تتوبا إلى . . . . .

---

(١) تفسير النسفي، ٤/٢٥٩

(إن تتوبا إلى الله (: انتقال من غيبة إلى خطاب ، ويسمى الالتفات والخطاب لحفصة وعائشة .) فقد صافات (: مالت عن الصواب ، وفي حرف عبد الله : راغت ، وأتى بالجمع في قوله :) قلوبكما (، وحسن ذلك إضافته إلى مثنى ، وهو ضميراهما ، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى ، والتثنية دون الجمع ، كما قال الشاعر : فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العبط التي لا ترفع

وهذا كان القياس ، وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى ، لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع ، لأن التثنية جمع في المعنى ، والإفراد لا يجوز عند أصحابنا إلا في الشعر ، كقوله :

حمامة بطن الواديين ترنمي

يريد : بطني . وغلط ابن مالك فقال في كتاب التسهيل : ونختار لفظ الإفراد على لفظ التثنية . وقرأ الجمهور : تظاهرا بشد الظاء ، وأصله تتظاهرا ، وأدغمت التاء في الظاء ، وبالأصل قرأ عكرمة ، وبتخفيف الظاء قرأ أبو رجاء والحسن وطلحة وعاصم ونافع في رواية ، وبشد الظاء والهاء دون ألف قرأ أبو عمرو في رواية ، والمعنى : وأن تتعاونا عليه في إفشاء سره والإفراط في الغيرة ، (فإن الله هو مولاه (: أي مظاهره ومعينه ، والأحسن الوقف على قوله :) مولاه). ويكون) وجبريل (مبتدأ ، وما بعده معطوف عليه ، والخبر) ظهير). فيكون ابتداء الجملة بجبريل ، وهو أمين وحي." [1]

"﴿وأظهره الله عليه﴾ : أي أطلعه ، أي على إفشائه ، وكان قد تكوتم فيه ، وذلك بإخبار جبريل عليه السلام. وجاءت الكناية هنا عن التفشية والحذف للمفشى إليها بالسر ، حياطة وصونا عن التصريح بالاسم ، إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض. وقرأ الجمهور : ﴿عرف﴾ بشد الراء ، والمعنى : أعلم به وأنب عليه. وقرأ السلمي والحسن وقتادة وطلحة والكسائي وأبو عمرو في رواية هارون عنه : بخف الراء ، أي جازى بالعتب واللوم ، كما تقول لمن يؤذيك : لأعرفن لك ذلك ، أي لأجازينك. وقيل : إنه طلق حفصة وأمر بمراجعتها. وقيل : عاتبها ولم يطلقها. وقرأ ابن المسيب وعكرمة : عراف بألف بعد الراء ، وهي إشباع. وقال ابن خالويه : ويقال إنها لغة يمانية ، ومثالها قوله :

أعوذ بالله من العقرابالشائلات عقد الأذناب

يريد : من العقرب. ﴿وأعرض عنا بعض﴾ : أي تكرما وحياء وحسن عشرة. قال الحسن : ما استقصى كريم قط. وقال سفيان : ما زال التغافل من فعل الكرام ، ومفعول عرف المشدد محذوف ، أي عرفها بعضه ، أي أعلم ببعض الحديث. وقيل : المعرف خلافة الشيخين ، والذي أعرض عنه حديث مارية. ولما أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتتمتها إياه ، ونبأها الرسول الله صلى الله عليه وسلم به ، ظنت أن عائشة فضحتها فقالت : ﴿من أنابأك هذا ﴾ على سبيل التثبت ، فأخبرها أن الله هو الذي نبأه به ، فسكنت وسلمت. ﴿إن تتوبآ إلى الله﴾ : انتقال من غيبة إلى خطاب ، ويسمى الالتفات والخطاب لحفصة وعائشة. ﴿فوقهم صا فات﴾ : مالت عن الصواب ، وفي حرف عبد الله : راغت ، وأتى بالجمع في قوله : ﴿قلوبكما ﴾ ، وحسن ذلك

---

(١) تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٢٨٦/٨

إضافته إلى مثنى ، وهو ضميراهما ، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى ، والتثنية دون الجمع ، كما قال الشاعر :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٨٨

فتخالسا نفسيهما بنوافذكنوافذ العبط التي لا ترفع

وهذا كان القياس ، وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى ، لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع ، لأن التثنية جمع في المعنى ، والإفراد لا يجوز عند أصحابنا إلا في الشعر ، كقوله :

حمامة بطن الواديين ترنمي

يريد : بطني. وغلط ابن مالك فقال في كتاب التسهيل : ونختار لفظ الإفراد على لفظ التثنية. وقرأ الجمهور : تظاهرا بشد الظاء ، وأصله تتظاهرا ، وأدغمت التاء في الظاء ، وبالأصل قرأ عكرمة ، وبتخفيف الظاء قرأ أبو رجاء والحسن وطلحة وعاصم ونافع في رواية ، وبشد الظاء والهاء دون ألف قرأ أبو عمرو في رواية ، والمعنى : وأن تتعاونا عليه في إفشاء سره والإفراط في الغيرة ، ﴿فإن الله هو مولاه﴾ : أي مظاهره ومعينه ، والأحسن الوقف على قوله : ﴿مولاه﴾ . ويكون ﴿وجبريل﴾ مبتدأ ، وما بعده معطوف عليه ، والخبر ﴿ظهير﴾ . فيكون ابتداء الجملة بجبريل ، وهو أمين وحي الله واختتامه بالملائكة. وبدىء بجبريل ، وأفرد بالذكر تعظيما له وإظهارا لمكانته عند الله. ويكون قد ذكر مرتين ، مرة بالنص ومرة في العموم. واكتنف صالح المؤمنين جبريل تشريفا لهم واعتناء بهم ، إذ جعلهم بين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون. فعلى هذا جبريل داخل في الظهراء لا في الولاية ، ويختص الرسول بأن الله هو مولاه. وجوزوا أن يكون ﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾ عطفا على اسم الله ، فيدخلان في الولاية ، ويكون ﴿والملئاكة﴾ مبتدأ ، والخبر ﴿ظهير﴾ ، فيكون جبريل داخلا في الولاية بالنص ، وفي الظهراء بالعموم ، والظاهر عموم وصالح المؤمنين فيشمل كل صالح. وقال قتادة والعلاء بن العلاء بن زيد : هم الأنبياء ، وتكون مظاهرتهم له كونهم قدوة ، فهم ظهراء بهذا المعنى. وقال عكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد : المراد أبو بكر وعمر ، وزاد مجاهد : وعلي بن أبي طالب. وقيل : الصحابة. وقيل : الخلفاء. وعن ابن جبير : من برىء من النفاق ، وصالح يحتمل أن يراد به الجمع ، وإن كان مفردا فيكون كالسامر في قوله : ﴿مستكبرين بها سامرا﴾ ، أي سمارا. ويحتمل أن يكون جمعا حذفت منه الواو خطأ لحذفها لفظا ، كقوله : ﴿سندع﴾ ، وأفرد الظهير لأن المراد فوج ظهير ، وكثيرا ما يأتي فعيل نحو : هذا للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المفرد ، كأنهم في الظاهرة يد واحدة على من يعاديه ، فما قد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ، وذلك إشارة إلى تظاهرهما ، أو إلى الولاية.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٨٨

". (١)

"﴿ ١٢ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ .

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢١٨/٨

نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء (١) بالمؤمنين، فـ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا (٢) المسلم على حاله، **واستعملوا التغافل عن** أحواله (٣) التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي.

[ص ٨٠٢]

﴿ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه " ثم ذكر مثلا منفرًا عن الغيبة، فقال: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ شبه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس [غاية الكراهة]، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا، فاقد الروح، فكذلك، [فلتكرهوا] غيبته، وأكل لحمه حيًا.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

---

(١) في ب: السيء.

(٢) في ب: ودعوا.

(٣) في ب: عن زلاته.." (١)

"اعلم أن الهمزة في أتأمرون الناس بالبر للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم ، وأما البر فهو اسم جامع لأعمال الخير ، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما ، ومنه عمل مبرور ، أي قد رضيه الله تعالى وقد يكون بمعنى الصدق كما يقال بر في يمينه أي صدق ولم يحنث ، ويقال : صدقت وبررت ، وقال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾ (البقرة : ١٨٩) فأخبر أن البر جامع للتقوى ، واعلم أنه سبحانه / وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم ورغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر ، وهو **أن التغافل عن** أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول ، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة ، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام. واختلفوا في المراد بالبر في هذا الموضع على وجوه ، أحدها : وهو قول السدي أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وينهونهم عن معصية الله ، وهم كانوا يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية ، وثانيها : قول ابن جريج أنهم كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم كانوا يتركونهما. وثالثها : أنه إذا جاءهم أحد في

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٠١

الخفية لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلّم قالوا : هو صادق فيما يقول وأمره حق فاتبعوه ، وهم كانوا لا يتبعونه لطمعهم في الهدايا والصلات التي كانت تصل إليهم من أتباعهم ، ورابعها : أن جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلّم يخبرون مشركي العرب أن رسولاً سيظهر منكم ويدعو إلى الحق وكانوا يرغبونهم باتباعه فلما بعث الله محمداً حسدوه وكفروا به ، فبكتهم الله تعالى بسبب أنهم كانوا باتباعه قبل ظهوره ، فما ظهر تركوه وأعرضوا عن دينه ، وهذا اختيار أبي مسلم ، وخامسها : وهو قول الزجاج أنهم كانوا يأمرون الناس ببذل الصدقة ، وكانوا يشحون بها لأن الله تعالى وصفهم بقساوة القلوب وأكل الربا والسحت ، وسادسها : لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباع محمد صلى الله عليه وسلّم في الظاهر ، ثم إنهم كانوا في قلوبهم منكرين له فوبخهم الله تعالى عليه ، وسابعاً : أن اليهود كانوا يأمرون غيرهم باتباع التوراة ثم إنهم خالفوه لأنهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلّم ، ثم إنهم ما آمنوا به ، أما قوله : ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فالنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف ومن لا يكون مكلفاً لا يجوز أن يذمه الله تعالى على ما صدر منه ، فالمراد بقوله :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٥

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ أنكم تغفلون عن حق أنفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع ، أما قوله : ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ فمعناه تقرأون التوراة وتدرسونها وتعلمون بما فيها من الحث على أفعال البر والإعراض عن أفعال الإثم. وأما قوله : ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء : ٦٧) وسبب التعجب وجوه ، الأول : أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة ، والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك معلوم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال : ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ . الثاني : أن من وعظ الناس وأظهر علمه للخلق ثم لم يتعظ صار ذلك الوعظ سبباً لرغبة الناس في المعصية لأن الناس يقولون أنه مع هذا العلم لولا أنه مطلع على أنه لا أصل لهذه التخويفات وإلا لما أقدم على المعصية فيصير هذا داعياً لهم إلى التهاون بالدين والجراءة على المعصية ، فإذا كان غرض الواعظ الزجر عن العصية ثم أتى بفعل / يوجب الجراءة على المعصية فكأنه جمع بين المتناقضين ، وذلك لا يليق بأفعال العقلاء ، فلهاذا قال : ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ . الثالث : أن من وعظ فلا بد وأن يجتهد في أن يصير وعظه نافذاً في القلوب. والإقدام على المعصية مما ينفر القلوب عن القبول ، فمن وعظ كان غرضه أن يصير وعظه مؤثراً في القلوب ، ومن عصى كان غرضه أن لا يصير وعظه مؤثراً في القلوب. فالجمع بينهما متناقض غير لائق بالعقلاء ، ولهذا قال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك. وبقي ههنا مسائل : ". (١)

"الأول : اعلم أن الميثاق إنما يكون بفعل الأمور التي توجب الانقياد والطاعة ، والمفسرون ذكروا في تفسير الميثاق وجوهاً ، أحدها : ما أودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته والدلائل الدالة على صدق أنبيائه ورسله ، وهذا النوع من المواثيق أقوى المواثيق / والعهود لأنها لا تحتمل الخلف والتبديل بوجه ألبتة وهو قول الأصم ، وثانيها

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٤١٢

: ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالألواح قال لهم : إن فيها كتاب الله فقالوا : لن نأخذ بقولك حتى نرى الله جهرة فيقول : هذا كتابي فخذوه فأخذتهم الصاعقة فماتوا ثم أحياهم ثم قال لهم بعد ذلك : خذوا كتاب الله فأبوا فرفع فوقهم الطور وقيل لهم : خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم ، فأخذوه فرفع الطور هو الميثاق ، وذلك لأن رفع الطور آية باهرة عجيبة تبهر العقول وترد المكذب إلى التصديق والشاك إلى اليقين ، فلما رأوا ذلك وعرفوا أنه من قبله تعالى علماً لموسى عليه السلام علماً مضافاً إلى سائر الآيات أقروا له بالصدق فيما جاء به وأظهروا التوبة وأعطوا العهد والميثاق أن لا يعودوا إلى ما كان منهم من عبادة العجل وأن يقوموا بالتوراة فكان هذا عهداً موثقاً جعلوه لله على أنفسهم ، وهذا هو اختيار أبي مسلم. وثالثها : أن لله ميثاقين ، فالأول : حين أخرجهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم ، والثاني : أنه ألزم الناس متابعة الأنبياء والمراد ههنا هو هذا العهد. هذا قول ابن عباس وهو ضعيف. الثاني : قال القفال رحمه الله : إنما قال : (ميثاقكم) ولم يقل مواثيقكم لوجهين ، أحدهما : أراد به الدلالة على أن كل واحد منهم قد أخذ ذلك كما قال : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا﴾ (غافر : ٦٧) أي كل واحد منكم. والثاني : أنه كان شيئاً واحداً أخذ من كل واحد منهم كما أخذ على غيره فلا جرم كان كله ميثاقاً واحداً ولو قيل مواثيقكم لأشبه أن يكون هناك مواثيق أخذت عليهم لا ميثاق واحد والله أعلم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣٧

وأما قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ فنظيره قوله تعالى : ﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّه ظُلَّةٌ﴾ (الأعراف : ١٧١) وفيه أبحاث :

البحث الأول : الواو في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا﴾ واو عطف على تفسير ابن عباس والمعنى أن أخذ الميثاق كان متقدماً فلما نقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل ، وأما على تفسير أبي مسلم فليست واو عطف ولكنها واو الحال كما يقال : فعلت ذلك والزمان زمان فكأنه قال : وإذ أخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم. الثاني : قيل : إن الطور كل جبل قال العجاج :

داني جناحيه من الطور فمر

تقضي البازي إذا البازي كسر

أما الخليل فقال في كتابه : إن الطور اسم جبل معلوم وهذا هو الأقرب لأن لام التعريف فيه تقتضي حمله على جبل معهود عرف كونه مسمى بهذا الاسم ، والمعهود هو الجبل الذي وقعت المناجاة عليه وقد يجوز أن ينقله الله تعالى إلى حيث هم فيجعله فوقهم وإن كان بعيداً منهم لأن القادر أن يسكن الجبل في الهواء قادر أيضاً على أن يقلعه وينقله إليهم من المكان البعيد/ وقال ابن عباس : أمر تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام فوقهم كالظلة وكان المعسكر فرسخاً في فرسخ فأوحى الله إليهم أن اقبلوا التوراة وإلا رميت الجبل عليكم ، فلما رأوا أن لا مهرب قبلوا التوراة بما فيها وسجدوا للفزع سجوداً يلاحظون الجبل ، فلذلك سجدت اليهود على أنصاف وجوههم. / الثالث : من الملاحدة من أنكر إمكان وقوف الثقيل في الهواء بلا عماد وأما الأرض فقالوا إنما وقفت لأنها بطبعها طالبة للمركز فلا جرم وقفت في المركز ، ودليلنا على فساد قولهم أنه سبحانه قادر على كل الممكنات ووقوف الثقيل في الهواء من الممكنات فوجب أن يكون الله قادراً عليه

وتمام تقرير هاتين المقدمتين معلوم في كتب الأصول. الرابع : قال بعضهم : إظلال الجبل غير جائز لأن ذلك لو وقع لكان يجري مجرى الإلجاء إلى الإيمان وهو ينافي التكليف. أجاب القاضي بأنه لا يلجيء لأن أكثر ما فيه خوف السقوط عليهم ، فإذا استمر في مكانه مدة وقد شاهدوا السموات مرفوعة فوقهم بلا عماد جاز ههنا أن يزول عنهم الخوف فيزول الإلجاء ويبقى التكليف.

أما قوله تعالى : ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ أي بجد وعزيمة كاملة وعدول **عن التغافل والتكاسل** ، قال الجبائي : هذا يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل لأنه لا يجوز أن يقال : خذ هذا بقوة ولا قوة حاصلة كما لا يقال : اكتب بالقلم ولا قلم ، وأجاب أصحابنا بأن المراد : خذوا ما آتيناكم بجد وعزيمة وعندنا العزيمة قد تكون متقدمة على الفعل.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣٧

(١) ".

"فكأنه تعالى لما أمرهم بالصلاة والزكاة أمرهم بعد ذلك بالانقياد والخضوع وترك التمرد وحكى الأصم عن بعضهم أنه إنما أمر الله تعالى بني إسرائيل بالزكاة لأنهم كانوا لا يؤتون الزكاة وهو المراد بقوله تعالى وأكلهم السحت المائدة ٦٢ وبقوله وأكلهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل النساء ١٦٦ فأظهر الله تعالى في هذا الموضع ما كان مكتوما ليحذروا أن يفضحهم في سائر أسرارهم ومعاصيهم فيصير هذا كالإخبار عن الغيب الذي هو أحد دلائل نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون

اعلم أن الهمزة في أتأمرون الناس بالبر للتقرير مع التقرير والتعجب من حالهم وأما البر فهو اسم جامع لأعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما ومنه عمل مبرور أي قد رضيه الله تعالى وقد يكون بمعنى الصدق كما يقال بر في يمينه أي صدق ولم يحنث ويقال صدقت وبررت وقال تعالى ولكن البر من اتقى البقرة ١٨٩ فأخبر أن البر جامع للتقوى واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم ورغبهم في ذلك بناه على مأخذ آخر وهو **أن التغافل عن** أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام واختلفوا في المراد بالبر في هذا الموضع على وجوه

أحدها وهو قول السدي أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وينهونه عن معصية الله وهم كانوا يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية

وثانيها قول ابن جريج أنهم كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم كانوا يتركونهما

وثالثها إنه إذا جاءهم أحد في الخفية لاستعلام أمر محمد (صلى الله عليه وسلم) قالوا هو صادق فيما يقول وأمره حق فاتبعوه وهم كانوا لا يتبعونه لطعمهم في الهدايا والصلات التي كانت تصل إليهم من أتباعهم

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٤٥٨

ورابعها أن جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو إلى الحق وكانوا يأمرون باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عن دينه وهذا اختيار أبي مسلم

وخامسها هو قول الزجاج كانوا يأمرون الناس ببذل الصدقة وكانوا يشحون بها لأن الله تعالى وصفهم بقساوة القلوب وأكل الربا والسحت." (١)

"الميثاق كان متقدما فلما نقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل وأما على تفسير أبي مسلم فليست واو عطف ولكنها واو الحال كما يقال فعلت ذلك والزمان زمان فكأنه قال وإذ أخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم الثاني قيل إن الطور كل جبل قال العجاج داني جناحيه من الطور فمر

تقضي البازي إذا البازي كسر

أما الخليل فقال في كتابه إن الطور اسم جبل معلوم وهذا هو الأقرب لأن لام التعريف فيه تقتضي حمله على جبل معهود عرف كونه مسمى بهذا الاسم والمعهود هو الجبل الذي وقعت المناجاة عليه وقد يجوز أن ينقله الله تعالى إلى حيث هم فيجعله فوقهم وإن كان بعيدا منهم لأن القادر أن يسكن الجبل في الهواء قادر أيضا على أن يقلعه وينقله إليهم من المكان البعيد وقال ابن عباس أمر تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام فوقهم كالظلة وكان المعسكر فرسخا في فرسخ فأوحى الله إليهم أن اقبلوا التوراة وإلا رميت الجبل عليكم فلما رأوا أن لا مهرب قبلوا التوراة بما فيها وسجدوا للفزع سجودا يلاحظون الجبل فلذلك سجدت اليهود على أنصاف وجوههم الثالث من الملاحدة من أنكر إمكان وقوف الثقيل في الهواء بلا عماد وأما الأرض فقالوا إنما وقفت لأنها بطبعها طالبة للمركز فلا جرم وقفت في المركز ودليلنا على فساد قولهم أنه سبحانه قادر على كل الممكنات ووقوف الثقيل في الهواء من الممكنات فوجب أن يكون الله قادرا عليه وتمام تقرير هاتين المقدمتين معلوم في كتب الأصول الرابع قال بعضهم إظلال الجبل غير جائز لأن ذلك لو وقع لكان يجري مجرى الإلجاء إلى الإيمان وهو ينافي التكليف أجاب القاضي بأنه لا يلجيء لأن أكثر ما فيه خوف السقوط عليهم فإذا استمر في مكانه مدة وقد شاهدوا السموات مرفوعة فوقهم بلا عماد جاز ههنا أن يزول عنهم الخوف فيزول الإلجاء ويبقى التكليف

أما قوله تعالى خذوا ما ءاتيناكم بقوة أي بجد وعزيمة كاملة وعدول **عن التغافل والتكاسل** قال الجبائي هذا يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل لأنه لا يجوز أن يقال خذ هذا بقوة ولا قوة حاصلة كما لا يقال اكتب بالقلم ولا قلم وأجاب أصحابنا بأن المراد خذوا ما آتيناكم بجد وعزيمة وعندنا العزيمة قد تكون متقدمة على الفعل

وأما قوله تعالى واذكروا ما فيه أي احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه فإن قيل هلا حملتموه على نفس الذكر قلنا لأن الذكر الذي هو ضد النسيان من فعل الله تعالى فكيف يجوز الأمر به فأما إذا حملناه على المدارسة فلا إشكال

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ،   ٤٣/٣

أما قوله تعالى لعلكم تتقون أي لكي تتقوا واحتج الجبائي بذلك على أنه تعالى أراد فعل الطاعة من الكل وجوابه ما تقدم واعلم أن المفهوم من قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتيناكم بقوة أنهم." (١)

"والمادة تدلّ على الدّنو عند البعد.

فصل اعلم أن حقّ ذوي القُرْبى كالتَّابع لحق الوالدين ؛ لأن اتصال الأقارب بواسطة اتِّصَال الوالدين ، فلذلك أَخَّر الله ـ تَعَالى ـ ذكرهم بعد ذكر الوالدين ، والسبب في تأكيد رعاية هذا الحق إلى القرابة ؛ لأن القرابة مظنّة الاتِّحَاد والأُلْفَة والرعاية والنصرة ، فهذا وجبت رعاية حُقُوق الأَقَارب.

فصل في أحكام تؤخذ من الآية قال الشَّافعي رضي الله عنه : لو أوصى لأقارب زيد دخل فيه الوارث المَحرم ، وغير المَحرَم ، ولا يدخل الأب والابن ؛ لأنها لا يعرفان بالقَرابَة ، ويدخل الأحفاد والأجداد.

وقيل : لا يدخل الأصول والفروع.

وقيل : يدخل الكلّ.

قال الشافعي : يرتقي إلى أقرب جدّ ينسب هو إليه ويعرف به ، وإن كان كافراً.

وذكر أصحابه في مثاله : لو أنه أوصى لأقارب الشافعي ، فإنا نصرفه إلى بني شَافعٍ دون بني المطّلب ، وبني عبد مناف ، وإن كانوا أقارب ؛ لأنّ الشّافعي ينتسب في المشهور إلى بني شافع دون عبد مَنَاف.

قال الغَزَالي : وهذا في زمان الشَّافعي ، أما في زماننا فلا ينصرف إلاَّ إلى أولاد الشافعي ولا يرتقي إلى بني شافع ؛ لأنّه أقرب من يعرف به أقاربه في زماننا ، أما قرابة الأم ، فإنها تدخل في وصيّة العجم ، ولا تدخل في وصيّة العرب الأَظْهر ؛ لأنهم لا يعدون ذلك قَرَابةً أما لو قال : لأرحام فلان دخل قَرَابَة الأب والأم.

قوله : " وَاليَتَامَى " وزنه " فَعَالى " ، وألفه للتأنيث ، وهو جمع " يتيم " كـ " نديم ونَدَامى " ولا ينقاس هذا الجمع.

وقال ابن الخطيب : جمعه " أَيْتَام ويتامى " واليُتْم : الانفراد ، ومنه اليتيم ؛ لانفراده عن أبويه أو أحدهما ، ودرة يتيمة : إذا لم يكن لها نظير.

وقيل : اليَتَيم : الإبطاء ، ومنه : صبي يتيم ؛ لأنه يبطىء عنه البرّ وقيل : **هو التغافل ،** لأن الصبيّ يتغافل عما يصلحه.

قال الأَصْمَعيّ : " اليتيم في الآدميين من فَقَدَ الآباء ، وفي غيرهم من فقد الأمّهات ".

وقال المَاوَرْدِي : إن اليتم أيضاً في الناس من قبل فقد الأمهات.

والأول هو المعروف عند أهل اللغة ، ويسمى يتيماً إلى أن يبلغ ، يقال : يَتِمَ يَيْتَم يَتْماً مثل : سَمِعَ يَسْمعُ سَمْعاً ويَتُمَ يَيْتُم يُتْماً مثل : عَظُمَ يَعْظُم عُظْماً ، فهاتان لُغَتان مشهورتان حكاهما الفرّاء ، ويقال : أيتمه الله إيتاماً ، أي : فعل به ذلك.

وعلامة الجَرّ في " القربى " و " اليَتَامى " كسرة مقدرة على الألف ، وإن كانت للتأنيث ؛ لأنَّ ما لا ينصرف إذا أضيف أو دخلته " أل " انجرّ بالكسرة ، وهل يسمّى حينئذ منجرّاً أو منصرفاً.

ثلاثة أقوال ، يفصل في الثالث بين أن يكون أحدَ سببيه العلمية ، فيسمى منصرفاً نحو : " يَعْمُرُكُمْ " أو لا يسمى منجراً

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ، ، ٣/١٠٠

نحو : " بالأحمر " ، و " القربى واليتامى " من هذا الأخير.

فصل في رعاية اليتيم [اليتيم كالتالي] لرعاية حقوق الأقارب ؛ لأنه لصغره لا ينتفع به وليتمه وخلوه عمن يقوم به يحتاج إلى من ينفعه ، والإنسان قلّما يرغب في صُحبة مثل هذا ، وإن كان هذا التكليف شاقّاً على الأنفس لا جَرَمَ كانت درجته عظيمةً في الدين.

قال عليه الصلاة والسلام : " أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيْمِ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ " وأشار بالسَّبَّابة والوسطى.

وقال عله الصلاة والسلام : [" مَا قَعَدَ يَتِيْم مع قَوْم عَلَى قَصْعَتِهِمْ فَيقرب قَصْعَتَهُمُ الشَّيْطَانُ " وقال عليه السلام] : " مَنْ ضَمَّ يَتِيْماً مِنْ بَيْنِ المُسْلِميْنَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يُغْنِيَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ أَلْبَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلاً لاَ يُغْفَرُ ".

قوله : " والمساكين " جمع " مسكين " ، ويسمونه جمعاً لا نظير له من الآحاد ، وجمعاً على صيغة منتهى الجُمُوع ، وهو من العِلَلِ القائمة مقام علّتين ، وسيأتي تحقيقه قريباً إن شاء الله تعالى.

وتقدم القول في اشتقاقه عند ذكر المسكنة.

واختلف فيه : هل هو بمعنى الفقير أو أسوأ حالاً منه كقوله : ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد : ١٦] أي : لصق جلده بالتراب ، وهو قول أبي حنيفة وغيره بخلاف القير ؛ فإن له شيئاً ما.

قال : [البسيط] ٦٢٠. أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلُوبَتُهُ

وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَم يُتْرَكْ لَهُ سَبدُ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

." (١)

"الفراء : المعنى على الشرط والجزاء ؛ لأنَّ معناه : إن أغمضتم أخذتم ، ولكن لَمَّا وقعت " إلاَّ " على " أَنْ " ، فتحها ، ومثله ، ﴿إِلاَّ أَن يَخَافَآ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة : ٢٣٧].

وهذا قول مردودٌ.

والجمهور على : " تُغْمِضُوا " بضمِّ التاء ، وكسر الميم مخففةً ؛ من " أَغْمَض " ، وفيه وجهان : أحدهما : أنه على حذف مفعوله ، تقديره : تغمضوا أبصاركم ، أو بصائركم.

والثاني : في معنى ما لا يتعدَّى ، والمعنى إلاَّ أن تغضوا ، من قولهم : " أَغْضَى عنه ".

وقرأ الزهريُّ : " تُغَمِّضُوا " بضم التاء ، وفتح الغين ، وكسر الميم مشددةً ؛ ومعناها كالأولى.

وروي عنه أيضاً : " تَغْمَضُوا " بفتح التاء ، وسكون الغين ، وفتح الميم ؛ مضارع " غَمِضَ " بكسر الميم ، وهي لغةٌ في " أَغْمض " الرباعي ، فيكون ممَّا اتفق فيه فعل وأفعل.

وروي عن اليزيديّ : " تَغْمُضُوا " بفتح التاء ، وسكون الغين ، وضمِّ الميم.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧١

قال أبو البقاء – رحمه الله – : " وهو مِنْ : يَغْمُضُ ، كظرفُ يظرُفُ ، أي : خَفِيَ عليكم رأيُكم فيه ".
وروي عن الحسن : " تُغَمَّضُوا " بضمّ التاء ، وفتح الغين ، وفتح الميم مشددةً على ما لم يسمَّ فاعله.
وقتادة كذلك ، إلا أنه خفَّف الميم ، والمعنى : إلاَّ أن تحملوا **على التغافل عنه** ، والمسامحة فيه.
وقال أبو البقاء – رحمه الله – في قراءة قتادة : " ويجوزُ أن يكون مِنْ أغْمَضَ ، أي : صودف على تلك الحال ؛ كقولك : أَحْمَدْتُ الرجُلَ ، أي : وجدته مَحْمُوداً " وبه قال أبو الفتح.
وقيل فيها أيضاً : إنَّ معناها إلاَّ أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه.
والإغماض : في اللغة غضُّ البصر ، وإطباق الجفن ، وأصله من الغموض ، وهو الخفاء ، يقال : هذا كلامٌ غامضٌ أي خفي الإدراك.
قال القرطبيُّ : من قول العرب : أغمض الرجل ؛ إذا أتى غامضاً من الأمر ؛ كما
٤١٣
تقول : أعمن الرجل : إذا أتى عمان ، وأعرق : إذا أتى العراق ، وأنجد : إذا أتى نجداً ، وأغار : إذا أتى الغور الذي هو تهامة.
أو من أغمض الرجل في أمر كذا : إذا تساهل فيه ، والغمض : المتطامن الخفيُّ من الأرض ، فقيل المراد به في الآية المساهلة ؛ لأن الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عينيه ؛ لئلا يرى ذلك ، ثم كثر ذلك ؛ حتى جُعِل كل تجاوزٍ ، ومساهلةٍ في البيع ، وغيره إغماضاً ، فتقديره في الآية : لو أُهْدِي إليكم مثل هذه الأشياء ، لما أخذتموها إلاَّ على استحياءٍ ، وإغماضٍ ، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم ؟ ! قاله البراء.
وقيل معناه : لو كان لأحدكم على رجل حقٌّ ، فجاءه بهذا لم يأخذه إلاَّ وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقِّه ، وتركه.
وقال الحسن ، وقتادة : لو وجدتموه يباع في السوق ، ما أخذتموه بسعر الجيد ؛ إلاَّ إذا أغمضتم بصر البائع ، يعني أمرتموه بالإغماض ، والحطِّ من الثمن.
ثم قال : ﴿وَاعْلَمُوا اْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ والمعنى أنَّه غنيٌّ عن صدقاتكم ، و " الحميد " أي : محمودٌ على ما أنعم بالبيان.
وقيل : قوله : " غَنِيٌّ " كالتَّهديد على إعطاء الرديء في الصدقات ، و " حَمِيدٌ " : بمعنى حامدٍ ، أي : أنا أحمدكم على ما تفعلونه من الخيرات ، وهو كقوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ [الإسراء : ١٩].
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٠٧
قوله تعالى : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ...
﴾ الآية : مبتدأٌ وخبرٌ ، وتقدَّم اشتقاق الشيطان ، وما فيه عند الاستعاذة.
ووزن يعدكم : يعلكم بحذف الفاء ، وهي الواو ؛ لوقوعها بين ياءٍ ، وكسرةٍ ، وقرأ الجمهور : " الفَقْر " بفتح الفاء ، وسكون القاف ، وروى أبو حيوة ، عن بعضهم : " الفُقْر " بضم الفاء وهي لغةٌ ، وقرئ " الفَقَر " بفتحتين.
والوعد : يستعمل في الخير ، والشَّرِّ ؛ قال تعالى في الخبر : ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الفتح : ٢٠] وقال في الشَّرِّ :

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحج : ٧٢] ويمكن أن يحمل هذا على التهكم به كقوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران : ٢١] فإذا لم يذكر الخير والشر ، قلت في الخير : وعدته ، وفي الشر أوعدته ؛ قال : [الطويل]

٤١٤

١٢٢٩ - وَإِنِّيَ إِنْ أَوْعَدتُهُ أَوْ وَعَدتُهُ

لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

والفَقْر والفُقْر لغتان ؛ وهو الضعيف بسبب قلّة المال ، وأصله في اللغة : كسر الفقار ، يقال : رجلٌ فقيرٌ وفَقِرٌ ، إذا كان مكسور الفقار ؛ قال طرفة : [الرمل] ١٢٣٠ - ....

إِنَّنِي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِرْ

". (١)

"" صفحة رقم ٧٦ "

طه : (١٢٧) وكذلك نجزي من . . . . .

) وكذلك نجزي من أسرف (بالإنهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات) ولم يؤمن بآيات ربه (بل كذب بها وخالفها) ولعذاب الآخرة (وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أي وللنار بعد ذلك) أشد وأبقى (من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها

طه : (١٢٨) أفلم يهد لهم . . . . .

) أفلم يهد لهم (مسند إلى الله تعالى أبو الرسول أو ما دل عليه) كم أهلكنا قبلهم من القرون (أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها والفعل على الأولين معلق يجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون) يمشون في مساكنهم (ويشاهدون آثار هلاكهم) إن في ذلك لآيات لأولي النهى (لذوي العقول الناهية **عن التغافل والتعامي**

طه : (١٢٩) ولولا كلمة سبقت . . . . .

) ولولا كلمة سبقت من ربك (وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة) لكان لزاما (لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم) وأجل مسمى (عطف على كلمة أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له

طه : (١٣٠) فاصبر على ما . . . . .

) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك (وصل وأنت حامد لربك على هدايته." (٢)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٨٩٦

(٢) تفسير البيضاوى . ، ٧٦/٤

"لمن تاب ﴿رحيما﴾ لمن أصلح من "تفسير نجم الدين الرازي الكبرى" ﴿إنما التوبة على الله﴾ أي : أن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقضتى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته.

﴿للذين يعملون السواء﴾ أي : المعصية صغيرة كانت أو كبيرة.

فقوله : إنما التوبة على الله مبتدأ وخبره ما بعده ﴿بجهالة﴾ أي : يعملون ملتبسين بها أي : جاهلين سفهاء فإن ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل ولذلك قيل : من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته.

وفي "التيسير" ليست هذه جهالة عدم العلم لأنه ذنب لأن ذلك عذر **لكنها التغافل والتجاهل** وترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ أي : من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت أي : قبل أن يغرغروا وسماه قريبا لأن أمد الحياة الدنيا قريب قال تعالى : ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ (النساء : ٧٧) فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فما ظنك بعمر فرد ومن تبعيضية أي : يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب ﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ أي : : يقبل توبتهم ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه يعلم إخلاصهم في التوبة ﴿حكيما﴾ في صنعه والحكيم لا يعاقب التائب.

فعلى المؤمن أن يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع في الرجوع إلى الملك الغفار.

ـ روي ـ أن جبريل عليه السلام أتاه عند موته فقال : يا محمد

١٧٨

الرب يقرئك السلام ويقول : من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته قال صلى الله عليه وسلم "الجمعة كثيرة" فذهب ثم رجع وقال : قال الله تعالى : من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال : "الساعة كثيرة" فذهب ثم رجع وقال : إن الله يقرئك السلام ويقول : إن كان هذا كثيرا فلو بلغ روحه الخلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيي مني وندم بقلبه غفرت له ولا أبالي قال صلى الله عليه وسلم "إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر" أي : لم يبلغ روحه الحلقوم وعند ذلك يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان ولا ينفع حينئذ توبة والا إيمان قال تعالى : ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (فاطر : ٨٥) فالتوبة مبسوطة للعبد يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرته بالروح وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين فشخص من الصدر إلى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى : ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ وإنما صحت منه التوبة في هذا الوقت لأن الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل ، قال السعدي قدس سره :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٧٦

طريق بدست آر وصلحى بجوي

شفيعي برانكيز وعذري بكوى

كه يك لحظه صورت نبندد آمان

و يمانه رشد بدور وزمان

والتوبة فرض على المؤمنين ولها شروط أربعة : الندم بالقلب ، وترك المعصية في الحال.
والعزم على أن لا يعود إلى مثلها وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفا منه لا من غيره.
قال الحسن البصري : استغفارنا يحتاج إلى استغفار ، قال القرطبي في "تذكرته" : هذا يقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكبا على الظلم حرصا عليه لا يقلع والسبحة في يده زاعما أنه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف ومن أظلم ممن اتخذ آيات الله هزؤا فيلزم حقيقة الندم.
. روي . أن الملائكة تعرج إلى السماء بسيآت العبد فإذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات فيخرون على وجوههم ويقولون : ربنا إنك تعلم أنا ما كتبنا عليه إلا ما عمل فيقول الله تعالى : صدقتم ولكن عبدي ندم على خطيئته واستشفع إلي بدمعه فغفرت ذنبه وجدت عليه بالكرم وأنا أكرم الأكرمين ، قال مولانا جلال الدين قدس سره :
ازي هر كريه آخر خنده ايست
مرد آخر بين مبارك بنده ايستهركجا آب روان سبزه بود
هزكجا اشك روان رحمت شود
تانكريد ابركي خندد من
تانكريد طفل كي جوشد لبن قال أحمد بن عبد الله المقدسي : سألت إبراهيم بن أدهم عن بدء حاله فقال : نظرت من شباك قصري فرأيت فقيرا بفناء القصر قد أكل الخبز بالماء والملح ثم نام فدعوته وقلت له : قد شبعت وتهيأت للنوم قال : نعم فتبت إلى الله ولبست الليلة مسوحا وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا إلى مكة.
واعلم أن الله إذا أراد بعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجا يفرق بين الحق الباطل ويبصر عيوب نفسه حتى يترك الدنيا وحطامها ويلقي عليها زمامها ، قال جلال الدين رومي قدس سره :
١٧٩
ملك برهم زن تو ادهم وار زود
تابيابي همو أو ملك خلود
اين جهان خود حبس جانهاي شماست
هين رويد آن سوكه صحراي شماست
قال العطار قدس سره :
نقاب ازروي ون خورشيد بردار
اكر هستي زروي خود خبر دار
زكوه قاف جسماني كذركن
بدار الملك روحاني سفركن
مشو مغرور اين ملك مزور
نه عزت ماند ونه مال ونه زر

اكر رنكت فروشويند زرخسار

." (١)

"جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٢١

﴿فكفارته﴾ أي الفعلة التي تذهب إثمه وتستره وعند الإمام لا يجوز التكفير قبل الحنث لقوله عليه السلام : "من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه" ﴿إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ محل من أوسط النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من أوسط ما تطعمون من في عيالكم من الزوجة والأولاد والخدم أي من أقصده في النوع أو المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين كالفطرة ولو أطعم فقيرا واحدا عشرة أيام أجزأه ولو أعطاه دفعة لا يجوز إلا عن يوم واحد ﴿أو كسوتهم﴾ عطف على إطعام فيكسو كل واحد من العشرة ثوبا يستر عامة بدنه وهو الصحيح ولا يجزىء السراويل لأن لابسه يسمى عريانا عرفا ﴿أو تحرير رقبة﴾ أي : أو إعتاق إنسان كيف ما كان مؤمنا كان أو كافرا ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا ولا يجوز الأعمى والأصم الذي

٤٣٣

لا يسمع أصلا والأخرس لفوات جنس المنفعة ومقطوع اليدين أو إبهاميهما أو الرجلين أو يد ورجل من جانب واحد ومجنون مطبق لأن الانتفاع ليس إلا بالعقل ومدبر وأم ولد لاستحقاقهما الحرية بجهة فكان الرق فيهما ناقصا ومكاتب أدى بعضا لأنه تحرير بعوض فيكون تجارة والكفارة عبادة فلا بد أن تكون خالصةتعالى وكذا لا يجوز معتق بعضه لأنه ليس برقبة كاملة.

ومعنى أو في الآية إيجاب إحدى الخصال الثلاث مطلقا وخيار التعيين للمكلف أي لا يجب عليه الإتيان بكل واحد من هذه الأمور الثلاثة ولا يجوز له تركها جميعا ومتى أتى بواحدة منها فإنه يخرج عن العهدة فإذا اجتمعت هذه القيود الثلاثة فذاك هو الواجب المخير ﴿فمن لم يجد﴾ أي : شيئا من الأمور المذكورة ﴿فصيام﴾ أي : فكفارته صيام ﴿ثلاثة أيام﴾ متتابعات عند الإمام الأعظم ﴿ذالك﴾ أي الذي ذكرت لكم وأمرتكم به ﴿كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ وحنثتم ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر وبأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فإن عجز عن البر أو رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ أن يحنث ويكفر كما قال الفقهاء : من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصي لأن ذلك فرض عليه فيتأكد باليمين.

ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصي وترك الواجبات وفي الحديث : "من حلف أن يطيع الله فليطعه ومن حلف أن يعصيه فلا يعصه".

ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الأقسام الثلاثة من الإيمان التي يستوي فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظا لليمين ولا فرق في وجوب الكفارة بين العامد والناسي والمكره في الحلف والحنث لقوله عليه السلام : "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين"

---

(١) تفسير روح البيان ، ١٤٣/٢

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٢١

﴿كذالك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الآتي لا إلى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحله في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة أي مثل ذلك البيان البديع ﴿يبين الله لكم ءاياته﴾ أعلام شريعته وأحكامه لا بيانا أدنى منه ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج.

والإشارة أن من عقداليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته إطعامه عشرة مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة فإنها مدخل الآفات ومؤئل الفترات ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ وهم القلب والروح والسر والخفي وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والإخلاص والتفويض والتسليم والرضى والأنس والهيبة والشهود والكشوف وأوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فإطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الأطعمة باستعمالها في التعبد بها والتحفظ عما ينافيها أو كسوتهم وهي الباس الحواس والقوى بلباس التقوى أو تحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرض على الدنيا ، فمن لم يجد السبيل إلى هذه الأشياء فصيام ثلاثة أيام وذلك لأن الأيام لا تخلو عن ثلاثة إما يوم مضى أو يوم حضر أو يوم قد بقي فصيام اليوم الذي قد مضى بالإمساك عما عقد عليه أو قصد إليه أو بالصبر على التوبة

٤٣٤

عنه وصيام الذي قد حضر بالإمساك عن التغافل عن الأهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد في طلب المراد وصيام اليوم الذي قد بقي بالإمساك عن فسخ العزيمة في ترك الجريمة ونسخ الإخلاص في طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات في تقديم الطاعات والمبرات وصدق التوجه إلى حضرة الربوبية بمساعي العبودية :

مكن وقت ضايع فافسوس وحيف

كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

قال ابن الفارض قدس سره :

". (١)

"[يوسف : ٩٧-٦٥]﴿قالوا يا أبانآ إنا ذهبنا نستبق﴾ أو الرمي يقال استبق الرجلان وتسابقا إذا عارضا في السبق طلبا للغلبة كما يقال انتضلا وتناضلا إذا عارضا في الرمي طلبا للغلبة.

وتركنا يوسف (وبكذا شتيم يوسف راتنها) عند متاعنا أي : ما نتمع به من الثياب والأزواد وغيرهما فإن المتاع في اللغة كل ما انتفع به وأصله النفع الحاضر وهو اسم من متع كالسلام من سلم ، والمراد به في قوله تعالى : ولما فتحوا متاعهم﴾(يوسف : ٦٥) أوعية الطعام ﴿فأكله الذئب﴾ عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا في مقالتنا ولو كنا عندك في اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لفرط محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن

---

(١) تفسير روح البيان ، ٣٤٧/٢

بنا غير واثق بقولنا.
والصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو به والكذب لا على ما هو به والتصديق باللسان الإخبار بكون القائل صادقا وبالقلب الإذعان والقبول لذلك ، والتكذيب بخلاف ذلك وجاؤوا (آمدند) على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله : بدم أي : جاؤوا فوق قميصه بدم أو على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما إذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة ، كأن مجيئهم من الكذب نفسه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته أو مصدر بمعنى المفعول أي مكذوب فيه لأنه لم يكن دم يوسف وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة أي كدب بمعنى كدر أو طري روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف صاح بأعلى صوته فقال : أين القميص؟ فأخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص قال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه قال كأنه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا أو لا؟ فقيل : قال لم يكن ذلك بل سولت لكم أنفسكم أي : زينت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما.
والتسويل :
٢٢٦
تقدير شيء في الأنفس مع الطمع في إتمامه.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٢٦
قال الأزهري : كان التسويل تفعيل من سؤال الأشياء وهي الأمنية التي يطلبها فيزين لطالبها الباطل وغيره.
أمرا من الأمور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصنعتموه بيوسف استدل يعقوب على أنهم فعلوا بيوسف ما أرادوا وأنهم كاذبون بشيئين بما عرف من حسدهم الشديد وبسلامة القميص حيث لم يكن فيه خرق ولا أثر ناب فقوله بل سولت رد لقولهم أكله الذئب وبل للإعراض عما قبله وإثبات ما بعده على سبيل التدارك نحو جاء زيد بل عمرو كما في بحر العلوم.
فصبر جميل أي : فأمري صبر جميل وهو الذي لا شكوى فيه إلى الخلق وإلا فقد قال يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله.
قال الكمال الخجندي :
بوصل صحبت يوسف عزيز من مشتاب
جمال يار نبيني مكر بصبر جميل
قال شيخنا الأجل الأكمل روح الله روحه.
اعلم أن الصبر إذا لم يكن فيه شكوى إلى الخلق يكون جميلا ، وإذا كان فيه مع ذلك شكوى إلى الخالق يكون أجمل لما فيه من رعاية حق العبودية ، ظاهرا حيث أمسك عن الشكوى إلى الخلق ، وباطنا حيث قصر الشكوى على الخالق والتفويض جميل والشكوى إليه أجمل انتهى.
قال الشيخ عمر بن الفارض قدس سره في تائيته :
ويحسن إظهار التجلد للقوي

ويقبح غير العجز عند الأحبة

أي : لا يحسن إظهار التجلد والصبر على صدمات المحن مطلقا بل يحسن للأعادي كما أظهر رسول الله للكفار في غزواته ومناسكه.

وأما عند الأحبة فلا يحسن إلا العجز لأن إظهار التجلد عندهم قبيح جدا كما أظهره سمنون في بعض مناجاته وقال :

وليس لي في سواك حظ

فكيفما شئت فاختبرني

فأدب بتسليط عسر البول عليه فاعترف بعجزه وطاف في سكك بغداد يتسأجر الصبيان ويأمرهم أن ادعوا عمكم الكذاب فقير وخسته بدركاهت إمدم رحمى وقال بعضهم : الصبر الجميل تلقي البلاء بقلب رحيب ووجه مستبشر.

وقيل : لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وذلك لأن الموحد الحقيقي يطوي بساط الوسائط والأسباب ، فلا يرى التأثير إلا من الله تعالى في كل باب ، مع **أن التغافل من** أخلاق الكرام والعفو والصفح وقبول العذر من ديدن الأخيار :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا

إن بر عندك فيما قال أو فجرا

والله المستعان أي : المطلوب منه العون وهو إنشاء الاستعانة المستمرة.

على ما تصفون على إظهار حال ما تصفون من شأن يوسف وبيان كونه كذبا وإظهار سلامته كأنه علم منهم الكذب.

قال تعالى : سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾(الصافات : ١٨٠).

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٢٦

". (١)

"﴿لا جرم أنهم﴾ (حقا كه دران هي شك نيست كه ايشان) ﴿فى الاخرة هم الخاسرون﴾ إذا ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى العذاب المخلد.

وبالفارسية (دران سراى ديكر ايشانند زيان زدكان هـ سرمايه عمر ضايع كرده دربازار ديني سودى بدست نياوردند ومفلس وار در شهر قيامت جزدست تهى ودل رحسرت وندامت نخواهد بود) ، قال الشيخ سعدى :

قيامت كه بازار مينو نهند

منازل بأعمال نيكو دهند

بضاعت بندان آنكه آرى برى

اكر مفلسي شرمسارى برى

٨٥

---

(١) تفسير روح البيان ، ٤/١٤٦

كه بازار ندانكه آكنده تر

تهى دست رادل را كنده تر

كسى راكه حسن عمل بيشتر

بدركاه حق منزلت يشتر

قال في "التأويلات النجمية" : يعني أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسارة في الآخرة.

وفيه إشارة أخرى وهي **أن التغافل بالأعضاء** عن العبودية تورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية انتهى.

قال بعض الأكابر ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها.

قال وهب بن منبه خلق ابن آدم ذا غفلة ولولا ذلك ما هنىء عيشه ، وفي "المثنوي" :

استن اين عالم اى جان غفلتست

هو شيارى اين جهانرا آفتست

هو شارى زان جهانست وو آن

غالب آمد ست كردد اين جهان

هو شيارى آفتاب وحرص يخ

هو شيارى آب واين عالم وسخ

اللهم اجعلنا من أهل اليقظة والانتباه ولا تجعلنا ممن اتخذ الهه هواه وشرفنا بمقامات المكاشفين العارفين وأوصلنا إلى حقيقة اليقين والتحقيق والتمكين إنك أنت النصير والمعين.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٨٤

﴿ثم إن ربك﴾ .

قال قتادة : ذكر لنا أنه لما أنزل الله تعالى أن أهل مكة لا يقبل منهم الإسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزل : ﴿الـما * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت : ٢) فكتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فإن لحقهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى هذه الآية كذا في "أسباب النزول" للواحدي.

وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الإشارة لا عن رتبة حال الكفرة كذا في "الإرشاد" ﴿للذين هاجروا﴾ إلى دار الإسلام وهم عمار وصهيب وخباب وسالم وبلال ونحوهم.

واللام متعلقة بالخبر وهو الغفور على نية التأخير وإن الثانية تأكيد للأولى لطول الكلام ﴿منا بعد ما فتنوا﴾ أي : عذبوا

على الارتداد وأكرهوا على تلفظ كلمة الكفر فتلفظوا بما يرضيهم أي : الكفرة مع اطمئنان قلوبهم ﴿ثم جاهدوا﴾ في سبيل الله ﴿وصبروا﴾ على مشاق الجهاد ﴿إن ربك منا بعدها﴾ من بعد المهاجرة والجهاد والصبر ﴿لغفور﴾ بما فعلوا من قبل أي : لستور عليهم محاء لما صدر منهم ﴿رحيم﴾ منعم عليهم من بعد بالجنة جزاء على تلك الأفعال الحميدة والخصال المرضية.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٨٦

واعلم أن المهاجرة مفاعلة من الهجرة وهي الانتقال من أرض إلى أرض والمجاهدة مفاعلة من الجهد وهو استفراغ الوسع وبذلك المجهود.

قال في "التعريفات" : المجاهدة في اللغة المحاربة وفي الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب في الشرع انتهى.

وكل من المهاجرة الصورية والمعنوية وكذا المجاهدة مقبولة مرضية اذ من كان في أرض لا يقيم فيها شعائر دينه وأهلها ظالمون فهاجر منها لدينه ولو شبرا وجبت له الجنة ومن فارق موطن النفس والمألوفات وحارب الأعداء الباطنة وجبت له القربة ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء.

وعن عمر بن الفارض

٨٦

قدس سره أنه حضر جنازة رجل من أولياء الله تعالى قال : فلما صلينا عليه امتلأ الجو بطيور خضر فجاء طير كبير فابتلعه ثم طار فتعجبت فقال لي رجل كان قد نزل من السماء وحضر الصلاة لا تتعجب فإن أرواح الشهداء في حواصل الطيور خضر ترعى في الجنة أولئك شهداء السيوف وأما شهداء المحبة فأجسادهم أرواح إذ آثار الأرواح اللطيفة تسري إلى الأجساد فتحصل اللطافة لها أيضا ولذا لا تبلى أجساد الكمل ولا بد لمن أراد أن يصل إلى هذه الرتبة ويحيى حياة أبدية من أن يميت نفسه الأمارة ويزكيها عن سفساف الأخلاق ورذائل الأوصاف كالكبر والعجب والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه يقال إن الدركات السبع للنار بمقابلة هذه الصفات السبع للنفس فالخلاص من هذه الصفات سبب الخلاص من تلك الدركات ، قال الشيخ سعدي قدس سره :

ترا شهوت وكبر وحرص وحسد

و خون درركندو وجان درجسد

كر اين دشمنان تقويت يافتند

سراز حكم ورأى توبر تافتند

تو بر كره توسنى در كمر

نكر تانيد ز حكم توسر

اكر الهنك از كفت در كسيخت

تن خويشتن كشت وخون توريخت
". (١)

"﴿الذين ءامنوا﴾ (آلأرده اندكه ون حضرت يغمبر عليه السلام زينب را رضي الله عنها بحكم رباني قبول فرموده وليمه ترتيب نمود ومردم را طلبيده دعوتي مستوفى داد وون طعام خورده شد بسخن مشغول كشتند وزينب دركوشه خانه روى بديوار نشته بود حضرت عليه السلام ميخواست كه مردمان بروند آخر خود از مجلس برخاست وبرفت صحابه نيز برفتند وسه كس مانده همنان سخن ميكفتند حضرت بدرخانه آمد وشرم ميداشت كه ايشانرا عذر خواهد وبعد ازانتظار بسياركه خلوت شدآيت حجاب نازل شد).

. وروي . أن ناسا من المؤمنين كانوا ينتظرون وقت طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون إلى حين إدراكه ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله يتأذى من ذلك فقال تعالى : ﴿الذين ءامنوا﴾ ﴿لا تدخلوا بيوت النبى﴾ حجراته في حال من الأحوال ﴿إلا أن يؤذن لكم﴾ إلا حال كونكم مأذونا لكم ومدعوا ﴿إلى طعام﴾ (س آن هنكام در آييد) وهو متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن به كما أشعر به قوله : ﴿غير ناظرين﴾ حال من فاعل لا تدخلوا على أن الاستثناء وقع على الظرف والحال كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبي إلا حال الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين إناه أي : غير منتظرين وقت الطعام أو إدراكه وهو بالقصر والكسر مصدر أنى الطعام إذا أدرك.

قال في "المفردات" : الأنا إذا كسر أوله قصر وإذا فتح مد وأنى الشيء يأنى قرب أناه ومثله آن يئين أي : حان يحين.

وفيه إشارة إلى حفظ الأدب في الاستئذان ومراعاة الوقت وإيجاب الاحترام ﴿ولاكن إذا دعيتم فادخلوا﴾ استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه أي : إذا أذن لكم في الدخول ودعيتم إلى الطعام فادخلوا بيوته على وجوب الأدب وحفظ أحكام تلك الحضرة ﴿فإذا طعمتم﴾ الطعام وتناولتم فإن الطعم تناول الغذاء ، وبالفارسية (س ون طعام خورديد) ﴿فانتشروا﴾ فتفرقوا ولا تمكثوا ، وبالفارسية : (س راكنده شويد از خانهاى او) هذه الآية مخصوصة بالداخلين لأجل الطعام بلا إذن وأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمر مهم

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

﴿ولا مستانسين﴾ (الاستئناس : أنس كرفتن) وهو ضد الوحشة والنفور ﴿لحديث﴾ الحديث يستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئا فشيئا وهو عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أي : ولا تدخلوا طالبين الأنس لحديث بعضهم أو لحديث أهل البيت بالتسمع ، وبالفارسية : (ومنشينيد آرام كرفتكان براى سخن بيكديكر).

٢١٣

وفي "التأويلات النجمية" : إذا انتهت حوائجكم فأخرجوا ولا تتغافلوا ولا يمنعكم حسن خلقه من حسن الأدب ولا يحملنكم

(١) تفسير روح البيان ، ٦٦/٥

فرط احتشامه على الإبرام عليه وكأن حسن خلقه جسرهم على المباسطة معه حتى أنزل الله هذه الآية.

﴿إن ذالكم﴾ أي : الاستئناس بعد الأكل الدال على اللبث ﴿كان يؤذى النبى﴾ (مى رنجاند وآزرده كند يغمبررا) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله فيما لا يعنيه.

والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو فتياته دنيويا كان أو أخرويا ﴿فيستحى منكم﴾ محمول على حذف المضاف أي : من إخراجكم بدليل قوله : ﴿والله لا يستحى من الحق﴾ فإنه يستدعي أن يكون المستحي منه أمرا حقا متعلقا بهم لأنفسهم وما ذلك إلا إخراجهم.

يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء ولذلك لم يتركه الله ترك الحي وأمركم بالخروج والتعبير عن عدم الاستحياء للمشاكلة وكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء **وهو التغافل عما** يكره الإنسان بطبيعته.

والحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله.

قال الراغب : الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك.

. روي . أن الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه فليس يراد به انقباض النفس إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك وإنما المراد به ترك تعذيبه وعلى هذا ما روي أن الله تعالى حيي أي : تارك للمقابح فاعل للمحاسن.

ثم في الآية تأديب للثقلاء.

قال الأحنف : نزل قوله تعالى : ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ في حق الثقلاء فينبغي للضيف أن لا يجعل نفسه ثقيلا بل يخفف الجلوس وكذا حال العائد فإن عيادة المرضى لحظة قيل للأعمش ما الذي أعمش عينيك قال : النظر إلى الثقلاء قيل :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

إذا دخل الثقيل بأرض قوم

فما للساكنين سوى الرحيل

(١) ".

"روى) أنه عليه السلام لما عاتبها قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها وبعض الشيء جزء منه ﴿وأعرض عنا بعض﴾ أي عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم : عرف تحريم الأمة واعرض عن تعريف أمر الخلافة كراهة أن ينتشر ذلك في الناس وتكرما منه وحلما وفيه جواز إظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم في الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء فيما جرى من ترك الأب فإنه صفة الكرام قال الحسن البصري قدس سره : ما استقصى كريم قط وقال بعضهم : ما **زال التغافل من** فعل الكرام ﴿فلما نبأها به﴾ أي أخبر النبي حفصة بالحديث الذي أفشته بما أظهره الله عليه من أنها أفشت سره

---

(١) تفسير روح البيان ،   ١٦٥/٧

﴿قالت من أنابأك هاذا﴾ من أخبرك عني هذا تعني إفشاءها للحديث ظنت أن عائشة أخبرته وفيه تعجب واستبعاد من أخبار عائشة بذلك لأنا أوصتها بالكتم ولم يقل من بنأك ليوافق ما قبله للتفنن ﴿قال﴾ النبي عليه السلام ﴿نبأني﴾ بفتح ياء المتكلم ﴿العليم الخبير﴾ الذي لا يخفى عليه حافية فسكتت وسلمت وبنأ أيضا من قبيل التفنن يقال : إن أنبأ ونبأ يتعديان إلى مفعولين إلى الأول بنفسهما وإلى الثاني بالباء رقد يحذف الأول للعلم به وقد يحذف الجار ويتعدى الفعل إلى الثاني بنفسه أيضا ، فقوله تعالى : ﴿فلما نبأها به﴾ وقوله : فلما نبأت به على الاستعمال الثاني وقوله : من أنبأك على الاستعمال الثالث وقوله : العلم هو ولعالم والعلام من أسمائه سبحانه ومن أدب من علم إنه سبحانه عالم بكل شيء حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر أن يستحي منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم إنه قال : كنت جائعا ، فقلت لبعض معارفي إني جائع فلم يطعمني شيئا فمضيت فوجدت درهما ملقى في الطريق فرفعته فإذا عليه متكوب إما كان الله عالما بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم ، وقال الامام الغزالي قدس سره إذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقا وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو البخير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد وإذا علم العبد إنه تعالى خبير بأفعاله مطلع على سره علم إنه تعالى أحصى عليه جميع ما عمله أو أخفى في عمله وإن كان هو قد نسيه فيخجل حجلا يكاد يهلكه.

(

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٧

حكى) أن رجلا تفكر يوما فقال عمري كذا كذا سنة يكون كذا كذا شهرا يكون منها كذا كذا يوما فبلغ عمره من الأيام ألوفا كثيرة فقال لو لم اعص الله كل يوم إلا معصية واحدة لكان في ديوان عملي كذا كذا ألف معصية وإني في كل يوم عملت كثيرا من المعاصي ثم صاح وفارق الدنيا.

(يقول الفقير) :

مذنبم كره ولى رب غفوريم كرست

بمن افناده دهد از كرمش شايد دست

أن تتوبا إلى الله﴾ خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الخطاب لكن العتاب يكون للأولياء كما أن العقاب يكون للأعداء كما قيل :

إذا ذهب العتاب فليس ود

ويبقى الود ما بقي العتاب

ففيه إرادة خير لحفظة وعائشة بإرشادهما إلى ما هو أوضح لهما ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق وإلا فالجزاء يجب أن يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه وصغو قلبيهما كان سابقا على الشرط وكذا الكلام في وان تظاهرا الخ والمعنى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجبع عليكما من مخالصة رسول الله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه من صغا يصغو صغوا مال وأصغى إليه مال يسمعه قال الشاعر :

كتاب تفسير روح البيان ج١٠ من ص٥٢ حتى ص٦٢ رقم٦

تصغى القلوب إلى اغر مبارك

من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين في كلمة فرارا من اجتماع المتجانسين وربما جمع

٥٢

". (١)

"﴿أما﴾ للتفضيل ﴿من استغنى﴾ عن الإيمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن ﴿فأنت له تصدى﴾ بحذف إحدى التاءين تخفيفا أي تتصدى وتتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه دون الأعمى وفيه مزيد تنفير له عليه السلام ، عن مصاحبتهم فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدي للشيء التعرض والتقيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه وفي "المفردات" التصدي التعرض للشيء على حرص كتعرض الصديان للماء أي العطشان وعن بعضهم أصل تصدي تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وجاء قبالتك فأدل أحد الأمثال حرف علة ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ أي وليس عليك بأس ووزر ووبال في أن لا يتزكى ذلك المستغني بالإسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم أن عليك إلا البلاغ وكيف تحرض على الإسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن أعرض عنه فما نافية وكلمة في المقدرة متعلقة باسم ما وهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدي مقررة لجهة الإنكار

٣٣٢

﴿وأما من جآءك يسعى﴾ أي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير ﴿وهو﴾ والحال إنه ﴿يخشى﴾ الله تعالى أو يخشى الكفار وإذا هم أتيانك قال سعدي المفتي : الظاهر أن النظم من الاحتباك ، ذكر الغنى أولا للدلالة على الفقر ثانيا والمجيء والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما أولا ﴿فأنت عنه تلهى﴾ بحذف إحدى التاءين تخفيفا أي تتلهى وتتشاغل من لهى عن الشيء بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لا من لهوت بالشيء بالفتح ألهو لهوا إذا لعبت به لأن الفعل مسند إلى ضمير النبي ولا يليق بشأنه الرفيع أن ينسب إليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيء لمصلحة وفي بضع التفاسير ولو أخذ من اللهو وجعل التشاغل **بأهل التغافل من** جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه إنه يلزم منه أن يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولا يقول به المؤمن وذلك لأنه لا يجوز للنبي عليه السلام التشاغل **بأهل التغافل إلا** بطريق التبليغ والإرشاد فكيف لا يترتب عليه نفع وفي تقديم ضميره عليه السلام ، وهو أنت على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عليه السلام ، أي مثلك خصوصا لا ينبغي أن يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفي تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام ، بمضمونهما تنبيه حيث أفادت القصة أن العبرة بالأرواح والأحوال لا بالأشباح والأموال والعزيز من أعزه الله بالإيمان والطاعة وإن كان بين

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٣٩/١٠

الناس ذليلا والذليل من أذله الله بالكفر والمعصية وإن كان بين الناس عزيزا روى إنه عليه السلام ما بعس بعد ذلك في وجه ففير قط ولا تصدى لغني وكان الفقراء في مجلسه عليه السلام ، أمراء يعني كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون في تقريب الضعيف من أهل الخير وتقديمه على الشريف العاري عن الخير بمثل ما خوطب به النبي عليه السلام ، في هذه السورة قال بعضهم : بين الله درجة الفقر وتعظيم أهله وخسة الدنيا وتحقير أهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقراء لأن فيم نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم مفيدة بخلاف الاشتغال بصحبة الأغنياء إذ ليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفي الحديث : "من تحامل على فقير لغني فقد هدم ثلث دينه" يقال : تحاملت على الشيء إذا تكلفت الشيء على مشقة وتحامل فلان على فلان إذا لم يعدل وقال بعض الأكابر إنما كان صلى الله عليه وسلم يتواضع لأكابر قريش لأن الأعزاء من الخلائق مظهر لعزة الإلهية فكان تقديمهم على الفقراء من أهل الصفة ليوفي صفة الكبرياء حقها إذا لم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ما هو أعلى منه وهو ما أمره الله به آخرا بعدما صدر سورة عبس في قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فأمره بأن لا يشهده في شيء دون شيء للإطلاق الذي هو الحق عليه كما قال جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني الحديث كم افي الجواهر للشعراني
جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٣٠

﴿كلا﴾ انزجر من التصدي للمستغني والإعراض عن إرشاد المسترشد قال الحسن : لما تلا جبرائيل هذه الآيات على النبي عليه السلام عاد وجهه كأنما استف فيه الرماد أي تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه فلما

٣٣٣

قال كلا سرى عنه والتسرية ندوه رابردن.

". (١)

"﴿ انما التوبة على الله ﴾ اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته ﴿ للذين يعملون السوء ﴾ اى المعصية صغيرة كانت او كبيرة . فقوله انما التوبة على الله مبتدأ وخبره ما بعده ﴿ بجهالة ﴾ اى يعملون ملتبسين بها اى جاهلين سفهاء فان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته

وفى التيسير ليست هذه جهالة عدم العلم لانه ذنب لان ذلك عذر **لكنها التغافل والتجاهل** وترك التفكر فى العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ اى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت اى قبل ان يغرغروا وسماه قريبا لان امد الحياة الدنيا قريب قال تعالى ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فما ظنك بعمر فرد ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى أى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب ﴿ فاولئك يتوب الله عليهم ﴾ اى يقبل توبتهم ﴿ وكان الله عليما ﴾ بخلقه يعلم اخلاصهم فى التوبة ﴿ حكيما ﴾ فى صنعه والحكيم لا يعاقب التائب

(١) تفسير روح البيان ، ٢٥٩/١٠

فعلى المؤمن ان يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع فى الرجوع الى الملك الغفار روى ان جبريل عليه السلام اتاه عند موته فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته قال A « الجمعة كثيرة » فذهب ثم رجع وقال قال الله تعالى من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال « الساعة كثيرة » فذهب ثم رجع وقال ان الله يقرئك السلام ويقول ان كان هذا كثيرا فلو بلغ روحه الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيي مني وندم بقلبه غفرت له ولا ابالى قال A « ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر » اى لم يبلغ روحه الحلقوم وعند ذلك يعاين ما يصير اليه من رحمة او هوان ولا ينفع حينئذ توبة ولا ايمان قال تعالى ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ فالتوبة مبسوطة للعبد يعاين قابض الارواح وذلك عند غرغرته بالروح وانما يغرغر به اذا قطع الوتين فشخص من الصدر الى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فيجب على الانسان ان يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ وانما صحت منه التوبة فى هذا الوقت لان الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل : قال السعدى قدس سره

طريق بدست آر وصلحى بجوى ... شفيعى برانكيز وعذرى بكوى

كه ياك لحظه صورت نبندد آمان ... جو بيمانه برشد بدور و زمان." (١)

"ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصى وترك الواجبات وفى الحديث « من حلف ان يطيع الله فليطعه ومن حلف ان يعصيه فلا يعصه » ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الاقسام الثلاثة من الايمان التى يستوى فيها الحنث والبر يفضل فيه البر حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد والناسى والمكره فى الحلف والحنث لقوله عليه السلام « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين » ﴿ كذلك ﴾ اشارة الى مصدر الفعل الآتى لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفحامة ومحله فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة اى مثل ذلك البيان البديع ﴿ يبين الله لكم آياته ﴾ اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج

والاشارة ان من عقد اليمين على الهجران من الله تعالى فكفارته اطعامه عشرة مساكين وهم الحواس الخمس الظاهرة والباطنة فانها مدخل الآفات وموئل الفترات ﴿ من اوسط ما تطعمون اهليكم ﴾ وهم القلب والروح والسر والخفى وطعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضى والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والتشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء فاطعام الحواس الظاهرة والقوى الباطنة هذه الاطعمة باستعمالها فى التعبد بها والتحفظ عما ينافيها او كسوتهم وهى الباس الحواس والقوى بلباس التقوى او تحرير رقبة النفس عن عبودية الهوى والحرص على الدنيا فمن لم يجد السبيل الى هذه الاشياء فصيام ثلاثة ايام وذلك لان الايام لا خلو عن ثلاثة اما يوم مضى او يوم حضر او يوم قد بقى فصيام اليوم الذى قد مضى بالامساك عما عقد عليه او قصد اليه او بالصبر على التوبة عنه وصيام الذى قد حضر بالامساك عن التغافل عن الاهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد فى طلب المراد وصيام اليوم

---

(١) تفسير حقي، ٤٢٤/٢

الذى قد بقى بالامساك عن فسخ العزيمة فى ترك الجريمة ونسخ الاخلاص فى طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات فى تقديم الطاعات والمبرات وصدق التوجه الى حضرة الربوبية بمساعى العبودية." (١)

"وليس لى فى سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرنى

فادب بتسليط عسر البول عليه فاعترف بعجزه وطاف فى سكك بغداد يستأجر الصبيان و بأمرهم ان ادعو عمكم الكذاب فقير وخسته بدركاهت آمدم رحمى وقال بعضهم الصبر الجميل تلقى البلاء بقلب روحه ووجه مستبشر

وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما شئت وذلك لان الموحد الحقيقى يطوى بساط الوسائط والاسباب فلا يرى التأثير الا من عند الله تعالى فى كل باب مع ان التغافل من اخلاق الكرام والعفو والصفح وقبول العذر من ديدن الاخيار

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... ان بر عندك فيما قال او فجرا

﴿ والله المستعان ﴾ اى المطلوب منه العون وهو انشاء الاستعانة المستمرة ﴿ على ما تصفون ﴾ على اظهار حال ما تصفون من شأن يوسف وبيان كونه كذبا واظهار سلامته كأنه علم منهم الكذب قال تعالى ﴿ سبحان ربك ربالعزة عما تصفون ﴾ قال البيضاوى هذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح انتهى وذلك لانهم قالوا لا دليل على امتناع صدور الكبيرة من الانبياء قبل الوحى وقوله ان صح يدل على الشك فى صحة استنبائهم واصاب فى ذلك لان الانبياء محفوظون قبل نبوتهم كما انهم معصومون بعدها من الامور الموجبة للنفرة الغير اللائقة بشأنهم وليس هم يوسف كما سيأتى من قبيل كما صدر من اخوته من الحسد وضربه والقائه فى الجب بالفعل والكذب عمدا من غير تأويل . واما قوله تعالى ﴿ ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ﴾ فلا يدل على نبوة غيره من الاخوان الموجودين اذ يكفى فى اتمام النعمة على آل يعقوب ان لا تنقطع سلسلة النبوة من اعقابهم كما قال تعالى فى كلمة التوحيد كلمة باقية فى عقبه فانه لا ينافى وجود الشرك من بعض الاحفاد كما لا يخفى . وكذا تمثلهم فى صورة الكواكب لا يدل على نبوتهم لانه اذا كان يعقوب بمنزلة الشمس التى تعينه بالنبوة ودعوة الخلق وهدايتهم الى الله تعالى كان اولاده بمنزلة الكواكب التى تتبع الشمس والقمر ولو كان كلهم انبياء لاستدعى ان يكون محبة يعقوب لهم على السوية اى من اول الامر بناء على وراثة كلهم لنبوته . ولما ظهر ما ظهر من تفضيل يوسف عليهم فيوسف من بينهم كشيث من بين بنى آدم عليه السلام هذكا لاح ببال الفقير ايده الله القدير

وفى الآيات اشارات الى تزوير الحواس والقوى وتلبيسها وتمويهاتها وتخيلاتها الفلسفية وكذباتها وحيلها ومكرها وكيدها وتتوهماتها وتسويلاتها المجبولة عليها وان كانت للانبياء وان الروح المؤيد بنور الايمان يقف على النفس وصفاتها وما جبلت الحواس والقوى عليه ولا يقبل منها تمويهاتها وتسويلاتها ويرىلامور كلها من عنج الله واحكامه الازلية فيصبر عليها صبرا جميلا وهو الصبر على ظهور ما اراد الله فيها بالارادة القديمة والتسليم لها والرضى بها وبقوله ﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾ يشير الى الاستعانة بالله على الصبر الجميل فيما يجرى من قضائه وقدره كذا فى التأويلات النجمية نفعنا الله تعالى بها." (٢)

---

(١) تفسير حقي، ٣/٣٢٦

(٢) تفسير حقي، ٦/٦٣

"﴿ لا جرم أنهم ﴾ [حقا كه دران هيج شك نيست كه ايشان] ﴿ فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ اذا ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى العذاب المخلد . وبالفارسية [دران سراى ديكر ايشانند زيان زدكان جه سر مايه عمر ضايع كرده دربازار دنيي سودى بدست نياوردند ومفلس وار در شهر قيامت جزدست تهى ودل برحسرت وندامت نخواهد بود] : قال الشيخ سعدى

قيامت كه بازار يمنو نهند ... منازل باعمال نيكو نهند

بضاعت بجندان آنكه آرى برى ... اكر مفلسى شر مسارى برى

كه بازار جند انكه آكندة تر ... تهى دست رادل براكندة تر

كسى راكه حسن عمل بيشتر ... بدركاه حق منزلت بيشتر

قال فى التأويلات النجمية يعنى اهل الغفلة فى الدنيا هم اهل الخسارة فى الآخرة .

وفى اشارة اخرى وهى **ان التغافل بالاعضاء** عن العبودية تورث خسر ان القلوب عن مواهب الربوبية انتهى .

قال بعض الاكابر ولا حجاب الجهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفت جهالتها وغفلتها لشاهدت الامر وعاينته كما تشاهد الشمس فى وسط السماء وتعاينها . قال وهب بن منبه خلق ابن آدم ذا غفلة ولوا ذلك ما هنئ عيشه : وفى المثنوى

استن ابن عالم اى جان غفلتست ... هوشيارى ابن جهانرا آفنتست

هوشيارى زان جهانست وجو آن ... غالب آمد بست كردد اين جهان

هوشيارى آفتاب وحرص يخ ... هوشيارى آب واين عالم وسخ

اللهم اجعلنا من اهل اليقظة والانتباه ولا تجعلنا ممن اتخذ الهه هواه وشرفنا بمقامات المكاشفين العارفين واوصلنا الى حقيقة اليقين والتحقيق والتمكين انك انت النصير والمعين .." (١)

"﴿ واذ اسر النبى ﴾ الاسرار خلاف الاعلان ويستعمل فى الاعيان والمعانى والسر هو الحديث المكتتم فى النفس واسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية فالاسرار الى الغير يقتضى اظهار ذلك لمن يفضى اليه بالسر وان كان يقتضى اخفاءه من غيره فاذا قولهم اسررت الى فلان يقتضى من وجه الاظهار ومن وجه الاخفاء والنبى رسول الله عليه السلام فان اللام للعهد واذ ظرف اى اذكر الحاديث وقت الاسرار والأكثر المشهور انه مفعول اى واذكر يا محمد وقت اسرار النبى واخفائه على وجه التأنيت والتعتب او واذكروا أيها المؤمنون فالخطاب ان كان له عليه السلام فالاظهار فى مقام الاضمار بأن قيل واذ أسررت للتعظيم بايراد وصف ينبئ عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وان كان لغيره عموما على الاشتراك او خصوصا على الانفراد وذكره بوصف النبى للاشعار بصدقه فى دعوى النبوة ﴿ الى بعض ازواجه ﴾ وهى حفصة رضى الله عنها تزوجها النبى عليه السلام فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل احد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس واربعين وصلى عليها

---

(١) تفسير حقي، ١٠٩/٧

مروان بن الحكم وهو امير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله ايضا أبو هريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وأبو حفص أبوها عمر رضى الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام وحفص ولد الاسد ﴿ حديثا ﴾ قال الراغب كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع او الوحى فى يفظته او منامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية او العسل اوامر الخلافة قال سعدى المفتى فيه ان تحريم العسل ليس مما اسر الى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضى الله عنهن ﴿ فما نبأت به ﴾ اى اخبرت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى اسره اليها رسول الله A وأفشه اليها ﴿ واظهره الله عليه ﴾ اى أطلع الله النبي على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع الى الحديث بتقدير المضاف واظهر ضمن معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه وحقيقته صار على ظهره واظهره على السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ وهو من باب الافعال بمعنى بررسانيدن كسى را برنهانى وديده وركردانيدن .

قال الراغب ظهر الشئ اصله أن يحصل شئ على ظهر الارض فلا يخفى وبطن اذا حصل فى بطنان الارض فيحقى ثم صار مستعملا فى كل بارز للبصر والبصيرة ﴿ عرف ﴾ ألنبي حفصة والتعريف بالفارسية بيا كاهيدن ﴿ بعضه ﴾ اى بعض الحديث الذى افشته الى صاحبتها على طريق العتاب بأن قال لها ألم أك امرتك أن تكتمى سرى ولا تبديه لأحد وهو حديث الامامة (روى) انه عليه السلام لما عاتبها قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها وبعض الشئ جزء منه ﴿ واعرض عن بعض ﴾ اى عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم عرف تحريم الامة واعرض عن تعريف امر الخلافة كراهة أن ينتشر ذلك فى الياس وتكرما منه وحلما وفيه جواز اظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم فى الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء كريم قط وقال بعضهم ما زال التغافل من فعل الكرام ﴿ فلما نبأها به ﴾ اى اخبر النبي حفصة بالحديث الذى أفشته بما اظهره الله عليه من انها افشت سره ﴿ قالت من انبأك هذا ﴾ من أخبرك عنى هذا تعنى افشاءها للحديث ظنت أن عائشة اخبرته وفيه تعجب واستبعاد من اخبار عائشة بذلك لانها اوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن ﴿ قال ﴾ النبي عليه السلام ﴿ نبأنى ﴾ بفتح ياء المتكلم ﴿ العليم الخبير ﴾ الذى لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ ايضا من قبيل التفنن يقال ان انبأ ونبأ يتعديان الى مفعولين الى الاول بنفسهما والى الثانى بالباء وقد يحذف الاول للعلم به وق يحذف الجار ويتعدى الفعل الى لاثانى بنفسه ايضا فقوله تعالى فلما نبأها به على الاستعمال الاول وقوله فلما نبأت به على الاستعمال الثانى وقوله من أنباك على الاستعمال الثالث وقوله العليم هو ولعالم والعلامة من اسمائه سبحانه ومن أدب من علم انه سبحانه عالم بكل شئ حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر أن يستحيي منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم انه قال كنت جائعا فقلت لبعض معارفى انى جائع فلم يطعمنى شيأ فمضيت فوجدت درهما ملقى فى الطريق فرفعته فاذا عليه مكتوب اما كان الله عالما بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم وقال الامام الغزالى قدس سره اذا اعتبر العلم الملطق فهو العليم مطلقا واذا أضيف الى الغيب والامور الباطنه فهو الخبير واذا أضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد واذا علم العبد انه تعالى خبير بأفعاله مطلع على سره علم انه تعالى احصى عليه جميع ما عمله او اخفى فى عمله وان كان هو قد نسيه فيخجل خجلا يكاد يهلكه (حكى) ان رجلا تفكر يوما فقال عمرى كذا كذا

سنة يكون كذا كذا شهرا يكون منها كذا كذا يوما فبلغ عمره من الايمام ألو فل كثيره فقال لو لم اعص الله كل يوم الا معصية واحدة لكان فى ديوان عملى كذا كذا ألف معصية وانى فى كل يوم عملت كثيرا من المعاصى ثم صاح وفارق الدنيا (يقول الفقير) .." (١)

"﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتلهى وتتشاغل من لهى عن الشئ بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لا من لهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبي ولا يليق بشأنه الرفيع أن ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشئ لمصحلة وفى بعض التفاسر ولو أخذ من اللهو وجعل التشاغل **بأهل التغافل من** جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه انه يلزم منه أن يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولا يقول به المؤمن وذلك لانه لا يجوز للنبي عليه السلام التشاغل **بأهل التغافل الا** بطريق التبليغ والارشاد فكيف لا يترتب عليه نفع وفى تقديم ضميره عليه السلام وهو أنت على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام أى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفى تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونها تنبيه حيث افادت القصة ان العبرة بالارواح والاحوال لا بالاشباح والاموال والعزيز من اعزه الله بالايمان والطاعة وان كان بين الناس ذليلا والذليل من اذله الله بالكفر والمعصية وان كان بين الناس عزيزا روى انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وكان الفقرآء فى مجلسه عليه السلام امرآء يعنى كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون فى تقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العارى عن الخير بمثل ما خوطب به النبي عليه السلام فى هذه السورة قال بعضهم بين الله درجة الفقر وتعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقيرا اهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقرآء لان فيما نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم فدية بخلاف الاشتغال بصحبة الاغنياء اذ ليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفى الحديث « من تحامل على فقير لغنى فقد هدم ثلث دينه » يقال تحاملت على الشئ اذا تكلفت الشئ على مشقة وتحامل فلان على فلان اذا لم يعدل وقال بعض الاكابر انما كان A يتواضع لاكابر قريش لان الاعزآء من الخلائق مظاهر العزة الالهية فكان تقديمهم على الفقرآء من أهل الصفة ليوفى صفة الكبرياء حقها اذا لم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ما هو اعلى منه وهو ما امره الله به آخرا بعدما صدر سورة عبس فى قوله واصبر نفسك مع الين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فأمره بأن لا يشهده فى شئ دون شئ للاطلاق الذى هو الحق عليه كما قال جعت فمل تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث كما فى الجواهر للشعرانى .." (٢)

"ويقال للجنابة سراية فإذا أمسك الجاني عن الجناية فلا ينفعه ذلك ما لم يمض حكم السراية.

قوله جل ذكره:

---

(١) تفسير حقي، ٤١٢/١٥

(٢) تفسير حقي، ٤٩٧/١٦

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٦٦ الى ٦٧]
قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون (٦٦) مستكبرين به سامرا تهجرون (٦٧)
ذكر هذا من باب إملاء العذر، وإلزام الحجة، والقطع بألا ينفع- الآن- الجزع ولا يسمع العذر والملوك إذا أبرموا حكما، فالاستغاثة غير مؤثرة فى الحاصل منهم، قال قائلهم:
إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد ... إليه بوجه- آخر الدهر- تقبل
قوله جل ذكره:

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٦٨]
أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين (٦٨)
يعنى أنهم لو أنعموا النظر، وسلطوا على أحوالهم صائب الفكر لاستبصروا فى الحال، ولا نتفى عن قلوبهم الاستعجام والإشكال، ولكنهم استوطنوا مركب الكسل، وعرجوا فى أوطان التغافل، فتعودوا الجهل، وأيسوا من الاستبصار.
قوله جل ذكره:

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٦٩]
أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (٦٩)
ذهلوا عن التحقيق فتطوحوا فى أودية المغاليط، وترجمت بهم الظنون الخاطئة، وملكتهم كواذب التقديرات «١» ، فأخبر الله (الرسول) «٢» عن أحوالهم فمرة قابلوه بالتكذيب، ومرة رموه بالسحر، ومرة عابوه بتعاطيه أفعال العادة بما عليه الناس من المآكل والمشارب، ومرة قدحوا فيه بما هو فيه من الفقر وقلة ذات اليد ... فأخبر الله عن تشتت أحوالهم، وتقسم أفكارهم

---

(١) هكذا فى م أما في ص فهى (التقدير) ونحن نرجه الأولى حتى يقتصر إطلاق (التقدير) بالمفرد على الفعل الإلهى أما هنا فهى (التقديرات الإنسانية) أي الظنون.

(٢) السياق يتطلب وجود كلمة (الرسول) وهى غير موجودة فى التسخين فوضعناها من عندنا لينسجم الأسلوب.." [1]

"سورة التحريم
قوله تعالى: (تبتغي مرضات أزواجك) .
حال، أي متغيا.
الغريب: استفهام، أي: أتبتغي.
العجيب: قول من قال: أي ابتغاء مرضاة، فهو مفعول له، وهذا بعيد.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٥٨١/٢

لا يحتمل اللفظ.

قوله: (فلما نبأت به)

أي نبأت حفصة عائشة – رضي الله عنهما –

بما أسر إليها النبي – عليه السلام – فحذف المفعول.

قوله: (وأظهره الله عليه) .

أي أظهر الله محمدا – عليه السلام – على الشيء. "عرف بعضه" أي

عرف النبي – عليه السلام – حفصة بعض ما قالت وأعرض عن بعض فلم

يخبرها كرما.

سفيان: ما زال التغافل من فعل الكريم.

الحسن: ما استقصى كريم قط.

ومن خفف "عرف" فمعناه جازى على بعضه ولم يجاز على بعض

إحسانا منه.

قوله: (إن تتوبا إلى الله) .." (١)

"آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما أعطاهم راضين به، يعنى أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقى بالقبول مرضى غير مسخوط، لأن جميعه حسن طيب. ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أى يقبلها ويرضاها محسنين قد أحسنوا أعمالهم، وتفسير إحسانهم ما بعده ما مزيدة. والمعنى: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل إن جعلت قليلا ظرفا، ولك أن تجعله صفة للمصدر، أى: كانوا يهجعون هجوعا قليلا. ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة، على: كانوا قليلا من الليل هجوعهم، أو ما يهجعون فيه. وارتفاعه بقليلا على الفاعلية «١» . وفيه مبالغات لفظ الهجوع، وهو الفرار من النوم «٢» . قال:

قد حصت البيضة رأسى فما ... أطعم نوما غير تهجاع «٣»

وقوله قليلا ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة، وزيادة ما المؤكدة لذلك:

---

(١) . ذكر الزمخشري فيه وجهين أن تكون ما زائدة وقليلا ظرف منتصب بيهجعون، أى: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل. أو تكون ما مصدرية أو موصولة على: كانوا قليلا من الليل هجوعهم. أو ما يهجعون فيه، وارتفاعه بقليلا على الفاعلية» قال أحمد: وجوه مستقيمة خلا جعل ما مصدرية، فان قليلا حينئذ واقع على الهجوع، لأنه فاعله. وقوله من الليل لا يستقيم أن يكون صفة للقليل ولا بيانا له، ولا يستقيم أن يكون «من» صلة المصدر لأنه تقدم عليه، ولا كذلك على أنها موصولة، فان قليلا حينئذ واقع على الليل، كأنه قال: قليلا المقدار الذي كانوا يهجعون فيه من الليل، فلا مانع

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل الكرماني، برهان الدين ٢/١٢٢٥

أن يكون من الليل بيانا للقليل على هذا الوجه، وهذا الذي ذكره إنما تبع فيه الزجاج. وقد رد الزمخشري أن تكون ما نفيا وقليلا منصوب بيهجعون على تقدير: كانوا ما يهجعون قليلا من الليل، وأسند رده إلى امتناع تقدم ما في حيز النفي عليه.
قلت: وفيه خلل من حيث المعنى، فان طلب قيام جميع الليل غير مستثنى منه الهجوع وإن قل غير ثابت في الشرع ولا معهود. ثم قال: وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين، فإذا اسحروا شرعوا في الاستغفار. كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم.
قال: وقوله هم معناه: هم الأحقاء بالاستغفار دون المصرين. قال: وفي الآية مبالغات منها لفظ الهجوع وهو الخفيف الفرار من النوم.
قال: وقوله: قليلا وقوله من الليل لأنه وقت السبات. قال: ومنها زيادة ما في بعض الوجوه. قلت: وفي عدها من المبالغة نظر، فإنها تؤكد الهجوع وتحققه، إلا أن يجعلها بمعنى القلة فيحتمل.
(٢) . قوله «وهو الفرار من النوم» في الصحاح: الفرار بالكسر: النوم القليل اه. (ع)
. (٣)
قد حصت البيضة رأسى فما ... أطعم نوما غير تهجاع
أسعى على جل بنى مالك ... كل امرئ في شأنه ساع
لقيس بن الأسلت. وحصت: أهلكت أو حلقت، البيضة التي تلبس على الرأس في الحرب، أى حلقت شعر رأسى من دوام لبسها للحرب. وشبه النوم بالمطعوم لاستلذاذ مباديه على طريق المكنية، وأطعم: أى أتناول تخييل لذلك **والتهجاع: التغافل قليلا** لطرد النوم، فالاستثناء منقطع. وجلهم: مهم أمورهم ومعظمها كالغارات يدفعها عنهم.
وروى: على حبل بنى مالك، وعليه فشبه العهد بالحبل للتوثق والتوصل بكل على طريق التصريحية، أى: أسعى في شأني متمسكا بعهدهم، وعلى الأول فقوله «كل امرى في شأنه ساع» فيه دلالة على إلزام نفسه بشأنهم، وأنه شأنه." (١)
"وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول: ما أبالى أحرمتها أم قصعة من ثريد، وكذلك عن الشعبي قال: ليس بشيء، محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله تعالى فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله: هو حرام على، وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه، وهو قوله عليه السلام:
والله لا أقربها بعد اليوم، فقيل له: لم تحرم ما أحل الله لك أى لم تمتنع منه بسبب اليمين، يعنى: أقدم على ما حلفت عليه، وكفر عن يمينك. ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أى، منعناه منها. وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين.
فإن قلت: هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك؟ قلت: عن الحسن: أنه لم يكفر، لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر «١» ، وإنما هو تعليم للمؤمنين. وعن مقاتل: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولى أموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٩٨/٤

وقيل: مولاكم أولى بكم من أنفسكم، فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم.

[سورة التحريم (٦٦) : آية ٣]

وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير (٣)

بعض أزواجه حفصة. والحديث الذي أسر إليها: حديث مارية وإمامة الشيخين نبأت به أفشته إلى عائشة. وقرئ: أنبأت به وأظهره وأطلع النبي عليه السلام عليه على الحديث، أى: على إفشائه على لسان جبريل. وقيل: أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور عرف بعضه أعلم ببعض الحديث تكرما. قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام. وقرئ: عرف بعضه، أى: جاز عليه، من قولك للمسيء: لأعرفن لك ذلك، وقد عرفت ما صنعت. ومنه: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم، وهو كثير في القرآن، وكان جزاؤه تطليقه إياها. وقيل: المعرف: حديث الإمامة، والمعرض عنه: حديث مارية: وروى

---

(١) . لم أجده. وفي المراسيل لأبى داود عنه خلاف ذلك، أخرجه من طريق قتادة عنه في تحريم أم إبراهيم. قال: فأمر أن يكفر عن يمينه، وكذا ذكره ابن اسحق كما تقدم أنه كفر عن يمينه.." (١)

"مخاطبون بفروع الشرائع. أما قوله تعالى: واركعوا مع الراكعين [البقرة: ٤٣] ففيه وجوه أحدها: أن اليهود لا ركوع في صلاتهم فخص الله الركوع بالذكر تحريضا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين، وثانيها: أن المراد صلوا مع المصلين، وعلى هذا يزول التكرار لأن في الأول أمر تعالى بإقامتها وأمر في الثاني بفعلها في الجماعة، وثالثها: أن يكون المراد من الأمر بالركوع هو الأمر بالخضوع لأن الركوع والخضوع في اللغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل كما قال للمؤمنين: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة: ٥٤] وكقوله تأديبا لرسوله عليه السلام: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [الشعراء: ٢١٥] وكمدحه له بقوله: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك [آل عمران: ١٥٩] وهكذا في قوله تعالى: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون [المائدة: ٥٥] فكأنه تعالى لما أمرهم بالصلاة والزكاة أمرهم بعد ذلك بالانقياد والخضوع وترك التمرد. وحكى الأصم عن بعضهم أنه إنما أمر الله تعالى بني إسرائيل بالزكاة لأنهم كانوا لا يؤتون الزكاة وهو المراد بقوله تعالى: وأكلهم السحت [المائدة: ٦٢، ٦٣] وبقوله:
وأخذهم الربوا ... وأكلهم أموال الناس بالباطل [النساء: ١٦١] فأظهر الله تعالى في هذا الموضع ما كان مكتوبا ليحذروا أن يفضحهم في سائر أسرارهم ومعاصيهم فيصير هذا كالإخبار عن الغيب الذي هو أحد دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٥٦٥

[سورة البقرة (٢) : آية ٤٤]

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٤٤)

اعلم أن الهمزة في أتأمرون الناس بالبر للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم، وأما البر فهو اسم جامع لأعمال الخير، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما، ومنه عمل مبرور، أي قد رضيه الله تعالى وقد يكون بمعنى الصدق كما يقال بر في يمينه أي صدق ولم يحنث، ويقال: صدقت وبررت، وقال تعالى: ولكن البر من اتقى [البقرة: ١٨٩] فأخبر أن البر جامع للتقوى، واعلم أنه سبحانه/ وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم ورغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر، وهو **أن التغافل عن** أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام. واختلفوا في المراد بالبر في هذا الموضع على وجوه، أحدها: وهو قول السدي أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وينهونهم عن معصية الله، وهم كانوا يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية، وثانيها: قول ابن جريج أنهم كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم كانوا يتركونهما. وثالثها: أنه إذا جاءهم أحد في الخفية لاستعلام أمر محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: هو صادق فيما يقول وأمره حق فاتبعوه، وهم كانوا لا يتبعونه لطمعهم في الهدايا والصلاة التي كانت تصل إليهم من أتباعهم، ورابعها: أن جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو إلى الحق وكانوا يرغبونهم باتباعه فلما بعث الله محمدا حسدوه وكفروا به، فبكتهم الله تعالى بسبب أنهم كانوا يأمرون باتباعه قبل ظهوره، فلما ظهر تركوه وأعرضوا عن دينه، وهذا اختيار أبي مسلم، وخامسها: وهو قول الزجاج أنهم كانوا يأمرون الناس ببذل الصدقة، وكانوا يشحون بها لأن الله تعالى وصفهم بقساوة القلوب وأكل الربا والسحت، وسادسها: لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباع." (١)

"تبهر العقول وترد المكذب إلى التصديق والشاك إلى اليقين، فلما رأوا ذلك وعرفوا أنه من قبله تعالى علما لموسى عليه السلام علما مضافا إلى سائر الآيات أقروا له بالصدق فيما جاء به وأظهروا التوبة وأعطوا العهد والميثاق أن لا يعودوا إلى ما كان منهم من عبادة العجل وأن يقوموا بالتوراة فكان هذا عهدا موثقا جعلوه لله على أنفسهم، وهذا هو اختيار أبي مسلم. وثالثها: أن لله ميثاقين، فالأول: حين أخرجهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم، والثاني: أنه ألزم الناس متابعة الأنبياء والمراد هاهنا هو هذا العهد. هذا قول ابن عباس وهو ضعيف. الثاني: قال القفال رحمه الله: إنما قال: (ميثاقكم) ولم يقل مواثيقكم لوجهين، أحدهما: أراد به الدلالة على أن كل واحد منهم قد أخذ ذلك كما قال: ثم يخرجكم طفلا [غافر: ٦٧] أي كل واحد منكم.

والثاني: أنه كان شيئا واحدا أخذ من كل واحد منهم كما أخذ على غيره فلا جرم كان كله ميثاقا واحدا ولو قيل مواثيقكم لأشبه أن يكون هناك مواثيق أخذت عليهم لا ميثاق واحد والله أعلم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٧/٣

وأما قوله تعالى: ورفعنا فوقكم الطور فنظيره قوله تعالى: وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة [الأعراف: ١٧١] وفيه أبحاث: البحث الأول: الواو في قوله تعالى: ورفعنا واو عطف على تفسير ابن عباس والمعنى أن أخذ الميثاق كان متقدما فلما نقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل، وأما على تفسير أبي مسلم فليست واو عطف ولكنها واو الحال كما يقال: فعلت ذلك والزمان زمان فكأنه قال: وإذ أخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم. الثاني: قيل: إن الطور كل جبل قال العجاج:

داني جناحيه من الطور فمر ... تقضي البازي إذا البازي كسر

أما الخليل فقال في كتابه: إن الطور اسم جبل معلوم وهذا هو الأقرب لأن لام التعريف فيه تقتضي حمله على جبل معهود عرف كونه مسمى بهذا الاسم، والمعهود هو الجبل الذي وقعت المناجاة عليه وقد يجوز أن ينقله الله تعالى إلى حيث هم فيجعله فوقهم وإن كان بعيدا منهم لأن القادر أن يسكن الجبل في الهواء قادر أيضا على أن يقلعه وينقله إليهم من المكان البعيد، وقال ابن عباس: أمر تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام فوقهم كالظلة وكان المعسكر فرسخا في فرسخ فأوحى الله إليهم أن اقبلوا التوراة وإلا رميت الجبل عليكم، فلما رأوا أن لا مهرب قبلوا التوراة بما فيها وسجدوا للفزع سجودا يلاحظون الجبل، فلذلك سجدت اليهود على أنصاف وجوههم. الثالث: من الملاحدة من أنكر إمكان وقوف الثقيل في الهواء بلا عماد وأما الأرض فقالوا إنما وقفت لأنها بطبعها طالبة للمركز فلا جرم وقفت في المركز، ودليلنا على فساد قولهم أنه سبحانه قادر على كل الممكنات ووقوف الثقيل في الهواء من الممكنات فوجب أن يكون الله قادرا عليه وتمام تقرير هاتين المقدمتين معلوم في كتب الأصول. الرابع: قال بعضهم: إظلال الجبل غير جائز لأن ذلك لو وقع لكان يجري مجرى الإلجاء إلى الإيمان وهو ينافي التكليف. أجاب القاضي بأنه لا يلجئ لأن أكثر ما فيه خوف السقوط عليهم، فإذا استمر في مكانه مدة وقد شاهدوا السموات مرفوعة فوقهم بلا عماد جاز هاهنا أن يزول عنهم الخوف فيزول الإلجاء ويبقى التكليف.

أما قوله تعالى: خذوا ما آتيناكم بقوة أي بجد وعزيمة كاملة وعدول **عن التغافل والتكاسل**، قال الجبائي: هذا يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل لأنه لا يجوز أن يقال: خذ هذا بقوة ولا قوة حاصلة كما لا." (١)

"معيشة ضنكا

لأنه جواب الشرط. يوم القيامة أعمى أعمى البصر أو القلب ويؤيد الأول.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٢٥ الى ١٢٧]

قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧)

قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا وقد أمالهما حمزة والكسائي لأن الألف منقلبة من الياء، وفرق أبو عمرو بأن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٨/٣

الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير.

قال كذلك أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال: أتتك آياتنا واضحة نيرة. فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها. وكذلك ومثل تركك إياها. اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب.

وكذلك نجزي من أسرف بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات. ولم يؤمن بآيات ربه بل كذب بها وخالفها. ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى، وقيل عذاب النار أي وللنار بعد ذلك أشد وأبقى من ضنك العيش أو منه ومن العمى، ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]

أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩)

أفلم يهد لهم مسند إلى الله تعالى أو الرسول أو ما دل عليه. كم أهلكنا قبلهم من القرون أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها، والفعل على الأولين معلق يجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون.

يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم. إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية **عن التغافل والتعامي**.

ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة. لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة، وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم. وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم، أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له.

[سورة طه (٢٠) : آية ١٣٠]

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠)

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه، أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بأنه المولى للنعم كلها. قبل طلوع الشمس يعني الفجر. وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده.

ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع أنا بالكسر والقصر، أو أناء بالفتح والمد. فسبح يعني المغرب والعشاء وإنما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز ولذلك قال سبحانه وتعالى: إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا. وأطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص، ومجيئه

بلفظ الجمع لأمن الإلباس كقوله:

ظهرا هما مثل ظهور الترسين." (١)

"الله عنها ﴿وأظهره الله عليه﴾ واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على إفشائها لحديث على لسان جبريل عليها السلام ﴿عرف بعضه﴾ أعلم ببعض الحديث ﴿وأعرض عن بعض﴾ فلم يخبر به تكرما قال على لسان جبريل عليه السلام ﴿عرف بعضه﴾ أعلم ببعض الحديث ﴿وأعرض عن بعض﴾ فلم يخبر به تكرما قال سفيان ما **زال التغافل من** فعل الكرام عرف بالتخفيف علي أي جازي عليه من قولك الشيء لأعرفن لك ذلك وقيل المعروف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروي أنه قال لما ألم أقل لكم اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها ﴿فلما نبأها به﴾ نبأ لنبي حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة ﴿قالت﴾ حفصة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿من أنبأك هذا قال نبأني العليم﴾ بالسرائر ﴿الخبير﴾ بالضمائر." (٢)

"تبتغي مرضات أزواجك أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية، وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته والله غفور رحيم في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم، على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أرب، وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ما أحل الله، وذلك قلة أدب على منصب النبوة

قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة [٨٩] من صفتها، واختلف في المراد بها هنا فأما على قول من قال: إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك. فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها، ومن قال: إن التحريم يلزم فيه طلاق قال: إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلف وقال: والله لا أطؤها أبدا. وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف أيضا فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال:

هذه الكفارة للتحريم ومن قال: لا كفارة فيه قال: إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه، وقيل: هي في يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرا والله مولاكم يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم.

وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

أحدها أنه تحريم الجارية، فإنه لما حرمها قال لحفصة: لا تخبري بذلك أحدا، والآخر أنه قال: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده، والثالث أنه قوله شربت عسلا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك، فعاقب حفصة على إفشائها لسره فطلقها، ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها. وقيل: لم يطلقها.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤٢/٤

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٠٥/٣

فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة. وقوله:

وأظهره الله عليه أي أطلعه على إخبارها به، وقوله: عرف بعضه أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما، فإن من عادة **الفضلاء التغافل عن** الزلات والتقصير في العتاب، وقرأ [الكسائي] عرف بالتخفيف من المعرفة فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا أي لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له: من أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه سكتت وسلمت.

إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما هذا خطاب لعائشة وحفصة، وتوبتهما مما." (١)

"محذوف، أي غيرها. ومن أنبأك هذا: أي بهذا، قال نبأني أي نبأني به أو نبأنيه، فإذا ضمنت معنى أعلم، تعدت إلى ثلاثة مفاعيل، نحو قول الشاعر:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها ... تهدي إلي غرائب الأشعار

وأظهره الله عليه: أي أطلعه، أي على إفشائه، وكان قد تكوتم فيه، وذلك بإخبار جبريل عليه السلام. وجاءت الكناية هنا عن التفشية والحذف للمفشى إليها بالسر، حياطة وصونا عن التصريح بالاسم، إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض. وقرأ الجمهور:

عرف بشد الراء، والمعنى: أعلم به وأنب عليه. وقرأ السلمي والحسن وقتادة وطلحة والكسائي وأبو عمرو في رواية هارون عنه: بخف الراء، أي جازى بالعتب واللوم، كما تقول لمن يؤذيك: لأعرفن لك ذلك، أي لأجازينك. وقيل: إنه طلق حفصة وأمر بمراجعتها. وقيل: عاتبها ولم يطلقها. وقرأ ابن المسيب وعكرمة: عراف بألف بعد الراء، وهي إشباع. وقال ابن خالويه: ويقال إنها لغة يمانية، ومثالها قوله:

أعوذ بالله من العقراب ... الشائلات عقد الأذناب

يريد: من العقرب. وأعرض عن بعض: أي تكرما وحياء وحسن عشرة. قال الحسن: ما استقصى كريم قط. وقال سفيان: ما **زال التغافل من** فعل الكرام، ومفعول عرف المشدد محذوف، أي عرفها بعضه، أي أعلم ببعض الحديث. وقيل: المعرف خلافة الشيخين، والذي أعرض عنه حديث مارية.

ولما أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتتمتها إياه، ونبأها الرسول الله صلى الله عليه وسلم به، ظنت أن عائشة فضحتها فقالت: من أنبأك هذا على سبيل التثبت، فأخبرها أن الله هو الذي نبأه به، فسكنت وسلمت.

إن تتوبا إلى الله: انتقال من غيبة إلى خطاب، ويسمى الالتفات والخطاب لحفصة وعائشة. فقد صغت: مالت عن الصواب، وفي حرف عبد الله: راغت، وأتى بالجمع في قوله:

قلوبكما، وحسن ذلك إضافته إلى مثنى، وهو ضميراهما، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى، والتثنية دون الجمع، كما قال الشاعر:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ ... كنوافذ العبط التي لا ترفع

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٣٩٠

وهذا كان القياس، وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى، لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع، لأن التثنية جمع في المعنى، والإفراد لا يجوز عند أصحابنا إلا في الشعر، كقوله:." (١)

"والمادة تدل على الدنو ضد البعد.

قوله: ﴿واليتامى﴾ وزنه فعالى، وألفه للتأنيث وهو جمع يتيم كنديم وندامى ولا ينقاس هذا الجمع، واليتم: الانفراد، ومنه «اليتيم» لانفراده عن أبويه أو أحدهما، ودرة يتيمة: إذا لم يكن لها نظير. وقيل: اليتم الإبطاء ومنه صبي يتيم لأنه يبطئ عنه البر. وقيل: **هو التغافل لأن** الصبي يتغافل عما يصلحه. قال الأصمعي: «اليتم في الآدميين من قبل فقد الآباء وفي غيرهم من قبل فقد الأمهات» . وقال الماوردي: «إن اليتم في الناس أيضا من قبل فقد الأمهات» والأول هو المعروف عند أهل اللغة يقال: يتم ييتم يتما مثل: كرم يكرم وعظم يعظم عظما، ويتم ييتم يتما مثل: سمع يسمع سمعا، فهاتان لغتان مشهورتان حكاهما الفراء، ويقال: أيتمه الله إيتاما أي فعل به ذلك. وعلامة الجر في القربى واليتامى كسرة مقدرة في الألف، وإن كانت للتأنيث، لأن ما لا ينصرف إذا أضيف أو دخلته أل انجر بالكسرة، وهل يسمى حينئذ منصرفا أو منجرا؟ ثلاثة أقوال يفصل في الثالث بين أن يكون أحد سببيه العلمية فيسمى منصرفا نحو: «يعمركم» أو لا فيسمى منجرا نحو: بالأحمر، والقربى واليتامى من هذا الأخير.

قوله: «والمساكين» جمع مسكين، ويسمونه جمعا لا نظير له في الآحاد وجمعا على صيغة منتهى الجموع، وهو من العلل القائمة مقام علتين، وسيأتي تحقيقه قريبا في هذه السورة.

وقد تقدم القول في اشتقاقه عند ذكر المسكنة واختلف فيه: هل هو بمعنى الفقير أو أسوأ حالا منه كقوله: ﴿." (٢)

"مشددة على ما لم يسم فاعله. وقتادة كذلك إلا أنه خفف الميم، والمعنى: / إلا أن تحملوا **على التغافل عنه** والمسامحة فيه. وقال أبو البقاء في قراءة قتادة:» ويجوز أن يكون من أغمض أي: صودف على تلك الحال كقولك: أحمدت الرجل أي: وجدته محمودا «وبه قال أبو الفتح. وقيل فيها أيضا: إن معناها إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه.." (٣)

"قوله: «واليتامى» وزنه «فعالى» ، وألفه للتأنيث، وهو جمع «يتيم» ك «نديم وندامى» ولا ينقاس هذا الجمع.

وقال ابن الخطيب: جمعه «أيتام ويتامى» واليتم: الانفراد، ومنه اليتيم؛ لانفراده عن أبويه أو أحدهما، ودرة يتيمة: إذا لم يكن لها نظير.

وقيل: اليتيم: الإبطاء، ومنه: صبي يتيم؛ لأنه يبطىء عنه البر وقيل: هو التغافل، لأن الصبي يتغافل عما يصلحه.

قال الأصمعي: «اليتيم في الآدميين من فقد الآباء، وفي غيرهم من فقد الأمهات» .

وقال الماوردي: إن اليتم أيضا في الناس من قبل فقد الأمهات.

والأول هو المعروف عند أهل اللغة، ويسمى يتيما إلى أن يبلغ، يقال: يتم ييتم يتما مثل: سمع يسمع سمعا ويتم ييتم يتما

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠/٢١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١/٤٦٥

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٦٠٤

مثل: عظم يعظم عظما، فهاتان لغتان مشهورتان حكاهما الفراء، ويقال: أيتمه الله إيتاما، أي: فعل به ذلك.

وعلامة الجر في «القربى» و «اليتامى» كسرة مقدرة على الألف، وإن كانت للتأنيث؛ لأن ما لا ينصرف إذا أضيف أو دخلته «أل» انجز بالكسرة، وهل يسمى حينئذ منجرا أو منصرفا.

ثلاثة أقوال، يفصل في الثالث بين أن يكون أحد سببيه العلمية، فيسمى منصرفا نحو: «يعمركم» أو لا يسمى منجرا نحو: «بالأحمر» ، و «القربى واليتامى» من هذا الأخير.

فصل في رعاية اليتيم

[اليتيم كالتالي] لرعاية حقوق الأقارب؛ لأنه لصغره لا ينتفع به وليتمه وخلوه عمن يقوم به يحتاج إلى من ينفعه، والإنسان قلما يرغب في صحبة مثل هذا، وإن كان هذا التكليف شاقا على الأنفس لا جرم كانت درجته عظيمة في الدين.

قال عليه الصلاة والسلام : «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى. وقال عله الصلاة والسلام: [«ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب." (١)

"الفراء: المعنى على الشرط والجزاء؛ لأن معناه: إن أغمضتم أخذتم، ولكن لما وقعت «إلا» على «أن» ، فتحها، ومثله، ﴿إلا أن يخافآ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿إلا أن يعفون﴾ [البقرة: ٢٣٧] . وهذا قول مردود.

والجمهور على: «تغمضوا» بضم التاء، وكسر الميم مخففة؛ من «أغمض» ، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه على حذف مفعوله، تقديره: تغمضوا أبصاركم، أو بصائركم.

والثاني: في معنى ما لا يتعدى، والمعنى إلا أن تغضوا، من قولهم: «أغضى عنه» .

وقرأ الزهري: «تغمضوا» بضم التاء، وفتح الغين، وكسر الميم مشددة؛ ومعناها كالأولى. وروي عنه أيضا: «تغمضوا» بفتح التاء، وسكون الغين، وفتح الميم؛ مضارع «غمض» بكسر الميم، وهي لغة في «أغمض» الرباعي، فيكون مما اتفق فيه فعل وأفعل.

وروي عن اليزيدي: «تغمضوا» بفتح التاء، وسكون الغين، وضم الميم.

قال أبو البقاء - رحمه الله -: «وهو من: يغمض، كظرف يظرف، أي: خفي عليكم رأيكم فيه» .

وروي عن الحسن: «تغمضوا» بضم التاء، وفتح الغين، وفتح الميم مشددة على ما لم يسم فاعله.

وقتادة كذلك، إلا أنه خفف الميم، والمعنى: إلا أن تحملوا **على التغافل عنه**، والمسامحة فيه. وقال أبو البقاء - رحمه الله - في قراءة قتادة: «ويجوز أن يكون من أغمض، أي: صودف على تلك الحال؛ كقولك: أحمدت الرجل، أي: وجدته محمودا» وبه قال أبو الفتح.

وقيل فيها أيضا: إن معناها إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه.

والإغماض: في اللغة غض البصر، وإطباق الجفن، وأصله من الغموض، وهو الخفاء، يقال: هذا كلام غامض أي خفي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢/٢٣٤

الإدراك.

قال القرطبي: من قول العرب: أغمض الرجل؛ إذا أتى غامضا من الأمر؛ كما." (١)

"الرزق، وتكثر المال، وتعمر الدار. وأما التي في الآخرة فتستر العورة، وتصير ظلا فوق الرأس، وتكون سترا من النار»

.

وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع.

وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه: أحدها أن اليهود لا ركوع في صلاتهم، فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين. وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لأن الأول أمر بإقامتها، والثاني أمر بالجماعة. وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء، فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل للمؤمنين، ثم إنه سبحانه لما أمرهم بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر، وهو **أن التغافل عن** أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول. والهمزة في أتأمرون للتقرير مع التقريع، والتعجيب من حالهم. والبر اسم جامع لأعمال الخير، ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي. واختلف في البر هاهنا. قال السدي: إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها. وقال ابن جريج.

تأمرون الناس بالصلاة والزكاة وتتركونهما. أبو مسلم: كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعو إلى الحق ويرغبونهم في اتباعه، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وأعرضوا عن دينه. الزجاج: يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها.

وقيل: يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه.

وقيل: يأمرون غيرهم باتباع التوراة وهم يخالفونها لأنهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما آمنوا به. وقيل: لعل المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتباعه في الظاهر وينكرونه صلى الله عليه وسلم في الباطن، فوبخهم الله على ذلك. والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم، والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه؟ فإذن المراد وتغفلون عن حق أنفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وأنتم تتلون الكتاب أي التوراة وتدرسونها وتعلمون ما فيها من أعمال البر ومن نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون؟ وهو تعجيب للعقلاء من أفعالهم. وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير: أفعلتم ذلك فلا تعقلون. وقس على هذا نظائره في القرآن فإنها كثيرة. وللتعجيب وجوه: منها أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرشاد الغير إلى المصالح وتحذيره عن المفاسد، وإرشاد النفس إليها وتحذيرها منها أهم بشواهد العقل والنقل، فمن وعظ ولم يتعظ فكأنه أتى بما لا يقبله العقل الصحيح. ومنها." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/١٣

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١/٢٧٥

"بمعنى التكريم. عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم لم يكفر عن يمينه لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين. وعن مقاتل أنه أعتق رقبة في تحريم مارية. وما حكم تحريم الحلال؟ قال أبو حنيفة: هو يمين على الامتناع من الانتفاع المقصود، فلو حرم طعاما فهو يمين على الامتناع من أكله، أو أمه فعلى الامتناع من وطئها، أو زوجة فمحمول على ما نوى، فإن نوى الظهار فظهار، أو الطلاق فطلاق بائن، وإن لم ينو شيئا فعلى الإيلاء، وإن قال: كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى.

وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد أن الحرام يمين. وقال الشافعي: هو في النساء من صرائح ألفاظ الطلاق.

وعن عمر: إذا نوى الطلاق فرجعي.

وعن علي رضي الله عنه: ثلاث.

وعن عثمان: ظهار. وعن مسروق والشعبي أنه ليس بشيء فما لم يحرمه الله ليس لأحد أن يحرمه والله مولاكم متولي أموركم وقيل: أولى بكم من أنفسكم ونصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم فيما يأمركم به وينهاكم عنه واذكر إذا أسر النبي إلى بعض أزواجه وهي حفصة حديثا هو حديث مارية وإمامة الشيخين فلما نبأت به حفصة عائشة وأظهره الله على نبيه أي أطلعه على إفشائه على لسان جبريل. وقيل: أظهر الله الحديث على النبي فيكون من الظهور عرف بعضه أعلم ببعض الحديث. ومن قرأ بالتخفيف من العرفان فمعناه المجازاة من قولك للمسيء «لأعرفن لك ذلك» وكان جزاؤه تطليقه إياها. وقيل: المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية. وإنما أعرض عن البعض تكرما. قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام.

وروي أنه قال لها: ألم أقل لك اكتمي علي؟ قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أبي. وإنما ترك المفعول ولم يقل «فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه لأن ذلك ليس بمقصود وإنما الغرض ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام بالبعض وهو حديث الإمامة. ولما كان المقصود في قوله من أنبأك هذا ذكر المنبأ به أتى بالمفعولين جميعا.

ثم وبخ عائشة وحفصة على طريقة الالتفات قائلا إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما أي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن إخلاص رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وبغض ما يكرهه والأصل قلباكما. ووجه الجمع ما مر في قوله فاقطعوا أيديهما [المائدة: ٣٨] وإن تظاهرا أي تعاونا على ما يوجب غيظه فلم يعدم هو من يظاهره كيف والله مولاه أي ناصره وجبريل خاصة من بين الملائكة وصالح المؤمنين قال أكثر العلماء: هو واحد في معنى الجمع لأنه أريد الجنس لشمول كل من آمن وعمل صالحا.

وجوز أن يكون جمعا وقد أسقط الواو في الخط لسقوطه في اللفظ. عن سعيد ابن جبير:." (١)

"﴿في أدنى الأرض﴾ أي أقرب أرضهم إلى أرضكم أيها العرب، وهي في أطراف الشام، وفي تعيين مكان الغلب – على هذا الوجه – بشارة للعرب بأنهم يغلبونهم إذا وافقوهم، فإن موافقتهم لهم تكون في مثل ذلك المكان. وقد كان كذلك

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٦/٣٢٠

بما كشف عنه الزمان، فكأنه تعالى يقول لمن فرح من العرب بنصر أهل فارس على الروم لنكاية المسلمين: اتركوا هذا السرور الذي لا يصوب نحوه من له همة الرجال، وأجمعوا أمركم وأجمعوا شملكم، لتواقعوهم في مثل هذا الوضع فتنصروا عليهم، ثم لا يقاومونكم بعدها أبدا، فتغلبوا على بلادهم ومدنهم وحصونهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما أعتب سبحانه أهل مكة، ونفى عليهم قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم، وكونهم – مع قلة عددهم – قد منع الله بلدهم عن قاصد نهبه، وكف أيدي العتاة والمتمردين عنهم مع (تعاور) أيدى المنتهين على من حولهم، وتكرر ذلك واطراده صونا منه تعالى لحرمه وبيته، فقال تعالى:

﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ [العنكبوت: ٦٧] أي ولم يكفهم هذا في الاعتبار، وتبينوا أن ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع، وإنما هو بصون الله." (١)

"المعتوب وأعون على توبته وعدم عدده إلى فعل مثله ﴿وأعرض عن بعض﴾ وهو أمر السرية والعسل تكرما منه أن يستقصي في العتاب وحياء وحسن عشرة، قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال سفيان الثوري: ما زال التغافل من فعل الكبراء وإنما عاتب على أمر الخلافة خوفا من أن ينتشر في الناس ويذيع، فربما أثار حسدا من بعض المنافقين وأورث الحسود للصديق والفاروق كيدا أو جر إلى مفسدة لا نعلمها، وخفف الكسائي: عرف أي أقر به والمعرفة سبب التعريف والتعريف عن المعرفة فإطلاق أحدهما على الآخر شائع وعلاقته ذلك وأشار إلى مبادرته بتعريفها ذلك لئلا ينتشر ما يكرهه منه بقوله: ﴿فلما نبأها﴾ بما فعلت من إفشاء ما عرفها منه على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفها ﴿به﴾ شيئا منه ولا من عوارضه ليزداد بصيرة، روي أنها قالت: قلت لعائشة رضي الله عنها سرا وأنا أعلم أنها لا تظهره، قاله الملوي وهو معنى قوله: ﴿قالت﴾ أي ظنا منها أن عائشة رضي الله عنها أفشت عليها ﴿من أنبأك هذا﴾ أي مطلق إخبار، واستأنف قوله: ﴿قال نبأني﴾ وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثيرا للمعنى بالتعميم إشارة إلى أنه أخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة رضي الله عنهما مما عرفها به ومن غيره على أتم ما كان ﴿العليم﴾ أي المحيط بالعلم ﴿الخبير *﴾ أي المطلع." (٢)

"بواسطة مضمونها أي كثرة إهلاكنا لأن كم لا يعمل فيه ما قبله أو فاعله ضمير لله، والجملة في تأويل المفعول أي: أفلم يبين الله لهم مضمون هذه الجملة، وعند البصريين فاعله مضمر يفسره كم أهلكنا (يمشون في مساكنهم)، والحال إنهم [يترددون في] مساكنهم الخالية حين سفرهم إلى الشام فإن ديار ثمود ولوط بين الشام ومكة (إن في ذلك لآيات لأولي النهى): لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامي.

* * *

(ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣/١٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٨٧/٢٠

والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)

* * *

(ولولا كلمة سبقت من ربك): حكم بتأخير عذابهم، (لكان لزاما): لكان العذاب لازما لهم كما لزم الكفار الماضين، وهو مصدر لازم وصف به (وأجل مسمى) عطف على كلمة أي لولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم، والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، وقيل عطف على ضمير كان أي: لكان العذاب العاجل وأجل مسمى لازمين لهم، (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك) المراد." (١)

"وسلم في صورة دحية الكلبي.

وأخرج الطبراني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان جبريل يأتيني على صورة دحية الكلبي، وكان دحية رجلا جميلا.

قوله: (حيث أهلكوا لأجله).

قال الطيبي: يعني أن قوله (ما كانوا به يستهزءون) من إطلاق السبب على المسبب، لأن المحيط بهم هو العذاب لا المستهزأ به، ولما كان سببا له وضع موضعه للمبالغة. اهـ

قوله: (والفرق بينه وبين قوله (قل سيروا) ...) إلى آخره.

قال الطيبي: يريد الأمر على الأول واحد مقيد، وعلى الثاني شيئان، والأول مباح، والثاني واجب لدلالة (ثم).

قال صاحب التقريب: إنما لم يحمل على التراخي وعدل إلى المجاز إذ واجب النظر في آثار الهالكين حقه أن لا يتراخى عن السير.

قال الطيبي: ويمكن أن يأمرهم بالسير أولا وبالنظر ثانيا على الوجوب، ويكون الثاني أعلى مرتبة لأن الكلام مع المنكرين، كما تقول: توضأ ثم صل، والآية مع الفاء متضمنة للتنبيه على الغفلة والتوبيخ على التغافل، ومع (ثم) للتعبير على التواني والتقاعد. اهـ

قوله: (سؤال تبكيت).

في الأساس: ومن المجاز: بكته بالحجة أي: غلبه، وبكته: ألزمه ما عي بالجواب عنه. اهـ

قال الطيبي: يعني إذا سئلوا عن قوله تعالى (قل لمن ما في السماوات والأرض)؟." (٢)

"عنها، وتركتها غير منظور إليها ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل تركك إياها ﴿اليوم تنسى﴾ أي: تترك في العمى والعذاب ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل هذا الجزاء الشديد ﴿نجزي من أسرف﴾ في متابعة هواه، فتكبر عن متابعة أوامرنا ﴿ولم يؤمن﴾ بل

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٣٣/٢

(٢) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي السيوطي ٣٣٦/٣

كذب ﴿بآيات ربه﴾ وخالفها ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ مما نعذبهم به في الدنيا والقبر لعظمه ﴿وأبقى﴾ فإنه غير منقطع. ولما بين الله تعالى أن من أعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الأفعال الواقعة في الدنيا ممن كذب الرسل، فقال:

أي: يبين بيانا يقود إلى المقصود ﴿لهم﴾ أي: هؤلاء الذين أرسلت إليهم أعظم رسلي، وفاعل يهد مضمون قوله: ﴿كم أهلكنا﴾ وقال أبو البقاء: الفاعل ما دل عليه أهلكنا أي: إهلاكنا، والجملة مفسرة له، وقال الزمخشري: فاعل لم يهد الجملة بعده يريد: ألم يهدلهم هذا بمعناه ومضمونه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين﴾ (الصافات: ٧٨، ٧٩) ، أي: تركنا عليه هذا الكلام، ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى. وكم خبرية مفعول أهلكنا ﴿قبلهم من القرون﴾ أي: بتكذيبهم لرسلنا حال كونهم ﴿يمشون﴾ أي: هؤلاء العرب من أهل مكة وغيرهم ﴿في مساكنهم﴾ أي: في سفرهم إلى الشام، ويشاهدون آثار هلاكهم ﴿إن في ذلك﴾ أي: الإهلاك العظيم الشأن المتوالي في كل أمة ﴿لآيات﴾ عظيمات بينات ﴿لأولي النهى﴾ أي: لذوي العقول الناهية **عن التغافل والتعامي**. ولما هددهم بإهلاك الماضين ذكر سبب التأخير عنهم بقوله تعالى:

﴿ولولا كلمة﴾ أي: عظيمة قاضية نافذة ﴿سبقت﴾ أي: في أزل الآزال ﴿من ربك﴾ الذي عودك بالإحسان بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة فإنه يعامل بالحلم والأناة ﴿لكان﴾ أي: العذاب ﴿لزاما﴾ أي: لازما أعظم لزوم لهم في الدنيا مثل ما نزل بعاد وثمود، ولكن نمد لهم لنرد من شئنا منهم، ونخرج من أصلاب بعضهم من يؤمن، وإنما فعلنا ذلك إكراما لك ورحمة لأمتك، فيكثر أتباعك، فيعملوا الخيرات، فيكون ذلك زيادة في شرفك، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا» ، وفي رفع قوله تعالى ﴿وأجل مسمى﴾ وجهان؛ أظهرهما: عطفه على كلمة أي، ولولا أجل مسمى لكان العذاب لازما لهم، وهذا ما صدر به البيضاوي، والثاني: أنه معطوف على الضمير المستتر في كان، وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد، واقتصر الجلال المحلي على هذا، وجوزه الزمخشري والبيضاوي، وفي هذا الأجل المسمى قولان؛ أحدهما: ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب، وهو يوم بدر، والثاني: ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب، وهذا كما قال الرازي أقرب قال أهل السنة تعالى بحكم المالكية أن يخص من شاء بفضله، ومن شاء بعذابه من غير علة إذ لو كان فعله لعلة لكانت تلك العلة إما قديمة، فيلزم قدم الفعل، وإما حادثة، فيلزم افتقارها إلى علة أخرى، ويلزم التسلسل، ثم إنه تعالى لما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهلك أحدا قبل استيفاء أجله أمره بالصبر، فقال:

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ لك من الاستهزاء وغيره، وهذا كان أول الأمر، ثم نسخ بآية القتال ﴿وسبح﴾ أي: صل، وقوله تعالى: ﴿بحمد ربك﴾ حال أي: وأنت حامد لربك على أنه وفقك لذلك، وأعانك عليه ﴿قبل طلوع الشمس﴾ صلاة الصبح ﴿وقبل." (١)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢/٤٩١

"لأن حرمتهن من حرمته صلى الله عليه وسلم ﴿حديثا﴾ ليس هو من شأن الرسالة ولو كان من شأنها لعم به ولم يخص به، ولا أسره وذلك هو تحريمه فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: لا تخبري بذلك أحدا، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أسر أمر الخلافة بعده فحدثت حفصة، وقال الكلبي: أسر إليها إن أباك وأب عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي، وقال ميمون بن مهران: أسر أن أبا بكر خليفتي من بعدي ﴿فلما نبأت﴾ أي: أخبرت ﴿به﴾ عائشة ظنا منها أنه لا حرج عليها في ذلك ﴿وأظهره الله﴾ أي: أطلعه الملك الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿عليه﴾ أي: الحديث على لسان جبريل عليه السلام بأنه قد أفشى مناصحة له في إعلامه بما يقع في غيبته ليحذره إن كان شرا ويثبت عليه إن كان خيرا وقيل: أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور ﴿عرف﴾ أي: النبي صلى الله عليه وسلم التي أسر إليها ﴿بعضه﴾ أي: بعض ما فعلت ﴿وأعرض عن بعض﴾ أي: إعلام بعض تكرما منه أن يستقصي في العبارات وحياء وحسن عشرة، قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام، وإنما عاتبها على ذكر الإمامة وأعرض عن ذكر الخلافة خوفا من أن ينتشر في الناس، فربما أثار حسد بعض المنافقين وأورث الحسود للصديق كيدا.

وقال بعض المفسرين: إنه أسر إلى حفصة شيئا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه، ولم يؤاخذها بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ (البقرة: ١٩٧) أي: يجازيكم عليه، وقيل: المعرف حديث الإمامة، والمعرض عنه حديث مارية. وروي «أنه قال لها: ويلك ألم أقل لك أكتمي علي، قالت: والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها أباها» ﴿فلما نبأها به﴾ أي: بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفها به شيئا منه، ولا من عوارضه لتزداد بصيرة.

روي أنها قالت لعائشة سرا فأنا أعلم أنها لا تظهره، قاله الملوي، وهو معنى قوله تعالى: ﴿قالت﴾ أي: ظنا منها أن عائشة أفشت عليها ﴿من أنبأك هذا﴾ أي: من أخبرك أني أفشيت السر ﴿قال نبأني﴾ وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكسيرا للمعنى بالتعميم إشارة أنه أخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة على أتم ما كان. ﴿العليم﴾ أي: المحيط العلم ﴿الخبير﴾ أي: المطلع على الضمائر والظواهر، فهو أولى أن يحذر فلا يتكلم سرا أو جهرا إلا بما يرضيه.

وقوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ أي: الملك الأعظم شرط، وفي جوابه وجهان: أحدهما: قوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ والمعنى: إن تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحب وكراهة ما يكره. وصغت: مالت وزاغت عن الحق، قال القرطبي: وليس قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ جواب الشرط لأن هذا الصغو كان سابقا فجزاء الشرط محذوف للعلم به أي: إن تتوبا كان خيرا لكما إذ قد صفت قلوبكما. الثاني: أن الجواب محذوف تقديره: فذلك واجب عليكما، أو فتاب الله عليكما، قاله أبو البقاء. ودل على المحذوف ﴿فقد صغت﴾ لأن إصغاء القلب إلى ذلك ذنب. قال بعضهم: وكأنه زعم أن ميل القلب ذنب، وكيف يحسن أن يكون جوابا وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿قلوبكما﴾ من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين لو قيل: قلباكما، ومن شأن العرب إذا ذكروا الشيئين." (١)

"مقتض الفطرة والعقل قال تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٨] وقال ابن الأعرابي: لم يسمع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب وإنما قالوا فسقت الرطبة عن قشرها. أنتهى. وفي الدر المصون زعم ابن الأنباري أنه لم يسمع في كلام الجاهلية ولا في شعرها فاسق، وهذا عجيب منه وقد قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا الخ (أقول) الظاهر أنه يعترض على ما ذكر بأنه كيف ينكر هذأ مع وروده في الأشعار القديمة كثيرا لا سيما وقد جاء في أفصح الكلام ولذا عده عجيبا، والعجب ممن لم يقف على المراد وحاد على طريق السداد فإن هذا مما اتفق عليه أئمة اللغة وقد عقد له ابن فارس في فقه اللغة بابا والعجب من صاحب المزهر أنه نقله عنه وتغ هنا المعرب وليس غفلة منه وإنما هو تغافل كما قيل:

ليس الغبي بسيد في قو! لن سيدهم هو المتغابي

قال ابن فارس رحمه الله في معرفة الألفاظ الإسلامية: كانت العرب في جاهليتها على

إرث من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكم وقوانينهم فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر وعد منها حتى قال: ولم يعرفوا الفسق إلا قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها فجاء الشرع بأن الفسق إلافحاس في الخروج عن طاعة الله تعالى انتهى. وهكذا قاله غيره من أهل اللغة من غير تردد فيه وحاصله أنه خروج الأجرام وبروز الأجسام من غير العقلاء من كون لآخر من حيز إلى حيز فنقله الشرع في الإسلام إلى خروج العقلاء من الناس عن الطاعة وشاع بعد ذلك حتى صار حقيقة عرفية لغوية ومنه بيت رؤبة فإنه ليس شاعرا جاهليا مع أنه في خروج الإبل وهي لا تعقل أيضا فلم يخرج عن الوضع، ومما أحدثوه منه الفويسقة للفأرة والفاسقية لعمامة كانت معروفة

في العهد الأول وأما الفسقية للحوض فلم يرد في كلام العرب ولا أدري ما أصلها وبعض المتأخرين توهمها منسوبة للفسق فقال:

هجوت فسقيتكم عامدا لأنها في اللهو أصلية

أليس في فسق جمعتم بها فحق أن تدعي بفسقية

قوله: (قال رؤبة الخ) هو رؤبة بن العجاج الراجز المشهور وهو شاعر إسلامي بليغ يستدل بكلامه ورؤبة براء مهملة مضمومة يليها همزة ساكنة ثم باء موحدة وهاء تأنيث ويجوز إبدال همزته واوا لسكونها بعد ضمة وقوله في أدب الكاتب إنه بالهمزة لا غير مما خطئ فيه، وقد يقال مراده أن هذه مادته الأصلية فلا خطأ فيه وهو علم منقول وأصله من رأب الشيء إذا أصلحه والبيت من أرجوزة طويلة له وهو:

يذهبن في نجد وضورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣٢٦/٤

وهو من صفة نوق وإبل سائرة في المفازة والنجد ما ارتفع من الأرض! وبه سميت بعض
بلاد العرب والمراد الأول والغور بالفتح ما انخفض منها وغائرا صفة له من لفظه مؤكدة كليل أليل، وقوله يذهبن للنوق وفواسق بمعنى خوارج، والقصد هنا بمعنى الطريق المستقيم ويكون بمعنى الإرادة وجوائرا من جار عن الطريق إذا انحرف عنها وصرف فواسق وجوائر للضرورة أي أن الإبل تصعد وتهبط إذا عدلت عن جادة السبيل. قوله: (والفاسق في الشرع الخ) يعني أنه نقل لكل خروج عن طاعة الله فيشمل الكفر والكبيرة والصغيرة لكنه اختص في العرف والاستعمال بمرتكب الكبيرة فلا يطلق على الآخرين إلا نادرا بقرينة ويدخل في أمر الله نهيه أيضا بطريق اللزوم والدلالة إذ لا فرق بينهما وفي الأمر بالشيء نهي عن ضده أو على أن المراد بالأمر واحد الأمور، وهو ما جاء من قبل الله مطلقا والكلام في الكبيرة والاختلاف فيها مشهور وسيأتي، والمراد به ما كان شنيعا من المحرمات ويدخل فيه الإصرار على الصغيرة لأنها تصير كبيرة على ما اشتهر فلا حاجة إلى أن يزاد فيها هنا أو الإصرار على الصغيرة قيل: ولو ذكر كان أحسن، والتغابي بالمعجمة التغافل من غير غفلة كالتجاهل لمن يظهر والجهل وليس بجاهل من الغباوة وهي ضد الفطنة وف٣ ارتكاب الكبيرة وما في حكمه إلى ثلاثة أقسام وفسر الأول بأن." (١)

"خفية فالاسرار الى الغير يقتضى اظهار ذلك لمن يفضى اليه بالسر وان كان يقتضى إخفاءه من غيره فاذا قولهم أسررت الى فلان يقتضى من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء والنبي رسول الله عليه السلام فان اللام للعهد وإذ ظرف اى اذكر الحادث وقت الاسرار والأكثر المشهور انه مفعول اى واذكر يا محمد وقت اسرار النبي واخفائه على وجه التأنيب والتعتب او واذكروا أيها المؤمنون فالخطاب ان كان له عليه السلام فالاظهار فى مقام الإضمار بأن قيل وإذ أسررت للتعظيم بايراد وصف ينبئ عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وان كان لغيره عموما على الاشتراك او خصوصا على الانفراد فذكره بوصف النبي للاشعار بصدقه فى دعوى النبوة إلى بعض أزواجه وهى حفصة رضى الله عنها تزوجها النبي عليه السلام فى شعبان على رأس
ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو امير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله ايضا أبو هريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وأبو حفص أبوها عمر رضى الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام والحفص ولد الأسد حديثا قال الراغب كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع او الوحى فى يقظته او منامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة قال سعدى المفتى فيه ان تحريم العسل ليس مما اسر الى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضى الله عنهن فلما نبأت به اى أخبرت حفصة صاحبتها التي هى عائشة بالحديث الذي اسره إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفشته إليها وأظهره الله عليه اى أطلع الله النبي على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع الى الحديث بتقدير المضاف واظهر ضمن معنى اطلع من ظهر فلان السطح إذا علاه وحقيقته صار على ظهره وأظهره على السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشيء وهو من باب الافعال بمعنى بر رسانيدن كسى را

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٠١/٢

بر نهانى وديده ور ڪردانيدن. قال الراغب ظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى وبطن إذا حصل فى بطنان الأرض فيحقى ثم صار مستعملا فى كل بارز للبصر والبصيرة عرف النبي حفصة والتعريف بالفارسية بياڪاهيدن بعضه اى بعض الحديث الذي افشته الى صاحبتها على طريق العتاب بأن قال لها ألم أك امرتك أن تكتمى سرى ولا تبديه لأحد وهو حديث الامامة (روى) انه عليه السلام لما عاتبها قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها وبعض الشيء جزء منه وأعرض عن بعض اى عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم عرف تحريم الامة واعرض عن تعريف امر الخلافة كراهة أن ينتشر ذلك فى الياس وتكرما منه وحلما وفيه جواز اظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم فى الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء فيما جرى من ترك الأدب فانه صفة الكرام قال الحسن البصري قدس سره ما استقصى كريم قط وقال بعضهم ما زال التغافل من فعل الكرام فلما نبأها به اى اخبر النبي حفصة بالحديث الذي أفشته بما أظهره الله عليه من انها أفشت سره قالت من أنبأك هذا." (١)

"وأما من جاءك يسعى اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو والحال انه يخشى الله تعالى او يخشى الكفار وأذا هم إتيانك قال سعدى المفتى الظاهر أن النظم من الاحتباك ذكر الغنى اولا للدلالة على الفقر ثانيا والمجيء والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما اولا فأنت عنه تلهى بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتلهى وتتشاغل من لهى عن الشيء بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لا من لهوت بالشيء بالفتح ألهو لهوا إذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبي ولا يليق بشأنه الرفيع أن ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيء لمصلحة وفى بعض التفاسير ولو أخذ من اللهو وجعل التشاغل بأهل التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه انه يلزم منه أن يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولا يقول به المؤمن وذلك لانه لا يجوز للنبى عليه السلام التشاغل بأهل التغافل الا بطريق التبليغ والإرشاد فكيف لا يترتب عليه نفع وفى تقديم ضميره عليه السلام وهو أنت على الفعلين تنبيه على ان مناط الإنكار خصوصيته عليه السلام أي مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفى تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضونهما تنبيه حيث أفادت القصة ان العبرة بالأرواح والأحوال لا بالأشباح والأموال والعزيز من أعزه الله بالايمان والطاعة وان كان بين الناس ذليلا والذليل من اذله الله بالكفر والمعصية وان كان بين الناس عزيزا روى انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وكان الفقراء فى مجلسه عليه السلام أمراء يعنى كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون فى تقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العاري عن الخير بمثل ما خوطب به النبي عليه السلام فى هذه السورة قال بعضهم بين الله درجة الفقر وتعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقير أهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقراء لان فيم نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم مفيدة بخلاف الاشتغال بصحبة الأغنياء إذ ليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفى الحديث (من تحامل على فقير لغنى فقد هدم ثلث دينه) يقال تحاملت على الشيء إذا تكلفت الشيء على مشقة وتحامل فلان على فلان إذا لم يعدل وقال بعض الأكابر انما كان صلى الله عليه وسلم يتواضع لاكابر قريش لان الأعزاء من

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥١/١٠

الخلائق مظاهر العزة الالهية فكان تقديمهم على الفقراء من أهل الصفة ليوفى صفة الكبرياء حقها إذا لم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ما هو أعلى منه وهو ما امره الله به آخرا بعد ما صدر سورة عبس فى قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فأمره بأن لا يشهده فى شيء دون شيء للاطلاق الذي هو الحق عليه كما قال جعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث كما فى الجواهر للشعرانى كلا انزجر من التصدي للمستغنى والاعراض عن ارشاد المسترشد قال الحسن لما تلا جبرائيل هذه الآيات على النبي عليه السلام عاد وجهه كأنما استف فيه الرماد اى تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه فلما." (١)

"والاشارة فى تحقيق الآيتين ان واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هى النفوس الامارة بالسوء والفاحشة ما حرمته الشريعة من اعمال الظاهر وحرمته الطريقة من احوال الباطن وهى الركون الى غير الله قال عليه السلام (سعد غيور وانا أغير منه والله أغير منا ولهذا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) فاستشهدوا عليهن على النفوس بإتيان الفاحشة أربعة منكم اى من خواص العناصر الاربعة التي أنتم منها مركبون وهى التراب ومن خواصه الخسة والركاكة والذلة والطمع والمهانة واللؤم. والماء ومن خواصه اللين والعجز والكسل والأنوثة والشره فى المأكل وفى المشرب والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والحقد والعداوة والشهوة والزينة. والنار ومن خواصها التبختر والتكبر والفخر والصلف والحدة وسوء الخلق وغير ذلك مما يتعلق بالأخلاق الذميمة ورأسها حب الدنيا والرياسة واستيفاء لذاتها وشهواتها فإن شهدوا اى ظهر بعض هذه الصفات من النفوس فأمسكوهن في البيوت فاحبسوهن فى سجن المنع عن التمتعات الدنيوية فان الدنيا سجن المؤمن وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى يتوفاهن الموت اى تموت النفس إذا انقطع عنها حظوظها دون حقوقها والى هذا أشار بقوله عليه السلام (موتوا قبل ان تموتوا) أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيوب فتهب منها الطاف الحق وجذبات الالوهية التي جذبة منها توازى عمل الثقلين والذان يأتيانها منكم اى النفس والقالب يأتيان الفواحش فى ظاهر الافعال والأعمال وباطن الأحوال والأخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بترك الحظوظ وكثرة الرياضات والمجاهدات فإن تابا ظاهرا وباطنا وأصلحا لذلك فأعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر فان مع العسر يسرا إن الله كان توابا لمن تاب رحيما لمن أصلح من تفسير نجم الدين الرازي الكبرى إنما التوبة على الله اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته للذين يعملون السوء اى المعصية صغيرة كانت او كبيرة. فقوله انما التوبة على الله مبتدأ وخبره ما بعده بجهالة اى يعملون ملتبسين بها اى جاهلين سفهاء فان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته. وفى التيسير ليست هذه جهالة عدم العلم لانه ذنب لان ذلك عذر **لكنها التغافل والتجاهل** وترك التفكر فى العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه ثم يتوبون من قريب اى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت اى قبل ان يغر غروا وسماه قريبا لان أمد الحياة الدنيا قريب قال تعالى قل متاع الدنيا قليل فعمر الدنيا قليل قريب الانقضاء فما ظنك بعمر فرد ومن تبعيضية اى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى أي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فأولئك يتوب الله عليهم اى يقبل توبتهم وكان

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٣٣/١٠

الله عليما بخلقه يعلم إخلاصهم فى التوبة حكيما فى صنعه والحكيم لا يعاقب التائب. فعلى المؤمن ان يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار ويسارع فى الرجوع الى الملك الغفار- روى- ان جبريل عليه السلام أتاه عند موته فقال يا محمد." (١)

"عنه وصيام الذي قد حضر بالإمساك عن التغافل عن الأهم وبالصبر على الجد والاجتهاد ببذل الجهد فى طلب المراد وصيام اليوم الذي قد بقي بالإمساك عن فسخ العزيمة فى ترك الجريمة ونسخ الإخلاص فى طلب الخلاص وبالصبر على قدم الثبات فى تقديم الطاعات والمبرات وصدق التوجه الى حضرة الربوبية بمساعى العبودية

مكن وقت ضايع بافسوس وحيف ... كه فرصت عزيزست والوقت سيف

قال ابن الفارض قدس سره

وكن صارما كالوقت فالمقت فى عيسى ... وإياك عل فهى اخطر علة

وفى المثنوى

اى كه صبرت نيست از دنياى دون ... چونت صبرست از خداى دوست چون

چونكه بي اين شرب كم دارى سكون ... چون ز ابرارى خدا وز يشرون

اعلم ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شظية من إقباله ووصاله وذلك فى شريعة الرضى لغو وفى مذهب التسليم سهو فيعفو عنه رحمة عليه لضعف حاله ولا يؤاخذه بمقاله وان الاولى الذوبان والجمود بحسن الرضى بحسب جريان احكام المولى فى القبول والرد والإقبال والصد إيثار الاستقامة فى أداء حقوقه على الكرامة وعلى لذة تقريبه وإقباله وشهوده ووصوله ووصاله كما قال قائلهم

أريد وصاله ويريد هجرى ... فاترك ما أريد لما يريد

كذا فى التأويلات النجمية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر هذه هى الآية الرابعة من الآيات الأربع التي نزلت فى الخمر وقد سبق التفصيل فى سورة البقرة ويدخل فى الخمر كل مسكر والميسر اى القمار كله فيدخل فيه النرد والشطرنج والاربعة عشر والكعب والبيضة وغير ذلك مما يقامرون به والأنصاب اى الأصنام المنصوبة للعبادة واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد والأزلام هى سهام مكتوب على بعضها أمرني ربى وعلى بعضها نهانى ربى يطلبون بها علم ما قسم من الخير والشر قال المفسرون كان اهل الجاهلية إذا اراده أحدهم سفرا او غزوا او تجارة او غير ذلك طلب علم انه خير او شر من الأزلام وهى قداح كانت فى الكعبة عند سدنة البيت على بعضها أمرني ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل لا كتابة عليها ولا علامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي يجتنبون عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستسقام بالأزلام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم وهى جمع زلم رجس قذر يعاف عند العقول اى تكرهه وتنفر منه العقول السليمة. والرجس بمعنى النجس الا ان النجس يقال فى المستقذر طبعا والرجس اكثر ما يقال فى المستقذر عقلا وسميت هذه المعاصي رجسا لوجوب اجتنابها كما يجب اجتناب الشيء المستقذر من عمل الشيطان صفة لرجس اى رجس كائن من عمله اى من تزيينه لانه هو الداعي اليه والمرغب فيه والمزين له فى قلوب فاعليه فاجتنبوه اى الرجس لعلكم

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٧٨/٢

تفلحون اى راجين فلا حكم امر بالاجتناب وهو تركه جانبا وظاهر الأمر على الوجوب إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر

وهو." (١)

"تقدير شيء فى الأنفس مع الطمع فى إتمامه قال الأزهري كان التسويل تفعيل من سؤال الأشياء وهى الامنية التي يطلبها فيزين لطالبها الباطل وغيره أمرا من الأمور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصنعتموه بيوسف استدل يعقوب على انهم فعلوا بيوسف ما أرادوا وانهم كاذبون بشيئين بما عرف من حسدهم الشديد وبسلامة القميص حيث لم يكن فيه خرق ولا اثر ناب فقوله بل سولت رد لقولهم أكله الذئب وبل للاعراض عما قبله واثبات ما بعده على سبيل التدارك نحو جاء زيد بل عمرو كما فى بحر العلوم فصبر جميل اى فامرى صبر جميل وهو الذي لا شكوى فيه الى الخلق والا فقد قال يعقوب نما أشكوا بثي وحزني إلى الله

: قال الكمال الخجندي

بوصل صحبت يوسف عزيز من مشتاب ... جمال يار نبينى مكر بصبر جميل

قال شيخنا الاجل الأكمل روح الله روحه اعلم ان الصبر إذا لم يكن فيه شكوى الى الخلق يكون جميلا وإذا كان فيه مع ذلك شكوى الى الخالق يكون أجمل لما فيه من رعاية حق العبودية ظاهرا حيث امسك عن الشكوى الى الخلق وباطنا حيث قصر الشكوى على الخالق والتفويض جميل والشكوى اليه أجمل انتهى: قال الشيخ عمر بن الفارض قدس سره فى تائيته

ويحسن اظهار التجلد للقوى ... ويقبح غير العجز عند الاحبة

اى لا يحسن اظهار التجلد والصبر على صدمات المحن مطلقا بل يحسن للاعادى كما اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفار فى غزواته ومناسكه. واما عند الاحبة فلا يحسن الا العجز لان اظهار التجلد عندهم قبيح جدا كما أظهره سمنون فى بعض مناجاته وقال

وليس لى فى سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرنى

فادب بتسليط عسر البول عليه فاعترف بعجزه وطاف فى سكك بغداد يستأجر الصبيان وبأمرهم ان ادعوا عمكم الكذاب فقير وخسته بديۆاهت آمدم رحمى وقال بعضهم الصبر الجميل تلقى البلاء بقلب رحيب ووجه مستبشر وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وذلك لان الموحد الحقيقي يطوى بساط الوسائط والأسباب فلا يرى التأثير الا من الله تعالى فى كل باب مع **ان التغافل من** اخلاق الكرام والعفو والصفح وقبول العذر من ديدن الأخيار

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... ان بر عندك فيما قال او فجرا

والله المستعان اى المطلوب منه العون وهو إنشاء الاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون من شأن يوسف وبيان كونه كذبا واظهار سلامته كأنه علم منهم الكذب قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون قال البيضاوي هذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح انتهى وذلك لانهم قالوا لا دليل على امتناع صدور الكبيرة من الأنبياء قبل الوحى

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٣٥/٢

وقوله ان صح يدل على الشك فى صحة استنبائهم وأصاب فى ذلك لان الأنبياء محفوظون قبل نبوتهم كما انهم معصومون بعدها من الأمور الموجبة للنفرة الغير اللائقة بشأنهم وليس هم يوسف كما سيأتى من قبيل ما صدر من اخوته من الحسد وضربه والقائه فى الجب بالفعل والكذب عمدا من غير تأويل. واما قوله تعالى ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب." (١)

"كه بازار چندانكه آكنده تر ... تهى دست را دل پراكنده تر

كسى راكه حسن عمل بيشتر ... بدرگاه حق منزلت پيشتر

قال فى التأويلات النجمية يعنى اهل الغفلة فى الدنيا هم اهل الخسارة فى الآخرة وفيه اشارة اخرى وهى **ان التغافل بالأعضاء** عن العبودية تورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية انتهى قال بعض الأكابر ولا حجاب الا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس فى وسط السماء وتعاينها قال وهب بن منبه خلق ابن آدم ذا غفلة ولولا ذلك ما هنئ عيشه: وفى المثنوى

استن اين عالم اى جان غفلتست ... هوشيارى اين جهانرا آفتست

هوشيارى زان جهانست و چون آن ... غالب آمد پست كردد اين جهان

هوشيارى آفتاب وحرص يخ ... هوشيارى آب واين عالم وسخ «١»

اللهم اجعلنا من اهل اليقظة والانتباه ولا تجعلنا ممن اتخذ الهه هواه وشرفنا بمقامات المكاشفين العارفين وأوصلنا الى حقيقة اليقين والتحقيق والتمكين انك أنت النصير والمعين ثم إن ربك قال قتادة ذكر لنا انه لما انزل الله تعالى ان اهل مكة لا يقبل منهم الإسلام حتى يهاجروا كتب بها اهل المدينة الى أصحابهم من اهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزل الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على ان يخرجوا فان لحقهم المشركون من اهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا او يلحقوا بالله فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله تعالى هذه الآية كذا فى اسباب النزول للواحدى. وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة كذا فى الإرشاد للذين هاجروا الى دار الإسلام وهم عمار وصهيب وخباب وسالم وبلال ونحوهم. واللام متعلقة بالخبر وهو الغفور على نية التأخير وان الثانية تأكيد للاولى لطول الكلام من بعد ما فتنوا اى عذبوا على الارتداد واكرهوا على تلفظ كلمة الكفر فتلفظوا بما يرضيهم اى الكفرة مع اطمئنان قلوبهم ثم جاهدوا فى سبيل الله وصبروا على مشاق الجهاد إن ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر لغفور بما فعلوا من قبل اى لستور عليهم محاء لما صدر منهم رحيم منعم عليهم من بعد بالجنة جزاء على تلك الافعال الحميدة والخصال المرضية واعلم ان المهاجرة مفاعلة من الهجرة وهى الانتقال من ارض الى ارض والمجاهدة مفاعلة من الجهد وهو استفراغ الوسع وبذل المجهود قال فى التعريفات المجاهدة فى اللغة المحاربة وفى الشرع محاربة النفس الامارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب فى الشرع انتهى وكل من المهاجرة الصورية والمعنوية وكذا المجاهدة مقبولة مرضية إذ من كان فى ارض لا يقيم فيها شعائر دينه وأهلها ظالمون فهاجر منها لدينه ولو شبرا وجبت له الجنة ومن

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٢٢٧

فارق موطن النفس والمألوفات وحارب الأعداء الباطنة وجبت له القربة ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء وعن عمر بن الفارض

---

(١) در اواسط دفتر يكم در بيان پرسيدن عائشه كه يا رسول الله سر باران امروز چه بود." (١)

"وفى التأويلات النجمية إذا انتهت حوائجكم فاخرجوا ولا تتغافلوا ولا يمنعكم حسن خلقه من حسن الأدب ولا يحملنكم فرط احتشامه على الإبرام عليه وكان حسن خلقه جسرهم على المباسطة معه حتى انزل الله هذه الآية إن ذلكم اى الاستئناس بعد الاكل الدال على اللبث كان يؤذي النبي [مى رنجاند وآزرده كند پيغمبر را] لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وأشغاله فيما لا يعنيه. والأذى ما يصل الى الإنسان من ضرر اما فى نفسه او فى جسمه او فتياته دنيويا كان او أخرويا فيستحيي منكم محمول على حذف المضاف اى من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعى ان يكون المستحيي منه امرا حقا متعلقا بهم لانفسهم وما ذلك الا إخراجهم. يعنى ان إخراجكم حق فينبغى ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه الله ترك الحي وأمركم بالخروج والتعبير عن عدم الترك بعدم الاستحياء للمشاكلة وكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات اغضاء **وهو التغافل عما** يكره الإنسان بطبيعته. والحياء رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله قال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك- روى- ان الله تعالى يستحيي من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه فليس يراد به انقباض النفس إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك وانما المراد به ترك تعذيبه وعلى هذا ما روى ان الله تعالى حى اى تارك للمقابح فاعل للمحاسن ثم فى الآية تأديب للثقلاء قال الأحنف نزل قوله تعالى (فإذا طعمتم فانتشروا) فى حق الثقلاء فينبغى للضيف ان لا يجعل نفسه ثقيلا بل يخفف الجلوس وكذا حال العائد فان عيادة المرضى لحظة قيل للاعمش ما الذي اعمش عينيك قال النظر الى الثقلاء قيل

إذا دخل الثقيل بأرض قوم ... فما للساكنين سوى الرحيل

وقيل مجالسة الثقيل حمى الروح وقيل لأنوشروان ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل ولا يحمل مجالسة الثقيل قال يحمل الحمل بجميع الأعضاء والثقيل تنفرد به الروح. قيل من حق العاقل الداخل على الكرام قلة الكلام وسرعة القيام. ومن علامة الأحمق الجلوس فوق القدر والمجيء فى غير الوقت. وقد قالوا إذا اتى باب أخيه المسلم يستأذن ثلاثا ويقول فى كل مرة السلام عليكم يا اهل البيت ثم يقول أيدخل فلان ويمكث بعد كل مرة مقدار ما يفرغ الآكل من أكله ومقدار ما يفرغ المتوضئ من وضوئه والمصلى بأربع ركعات من صلاته فان اذن دخل وخفف وإلا رجع سالما عن الحقد والعداوة. ولا يجب الاستئذان على من أرسل اليه صاحب البيت رسولا فاتى بدعوته قال فى كشف الاسرار [ادب نهايت قال است وبدايت حال حق جل جلاله أول مصطفى را عليه السلام بأدب بيارست پس بخلق فرستاد: كما قال (أدبني ربى فاحسن تأديبى) . عام را هر عضوى از اعضاى ظاهر ادبى بايد والا هالكند. وخاص را هر عضوى از اعضاى باطن ادبى بايد والا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨٦/٥

هالكند. وخاص الخاص در همه اوقات ادب بايد قال المولى الجامى

أدبوا النفس ايها الأحباب ... طرق العشق كلها آداب." (١)

"الإشارة: تعظيم الرسول عليه السلام ومدحه وذكر محاسنه، من أجل القربات وأعظم الطاعات لأن تعظيمه ناشىء عن محبته، ومحبته عقد من عقود الإيمان، لا يتم الإيمان إلا بها، والإخلال بهذا الجانب من أعظم المعاصي عند الله، ولذلك قبح كفر المنافقين واليهود، الذين كانوا يؤذون جانب النبوة، وما عابه به المنافقون في هذه الآية هو عين الكمال عند أهل الكمال.

قال القشيري: عابوه بما هو أماره كرمه، ودلالة فضله، فقالوا: إنه لحسن خلقه، يسمع ما يقال له، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن غر كريم، والمنافق خب لئيم» «١» . قالوا: من الفاضل؟ قالوا: الفطن المتغافل، وأنشدوا:

وإذا الكريم أتيته بخديعة ... فرأيته فيما تروم يسارع

فاعلم بأنك لم تخادع جاهلا ... إن الكريم- بفضله- يتخادع «٢» . هـ.

وكل ولي يتخلق بهذا الخلق السني الذي **هو التغافل والانخداع** في الله، وكان عبد الله بن عمر يقول: (من خدعنا في الله انخدعنا له) . ورأى سيدنا عيسى عليه السلام رجلا يسرق، فقال له: سرقت يا فلان؟ فقال: والله ما سرقت، فقال عليه السلام: (آمنت بالله وكذبت عيني) . فمن أخلاق الصوفي أن يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، كيفا كانوا، ورحمة للذين آمنوا، فمن آذى من هذا وصفه فله عذاب أليم. وبالله التوفيق.

ومن مساوئ المنافقين أيضا: أنهم يرضون الناس بسخط الله، كما أبان ذلك الحق تعالى بقوله:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٦٢ الى ٦٣]

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (٦٢) ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم (٦٣)

قلت: إنما وحد الضمير في (يرضوه) إما لأن رضى أحدهما رضى الآخر، فكأنهما شيء واحد، أو لأن الكلام إنما هو فى إيذاء الرسول- عليه الصلاة والسلام- وإرضائه، فذكر الله تعظيما لجانب الرسول، أو لأن التقدير: والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك فهما جملتان. والضمير في (أنه من يحادد) : ضمير الشأن، و (فأن) : إما تأكيد

---

(١) أخرجه أبو داود فى (الأدب، باب فى حسن العشرة) والترمذي فى (البر والصلة، باب ما جاء فى البخيل) عن أبي هريرة، بلفظ: «الفاجر» بدل المنافق.

(٢) البيتان منسوبان إلى عبد المجيد بن إسماعيل الرومي، راجع النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٢.." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٧/٢١٤

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٣٩٩

"الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور، المؤمنات المتصفات بالإيمان بكل ما يجب الإيمان به، إيمانا حقيقيا لا يخالجه شيء مما يكدره. عن ابن عباس: هن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: جميع المؤمنات إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وقيل: أريدت عائشة وحدها، وإنما جمع لأن من قذف واحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قذفهن.

ثم ذكر الوعيد، فقال: لعنوا في الدنيا والآخرة، حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبدا، ولهم مع ذلك عذاب عظيم، هائل لا يقادر قدره لعظم ما اقترفوه من الجناية، إن لم يتوبوا، فيعذبون.

يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون أي: بما أفكوا وبهتوا يومئذ يوفيهم الله دينهم أي: يوم تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يوفيهم الله جزاءهم الحق أي: الثابت الذي يحق أن يثبت لهم لا محالة، أو الذي هم أهله، والحق: صفة لدينهم، أو لله، ونصب على المدح. ويعلمون عند ذلك أن الله هو الحق الثابت الواجب الوجود المبين الظاهر البين لارتفاع الشكوك، وحصول العلم الضروري لارتفاع الغطاء بظهور ما كان وعدا غيبا.

ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في إفك عائشة- رضى الله عنها- فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل، وأجمل، وأكد، وكرر، وما ذلك إلا لأمر عظيم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: (من أذنب ذنبا وتاب قبلت توبته، إلا من خاض في أمر عائشة- رضى الله عنها) «١» ، وهذا منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك، وقد برأ الله تعالى أربعة برأ يوسف بشاهد من أهلها، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه: أنه آدر، بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم بنطق ولدها، وعائشة بهذه الآي العظام في كتابه المعجز، المتلو على وجود الدهر، بهذه المبالغات. فانظر: كم بينها وبين تبرئة أولئك؟! وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسوله، والتنبيه على إنافة محله «٢» صلى الله عليه وسلم.

وقد رام بعض النصارى الطعن على المسلمين بقضية الإفك، فقال: كيف تبقى زوجة نبيكم مع رجل أجنبي؟

فقال له، من كان يناظره من العلماء: قد برأها من برأ أم نبيكم، فبهت الذي كفر. والله تعالى أعلم.

الإشارة: قد مدح الله تعالى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أوصاف، هي من أكمل الأوصاف: العفة، والتغافل، وتحقيق الإيمان أما العفة: فهي حفظ القلب من دخول الهوى، والجوارح من معاصي المولى، وأما التغافل: فهو

(١) عزاه الهيثمي فى المجمع (٦/ ٨٠) للطرانى بأسانيد.

(٢) أي: علو مقامه وارتفاعه.." (١)

"الاستغراق في سكر بحر الحقيقة، تبتغي مرضاة بقاء نفسك، والشعور بوجودها. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: " لي وقت لا يسعني فيه غير ربي " وكان يقول لعائشة حين يغلب عليه السكر والاضمحلال في الحق: "كلميني حركيني يا حميراء " وكذلك القلب إذا غلب عليه الوجد، وخاف من الاصطلام، أو من محق البشرية، يطلب من يبرد عليه من نفسه

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢٥

أو من غيره، وقد سمعت من شيخ شيخنا رضي الله عنه أنه قال: كان يغلب علي الوجد والسكر، فكنت أذهب إلى مجالسة العوام ليبرد علي الحال، خوفا من الاصطلام أو المحق، وذلك بعد وفاة شيخه.

وقوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ أي: فلا يؤاخذ العبد بهذا الميل اليسير إلى الحس، دواء لنفسه، قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم، أي: الميل اليسير إلى الرفق بالنفس؛ لأنها مطية القلب، بمجاهدتها يصل إلى كعبة الوصول، وهي حضرة الرب. وبالله التوفيق.

يقول الحق جل جلاله: ﴿وإذ أسر﴾ أي: واذكر أيها السامع حين أسر ﴿النبي إلى بعض أزواجه﴾ يعني حفصة ﴿حديثا﴾ ؛ حديث تحريم مارية، أو العسل، أو إمامة الشيخين، ﴿فلما نبأت به﴾ أي: أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته، فحذف المفعول، وهو عائشة، ﴿وأظهره الله عليه﴾ أي: أطلع الله تعالى نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على إفشاء حفصة على لسان جبريل عليه السلام، أو: أظهر الله عليه الحديث، من الظهور، ﴿عرف بعضه﴾ أي: عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض الحديث الذي أفشته، قيل: هو حديث الإمامة، روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لها: " ألم أقل لك اكتمي علي "؟ قالت: " والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي " فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها أباها.

﴿وأعرض عن بعض﴾ فلم يخبرها تكرما. قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام، وقال الحسن: ما استقصى كريم قط. وقرأ الكسائي: " عرف " بالتخفيف، أي:." (١)

"قيل التقدير الأمر كذلك وجملة اتتك في مقام التعليل.

وكذلك نجزي اى نجزى جزاء مثل ذلك الجزاء من أسرف يعنى أضاع عمره بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة في نار جهنم أشد وأبقى (١٢٧) من ضنك العيش والعمى وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا إلخ.

أفلم يهد لهم الضمير المرفوع راجع الى الهدى والمراد منه الكتاب او الرسول- او الى الله تعالى المذكور في قوله تعالى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه وعلى هذا في الكلام التفات من التكلم الى الغيبة- ويؤيد هذا التأويل قرأة افلم نهدلهم بالنون على صيغة المتكلم- والمعنى اولم يهد لهم الله او القرآن او الرسول يعنى لكفار مكة- الاستفهام للانكار يعنى هداهم الى صراط مستقيم فاستحبوا العمى على الهدى والفاء للتعقيب معطوف على محذوف تقديره الم يبين لهم فلم يهد لهم انكار لعدم الهداية بعد البيان لفظا وفي المعنى انكار لعدم اهتدائهم بعد الهداية وقيل افلم يهد لهم معطوف على مضمون الكلام السابق فانه تعالى ذكر حال المؤمنين بقوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وحال الكفار بقوله ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا فقال بين الله لهم فيما تلونا حال الفريقين الم يتبين لهم فلم يهد لهم- وقيل لم يهد مسند الى ما دل قوله تعالى كم أهلكنا كم خبرية اى أهلكنا كثيرا قبلهم من القرون اى أهلكنا القرون السابقة او مسند الى الجملة بمضمونها يعنى الم يهد لهم إهلاكنا القرون يمشون في مساكنهم حال من القرون يعنى أهلكناهم ماشين في مساكنهم- او حال من

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٨٢/٧

الضمير المجرور في لهم على تقدير اسناد الفعل الى مضمون جملة كم أهلكنا يعنى أفلم يهد لكفار مكة حال كونهم ماشين في مساكن القرون الماضية إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) اى لذوى العقول الناهية **عن التغافل والتعامي**-.

ولولا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بتأخير عذاب كفار هذه الامة الى يوم القيمة- وعدم استيصالهم في الدنيا لكون النبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"يتناوله يقينا، فلا يجوز جعل تحلة الأيمان لغير المذكور قبلها، ويخرج المذكور عن حكم التحلة التي قصد ذكرها لأجله.

وقال في (زاد المعاد) : لا فرق بين التحريم (في غير الزوجة) بين الأمة وغيرها عند الجمهور، إلا الشافعي وحده، فإنه أوجب في تحريم الأمة خاصة، كفارة اليمين، إذ التحريم له تأثير في الأبضاع عنده، دون غيرها: وأيضا فإن سبب نزول الآية تحريم الجارية، فلا يخرج محل السبب عن الحكم، ويتعلق بغيره. ومنازعوه يقولون: النص علق فرض تحلة اليمين بتحريم الحلال، وهو أعم من تحريم الأمة وغيرها، فتجب الكفار حيث وجد سببها. وقد تقدم تحريره.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة التحريم (٦٦) : آية ٣]

وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير (٣)

وإذ أسر النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم إلى بعض أزواجه هي حفصة في قول الرواة: ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن والشعبي والضحاك- كما نقله ابن جرير- حديثا وهو تحريم فتاته في قولهم. قال ابن جرير: أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له، وقوله: لا تذكري ذلك لأحد.

فلما نبأت به أي أخبرت بالسر، صاحبتها كما تقدم، وأظهره الله عليه أي أطلعه على تحديثها به، عرف بعضه أي عرفها بعض ما أفشته معاتبا وأعرض عن بعض أي بعض الحديث تكرما، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير أي الذي لا تخفى عليه خافية.

تنبيه:

في (الإكليل) : في الآية أنه لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى من يركن إليه من زوجة أو صديق، وأنه يلزمه كتمانه. وفيها حسن المعاشرة مع الزوجات، والتلطف في العتب، والإعراض عن استقصاء الذنب.

وحكى الزمخشري عن سفيان قال: ما **زال التغافل من** فعل الكرام.

ثم أشار تعالى إلى غضبه لنبيه، صلوات الله عليه، مما أتت به من إفشاء السر إلى صاحبتها، ومن مظاهرتهما على ما يقلق راحته، وأن ذلك ذنب تجب التوبة منه، بقوله سبحانه:." (٢)

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٧٤/٦

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٧٤/٩

"﴿١٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ .

نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء (١) بالمؤمنين، فـ ﴿إن بعض الظن إثم﴾ وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

﴿ولا تجسسوا﴾ أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا (٢) المسلم على حاله، **واستعملوا التغافل عن** أحواله (٣) التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي.

-[٨٠٢]-

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه "

ثم ذكر مثلا منفرا عن الغيبة، فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ شبه أكل لحمه ميتا، المكروه للنفوس [غاية الكراهة] ، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصا إذا كان ميتا، فاقد الروح، فكذلك، [فلتكرهوا] غيبته، وأكل لحمه حيا.

﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

---

(١) في ب: السيء.

(٢) في ب: ودعوا.

(٣) في ب: عن زلاته.." (١)

"ولا يجوز أن يكون المراد ب أعداء الله جميع الكفار من الأمم بحيث يدخل المشركون من قريش دخول البعض في العموم لأن ذلك

المحمل لا يكون له موقع رشيق في المقام لأن الغرض من ذكر ما أصاب عادا وثمود هو تهديد مشركي مكة بحلول عذاب مثله في الدنيا لأنهم قد علموه ورأوا آثاره فللتهديد بمثله موقع لا **يسعهم التغافل عنه**، وأما عذاب عاد وثمود في الآخرة فهو موعود به في المستقبل وهم لا يؤمنون به فلا يناسب أن يجعل موعظة لقريش بل الأجدر أن يقع إنذار قريش رأسا بعذاب يعذبونه في الآخرة، ولذلك أطيل وصفه لتهويله ما لم يطل بمثله حين التعرض لعذاب عاد في الآخرة بقوله: ولعذاب الآخرة أخزى [فصلت: ١٦] المكتفى به عن ذكر عذاب ثمود. ولهذا فليس في قوله: أعداء الله إظهار في مقام الإضمار من ضمير

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٨٠١

عاد وثمود.

ويجوز أن يكون ويوم نحشر أعداء الله مفعولا لفعل (واذكر) محذوفا مثل نظائره الكثيرة. والحشر: جمع الناس في مكان لمقصد.

ويتعلق قوله: إلى النار ب نحشر لتضمين نحشر معنى: نرسل، أي نرسلهم إلى النار.

والفاء في قوله: فهم يوزعون عطف وتفريع على نحشر لأن الحشر يقتضي الوزع إذ هو من لوازمه عرفا، إذ الحشر يستلزم كثرة عدد المحشورين وكثرة العدد تستلزم الاختلاط وتداخل بعضهم في بعض فلا غنى لهم عن الوزع لتصفيفهم ورد بعضهم عن بعض. والوزع: كف بعضهم عن بعض ومنعهم من الفوضى، وتقدم في سورة النمل [١٧] ، وهو كناية عن كثرة المحشورين.

وقرأ نافع ويعقوب نحشر بنون العظمة مبنيا للفاعل ونصب أعداء. وقرأه الباقون بياء الغائب مبنيا للنائب.

وحتى ابتدائية وهي مفيدة لمعنى الغاية فهي حرف انتهاء في المعنى وحرف." (١)

"والعرض هنا كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض، وهو دلالته إياهم على تجارة نافعة. وألفاظ الاستفهام تخرج عنه إلى معان كثيرة هي من ملازمات الاستفهام كما نبه عليه السكاكي في «المفتاح» ، وهي غير منحصرة فيما ذكره.

وجيء بفعل أدلكم لإفادة ما يذكر بعده من الأشياء التي لا يهتدى إليها بسهولة.

وأطلق على العمل الصالح لفظ التجارة على سبيل الاستعارة لمشابهة العمل الصالح التجارة في طلب النفع من ذلك العمل ومزاولته والكد فيه، وقد تقدم في قوله تعالى:

فما ربحت تجارتهم في سورة البقرة [١٦] .

ووصف التجارة بأنها تنجي من عذاب أليم، تجريد للاستعارة لقصد الصراحة بهذه الفائدة لأهميتها وليس الإنجاء من العذاب من شأن التجارة فهو من مناسبات المعنى الحقيقي للعمل الصالح.

وجملة تؤمنون بالله ورسوله مستأنفة استئنافا بيانيا لأن ذكر الدلالة مجمل والتشويق الذي سبقها مما يثير في أنفس السامعين التساؤل عن هذا الذي تدلنا عليه وعن هذه التجارة.

وإذ قد كان الخطاب لقوم مؤمنين فإن فعل تؤمنون بالله مع وتجاهدون مراد به تجمعون بين الإيمان بالله ورسوله وبين الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم تنويها بشأن الجهاد. وفي التعبير بالمضارع إفادة الأمر بالدوام على الإيمان وتجديده في كل آن، وذلك تعريض بالمنافقين وتحذير **من التغافل عن** ملازمة الإيمان وشؤونه.

وأما وتجاهدون فإنه لإرادة تجدد الجهاد إذا استنفروا إليه.

ومجيء يغفر مجزوما تنبيه على أن تؤمنون وتجاهدون وإن جاءا في صيغة الخبر فالمراد الأمر لأن الجزم إنما يكون في جواب

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٦٥/٢٤

الطلب لا في جواب الخبر. قاله المبرد والزمخشري.

وقال الفراء: جزم يغفر لأنه جواب هل أدلكم، أي لأن متعلق." (١)

"غيره فيغلبه الغير ويكشف أمره.

فالإظهار هنا من الظهور بمعنى الانتصار. وليس هو من الظهور ضد الخفاء، لأنه لا يتعدى بحرف (على) .

وضمير عليه عائد إلى الإنباء المأخوذ من نبأت به أو على الحديث بتقدير مضاف يدل عليه قوله: نبأت به تقديره: أظهره الله على إفشائه.

وهذا تنبيه إلى عناية الله برسوله صلى الله عليه وسلم وانتصاره له لأن إطلاعه على ما لا علم له به مما يهمه، عناية ونصح له.

وهذا حاصل المعنى الثالث من المعاني التي اشتملت عليها الآيات وذكرناها آنفا.

ومعفول عرف الأول محذوف لدلالة الكلام عليه، أي عرفها بعضه، أي بعض ما أطلعه الله عليه، وأعرض عن تعريفها ببعضه. والحديث يحتوي على أشياء: اختلاء النبيء بسريته مارية، وتحريمها على نفسه، وتناوله العسل في بيت زينب، وتحريمه العودة إلى مثل ذلك، وربما قد تخلل ذلك كلام في وصف عثور حفصة على ذلك بغتة، أو في التطاول بأنها استطاعت أن تريحهن من ميله إلى مارية. وإنما عرفها النبيء صلى الله عليه وسلم بذلك ليوقفها على مخالفتها واجب الأدب من حفظ سر زوجها.

وهذا هو المعنى الرابع من المعاني التي سبقت إشارتي إليها.

وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه صلى الله عليه وسلم في معاتبة المفشية وتأديبها إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعض ما أفشته فتوقن أن الله يغار عليه.

قال سفيان: ما **زال التغافل من** فعل الكرام، وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، وما زاد على المقصود بقلب العتاب من عتاب إلى تقريع.

وهذا المعنى الخامس من مقاصد ذكر هذا الحديث كما أشرنا إليه آنفا.

وقولها: من أنبأك هذا يدل على ثقتها بأن عائشة لا تفشي سرها وعلمت أنه لا قبل للرسول صلى الله عليه وسلم بعلم ذلك إلا من قبل عائشة أو من طريق الوحي فرامت التحقق من أحد الاحتمالين.." (٢)

"أراد فاهنئي. ويطلق تارة على لازمه من عدم الرؤية فيدل على التسامح في الأمر المكروه كقول الطرماح:

لم يفتنا بالوتر قوم وللض ... يم رجال يرضون بالإغماض

فإذا أرادوا المبالغة **في التغافل عن** المكروه الشديد قالوا أغمض عينه على قذى وذلك لأن إغماض الجفن مع وجود القذى

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٩٤/٢٨

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٥٣/٢٨

في العين. لقصد الراحة من تحرك القذى، قال عبد العزيز بن زرارة الكلائي (١) :
وأغمضت الجفون على قذاها ... ولم أسمع إلى قال وقيل
والاستثناء في قوله: إلا أن تغمضوا فيه على الوجه الأول من جعل الكلام إخبارا، هو تقييد للنفي. وأما على الوجه الثاني من جعل النفي بمعنى النهي فهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده أما لا تأخذوه إلا إذا تغاضيتم عن النهي وتجاهلتموه.
وقوله: واعلموا أن الله غني حميد تذييل، أي غني عن صدقاتكم التي لا تنفع الفقراء، أو التي فيها استساغة الحرام. حميد، أي شاكر لمن تصدق صدقة طيبة. وافتتحه باعلموا للاهتمام بالخبر كما تقدم عند قوله تعالى: واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه [البقرة: ٢٢٣] ، أو نزل المخاطبون الذين نهوا عن الإنفاق من الخبيث منزلة من لا يعلم أن الله
غني فأعطوا لوجهه ما يقبله المحتاج بكل حال ولم يعلموا أنه يحمد من يعطي لوجهه من طيب الكسب.
والغني الذي لا يحتاج إلى ما تكثر حاجة غالب الناس إليه، ولله الغنى المطلق فلا يعطى لأجله ولامتثال أمره إلا خير ما يعطيه أحد للغني عن المال.
والحميد من أمثلة المبالغة، أي شديد الحمد لأنه يثني على فاعلي الخيرات.
ويجوز أن يكون المراد أنه محمود، فيكون حميد بمعنى مفعول، أي فتخلقوا بذلك لأن صفات الله تعالى كمالات، فكونوا أغنياء القلوب عن الشح محمودين على صدقاتكم، ولا تعطوا صدقات تؤذن بالشح ولا تشكرون عليها.
[٢٦٨]

(١) الكلائي نسبة إلى الكلاء بوزن جبار محلة بالبصرة قرب الشاطئ. والكلاء الشاطي. وهذه الأبيات قالها بعد أن مكث عاما بباب معاوية لم يؤذن له ثم أذن له وأدناه وأولاه مصر، وقبله:
دخلت على معاوية بن حرب ... ولكن بعد يأس من دخول

وما نلت الدخول عليه حتى ... حللت محلة الرجل الذليل." (١)
"وكان إغراقهم انتقاما من الله لذاته لأنهم جحدوا انفراد الله بالإلهية، أو جحدوا إلاهيته أصلا، وانتقاما أيضا لبني إسرائيل لأن فرعون وقومه ظلموا بني إسرائيل وأذلوهم واستعبدوهم باطلا.
والإغراق: الإلقاء في الماء المستبحر الذي يغمر الملقى فلا يترك له تنفسا، وهو بيان للانتقام وتفصيل لمجمله، فالفاء في قوله: فأغرقناهم للترتيب الذكري، وهو عطف مفصل على مجمل كما في قوله تعالى: فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم [البقرة: ٥٤] .
وحمل صاحب «الكشاف» الفعل المعطوف عليه هنا على معنى العزم فيكون المعنى:
فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم، وقد تقدم تحقيقه عند قوله تعالى: فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم في سورة البقرة [٥٤] .

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٥٨/٣

واليم: البحر والنهر العظيم، قيل هو كلمة عربية. وهو صنيع «الكشاف» إذ جعله مشتقا من التيمم لأنه يقصد للمنتفعين به، وقال بعض اللغويين: هو معرب عن السريانية وأصله فيها (يما) وقال شيدلة: هو من القبطية، وقال ابن الجوزي: هو من العبرية، ولعله موجود في هذه اللغات. ولعل أصله عربي وأخذته لغات أخرى سامية من العربية والمراد به هنا بحر القلزم، المسمى في التوراة بحر سوف، وهو البحر الأحمر. وقد أطلق (اليم) على نهر النيل في قوله تعالى: أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم [طه: ٣٩] وقوله:

فإذا خفت عليه فألقيه في اليم [القصص: ٧] ، فالتعريف في قوله: اليم هنا تعريف العهد الذهني عند علماء المعاني المعروف بتعريف الجنس عند النحاة إذ ليس في العبرة

اهتمام ببحر مخصوص ولكن بفرد من هذا النوع.

وقد أغرق فرعون وجنده في البحر الأحمر حين لحق بني إسرائيل يريد صدهم عن الخروج من أرض مصر، وتقدمت الإشارة إلى ذلك في سورة البقرة وسيأتي تفصيله عند قوله تعالى: حتى إذا أدركه الغرق في سورة يونس [٩٠] .

والباء في بأنهم للسببية، أي: أغرقناهم جزاء على تكذيبهم بالآيات.

والغفلة ذهول الذهن عن تذكر شيء، وتقدمت في قوله تعالى: وإن كنا عن دراستهم لغافلين في سورة الأنعام [١٥٦] ، وأريد بها التغافل عن عمد وهو الإعراض عن التفكر في الآيات، وإباية النظر في دلالتها على صدق موسى، فإطلاق الغفلة على هذا مجاز،." (١)

"فالمراد بالإظهار: الاطلاع، وهو مشتق من الظهور بمعنى التغلب.

وعبر بالإظهار عن الاطلاع، لأن حفصة وعائشة كانتا حريصتين على عدم معرفة ما دار بينهما في هذا الشأن، فلما أطلع الله- تعالى- نبيه على ذلك كانتا بمنزلة من غلبتا على أمرهما.

وقوله- سبحانه-: عرف بعضه وأعرض عن بعض بيان للمسلك السامي الذي سلكه صلى الله عليه وسلم في معاتبته لحفصة على إفشائها لما أمرها أن تكتمه والمفعول الأول لعرف محذوف أى: عرفها بعضه.

أى: فحين خاطب صلى الله عليه وسلم حفصة في شأن الحديث الذي أفشته، اكتفى بالإشارة إلى جانب منه، ولم يذكر لها تفاصيل ما قاله لها سابقا. لسمو أخلاقه صلى الله عليه وسلم إذ في ذكر التفاصيل مزيد من الخجل والإحراج لها.

قال بعضهم: ما زال التغافل من فعل الكرام وما استقصى كريم قط وقال الشاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

وإنما عرفها صلى الله عليه وسلم ببعض الحديث، ليوقفها على خطئها وعلى أنه كان من الواجب عليها أن تحفظ سره صلى الله عليه وسلم.

قالوا: ولعل حفصة رضى الله عنها- قد فعلت ذلك، ظنا منها أنه لا حرج في إخبار عائشة بذلك، أو أنها اجتهدت فأخطأت، ثم تابت وندمت على خطئها.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٧٥/٩

ثم حكى- سبحانه- ما قالته حفصة للرسول صلى الله عليه وسلم وما رد به عليها فقال: فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير.

أى: فلما سمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه قد اطلع على ما قالته لعائشة، قالت له: من أخبرك بما دار بيني وبينها؟ فأجابها صلى الله عليه وسلم بقوله: أخبرنى بذلك الله- تعالى- العليم بجميع أحوال عباده وتصرفاتهم.. الخبير بما تكنه الصدور، وبما يدور في النفوس من هواجس وخواطر.

وإنما قالت له صلى الله عليه وسلم: من أنبأك هذا لتتأكد من أن عائشة لم تخبره صلى الله عليه وسلم بما دار بينهما في هذا الشأن ... فلما قال لها صلى الله عليه وسلم: نبأني العليم الخبير تحقق ظنها في كتمان عائشة لما قالته لها، وتيقنت أن الذي أخبره بذلك هو الله- عز وجل-.

وفي تذييل الآية الكريمة بقوله: العليم الخبير إشارة حكيمة وتنبيه بليغ، إلى أن من الواجب على كل عاقل، أن يكون ملتزما لكتمان الأسرار التي يؤتمن عليها، وأن إذاعتها- ولو في أضيق الحدود- لا تخفى على الله- عز وجل- لأنه- سبحانه- عليم بكل معلوم،." (١)

"غطاه، والمقصود بالغاشية يوم القيامة، ووصف يوم القيامة بذلك، لأنه يغشى الناس بأهواله وشدائده، ويغطى عقولهم عن التفكير في أى شيء سواه.

والمعنى: هل بلغك- أيها الرسول الكريم أو أيها المخاطب- حديث يوم القيامة، الذي يغشى الناس بأحواله المفزعة، ويعمهم بشدائده.. إن كان لم يأتك فهذا خبره، وتلك هي أقسام الناس فيه.

وافتتاح السورة بهذا الافتتاح- بجانب ما فيه من تشويق- يدل على أهمية هذا الخبر، وأنه من الأخبار التي ينبغي الاستعداد لما اشتملت عليه من معاني لا **يصح التغافل عنها**.

ثم فصل- سبحانه- أحوال الناس في هذا اليوم فقال: وجوه يومئذ خاشعة.

قال الشوكاني: الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ما هو؟ أو مستأنفة استئنافا نحويا، لبيان ما تضمنته من كون ثم وجوه في ذلك اليوم متصفة بهذه الصفة المذكورة، و «وجوه» مرتفع على الابتداء- وإن كانت نكرة- لوقوعه في مقام التفصيل..

والتنوين في «يومئذ» عوض عن المضاف إليه. أى: يوم غشيان الغاشية.

والخاشعة: الذليلة الخاضعة، وكل متضائل ساكن يقال له خاشع.. «١» .

والمراد بالوجوه: أصحابها، من باب التعبير عن الكل بالبعض، وخصت الوجوه بالذكر، لأنها أشرف أعضاء الإنسان، ولأنها هي التي تظهر عليها الآثار المختلفة من حزن أو فرح. أى: وجوه في يوم قيام الساعة، تكون خاشعة ذليلة، تبدو عليها آثار الهوان والانتكاس والخزي، كما قال- تعالى-: وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ...

وهذه الوجوه- أيضا- من صفاتها أنها عاملة ناصبة أى: مكلفة بالعمل الشاق المرهق الذي تنصب له الوجوه في هذا اليوم،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١٤/٤٧٠

وتتعب تعبا ما عليه من مزيد، كجر السلاسل، وحمل الأغلال، والخوض في النار.

فقوله: عاملة اسم فاعل من العمل، والمراد به هنا: العمل الشاق المهين.

وقوله: ناصبة من النصب، بمعنى: التعب والإعياء يقال: نصب فلان بكسر الصاد- كفرح- ينصب نصبا، إذا تعب في عمله تعبا شديدا.

وفي هذه الصفات زيادة توبيخ لأهل النار، لأنهم لما تركوا في الدنيا الخشوع لله- تعالى-

---

(١) تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٤٢٨ للشوكاني.." (١)

"قال في التسهيل: يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية، وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته ﴿والله غفور رحيم﴾ أي والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة، حيث سامحك في امتناعك عن مارية، وإنما عاتبك رحمة بك، وفي هذه إشارة إلى أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب لتضييقه عليه السلام على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أنس ومتعة، وبئس ما قاله الزمخشري في أن هذا كان منه صلى الله عليه وسلم زلة لأنه حرم ما أحل الله له الخ فإن هذا القول قلة أدب مع مقام النبوة، وجهل بصفات المعصوم، فلم يكن منه صلوات الله عليه تحريم للحلال كما زعم حتى تعبتر مخالفة ومعصية، وإنما امتنع عن بعض إمائه تطييبا لخاطر بعض أزواجه، فعاتبه الله تعالى عليه رفقا به، وتنويها بقدره، وإجلالا لمنصبه عليه السلام أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه، جريا على ما ألف من لطف الله تعالى به ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أي قد شرع الله لكم يا معشر المؤمنين ما تتحللون به من أيمانكم وذلك بالكفارة ﴿والله مولاكم﴾ أي والله وليكم ونارصكم ﴿وهو العليم الحكيم﴾ أي وهو العليم بخلقه الحكيم في صنعه، فلا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

. ثم شرع تعالى في بيان القصة التي حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض زوجاته فقال ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا﴾ أي واذكر حين أسر النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى زوجاته حفصة خبرا واستكتمها إياه قال ابن عباس: هو ما أسر إلى حفصة من تحريم الجارية على نفسه، كما أخبرها بأن الخلافة بعده تكون في أبي بكر وعمر، وطلب منها ألا تخبر بذلك أحدا ﴿فلما نبأت به﴾ أي فلما أخبرت بذلك السر عائشة وأفشته لها ﴿وأظهره الله عليه﴾ أي وأطلع الله نبيه بواسطة جبريل الامين على إفشائها للسر ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾ أي أعلمها وأخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الحديث الذي أفشته معاتبا لها، ولم يخبرها بجميع ما حصل منها حياء منه وكرما، فإن من عادة الفضلات التغافل عن الزلات، والتقصير في اللوم والعتاب قال الحسن: ما استقصى كريم قط، وقال سفيان: ما زال التغافل من شيم الكرام قال الخازن: المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم مارية على نفسه، وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه صلى الله عليه وسلم كره أن ينتشر ذلك في الناس ﴿فلما نبأها به﴾ أي فلما أخبر الرسول حفصة بأنها قد أفشت سره ﴿قالت من أنبأك هذا﴾ أي قالت: من أخبرك يا رسول الله بأني أفشيت

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٧٣/١٥

سرك؟ قال أبو حيان: ظنت حفصة أن عائشة فضحتها وكانتك قد استكتمتها فقالت من أنبأك هذا على سبيل التثبيت، فأخبرها أن الله جل وعلا هو الذي نبأه به فسكتت وسلمت ﴿قال نبأني العليم الخبير﴾ أي فقال عليه السلام: أخبرني بذلك رب العزة، العليم بسرائر." (١)

"... وتعاهده: أي محافظته وتجديد العهد به بملازمة تلاوته.

... ٥٠٣١- مثل صاحب القرآن: أي الذي ألفه ولازمه، أي مع القرآن.

... المعلقة: أي مع إبله، والمعقلة المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير. أمسكها: استمر إمساكها. أطلقتها: عقلها.

... ٥٠٣٢- بئس ما لأحدهم أن يقول ...إلخ: هذا ذم، وسببه ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بكثرة التغافل وترك التعاهد، فإذا قال الإنسان نسيت آية كذا وكذا فقد شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم ترك الاستنكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان، قاله القرطبي، وارتضاه ابن حجر مما قيل في ذلك(١).

... الأبي: (والنهي عن قول / ذلك للتحريم، لأن بئس للذم، والذم خاصيته فعل التحريم).

... كيت وكيت: كلمتان يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والحديث الطويل.بل نسي: أي عوقب بالنسيان لتفريطه في تعاهده واستذكاره، قاله القرطبي.واستذكروا القرآن: اطلبوا من أنفسكم تذكره وتعاهده، فالسين للطلب.تفصيا: تفلتا. من النعم: أي الإبل.

... ٥٠٣٣- في عقلها: إذا انفلتت منه.

٢٤- باب القراءة على الدابة:

لراكبها، أي جوازها، وكأنه أشار إلى الرد على من كره ذلك.

... ٢٥- باب تعليم الصبيان القرآن :

... أي جوازه، بل هو حسن لأنه أدعى إلى ثبوته ورسوخه عنده، كما قيل: " التعلم في الصغر كالنقش في الحجر" (٢).

... ٥٠٣٥- قال: أي سعيد. وأنا ابن عشر سنين: استشكل هذا بأنه كان عند الوفاة النبوية ابن خمس عشرة سنة، أو أربع عشرة، أوثلاث عشرة، وأجاب القاضي بأن قوله: "وأنا ابن عشر سنين" راجع إلى حفظ القرآن، لا إلى الوفاة النبوية، فالتقدير: توفي النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد جمعت المحكم وأنا ابن عشر سنين، ففيه تقديم وتأخير، قال السيوطي: (وهو حسن)(٣).

---

(١) – انظر الفتح ٩/٩٩.

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٣٨٤

(٢) – كذلك ذكره الحافظ في الفتح ٩/١٠٣ غير منسوب.

(٣) – التوشيح ص: ٤٣٦.." [١]

"... قال العلقمي(١): (وقول شيخنا شيخ الإسلام زكرياء: " ذكر الطول ليس بقيد)هـ(٢)، فيه نظر لأن الحديث مصرح به والعلة تقتضيه) هـ، ونحوه للمناوي ولفظه: (قول الشيخ زكرياء ...إلخ غير جيد، كيف والحديث مصرح به والعلة تقتضيه)(٣).

... لا يطرق أهله: قال ابن بطال: (معنى الحديث النهي عن التجسس على الأهل، ولا تحمله غيرته على تهمتهم إذا لم يأنس منهم إلا الخير) هـ.

... مخافة أن يخونهم: ينسبهم إلى الخيانة. أو يلتمس عثراتهم: (زلاتهم بأن يجدهم على حالة غير مرضية، والشرع أمر بالستر وعدم تطلب العثرات)، قاله ابن حجر(٤)، واعترضه المناوي بقوله: (هذا غير مرضي، إذ على الإنسان شرعا وحمية وأنفة ومروءة أن يتفحص عن أهل بيته، فإن عثر على ريبة حرص على إزالة مقتضيها، ولا يقول عاقل فضلا عن فاضل أن الإنسان ينبغي **له التغافل /** عن أهل بيته، وإهمال النظر في دواخل أحوالهم ليتمكنوا من فعل ما شاءوا من ضروب الفساد، ويستمر ذلك مستورا عليه، واستكشافه لأحوالهم لا ينافي الستر المطلوب، فإنه إن رأى ريبة كتمها وفارق أهله، أو أدب سرا وحسم طريق الفساد)، هـ بلفظه.

... ٥٢٤٣- طروقا: أي بالليل، لأن الطروق لا يكون إلا ليلا لما ذكر في الترجمة، ولئلا يجدهم على غير أهبة التنظيف من البذاذة والشعث، وهذا فيمن لم يعلم مجيئه، أما من علم مجيئه وقدومه فيؤخر دخوله إلى الليل كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة، وبه يجمع بين الحديثين.

---

(١) – محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي القاهري، شمس الدين.

تتلمذ بالأزهر.

له: ملتقى البحرين بين الجمع بين كلام الشيخين، والكوكب المنير.

ترجمته في: شذرات الذهب ٨/٣٣٨، وفهرس الفهارس ٢/٢٠٦.

(٢) – تحفة الباري ٣/٢٠٤.

(٣) – فيض القدير ١/٢٨٨.

(٤) – في الفتح ٩/٤٢٥.." [٢]

" ٤٥٨ – (إذا أطال أحدكم الغيبة) في سفر أو غيره ومن قيد بالسفر فكأنه لم ينتبه لما نقله هو عن أهل اللغة الآتي على الأثر ومرجع الطول العرف (فلا يطرق) بفتح أوله وفي رواية للشيخين فلا يطرقن (أهله) أي لا يفجأ حلائله

---

(١) إتحاف القاري بدرر البخاري، ٨/٣٠

(٢) إتحاف القاري بدرر البخاري، ٨/١١٩

بالقدوم عليهم بالليل لتفويت التأهب عليهم . والطروق المجيء بالليل من سفر أو غيره من الطرق وهو الدق سمى الآتي بالليل طارقا لحاجته إلى دق الباب قالوا : ولا يقال في النهار إلا مجازا فقوله (ليلا) للتأكيد دفعا لمجاز استعمال الطرق في النهار ولا ينافيه خبر البخاري عن جابر كنا في غزوة فلما قفلنا ذهبنا لندخل فقال صلى الله عليه و سلم أمهلوا حتى تدخلوا ليلا أي عشاء لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة لأن الأمر بالدخول ليلا لمن علم أهله بقدومه فاستعدوا والنهي لمن فاجأ قبل ذلك وأفهم تقييده بالطول أنه لو قرب سفره بحيث تتوقع حليلته إتيانه فتتأهب أنه لا يكره . وبه جزم جمع منهم الطيبي وجرى عليه ابن حجر حيث قال : التقييد بطول الغيبة يشير إلى أن علة النهي إنما توجد حينئذ والحكم يدور مع علته وجودا وعدما فلما كان الذي يخرج لحاجة مثلا نهارا ويرجع ليلا لا يتأدى به له ما يحذر من الذي يطيل الغيبة لم يكن مثله أه . فقول الزين زكريا : الطول ليس بقيد غير جيد كيف والحديث مصرح به والعلة تقتضيه . قال الطيبي : وكذا لو كان في قفل أو عسكر عظيم واشتهر قدومهم تلك الليلة لزوال العلة المقتضية للكراهة وهي عدم تأهب حليلته [ص ٢٨٩] فيعافها وقول ابن حجر : أو يجدها على حالة غير مرضية والشرع أمرنا بالستر وعدم تطلب العثرات غير مرضي إذ على الإنسان شرعا وحمية وألفة ومروءة أن يتفحص عن أهل بيته فإن عثر على ريبة حرص على إزالة مقتضيها ولا يقول عاقل فضلا عن عالم فاضل أن الإنسان ينبغي **له التغافل عن** أهل بيته وإهمال النظر في دواخل أحوالهم ليتمكنوا من فعل ماشاؤوا من ضروب الفساد ويستمر ذلك مستورا عليه واستكشافه لأحوالهم لا ينافي الستر المطلوب فإنه إن رأى ريبة كتمها وفارق أهله أو أدب سرا وحسم طريق الفساد

(حم ق عن جابر) ورواه عنه أيضا أبو داود والنسائي وغيرهما ." (١)

(تخ هب عن مصعب) بضم الميم وسكون المهملة الثانية وبالموحدة (ابن شيبة) العبدي الحجبي خازن البيت قال الذهبي كابن الأثير مختلف في صحبته رمز لحسنه وفيه عبد الملك بن عمر أورده الذهبي في الضعفاء وقال قال أحمد مضطرب الحديث وابن معين مختلط لكنه اعتضد فمراده أنه حسن لغيره ." (٢)

" ٩١١ - (أربا الربا) أي أزيده إثما وأقبحه جرما (تفضيل المرء) أي زيادته (على أخيه) في الإسلام (بالشتم) أي السب والذم . قال الطيبي : أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة وجعل الربا نوعين : متعارفا وغير متعارف وهو - أي غير المتعارف - استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه بأكثر مما يستحقه ثم فضل أحد النوعين على الآخر ولما بين العرض والمال من المناسبة . وقال الغزالي : إن ذلك من الكبائر . وأخرج البيهقي عن ابن مسعود أنه جاء رجل يشكو جاره فقال : إنك إن سببت الناس سبوك وإن نافرتهم نافروك وإن تركتهم تركوك وعن سليم بن زياد : مكتوب في التوراة من لم يسالم الناس لم يسلم ومن شتم الناس شتم ومن طلب الفضل من غير أهله ندم . وقال كسرى لوزيره : ما الكرم ؟ قال **: التغافل عن** الزلل قال : فما اللوم ؟ قال : الاستقصاء على الضعيف والتجاوز عن الشديد قال : فما الحياء ؟ قال : الكف عن الخنا

---

(١) فيض القدير، ٢٨٨/١

(٢) فيض القدير، ٣٢٤/١

(ابن أبي الدنيا) واسمه يحيى (في) كتاب فضل (الصمت عن أبي نجيح مرسلا) ورواه بمعناه مسند الطبراني عن يوسف بن عبد الله بن سلام يرفعه بلفظ : أربا الربا استطالة أحدكم في عرض أخيه المسلم . قال الهيتمي : وفيه محمد بن موسى الأملي عن عمر بن يحيى ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات . ورواه أيضا أبو يعلى عن عائشة مرفوعا بلفظ : أربا الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ثم قرأ ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ قال الهيتمي : ورجاله رجال الصحيح ." (١)

" ١٩٥٦ - (إن الأمير إذا ابتغى الريبة) أي طلب الريبة أي التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيها فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا ومقصود الحديث حث الإمام **على التغافل وعدم** تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام والإنسان قل ما يسلم من عيبه فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس عليهم وعن ابن مسعود أنه قيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به قال النووي حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد على شرط الشيخين

(٢) عدوا من ثمرات سوء الظن المنهي عنه التجسس فإن القلب المريض لا يقع بالظن فيتطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس فيقع في سوء الظن بالذم

(د) في الأدب (ك) في الحدود كلاهما من رواية إسماعيل بن عياش (عن جبير بن نفير) بنون وفاء مصغرا ابن مالك الحضرمي الحمصي ثقة جليل أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم باليمن وروى عن أبي بكر وعمر ولأبيه صحبة قال في التقريب لأنه ما وفد إلا في عهد عمر وقال أبو زرعة : جبير هذا عن أبي بكر مرسل (وكثير بن مرة) الحضرمي الجهيني الحمصي قال الذهبي أورده عبدان في الصحابة وهو تابعي مشهور قد أرسل انتهى وسبقه ابن الأثير في الأسد فقال عن أبي موسى كثير هذا حديثه مرسل ولم يذكره في الصحابة غير عبدان وفي التقريب كثير ثقة من الثالثة (والمقدام وأبي أمامة) ورواه أيضا أحمد والطبراني عنهما ورجاله ثقات ذكره الهيثمي ." (٣)

" ٧٥١٥ - (لولا أن المساكين) في رواية بدله السؤال (يكذبون) في دعواهم الفاقة ومزيد الحاجة (ما أفلح من ردهم) يعني يكذبون في صدق ضرورتهم وحاجتهم غالبا لا أن كلهم كذلك بل فيهم من يجعل المسألة حرفة . سمعت عائشة سائلا يقول : من يعشيني أطعمه الله من ثمار الجنة فعشته فخرج فإذا هو ينادي من يعشيني فقالت : هذا تاجر لا مسكين فلما احتمل أمرهم كذبا وصدقا خفف أمر الرد بقوله لولا ولم يجزم وقوع التهديد وإنما رد الراد بفوات التقديس وهو التطهير بالصدقة لأن للسائل حقا وفيه حث على إجابة السائل وتحذير **من التغافل عنه** والرد خوفا من كونه صادقا

---

(١) فيض القدير، ١/٤٦١

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير، ٢/٣٢٣

(طب) والقضاعي (عن أبي أمامة) الباهلي قال الهيثمي : فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف وفي الميزان عن العقبلي : لا يصح في هذا شيء وحكم ابن الجوزي بوضعه ونازعه المصنف ." (١)

"وسادة تنامون عنه بل قوموا واتلوه آناء الليل وأطراف النهار وهذا معنى قوله فاتلوه حق تلاوته وثانيهما أن يكون كناية تلويحية عن التغافل فإن من جعل القرآن وسادة يلزم منه النوم فيلزم منه الغفلة يغني لا تغفلوا عن تدبر معانيه وكشف أسراره ولا تتوانوا في العمل بمقتضاه والإخلاص فيه وهذا معنى قوله حق تلاوته إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور جامع للمعنيين فإن قوله أقاموا وانفقوا ماضيان عطفا على يتلون وهو مضارع دلالة على الدوام والاستمرار في التلاوة المثمرة لتجدد العمل المرجو منه التجارة المربحة اه كلامه رحمه الله وقد أطنب ابن حجر هنا بذكر الفروع الفقهية المتعلقة بالقرآن من تحريم توسد المصحف ومستثنياته وتحريم مد الرجل ووضع الشيء فوقه واستدباره وتخطيه ورميه وتصغير لفظه وجواز تقبيله وكراهة أخذ الفال منه ونقل تحريمه عن بعض المالكية وإباحته عن بعض الحنابلة وأمثال ذلك مما هو محله في كتب الفتاوى والخلافيات وأغرب من هذا أنه قال وعجيب من الشارح فإنه لعدم استحضاره لكلام الأئمة الذي ذكرته تردد في المراد بلا تتوسدوا وترددا ليس في محله فإنه لم يعول فيه على شيء من كلام الأئمة وإنما تكلم فيه بمجرد فهمه وليس ذلك بحسن اه وهو مبني على عدم فهمه كلام الطيبي وكلام الأئمة في الفقه الفرعي والمرء لا يزال عدوا لما جهل وقد علم كل أناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون وكل إناء يرشح بما فيه وأفشوه أي بالجهر والتعليم وبالعمل والكتابة والتعظيم وتغنوه أي استغنوا به عن غيره على ما تقدم وتدبروا ما فيه أي من الآيات الباهرة والزواجر البالغة والمواعيد الكاملة لعلكم تفلحون أي لكي تفلحوا أو حال كونكم راجين الفلاح وهو الظفر بالمطلوب ولا تعجلوا بتشديد الجيم المكسورة وفي نسخة بفتح التاء والجيم المشددة المفتوحة أي لا تستعجلوا ثوابه قال الطيبي أي لا تجعلوه من الحظوظ." (٢)

"شديدا ثم يجامعها بالسكون للعطف على المجزوم في آخر يومه قال الطيبي ثم للاستبعاد أي مستبعد من العاقل الجمع بين هذا الإفراط والتفريط من الضرب المبرح والمضاجعة ا هـ ولذا ورد أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وهذا معنى التدبر في الأمر أي النظر في عاقبته وفي رواية يعمد بكسر الميم أي يقصد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها أي يرجع إلى قضاء شهوته منها في آخر يومه أي يوم جلده فلا تطاوعه قيل النهي عن ضربهن كان قبل أمره به كما يأتي والأظهر أن النهي مقيد بالضرب الشديد فلا ينافيه أمره بالضرب المطلق بل يخصه قال الطيبي وهذا يدل على جواز ضرب الإماء والعبيد للتأديب إذا لم يتأدبوا بالكلام الغليظ لكن العفو أولى وفيه حسن المعاشرة مع النساء والرفق بهن ثم وعظهم هي للتراخي في الزمان أي بعدما تكلم بالكلام السابق بزمان رآهم يضحكون من الفعلة المذكورة فوعظهم أي نصحهم في ضحكهم بكسر فسكون في القاموس الضحك بالفتح وبالكسر وبكسرتين وككتف وفيه إشارة إلى أن القهقهة أولى بالمنع وإن التبسم لا

---

(١) فيض القدير، ٥/٣٤١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/٧٢

بأس به والأظهر أن المراد به المعنى الأعم من الضرطة فقال عطف على وعظ لم يضحك أحدكم مما يفعل وفي نسخة مما يفعله أي هو بنفسه لأن الضحك لا يحسن إلا من أمر غريب وشأن عجيب لا يوجد عادة ففيه **ندب التغافل عن** ضرطة الغير لئلا يتأذى فاعلها وقد بلغنا أن حاتما لم يكن أصم وإنما سألته امرأة عن مسألة وفي أثناء المسألة حصل منها ضرطة فقال ارفعي صوتك دفعا لجحالتها فحسبت أنه أصم ففرحت ثم أنه نم بذلك الحال تنميما لدفع المقال قال الطيبي رحمه الله فيه تنبيه على أنه ينبغي للرجل العاقل إذا أراد أن يعيب على أخيه المسلم شيئا أن ينظر في نفسه أولا هل هو بريء منه أو ملتبس به فإن لم يكن بريئا فلان يمسك عنه خير من أن يعيبه ولقد أحسن من قال أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو." (١)

"والإباحة ، وصرفه عن الوجوب ما رواه أبويعلى والطبراني في الأوسط عن عائشة ، قالت : دخل علي بن أبي طالب على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وهو يصلي ، فقام إلى جنبه فصلى بصلاته ، فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ثم تركته ، فذهبت نحو علي ، فضربها بنعله حتى قتلها ، فلم ير رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بقتلها بأسا. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٢ : ص٨٤) : رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير معاوية بن يحيى الصدفي ، وأحاديثه عن الزهري مستقيمة ، كما قال البخاري ، وهذا منها ، وضعفه الجمهور. وفي طريق الطبراني : عبدالله بن صالح كاتب الليث. قال عبدالملك بن شعيب بن الليث ثقة مأمون ، وضعفه الأئمة أحمد وغيره–انتهى. (الحية والعقرب) بيان للأسودين. وتسمية العقرب والحية بالأسودين إما لتغليب الحية على العقرب ؛ لأنه لا يسمى بالأسود في الأصل إلا الحية ، أو لأن عقرب المدينة يميل إلى السواد. وقيل : بل لأن بعض العقارب يكون أسود ، و"ال" فيهما للجنس ، فيشمل كل منهما الذكر والأنثى ، ويلحق بهما كل ضرار مباح القتل كالزنابير والشبثان ونحوهما ، وأما القمل فقال القاضي : **الأولى التغافل عنه** ، فإن قتلها فلا بأس ؛ لأن أنسا كان يقتل القمل والبراغيث في الصلاة ، وكان الحسن يقتل القمل ، وقال الأوزاعي : تركه أحب إلي ، وكان عمر يقتل القمل في الصلاة ، رواه سعيد ، كذا في المغني (ج١ : ص٦٦٧). قال الشوكاني : والحديث يدل على جواز قتل الحية والعقرب في الصلاة من غير كراهة. وإلى ذلك ذهب جمهور العلماء ، كما قال العراقي. وحكى الترمذي عن جماعة كراهة ذلك ، منهم إبراهيم النخعي. وقال الخطابي في المعالم (ج١ : ص٢١٨) : رخص عامة أهل العلم في قتل الأسودين إلا إبراهيم النخعي ، والسنة أولى ما اتبع–انتهى. قال العراقي : وأما من قتلها في الصلاة ، أو هم بقتلها فعلي بن أبي طالب وابن عمر روى ابن أبي شيبة عنه بإسناد صحيح." (٢)

"عن تلاوة القرآن والتغافل عن القيام بحقوقه أي لا تهملوا تلاوة القرآن والانتفاع بهداه فإن الذي يجعل القرآن وسادة أو يضعه تحت وسادته للنوم فإنما يعرض عن الانتفاع بمعانيه وعن الاهتداء بهداه فإن الوسادة ممتهنة جعلت للاتكاء عليها ووضع الرأس في النوم عليها. قال القاري : أي لا تجعلوه وسادة لكم تنامون عليه وتغفلون عنه وعن القيام بحقوقه وتتكاسلون في ذلك بل قوموا بحقه لفظا وفهما وعملا وعلما (واتلوه حق تلاوته) أي إقرؤه حق قراءته واتبعوه حق متابعته (من آناء

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٠/١٨٢

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٣/٧٤٦

الليل والنهار) أي اتلوه تلاوة كثيرة مستوفية لحقوقها في ساعات الليل والنهار أو اتلوه حق تلاوته حال كونها في ساعات هذا وهذا : قال الطيبي : "لا تتوسدوا" يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون كناية رمزية عن التكاسل أي لا تجعلوه وسادة تنامون عنه بل قوموا به واتلوه آناء الليل وأطراف النهار. وثانيهما أن يكون كناية تلويحية **عن التغافل فإن** من جعل القرآن وسادة يلزم منه النوم فيلزم منه لغفلة يعني لا تغفلوا عن تدبر معانيه وكشف أسراره ولا تتوانوا في العمل بمقتضاه والإخلاص فيه (وافشوه) أي بالاسماع والتعليم والكتابة والتفسير والمدارسة والعمل (وتغنوه) كذا في جميع النسخ الحاضرة وذكره في الكنز بلفظ : تغنوا به أي حسنوا الصوت وترنموا به أو استغنوا به عن غيره (تدبروا ما فيه) أي من الآيات الباهرة والزواجر البالغة والمواعيد الكاملة (ولا تعجلوا) قال القاري : بتشديد الجيم المكسورة وفي نسخة بفتح التاء والجيم المشددة المفتوحة أي لا تستعجلوا (ثوابه) قال الطيبي : أي لا تجعلوه من الحظوظ العاجلة (فإن له ثوابا) أي مثوبة عظيمة آجلة (رواه البيهقي) أي مرفوعا ورواه موقوفا أيضا كما في الإتقان وقد تقدم أنه أخرجه البخاري في التاريخ الكبير موقوفا والطبراني مرفوعا وسنده ضعيف وعزاه." (١)

"١٥٨٤ إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن و علموا من السنة ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا و ليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا ! حتى يقال للرجل: ما أجلده ؟ ما أظرفه ؟ ما أعقله ؟ و ما في قلبه حبة خردل من إيمان (صحيح) (حم ق ت ه) عن حذيفة .

١٥٨٥ إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم (صحيح)

(د ك) عن جبير بن نفير وكثير بن مرة والمقدام وأبي أمامة .

الشرح:

(إن الأمير إذا ابتغى الريبة) أي طلب الريبة أي التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيها فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا، ومقصود الحديث حث الإمام **على التغافل وعدم** تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام والإنسان قل ما يسلم من عيبه فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس عليهم وعن ابن مسعود أنه قيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به .....

١٥٨٦ إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحابا من أمته فأرجو أن أكون يومئذ أكثرهم كلهم واردة و إن كل رجل منهم يومئذ قائم على حوض ملآن معه عصا يدعو من عرف من أمته و لكل أمة سيما يعرفهم بها نبيهم

(حسن) (طب) عن سمرة .

١٥٨٧ إن الأنصار قد قضوا الذي عليهم و بقي الذي عليكم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم(صحيح)(الشافعي

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٧/٥٩٠

هق في المعرفة)عن أنس.

١٥٨٨ إن الأوعية لا تحرم شيئا فانتبذوا فيما بدا لكم و اجتنبوا كل مسكر

(صحيح) (طب) عن قرة بن إياس .." (١)

" يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك كذا قال القسطلاني

ولكن قال الخطابي في معالم السنن في هذا الحديث دليل على أن يمين النبي صلى الله عليه و سلم إنما وقعت في تحريم العسل لا في تحريم أم ولده مارية القبطية كما زعمه بعض الناس انتهى

قال الخازن قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح

قال النسائي إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية انتهى

(فنزلت) هذه الآيات يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أي من العسل أو من ملك اليمين وهي أم ولده مارية القبطية

قال النسفي وكان هذا زلة من النبي صلى الله عليه و سلم لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله انتهى

وفي الخازن وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله تعالى فالنبي صلى الله عليه و سلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك حلال تبتغي إلى قوله تعالى إن تتوبا إلى الله وتمام الآية مع تفسيرها تبتغي مرضاة أزواجك تفسير لتحرم أو حال أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك بذلك التحريم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهي الكفارة أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عند الحنفية

وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أعتق رقبة في تحريم مارية

وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين والله مولاكم وهو العليم الحكيم فيما أحل وحرم (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) يعني حفصة (حديثا) حديث تحريم مارية أو تحريم العسل وقيل حديث إمامة الشيخين (فلما نبأت به) أفشته إلى عائشة رضي الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه و سلم على إفشائها الحديث على لسان جبرائيل عليه السلام (عرف بعضه) بتشديد الراء في قراءة أي أعلم حفصة ببعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أي لم يعرفها إياه ولم يخبرها به تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام والمعنى أن النبي صلى الله عليه و سلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم مارية أو تحريم العسل وأعرض عن بعض (فلما نبأها به) أي أخبر النبي صلى الله عليه و سلم حفصة بما أفشت من

(١) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ١٠١/١

السر وأظهره الله عليه (قالت) حفصة للنبي صلى الله عليه و سلم (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأني أفشيت السر (قال نبأني العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (إن تتوبا إلى الله) خطاب لحفصة وعائشة ." (١)

" [٤٨٨٧] (عرضي لمن شتمني) أي متصدق لمن شتمني

٤ -

(باب في التجسس [٤٨٨٨])

أي في النهي عنه كما في نسخة وهو بالجيم معناه التفتيش عن بواطن الأمور في الشر غالبا

وقيل هو البحث عن العورات

(عن معاوية) أي بن أبي سفيان (إن اتبعت الخ) قال في فتح الودود أي إذا بحثت عن معائبهم وجاهرتهم بذلك فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم عنك فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة انتهى (أو كدت الخ) شك من الراوي

والحديث سكت عنه المنذري

[٤٨٨٩] (إن الأمير إذا ابتغى الريبة الخ) الريبة بالكسر أي طلب أن يعاملهم بالتهمة والظن السوء ويجاهرهم بذلك

قال في النهاية أي إذا اتهمهم وجاهرهم بسوء الظن فيهم أداهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ففسدوا انتهى

قال المناوي ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات

قال المنذري في إسناده إسماعيل بن عياش وفيه مقال

وشريح بن عبيد حضرمي شامي كنيته أبو ." (٢)

"وقوله -عليه الصلاة والسلام- : (لا تغضب (هذا -أيضا- له مرتبتان : المرتبة الأولى : لا تغضب إذا أتت دواعي الغضب فاكظم غضبك ، واكظم غيظك ، وهذا جاءت فيه آيات ، ومنها قول الله -جل وعلا- : (((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((١٢٦) وكظم الغيظ من صفات عباد الله المؤمنين المحسنين ، الذين يكظمون الغضب عند ثورته .

وجاء -أيضا- في الحديث الصحيح أن النبي (قال : (من كظم غيظا ، وهو يقدر على إنفاذه ، دعي يوم القيامة على رءوس الخلائق إلى الجنة (أو كما قال -عليه الصلاة والسلام- والحديث في السنن ، وهو حديث صحيح .

فكظم الغيظ ومَسْك الغضب هذا هو الحالة الأولى التي دل عليها قوله : (لا تغضب (وكظم الغيظ ، وإمساك الغضب هذا من الصفات المحمودة ، ويأتي تفصيل الكلام على كونه من الصفات المحمودة .

الثاني -التفسير الثاني-: لا تَسْعَ فيما يغضبك ؛ لأنه من المتقرر أن الوسائل تؤدي إلى الغايات ، فإذا كنت تعلم أن هذا الشيء يؤدي بك إلى غاية تغضبك فلا تَسْعَ إلى وسائلها ، ولهذا كان كثير من السلف يمدحون التغافل ، وقال رجل

---

(١) عون المعبود، ١٠/١٢٦

(٢) عون المعبود، ١٣/١٥٩

للإمام أحمد : كان وكيع يقول ، أو أحد الأئمة غير وكيع –النسيان مني–: الخير تسعة أعشاره في التغافل .

وقال الإمام أحمد : أخطأ ، الخير كله في التغافل يعني: أن إحقاق الأمور إلى آخرها في كل شيء هذا غير ممكن ؛ لأن النفوس مطبوعة على التساهل ومطبوعة على التوسع ، وعندها ما عندها ، فتغافل المرء عما يحدث له الغضب ، ويحدث له ما لا يرضيه ، تغافله عن ذلك من أبواب الخير العظيمة ، بل قال : الخير كله في التغافل ، التغافل عن الإساءة ، التغافل عن الكلام فيما لا يحمد .." (١)

"– أنسنة الفن واستخدامه لصالح الاهداف العليا وغير ذلك.

– الحيلولة . بكل الوسائل . دون استغلال الدول الغربية الكبرى للاحداث وتحويلها الى صراع حضارات وحرب بين الاديان وتصفية حسابات مع بعض الانظمة على حساب الشعوب.

– تخفيف معاناة شعب افغانستان ودعمه بالغذاء والكساء والملجأ والدواء وغيرها من وسائل العيش الابتدائية والعمل على تحقيق الانسحاب التام للقوات الاميركية وغيرها.

– استمرار الحوار بين عقلاء البشرية من اتباع الاديان والحضارات والمذاهب وتكثيفه وتعميقه بهدف خلق رأي عام عالمي يمارس دوره في نشر العدالة والسلام والمحبة بين جميع شعوب العالم.

الحل الأمثل للإرهاب :

وعن الحل الأمثل للإرهاب على مستوى الأمة الاسلامية ذكر الشيخ التسخيري، ان الحل يتركز على ما يلي:

– رفع مستوى الوعي لدى جماهير امتنا في مختلف المجالات "فهم الاسلام واهدافه، فهم الواقع القائم، فهم الموقف".

– العمل على تعميم تطبيق الشريعة الاسلامية في كل الشؤون الحياتية.

– تطبيق عملية تربية شاملة لمختلف قطاعات الامة وفق تعاليم الاسلام.

– العمل بكل ما من شأنه توحيد موقف الامة عمليا ولا نريد لهذا العمل ان يكون خياليا كما لا نريده ان يكون استسلاميا ، بل يجب ان يتبع المنهج الوسطي الواقعي على ضوء الاهداف المرسومة.

– العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الاسلامية وايجاد ما يلزم ايجاده ومنحها حرية اكبر في التحرك عبر آليات جديدة وفاعلة وواعدة.

– وضع خطة شاملة للاستفادة الافضل من الامكانات السياسية والاقتصادية والاعلامية والجغرافية والمادية والطاقات الجماهيرية والعلمية والثقافية وتعبئتها في عملية المواجهة.

– العمل على حل أو التغافل او تأجيل بعض النزاعات الجانبية او الثانوية خدمة للهدف الاهم واستجابة لقضية التزاحم في الاولويات.

– الشد من ازر الاقليات المسلمة وتبلغ حوالي ثلث مجموع المسلمين في العالم بالتأكيد على وجودها اولا ووحدتها ثانيا وهويتها ثالثا وتقوية مجالات التلاحم بينها وبين الامة الام.

---

(١) شرح الأربعين النووية، ص/١٣٩

- التركيز على دعم مؤسساتنا الخيرية ومؤسسات الاغاثة والدعوة و عدم تركها في مهب الريح وعدم انزلاقها في مداخل الخلافات الجانبية والمذهبية والسياسية.
- الاحتفاظ بأصالة التعليم واستقلالية المؤسسات التعليمية وعدم الخضوع للضغوط الخارجية لتؤدي دورها المطلوب على وجه اتم.
- الاستفادة الافضل من المؤسسات والمنظمات الدولية الاخرى غير الحكومية لصالح قضايانا العادلة.
- الوقوف بحزم وتخطيط في قضايانا المصيرية واهمها قضية فلسطين.

واقترح الشيخ التسخيري تضافر كل الجهود الاسلامية لافشال خطط شارون لتركيع الشعب الفلسطيني وانهاء الانتفاضة الباسلة بدعم صموده وانتفاضته الباسلة ومقاومته الشجاعة، والقيام بحملة لدعم المنكوبين وترميم الخراب وتكليف كل دولة غنية بسد جانب منه، وضرورة التأكيد على كون القضية الفلسطينية اسلامية وتعبئة كل الطاقات الاسلامية لذلك، وضرورة اتخاذ كل الخطوات والاستفادة من كل الامكانات القانونية والمحافل الدولية لفضح جرائم الصهيونية، وعدم السماح لاميركا للاستفراد بالقضية وامثالها وعدم الاعتماد على الحلول الاميركية، ولزوم التفكير الجدي للعودة لنظام المقاطعة الشاملة للكيان الصهيوني الغاصب ومن يدعمه بل وتنفيذ المقاطعة الشعبية فورا، ولزوم تفعيل الدور السياسي لمنظمة المؤتمر الاسلامي في هذا المجال خصوصا في مجال المطالبة بتنفيذ القرارات الدولية، ولزوم العمل دوليا على وضع تعريف شامل للارهاب والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة، وضرورة اعطاء الغطاء الشرعي للمقاومة الفلسطينية عموما وللعمليات الاستشهادية خصوصا ولزوم الاستفادة الفعالة من امكانات المنظمات غير الحكومية على غرار ما جرى في مؤتمر "ديربان" في جنوب افريقيا.

الإسلام والقانون الدولي

وخلص د. الدسوقي في بحثه إلى عدة نتائج أهمها:
- ان الانسان في تفكيره ما لم يكن محكوما بتشريع إلهي يسدد خطاه, فإنه يزل ويضل، ولن يكون لما يصل إليه من آراء، وان كانت صحيحة ، جدوى في مجال التطبيق العملي. وهذا بين في مجال الفكر القانوني الدولي الانساني، لانه فقد المرجعية التي تحقق للانسان كرامته وحريته وتدفع عنه كل ألوان الظلم والامتهان.
- ان النزعة الانسانية في التشريعات الإسلامية هي وحدها السبيل لحياة عزيزة للناس كافة، لان هذه النزعة آخت بين البشر، وساوت بينهم في الحقوق والواجبات، وستظل البشرية تعاني مما تعاني منه ما لم تعتصم بتلك التشريعات، وتستجيب لحكم الله في كل شيء "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون".

وانتهى إلى ان كل فكر مهما يكن صالحا للحياة إذا لم يكن له حماة يؤمنون به ويذودون عنه فإنه يظل كصرخة في واد، والمسلمون اصحاب عقيدة وشريعة صلح عليها أمر الدنيا والآخرة، ولكن يبقى ما لدى المسلمين من أحكام وآداب بعيدا عن التأثير الفعلي في واقع الحياة ما دام أهله لا يلتزمون به التزاما كاملا أولا، وما داموا ثانيا لا يملكون القدرة على التمكين له والدفاع عنه، ولهذا كانت دعوة الإسلام إلى إعداد القوة بمفهومها الشامل، فهذا الاعداد هو السبيل لان يصبح الفكر النظري واقعا مطبقا، فقوة المسلمين عقيدة واعدادا هي مناط ارهاب اعداء الله وتطبيق شرعه وإعلاء كلمته، فالضعف دائما

يقود إلى الهزيمة المعنوية والمادية.

العنف الدولي." (١)

"(أن الأمير إذا ابتغى الريبة) أي طلب الريبة أي التهمة (في الناس) يتتبع فضائحهم (أفسدهم) يعني إذا جاهرهم بسوء الظن فيهم أدى ذلك إلى ارتكابهم ما ظن بهم ورموا به ففسدوا ومقصود الحديث حث الإمام **على التغافل وعدم** تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام (د ك عن جبير بن نفير) بنون وفاء مصغرا وهو الجهضمي الحمصي صحابي صغير وقيل تابعي (وكثير بن مرة) تابعي كبير فالحديث من جهته مرسل (والمقدام وأبي أمامة) ورواه أيضا أحمد والطبراني عنهما ورجاله ثقات

(أن الإيمان ليخلق) أي يكاد أن يبلى (في جوف أحدكم) أيها المؤمنون (كما يخلق الثوب) وصف به على طريق الاستعارة (فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم) حتى لا يكون لقلوبكم وله لغيره ولا رغبة في سواه وفيه أن الإيمان يزيد وينقص (طب عن ابن عمر) بن الخطاب بإسناد حسن (ك عن ابن عمرو) بن العاص بإسناد رواته ثقات

(أن الإيمان ليأرز) بلام التوكيد وهمزة ساكنة فراء مهملة فزاي معجمة أي لينضم ويلتجئ (إلى المدينة) النبوية يعني يجتمع أهل الإيمان فيها وينضمون إليها (كما تأرز الحية إلى حجرها) بضم الجيم أي كما تنضم وتلتجئ إليه إذا انتشرت في طلب المعاش ثم رجعت فكذا الإيمان شبه انضمامهم إليها بانضمام الحية لأن حركتها أشق لمشيها على بطنها والهجرة إليها كانت مشقة (حم ق هـ عن أبي هريرة) وفي الباب سعد وغيره

(أن البركة تنزل في وسط الطعام) بسكون السين أي الإمداد من الله تعالى ينزل في وسطه (فكلوا) ندبا (من حافاته) أي جوانبه وأطرافه (ولا تأكلوا من وسطه) أي يكره ذلك تنزيها لكونه محل تنزلات البركة والخطاب للجماعة أما المنفرد فيأكل من الحافة التي تليه وعليه تنزل رواية حافته بالإفراد (ت ك عن ابن عباس) قال ك صحيح وأقروه

". (٢)

"... وتعاهده: أي محافظته وتجديد العهد به بملازمة تلاوته.

... ٥٠٣١- مثل صاحب القرآن: أي الذي ألفه ولازمه، أي مع القرآن.

... المعلقة: أي مع إبله، والمعقلة المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير. أمسكها: استمر إمساكها. أطلقتها: عقلها.

... ٥٠٣٢- بئس ما لأحدهم أن يقول ...إلخ: هذا ذم، وسببه ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا **بكثرة التغافل وترك** التعاهد، فإذا قال الإنسان نسيت آية كذا وكذا فقد شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان، قاله القرطبي، وارتضاه ابن حجر مما قيل في ذلك(١).

... الأبي: (والنهي عن قول / ذلك للتحريم، لأن بئس للذم، والذم خاصيته فعل التحريم).

---

(١) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه، ٣/١١٠

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ١/٥٦٥

... كيت وكيت: كلمتان يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والحديث الطويل.بل نسي: أي عوقب بالنسيان لتفريطه في تعاهده واستذكاره، قاله القرطبي.واستذكروا القرآن: اطلبوا من أنفسكم تذكره وتعاهده، فالسين للطلب.تفصيا: تفلتا. من النعم: أي الإبل.

... ٥٠٣٣- في عقلها: إذا انفلتت منه.

٢٤- باب القراءة على الدابة:

لراكبها، أي جوازها، وكأنه أشار إلى الرد على من كره ذلك.

... ٢٥- باب تعليم الصبيان القرآن :

... أي جوازه، بل هو حسن لأنه أدعى إلى ثبوته ورسوخه عنده، كما قيل: " التعلم في الصغر كالنقش في الحجر" (٢).

... ٥٠٣٥- قال: أي سعيد. وأنا ابن عشر سنين: استشكل هذا بأنه كان عند الوفاة النبوية ابن خمس عشرة سنة، أو أربع عشرة، أوثلاث عشرة، وأجاب القاضي بأن قوله: "وأنا ابن عشر سنين" راجع إلى حفظ القرآن، لا إلى الوفاة النبوية، فالتقدير: توفي النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد جمعت المحكم وأنا ابن عشر سنين، ففيه تقديم وتأخير، قال السيوطي: (وهو حسن)(٣).

---

(١) – انظر الفتح ٩٩/٩.

(٢) – كذلك ذكره الحافظ في الفتح ١٠٣/٩ غير منسوب.

(٣) – التوشيح ص: ٤٣٦.." (١)

"... قال العلقمي(١): (وقول شيخنا شيخ الإسلام زكرياء: " ذكر الطول ليس بقيد)هـ(٢)، فيه نظر لأن الحديث مصرح به والعلة تقتضيه) هـ، ونحوه للمناوي ولفظه: (قول الشيخ زكرياء ...إلخ غير جيد، كيف والحديث مصرح به والعلة تقتضيه)(٣).

... لا يطرق أهله: قال ابن بطال: (معنى الحديث النهي عن التجسس على الأهل، ولا تحمله غيرته على تهمتهم إذا لم يأنس منهم إلا الخير) هـ.

... مخافة أن يخونهم: ينسبهم إلى الخيانة. أو يلتمس عثراتهم: (زلاتهم بأن يجدهم على حالة غير مرضية، والشرع أمر بالستر وعدم تطلب العثرات)، قاله ابن حجر(٤)، واعترضه المناوي بقوله: (هذا غير مرضي، إذ على الإنسان شرعا وحمية وأنفة ومروءة أن يتفحص عن أهل بيته، فإن عثر على ريبة حرص على إزالة مقتضيها، ولا يقول عاقل فضلا عن فاضل أن الإنسان ينبغي **له التغافل /** عن أهل بيته، وإهمال النظر في دواخل أحوالهم ليتمكنوا من فعل ما شاءوا من ضروب الفساد، ويستمر ذلك مستورا عليه، واستكشافه لأحوالهم لا ينافي الستر المطلوب، فإنه إن رأى ريبة كتمها وفارق أهله، أو أدب سرا وحسم طريق الفساد)، هـ بلفظه.

---

(١) الفجر الساطع/الزرهوني –شرح البخاري، ٣٠/٧

... ٥٢٤٣- طروقا: أي بالليل، لأن الطروق لا يكون إلا ليلا لما ذكر في الترجمة، ولئلا يجدهم على غير أهبة التنظيف من البذاذة والشعث، وهذا فيمن لم يعلم مجيئه، أما من علم مجيئه وقدومه فيؤخر دخوله إلى الليل كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة، وبه يجمع بين الحديثين.

---

(١) – محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي القاهري، شمس الدين.

تتلمذ بالأزهر.

له: ملتقى البحرين بين الجمع بين كلام الشيخين، والكوكب المنير.

ترجمته في: شذرات الذهب ٣٣٨/٨، وفهرس الفهارس ٢٠٦/٢.

(٢) – تحفة الباري ٢٠٤/٣.

(٣) – فيض القدير ٢٨٨/١.

(٤) – في الفتح ٤٢٥/٩.." [١]

""مَنْ شَدّدَ نَفّرَ، وَمَنْ تَرَاخى تَألّف، والشْرَفُ في التّغافُل"

(أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيّ)." [٢]

"لا تذكّره بأخطائه القديمة ولا تعاوده العتاب على الخطأ مرتين.

"الإكثار من العتاب داعية إلى الملال". (أسماء بن خارجة)

أحيانا يصدر من البعض أن يتغاضى عن أخطاء الصديق المتكررة، ويتحمل ذلك كله من باب ما ذكرناه في مزيّة التغافل، حتى إذا وقع ما لا يغتفر إلا بالعتاب، انفجر عليه وسامه بسوط من عذاب الحساب، فتراه يسرد تلك الأخطاء التي استحقت المغفرة، فإذا به يفسد المعذرة وقد أوشكت أن تكبره، وهذا من أثقل أنواع العتاب، وأقربها إلى تصريم حبال الود بين الأحباب.

وفي نظري أنّ سبب ذلك النوع من العتاب الامتعاضي، عدم الصِدق في التغاضي، فتجد صاحب ذلك الصنيع، لا يذهبن تغاضيه ما يغيظ، ومتى صدق المرء **في التغافل وأعقبه** العفو والتسامح، استقر القلب بالطمأنينة والانشراح، ونعم البال بالهدوء واستراح، وقديماً قيل: "ما عتب من اغتفر".

واعلم أنه في حال تذكيرك للصديق بالذنب القديم، فإنك تشعره بالمنة المستحقة لك عليه، وليس." [٣]

---

(١) الفجر الساطع/الزرهوني –شرح البخاري، ١١٩/٧

(٢) العتاب بين الأصدقاء، أبو نصية التميمي ص/١٥

(٣) العتاب بين الأصدقاء، أبو نصية التميمي ص/٣٥

"ذلك من خصال الحمد، ولا من صنيع العقلاء، وما هكذا يحسن التعامل، ولا يحمد بهذا الأسلوب التغافل، ليس في رواق الصداقة وحسب، قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في سياق الحديث عن عتاب الرجل لزوجته: "وإنْ أتت المرأة بما يوجب العتاب فلا يحسن بالزوج أنْ يكرّر العتاب، وينكأ الجراح مرّةً بعد مرّة؛ لأنّ ذلك يفضي إلى البغيضة، وقد لا يبقي للمودّة عينا ولا أثراً"، ليعلم أن هذا الأسلوب عقيم إلا عن إفساد الألفة.." (١)

"قالوا عن المروءة

– قال أعرابي: (مروءة الرجل في نفسه نسب لقوم آخرين، فإنه إذا فعل الخير عرف له، وبقي في الأعقاب والأصحاب، ولقيه يوم الحساب) (١).

– وقال صاحب كليلة ودمنة: (الرجل ذو المروءة يكرم على غير مال كالأسد يهاب وإن كان رابضا، والرجل الذي لا مروءة له يهان وإن كان غنيا كالكلب يهون على الناس وإن عسى وطوف. أقوال في المروءة) (٢).

– وقيل لبعض العرب: (ما المروءة فيكم؟ قال: طعام مأكول، ونائل مبذول، وبشر مقبول) (٣).

– وقيل: (لا مروءة لمقل) (٤).

– وقال بعض الحكماء: (من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه وجلالته) (٥).

– وقالوا: (لا تتم المروءة وصاحبها ينظر في الدقيق الحقير، ويعيد القول ويبدئه في الشيء النزر الذي لا مرد له ظاهر، ولا جدوى حاضرة) (٦).

– وقيل لبعض العارفين: (ما المروءة؟ قال التغافل عن زلة الإخوان) (٧).

– وقيل: (مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب، ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب). (٨)

– قال زياد لبعض الدهاقين: (ما المروءة فيكم؟ قال: اجتناب الريب فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح الرجل ماله فإنه من مروءته، وقيامه بحوائجه وحوائج أهله فإنه لا ينبل من احتاج إلى أهله ولا من احتاج أهله إلى غيره) (٩).

---

(١) ((البصائر والذخائر)) (١/ ١١٥).

(٢) ((الصناعتين: الكتابة والشعر)) (ص٢٤٤).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٨٣).

(٤) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٤٠).

(٥) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٤٠).

(٦) ((الإمتاع والمؤانسة)) (١/ ٣٤٢).

(٧) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) (٢/ ٣٩٧).

---

(١) العتاب بين الأصدقاء، أبو نصية التميمي ص/٣٦

(٨) ((المروءة الغائبة)) (ص ٦٠).

(٩) ((أدب الدنيا والدين)) (ص٣٣٨).." (١)

"- وعن أبي برزة الأسلمي -رضي الله عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)) (١).

قال صاحب عون المعبود: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه): فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شعار المنافق لا المؤمن، (ولا تتبعوا عوراتهم): أي لا تجسسوا عيوبهم ومساويهم .... (يتبع الله عورته): ذكره على سبيل المشاكلة أي يكشف عيوبه وهذا في الآخرة. وقيل: معناه يجازيه بسوء صنيعه، (يفضحه): أي يكشف مساويه، (في بيته): أي ولو كان في بيته مخفيا من الناس) (٢).

- وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم)). فقال أبو الدرداء: (كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها) (٣).

- وفي رواية أخرى عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن ابتغيت الريبة في الناس أفسدتهم، أو كدت تفسدهم)) (٤).

قال الإمام المناوي رحمه الله: (أي ولوا عن الناس ولا تتبعوا أحوالهم ولا تبحثوا عن عوراتهم ... ألم تعلم أنك إن اتبعت التهمة فيهم لتعلمها وتظهرها أوقعتهم في الفساد أو قاربت أن تفسدهم لوقوع بعضهم في بعض بنحو غيبة أو لحصول تهمة لا أصل لها أو هتك عرض ذوي الهيئات المأمور بإقالة عثراتهم وقد يترتب على التفتيش من المفاسد ما يربو على تلك المفسدة التي يراد إزالتها، والحاصل أن الشارع ناظر إلى الستر مهما أمكن والخطاب لولاة الأمور ومن في معناهم) (٥).

- وعن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة، ومن أرى عينيه في المنام ما لم ير كلف أن يعقد شعيرة)) (٦).

- وعن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معد يكرب وأبي أمامة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال ((إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم)) (٧).

يقول المناوي رحمه الله: (إن الأمير إذا ابتغى الريبة) أي طلب الريبة أي التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيها فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا، ومقصود الحديث حث الإمام **على التغافل وعدم** تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام والإنسان قل ما يسلم من عيبه فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس عليهم) (٨).

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/ ٥٥

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠) (١٩٧٩١)، وأبو يعلى (١٣/ ٤١٩) (٧٤٢٣)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٧) (٢٠٩٥٣). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/ ١٧٥): إسناده جيد، وقال الألباني في ((٤٨٨٠)): حسن صحيح.

(٢) ((عون المعبود شرح سنن أبي داود)) للعظيم آبادي (٩/ ٢١٦٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأبو يعلى (١٣/ ٣٨٢) (٧٣٨٩)، وابن حبان (١٣/ ٧٢) (٥٧٦٠)، والطبراني (١٩/ ٣٧٩) (١٦٥٦٠)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/ ١٠٧) (٩٦٥٩). والحديث سكت عنه أبو داود، وصححه النووي في ((تحقيق رياض الصالحين)) (٥٠٨)، وصحح إسناده ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (١/ ٣٠٠)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)).

(٤) رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٤٨)، والطبراني (١٩/ ٣٦٥) (٨٥٩). قال الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (١٨٦): صحيح.

(٥) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) للمناوي بتصرف يسير (١/ ٧١٣).

(٦) رواه الطبراني (١١/ ٢٤٨) (١١٦٣٧). قال الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٠٢٨): صحيح. والحديث رواه بنحوه البخاري (٧٠٤٢).

(٧) رواه أبو داود (٤٨٨٩)، وأحمد (٦/ ٤) (٢٣٨٦٦)، والطبراني (٨/ ١٠٨) (٧٥١٦)، والحاكم (٤/ ٤١٩)، والبيهقي (٨/ ٣٣٣) (١٧٤٠٢). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/ ٢٤٢): [فيه] إسماعيل بن عياش وجبير بن نفير أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو في التابعين وكثير بن مرة نص الأئمة على أنه تابعي وذكره عبدان في الصحابة، قال الهيثمي (٥/ ٢١٨): رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٣/ ٤٦٩) كما قال في المقدمة، والسيوطي في ((الجامع الصغير)) (١٩٥٦)، وصححه لغيره الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)).

(٨) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) للمناوي (٢/ ٤٠٩).." [1]

"قال المناوي: (إن الأمير إذا ابتغى الريبة: أي طلب الريبة أي التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيها فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام والإنسان قل ما يسلم من عيبه فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس عليهم) (١).

أقوال السلف والعلماء في ذم سوء الظن:

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٤/٢

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم) (٢).

- وعنه أيضا: (ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن) (٣).

- وقال ابن عباس: (إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء) (٤).

- وقال ابن مسعود: (الأمانة خير من الخاتم. والخاتم خير من ظن السوء) (٥).

- وقال سلمان الفارسي: (إني لأعد غراف قدري مخافة الظن) (٦).

- وقال ابن عطية: (كان أبو العالية يختم على بقية طعامه مخافة سوء الظن بخادمه) (٧).

- وقال القاضي عياض: (ظن السوء بالأنبياء كفر) (٨).

- وقال الغزالي: (سوء الظن غيبة بالقلب) (٩).

- وقال الخطابي: (الظن منشأ أكثر الكذب) (١٠).

- وقال إسماعيل بن أمية: (ثلاث لا يعجزن ابن آدم الطيرة وسوء الظن والحسد قال فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به وينجيك من الحسد ألا تبغي أخاك سوءا) (١١).

- وقال الحارث المحاسبي: (احم القلب عن سوء الظن بحسن التأويل) (١٢).

---

(١) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) للمناوي (٢/ ٣٢٣)

(٢) ذكره الزمخشري في ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) (٣/ ٢٥٧).

(٣) ذكره الزمخشري في ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) (٣/ ٢٥٧).

(٤) ((إحياء علوم الدين)) لأبي حامد الغزالي (٢/ ١٧٧)، قال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/ ٢٢١): أخرجه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله: و (عرضه)، ورجاله ثقات.

(٥) ذكره ابن عطية في ((المحرر الوجيز)) (٥/ ١٣٤). وقد رواه ابن أبي شيبة مسندا عن أبي ذر (١٣/ ٣٤١)

(٦) ذكره ابن عطية في ((المحرر الوجيز)) (٥/ ١٣٤).

(٧) ((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) لابن عطية (٥/ ١٥١)

(٨) ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للقاضي عياض (٧/ ٦٣)

(٩) ((إحياء علوم الدين)) لأبي حامد الغزالي (٢/ ١٧٧)

(١٠) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) لبدر الدين العيني (٢٣/ ٢٣٢)

(١١) ((غريب الحديث)) للخطابي (١/ ٨٥)

(١٢) ((رسالة المسترشدين)) للحارث المحاسبي (١/ ٨٩)." (١)

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٢٩٦

"وأنشد بعضهم:

إن الظنين من الإخوان يبرمه ... طول العتاب وتغنيه المعاذير

وذو الصفاء إذا مسته معتبة ... كانت له عظة فيها وتذكير

وقال أبو العباس الناشي:

ولست معاتبًا خلا لأني ... رأيت العتب يغري بالعقوق

ولو أني أوقف لي صديقًا ... على ذنب بقيت بلا صديق

وقال منصور النمري:

أقلل عتاب من استربت بوده ... ليست تنال مودة بعتاب

وقال بشار بن برد:

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدًا أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرةً ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقد دون أهل الحكمة في أسفارهم وفرةً من درر الأقوال والحكم والأشعار في العفو عن الأصحاب:

قال أكثم بن صيفي: من شدد نفر، ومن تراخى تألف، والشرف في التغافل.." (١)

"وقال شبيب بن شيبة: العاقل: هو الفطن المتغافل.

وقيل لبعض العارفين: ما المروءة؟ **قال: التغافل عن** زلة الإخوان.

وقيل: من حقوق المودة: أخذ عفو الإخوان، والإغضاء عن تقصير ــ إن كان ــ.

وروى ابن حبان في كتابه «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» عن بنت عبد الله بن مطيع، أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري: ما رأيت أحدًا ــ قط ــ ألأم من أصحابك، قال: مه! لا تقولي ذاك فيهم، وما رأيت من لؤمهم؟ قالت: أمرًا ــ والله ــ بينًا، قال: وما هو؟ قالت: إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت جانبوك، قال: ما زدت على أن وصفتهم بمكارم الأخلاق، قالت: وما هذا من مكارم الأخلاق؟! قال: يأتوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم.

وأورد هذا الخبر الماوردي، وقال معقبًا: «فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنًا، وظاهر غدرهم وفاءً، وهذا محض الكرم ولباب الفضل».." (٢)

---

(١) غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص/٩٧

(٢) غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص/٩٨

"الحاجة إلى جزء من الغفلة عن الموت

ومعرفة الإنسان بأنه لن يموت قبل أجله يدفعه إلى أن يبني لنفسه مجدا، يقول المتنبي: إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم والإنسان إذا كان يتوقع الحوادث ويخافها ويهابها فلن يصل إلى مقصوده، فسيموت قبل أوانه، فإذا كان يتوقع الموت فإنه يصيبه الهلع والفزع، فيموت قبل أن يموت حقا، يموت كل يوم حتى يأتي اليوم الذي يموت فيه.

ودع التوقع للحوادث إنها في الحي من قبل الممات ممات واجعل رجاءك دون يأسك جنة حتى تزول بيأسك الأوقات لولا مغالطة النفوس عقولها لم تصف للمتيقظين حياة فالإنسان أحيانا لابد له من أن يتغافل في أشياء تقع، قيل للإمام أحمد: إن فلانا يقول: تسعة أعشار العقل في التغافل، فقال: أخطأ، بل العقل كله في التغافل.

فثمة أشياء لو دقق فيها الإنسان فلن يمشي خطوتين في الحياة، ولكن الإنسان يأخذ بالأسباب الظاهرة ويتوكل على العلي الكبير ويمضي، ولن يقع إلا ما قدر الله، وما كان لك سيأتيك على ضعفك، وما لم يكن لك لن تناله بقوتك.." (١)

"انظر هل ترى احدا هو عند نفسه جاهل في امر الآخرة وأمر الدنيا

انظر هل ترى احدا يتعرض لشيء لا يعلمه وليس هو حرفته الا يقول انا به عالم وانما اتي هذا الجاهل المغتر المدعي لعلم الآخرة من قلة قدر الآخرة في قلبه وقلة تعظيم حرمات الله عز وجل

وانظر هل ترى احدا عند هذا الغافل المغتر الجاهل ارفع عند نفسه منه واعلم منه فيقر بذلك على نفسه الا ما لا يجد منه بدا ولا يستطيع دفعه

قلت فما الذي ترجو ان يكون اصلح لهم وانفع

قال التيقظ اصل كل خير كما ان الغفلة اصل كل شر فما اكثر من يكون عند نفسه متيقظا وهو غافل وما احب **اليه** **التغافل عن** التيقظ وآنسه بالغفلة

واعلم ان أبين علامات التيقظ الهم والحزن ثم حسن الاستعداد لما اهتم له وحزن عليه

وابين علامات الغفلة البطر والمرح لانهما يسهيان وينسيان التيقظ وفي ترك التيقظ ترك الاستعداد لما بعد الموت

قلت فما التيقظ وما الغفلة." (٢)

"**وقال التغافل عما** يكره الله قسوة في القلب وفي قساوة القلب ذهاب حلاوة الاعمال وفي ذهاب حلاوة الاعمال قلة الطاعات وفي قلة الطاعات قلة الشكر وفي ترك الشكر فساد ما عملت وحرمان ما طلبت وانقطاع الزيادة

وقال انك في زمان اسلم الناس فيه جائع مستوحش من الناس محزون مهموم

وقال الجوع يكسر النفس والشبع يهيج البطر وفي الجوع قوة الهم والحزن وفي الهم والحزن قوة على الجوع والهم والحزن يقطعان الشهوة والرغبة

---

(١) أشراط الساعة الكبرى – المغامسي، صالح المغامسي ٣٠/٤

(٢) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١١٧

وقال الانسان محارف للتفريط معتاد للبغي شغوف بالتسويف مجبول على الملل والنسيان وهو موصوف بعدم العزم مطبوع على الامل منعوت بالجزع عند الشدة وبقلة الشكر عند النعمة مولوع بالانخداع والاغترار

وقال معرفتك بعيبك وعيب غيرك سواء فمن لم يعرف عيب غيره يعرف عيب نفسه فإذا ظهر لك من عيوب الناس ما خفي عليك من عيبك استدللت بعيوب الناس على عيبك واذا ظهر لك من عيبك ما خفي عليك مثله من عيوب غيرك فلا توقع ذلك بغيرك حتى يظهر لك منه مثل ما ظهر لك من نفسك وتجسس عليها وفاتشها وواقفها وحاسبها وخذها بأداء ما عليها أشد الاخذ ولا تطلبن ذلك من غيرها." (١)

"قال جامعة عفا الله عنة:

هذة طائفة من الاقوال والاخبار مما فات المؤلف ذكراها، او انها ذكرت بعدة، واقتصرت علي ما كان فيها لفظ " المروءة " وعلي الله التكلان:

. اخرج ابن النجار في تاريخة من طريق العكلي، عن ابية قال:

مر علي بن أبي طالب – رضي الله عنة – بقوم يتحدثون فقال:

فيم انتم؟..

فقالوا: نتذاكر المروءة.

فقال: او ما كفاكم الله عز وجل ذاك في كتابة اذا يقول " ان الله يامر بالعدل والاحسن " فالعدل: الانصاف، والاحسان: التفضل، فما بقي بعد هذا؟.

. قال عمرو بن عثمان المكي:

المروءة: التغافل عن زلل الاخوان.." (٢)

"وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قوما ألأم من إخوانك، قال مه ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك. قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم. فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا، وظاهر غدرهم وفاء. وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم.

وقد قال بعض الشعراء:

إذا ما بدت من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا

سليم دواعي الصبر لا باسط أذى ... ولا مانع خيرا ولا قائل هجرا

---

(١) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٢٠

(٢) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/٩٧

والداعي إلى هذا التأويل **شيئان: التغافل الحادث** عن الفطنة، والتألف الصادر عن الوفاء. وقال بعض الحكماء: وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل. وقال أكثم بن صيفي: من شدد نفر، ومن تراخى تألف، والشرف في التغافل. وقال شبيب بن شيبة الأديب: العاقل هو الفطن المتغافل. وقال الطائي:

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

وقال أبو العتاهية:

إن في صحة الإخاء من الناس ... وفي خلة الوفاء لقله

فالبس الناس ما استطعت على ... النقص وإلا لم تستقم لك خله

عش وحيدا إن كنت لا تقبل العذر ... وإن كنت لا تجاوز زله

من أب واحد وأم خلقنا ... غير أنا في المال أولاد عله

ومما يتبع هذا الفصل تألف الأعداء بما ينئيهم عن البغضاء ويعطفهم على المحبة. وذلك قد يكون بصنوف من البر ويختلف بسبب اختلاف الأحوال. فإن ذلك من سمات الفضل وشروط السؤدد، فإنه ما أحد يعدم." (١)

"فوصله اكتفاء بهذا التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال. ولذلك قال أكثم بن صيفي: السخاء حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل.

وحكي أن عبيد الله بن سليمان لما تقلد وزارة المعتضد كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له: نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن المهم مقدم

فقال عبيد الله: ما أحسن ما شكا أمره بين أضعاف مدحه، وقضى حاجته.

وقال بعض الشعراء:

ومن لا يرى من نفسه مذكرا لها ... رأى طلب المستنجدين ثقيلا

والسبب الرابع: أن يكون ذلك رعاية ليد أو جزاء على صنيعة، فيرى تأدية الحق عليه طوعا إما أنفة وإما شكرا ليكون من أسر الامتنان طليقا، ومن رق الإحسان وعبوديته عتيقا. قال بعض الحكماء: الإحسان رق، والمكافأة عتق.

وقال أبو العتاهية – رحمه الله تعالى –:

وليست أيادي الناس عندي غنيمة ... ورب يد عندي أشد من الأسر

والسبب الخامس: أن يؤثر الإذعان بتقديمه، والإقرار بتعظيمه، توطيدا لرئاسة هو لها محب، وعلى طلبها مكب. وقد قال الشاعر:

حب الرئاسة داء لا دواء له ... وقلما تجد الراضين بالقسم

فتستصعب عليه إجابة النفوس له طوعا إلا بالاستعطاف، وإذعانها له إلا بالرغبة والإسعاف.

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/١٨٠

وقد قال بعض الأدباء: بالإحسان يرتبط الإنسان.

وقال بعض البلغاء: من بذل ماله أدرك آماله. وقال بعض الشعراء:

أترجو أن تسود بلا عناء ... وكيف يسود ذو الدعة البخيل

والسبب السادس: أن يدفع به سطوة أعدائه، ويستكفي به نفار خصمائه، ليصيروا له بعد الخصومة أعوانا، وبعد العداوة إخوانا، إما." (١)

"غرائب أخلاق النفس ينبغي للعاقل أن لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكيه وشدة تلويه وتقلبه وبكائه فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين أنه الظالم المعتدي المفرط الظلم ورأيت بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم التشكي مظهرا لقلة المبالاة فيسبق إلى نفس من لا يحقق النظر أنه ظالم وهذا مكان ينبغي التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملة وأن لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ولكن يقصد الإنصاف بما يوجبه الحق على السواء من عجائب الأخلاق أن الغفلة مذمومة وأن استعمالها محمود وإنما ذلك لأن من هو مطبوع على الغفلة يستعملها في غير موضعها وفي حيث يجب التحفظ وهو مغيب عن فهم الحقيقة فدخلت تحت الجهل فذمت لذلك وأما المتيقظ الطبع فإنه لا يضع الغفلة إلا في موضعها الذي يذم فيه البحث والتقصي والتغافل فهما للحقيقة وإضرابا عن الطيش واستعمالا للحلم وتسكينا للمكروه فلذلك حمدت **حالة التغافل وذمت** الغفلة وكذلك القول في إظهار الجزع وإبطانه وفي إظهار." (٢)

"قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن مما يصفى لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس.

قال بعض الحكماء: رأس المداراة ترك المماراة.

وفي الحديث المرفوع: " إذا أحب الله عبدا أحبه الناس ".

أخذه الشاعر فقال:

إذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة في الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بشراركم "؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: " من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة. ألا أنبئكم بشر من ذلكم " قالوا: بلى. قال: " من يبغض الناس ويبغضونه ".

روينا أن داود عليه السلام، جلس كئيبا خاليا، فأوحى الله إليه: مالى أراك خاليا؟ قال: هجرت الناس فيك. قال: أفلا أدلك على شئ تبلغ رضاي؟ خالق الناس بأخلاقهم، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.

كان يقال: من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم.

قال أكثم بن صيفي: من تشدد فرق، ومن تراخى تألف، والسرور في التغافل.

قال علي رضى الله عنه: شرط الصحبة إقاله العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة.

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/١٨٩

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ابن حزم ص/٨٦

قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! قال: دفع ضغينة بأيسر مؤونة،واكتساب إخوان بأيسر مبذول.

قال محمود الوراق:

أخو البشر محمود على كل حالة ... ولن يعدم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للعرض حارسا

قال أعرابي يمدح رجلا بساما هو زياد الأعجم يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز.

أخ لك ما تراه الدهر إلا ... على العلات بساما جوادا

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مرارا ما أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وقال آخر:

ولي صاحب كالموت يوم فراقه ... تغير والأيام جم عجيبها

أريد له هجرا لبعض خلاله ... فتعطفني أخرى له فأجيبها

وقال آخر:

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه ... تلون ألوانا كثيرا خطوبها

إذا عبت منه خلة فهجرته ... دعتني إليه خلة لا أعيبها

وقال ابن وكيع:

من لم يدار الناس عن علم بهم ... انصرفوا وكلهم له عدا

وقال كثير:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولا يسلم الدهر صاحب

وقال آخر:

وكم من أخ لم يحتمل منه خلة ... قطعت ولم يمكنك منه بديل

ومن لم يرد إلا خليلا مهذبا ... فليس له في العالمين خليل

قال آخر:

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع: " أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما ".

وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية:

قل لمن يعجب من ... حسن رجوعي ومقالي

رب صد بعد ود ... وهوى بعد تقالى

قد رأينا ذا كثيرا ... جاريا بين الرجال

أنشد حبيب للفند الزماني وقال الجاحظ لا أظنها له:

صفحنا عن بني ذهل ... وقلنا: القوم إخوان

عسى الأيام أن يرجع ... ن قوما كالذي كانوا

قال آخر:

وكنت إذا صبحت رجال قوم ... صحبتهم وشيمتي الوفاء

فأحسن حين يحسن محسونهم ... وأجتنب الإساءة إن أساءوا

وأبصر ما ينقصني بعين ... عليها من عيونهم غطاء

وقال آخر:

ما نالت النفس على شهوة ... ألذ من ود صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك المغبون حق اليقين

قال آخر:

استوحش الناس على جدا ... ولا أرى لي من أناس بدأ." (١)

"مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال

أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسئول بكونه مباحا والمسئول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة

وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان

وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني أذى أطيقه ولكن يشق علي فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى

وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤال قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس وكمن يسأل

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٤٣

لأجل الأدم وهو واجد للخبز وكمن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء المسؤل فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المحذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة

فإن قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذل فبأن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فإن الذل لازم للمنة لا محالة

وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا إيذاء فإنه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة

وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيلا **إلى التغافل إن** أراد فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به وينبغي أن يسأل من لا يستحيا منه لو رده أو تغافل عنه فإن الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي

فإن قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم." (١)

"أما البخيل، فهو الذي يفرط ويقصر في الإنفاق، خوفا من أن تضطره الفاقة إلى المسئلة، والتذلل للأعداء، وكأن سبب البخل هو الجبن عند البحث. وأما الشحيح فهو الذي يجمع إلى ما ذكرناه أن يكره حسن حال غيره، طمعا في أن يضطره إلى الحاجة إليه، فينال به الجاه والرفعة، ومنشأ هذا ضرب من الجهل. وأما اللئيم، فهو الذي يجمع إلى هذه الصفات احتمال العار في الشيء الحقير، وسببه نوع من الخبث، وذلك مثل المتلصص والديوث. وأما الرياء فهو التشبه بذوي الأعمال الفاضلة، طلبا للسمعة والمفاخرة. وأما الهتكة، فالإعراض عن تزيين النفس بالأعمال الفاضلة، والمجاهرة بأضدادها، وأما الكزازة، فالإفراط في الجد. وأما المجانة فالإفراط في الهزل، وأما العبث فالإفراط في الإعجاب بلقاء الجليس والأنيس. وأما

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢١٢/٤

التحاشي، فإفراط في التبرم بالجليس. وأما الشكاسة، فمخالفة المعاشرين، في شرائط الأنس، وأما الملق فالتحبب إلى المعاشرين، **مع التغافل عما** يلحقه من عار الاستخفاف.." (١)

"٣٠٥- عمرو بن عثمان المكي

يكنى أبا عبد الله سكن بغداد.

عن ابي بكر القناديلي قال قال عمر بن عثمان المكي **المروءة التغافل عن** زلل الاخوان.

وقال العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك خداعة رواغة فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد.

وعن محمد بن علي بن الحسين قال سمعت عمرو بن عثمان يقول واغماه من عهد لم يقم له بوفاء ومن خلوة لم تصحب بحياء ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبدا.

وعن ابي بكر محمد بن احمد القناديلي قال قال عمرو بن عثمان المكي لقد وبخ الله التاركين للصبر على دينهم بما اخبرنا عن الكفار انهم قالوا: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ [ص: ٦٠] فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه.

وقال عثمان بن سهل دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علته التي توفي فيها فقلت له كيف تجدك فقال اجد سري واقفا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام.

سمع عمرو من يونس بن عبد الاعلى والربيع بن سليمان بن سيف الحراني وغيرهم.

وكان يقول ما صحبت احدا كان انفع لي صحبته ورؤيته من ابي عبد الله الساجي.

وتوفي ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وقيل سبع وتسعين قيل احدى وتسعين ويقال مات بمكة والاول اصح رحمه الله.

٣٠٥- عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص الإمام الرباني شيخ الصوفية أبو عبد الله المكي الزاهد توفي بعد سنة ٣٠٠هـ.." (٢)

"الفصل التاسع

الزمان أنصح المؤدبين وأفصح المؤذنين فانتبهوا بايقاظه واعتبروا بألفاظه

(فكم هذا التصامم والتعامي ... وكم **هذا التغافل والتواني**)

(لو أنا قد فهمنا عن خراب ... الديار مقالها لم يبن بان)

(ويجني العيش كل أذى ويهوى ... فيا للعيش يعشق وهو جان)

(فلله الأولى درجوا جميعا ... وزادهم النجاء من الهوان)

---

(١) ميزان العمل أبو حامد الغزالي ص/٢٨٥

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ٥٣١/١

(وما علقوا من الدنيا بشيء ... سوى بلغ بأطراف البنان)

(ولما أن رضوا شعث النواصي ... تقي وهبوا التصنع للغواني)

لله در العارفين بزمانهم إذ باعوا ما شانهم بإصلاح شأنهم ما أقل ما تعبوا وما ايسر ما نصبوا وما زالوا حتى نالوا ما طلبوه شمروا عن سوق الجد في سوق العزائم ورأوا مطلوبهم دون غيره ضربة لازم وجادوا مخلصين فربحوا إذ خسر حاتم وأصبحوا منزل النجاة وأنت في اللهو نايم متى تسلك طريقهم يا ذا المآثم متى تندب الذنوب ندب المآتم يا رجالا ما بانت رجوليتهم إلا بالعمايم يا أخوان الأمل قد بقي القليل وتفنى المواسم أين أنت من القوم ما قاعد كقائم للمهيار

(صحب الله راكبين إلى العز ... طريقا من المخافة وعرا)

(شربوا الموت في الكريهة حلوا ... خوف أن يشربوا من الضيم مرا)." (١)

"الصمت منام والكلام يقظة. العجب آفة اللب. المروءة ترك اللذة، واللذة ترك المروءة. الرفق والدوام وعلى الله التمام. الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقالغيره؟ الدنيا لا تعطي أحدا ما يستحقه: إما أن تزيده وإما أن تنقصه. إخوان السوء كثيرة. النار تحرق بعضها بعضا. الكريم إذا أساء فعن خطيئة، وإذا أحسن فعن نية. الأعمال المفروضة تذكر العبد بربه. الغيرة مفتاح الطلاق. الفهم شعاع العقل. الحدة سورة الجهل. الفتنة ينبوع الأحزان. أمن الزمان زمانة العقل. النعم أطواق إذا شكرت؛ وأغلال إذا كفرت. الشكر على النعم السالفة، تقتضي النعم المستأنفة. الظفر شافع المذنبين إلى الكرماء. أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة. الاعتراف يهدم الاقتراف. أخطر شيء بالإنسان غلطه فيمن يثق به. أول الغضب جنون وأخره ندم. المزاح سباب الحمقى. الدين وقر طالما أثقل الكرام.

المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين. الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها. أحق ما صبر عليه ما لا بد منه. أحق ما رد ما خالف شهادة العقل.

الدنيا والآخرة ضرتان؛ إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى. الدنيا والآخرة ككفتي الميزان؛ إن رجحت إحداهما خفت الأخرى. الناس في الدنيا بالأحوال، وفي الآخرة بالأعمال.

الأمور بعواقبها؛ والأعمال بخواتمها. الحر إذا جرح آسى؛ وإذا خرق رفا؛ وإذا أضر من جانب نفع من جانب. **إفراط التغافل تسافل**. إفراط الدماثة غثاثة. الحق حق وإن جهله الورى؛ والنهار نهار وإن لم يره الأعمى. النفس مائلة إلى شكلها؛ والطير واقعة على مثلها. الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود. الله يمهل ولا يهمل. إنما يعجل من يخاف الفوت. الأدب بين أهله نسب. الأدب من الأب والصلاح من الله.

السماع إدام المدام. الدنيا معشوقة وريقها الراح. الشرب على غير الدسم سم؛ وعلى غير النغم غم. الساجور خير من الكلب. الكريم يظلم من فوقه واللئيم يظلم من تحته. الحاسد يرى زوال النعمة نعمة عليه. الغربة كربة والنقلة مثلة، أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب.

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/١٧٠

النحو في الكلام كالملح في الطعام. اللحن في المنطق كالجدري في الوجه. الشجاع موقى والجبان ملقى. الأنام فرائس الأيام. البحر لا يخاض والليث لا يراض. الوسن يرى الحلم الحسن. أمور تمور وأحوال تحول. السنون تغير السنن. اللسان صغير الجرم؛ عظيم الجرم. استراح اللاغب وزهد الراغب. المقادير تجري بخلاف التقدير. أثقل من غريم على عديم. السفر يسفر عن أخلاق الرجال. التخفيف في العبادة خير عادة. اللهب لا ينقص من الذهب.
القلم أحد اللسانين. العم أحد الوالدين. العجيزة أحد الوجهين. رأس المال أحد الربحين. الخضاب أحد الشبابين. سامع الغيبة أحد المغتابين. بذل الجاه أحد الرفدين.

فصل الأخبار بسائر الحروف

كل الصيد في جوف الفرا. علم لا ينفع ككنز لا ينتفع به. نعم الختن القبر. جدع الحلال أنف الغيرة. حبك للشيء يعمي ويصم. شر الناس من اتقاه الناس لشره. جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها. خير شبابكم من تشبه بالشيوخ، وشر شيوخكم من تشبه بالشباب. من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. سيد القوم خادمهم. شر العمى عمى القلب. مطل الغني ظلم. خير الأمور أوساطها. خير ما جربت ما وعظك. خير المقال ما صدقه الفعال. لكل مقبل إدبار. لكل أمر عاقبة. ظلم الضعيف أفحش ظلم. رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.
لقاء أهل الخير عمارة القلوب الواهية. من التوفيق الوقوف عند الحيرة. رضي بالذل من كشف ضره. خاطر بنفسه من استبد برأيه. رسولك ترجمان عقلك. قيمة كل امرئ ما يحسن. قطيعة الجهل تعدل صلة العاقل. صاحب المعروف لا يقع وإن وقع يجد متكأ. خير من الخير مسديه، وشر من الشر من يأتيه. حسن الأخلاق أنفس الأعلاق. من تمام الصدق الأخبار بما تحمله العقول. من مأمنه يؤتى الحذر. من صلاح نفسك معرفتك بفسادها. من أشرف الكرم غفلتك عما تعلم.." (١)

"عليك إذا ضاغنتك الرجال ... بضرب الرؤوس وطعن الثغر
ولا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر
فإن الحسام يجز الرقاب ... ويعجز عما تنال الإبر
مثله للبستي:
لا يستخفن الفتى بعدوه ... أبدا وإن كان العدو ضئيلا
إن القذى يؤذي العيون قليله ... ولربما جرح البعوض الفيلا
صالح بن عبد القدوس:
إذا وترت امرءا فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا
إن العدو وإن أبدى مسالمة ... إذا رأى منك يوما فرصة وثبا
مثله لبعضهم:

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٢٠

لا تأمنن امرءا أسكنت مهجته ... غيظا، وإن قلت إن الجرح يندمل

قد يظهر المرء تجميلا لواتره ... وفي حشاه عليه النار تأتكل

ابن الرومي:

ليس عندي البشر للقا ... طب من فرط احتياله

بل ألاقيه عبوسا ... باسرا في مثل حاله

أنا كالمرآة ألقى ... كل وجه بمثاله

وقال آخر:

العيب في الخامل المغمور، مغمور ... وعيب ذي الشرف المذكور، مذكور

كفوقة الظفر تخفي من حقارتها ... ومثلها في سواد العين مشهور

وقال آخر:

ليس للحاجات إلا ... من له وجه وقاح

ولسان وبيان ... وغدو ورواح

والبة بن الحباب:

إن كان يجزى بالخير فاعله ... شرا ويجزى المسيء بالحسن

فويل تالي القرآن في غسق ا (م) لليل وطوبى لعابد الوثن

المتوكل الليثي:

وكم من لئيم ود أني شتمته ... وإن كان شتمي، فيه صاب وعلقم

وللكف عن شتم اللئيم تكرما ... أضر له من شتمه حين يشتم

ابن شرف:

وذي حسد مستعمل حالة الرضى ... معي وأبت نيرانه وسمومها

مددت له **ستر التغافل بيننا** ... وأعرضت عن أشياء عندي علومها

إبراهيم بن العباس الصولي:

خل النفاق لأهله ... وعليك فالتمس الطريقا

وارغب بنفسك أن ترى ... إلا عدوا أو صديقا

الحكم بن قنبر:

إن كنت لا ترهب ذمي لما ... تعرف من صفحي عن الجاهل

فاخش سكوتي فطنا منصتا ... فيك لتحسين خنا القائل

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

وقال أيضا:

لا تؤيسنك من عثمان حدته ... وإن تطاير من أثوابه الشرر

فإن حدته والله يكلؤه ... كالرعد والبرق يأتي بعده المطر

وقال آخر:

أبا حسن ما أقبح الجهل بالفتى ... وللحلم أحيانا من الجهل أقبح

إذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فإن الجهل أبقى وأروح

ابن وكيع:

مال يخلفه الفتى ... للشامتين من العدى

خيرله من قصده ... إخوانه مسترفدا

أبو الطيب، مثله:

فلا ينحلل في المجد مالك كله ... فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبره تدبير الذي المجد كفه ... إذا حارب الأعداء والمال زنده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وأصل ذلك قول المتلمس الضبعي:

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

وحفظ المال خير من بغاه ... وضرب في البلاد بغير زاد

ومنه قول ابن المعتز:

يا رب جود جر فقر امرئ ... فقام للناس مقام الذليل

فاشدد عرى مالك واستبقه=فالبخل خير من سؤال البخيل منصور الفقيه:

إذا تخلفت عن صديق ... ولم يعاتبك في التخلف

فلا تعد بعدها إليه ... فإنما وده تكلف

وقال أيضا:

لو كنت منتفعا بعلم ... ك مع مواصلة الكبائر

ما ضر شرب السم ذا ... علم بأن السم ضائر

وقال أيضا:

يا من تولى فأبدى ... لنا الجفا وتبدل

أليس منك سمعنا ... من لم يمت فسيعزل

وقال أيضا:

من قال "لا" في حاجة ... مطلوبة فما ظلم

وإنما الظالم من ... يقول "لا" بعد "نعم "

ابن المعتز:

إذا كنت ذا ثروة من غنى ... فأنت المسود في العالم

وحسبك من نسب صورة ... تخبر أنك من آدم

وقال آخر:

إذا ما كثرت على صاحب ... وإن كان يدنيك من نفسه

فلا بد من ملل واقع ... يغير ما كان من أنسه." (١)

"٢٢٠٩ - وعن طاوس، مرسلا، قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحسن صوتا للقرآن؟ وأحسن قراءة؟ قال: ((من إذا سمعته يقرأ أريت أنه يخشى الله)) قال طاوس: وكان طلق كذلك. رواه الدرامي [٢٢٠٩].

٢٢١٠ - وعن عبيدة المليكي، وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أهل القرآن! لا تتوسدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته، من آناء الليل والنهار، وأفشوه وتغنوه وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون، ولاتعجلوا ثوابه، فإن له ثوابا)). رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) [٢٢١٠].

بالتزيين الترتيل، والجهر به، وتحسين الصوت. وهذا الحديث لا يحتمل القلب، كما احتمله الحديث السابق، لتعليله بقوله: ((فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا)).

الحديث الرابع عن طاوس: قوله: ((أريت أنه يخشى الله)) أن من حسبته وظنته أنه يخشى الله، وتظهر أمارات الخشية منه، ويتأثر به قلبك. ولا يكون القارىء حينئذ إلا عالما بزواجره، وقوارعه، ومواعيده، فيخشى عذاب الله، ويرجو رحمته. وكأن الجواب من الأسلوب الحكيم حيث اشتغل في الجواب عن الصوت الحسن بما يظهر الخشية في القاريء والمستمع.

الحديث الخامس عن عبيدة: قوله: ((لا تتوسدوا القرآن)) يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون كناية رمزية عن التكاسل، أي لا تجعلوه وسادة تنامون عليه، بل قوموا به واتلوه آناء الليل وأطراف النهار. هذا معنى قوله: ((واتلوه حتى تلاوته)). وثإنيهما: أن يكون كناية تلويحية عن التغافل، فإن من جعل القرآن وسادة يلزم منه النوم، فتلزم منه الغفلة، يعني لا تغفلوا عن تدبر معإنيه، وكشف أسراره، ولا تتوانوا في العمل بمقتضاه، والإخلاص فيه. وهذا معنى قوله: ((واتلوه حتى تلاوته)). وقول الله تعالي ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلإنية يرجون تجارة لن تبور﴾ جامع للمعنيين، فإن قوله: (أقاموا، وأنفقوا) ماضيان عطفا علي ((يتلون)) وهو مضارع، دلالة علي الدوام والاستمرار في التلاوة المثمرة،

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٣٢

لتجدد العمل المرجو منه التجارة المربحة.

قوله: ((وأفشوه)) أي سمعوا الناس قراءته، وعلموهم، وأكثروا من كتابته، وتفسيره،." (١)

"خمسة أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والفتوة في الشيوخ، والحرص في العلماء والقراء.

وفيهما أيضا من حديثه «يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» .

وللترمذي «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» .

الفرسن العظم قليل اللحم وهو خف البعير أيضا كالحافر للدابة وقد يستعار للشاة وهو الظلف. ونونه زائدة وقيل أصلية، ووحر الصدر بالتحريك غشه ووسواسه. ولأحمد من حديث عمر: لا يشبع الرجل دون جاره. قال في المستوعب: وحسن الجوار مأمور به فإن للجار حقا وحرمة ثم ذكر كما ذكر الحسن وزاد في آخره ما لم يعص الله تعالى. وجاء رجل إلى أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب يشاوره في الانتقال عن محلة إلى أخرى لتأذي الجوار، فقال العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث من لا تعرفه وكان الشيخ تقي الدين يقول هذا المعنى أيضا.

وروى البيهقي في مناقب الإمام أحمد عن عثمان بن زائدة قال العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل. فحدثت به أحمد بن حنبل فقال العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.

وروى أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما كثرت النعم على قوم قط إلا كثر أعداؤها. وقد ذكرت خبر حذيفة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال يتعرض من البلاء ما لا يطيق» وقال بعضهم:

إن الهوان حمار الموت يألفه ... والحر ينكره والفيل والأسد." (٢)

"وإذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة في الناس

وذكر ابن عبد البر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «ألا أنبئكم بشراركم قالوا: بلى يا رسول الله قال: من لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة، ألا أنبئكم بشر من ذلكم قالوا: بلى يا رسول الله قال: من يبغض الناس ويبغضونه» .

وروي أن داود – عليه السلام – جلس كئيبا خاليا فأوحى الله إليه يا داود ما لي أراك خاليا قال: هجرت الناس فيك قال: أفلا أدلك على شيء تبلغ به رضائي؟ خالق الناس بأخلاقهم واحتجر الإيمان فيما بيني وبينك قال أكثم بن صيفي: من شدد نفر، ومن تراخى تألف، والسرور **في التغافل قال** علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: شرط الصحبة إقالة العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر قال: دفع ضغينة بأيسر مؤنة، واكتساب إخوان بأيسر مبذول قال محمود الوراق:

أخو البشر محمود على كل حالة ... ولم يعدم البغضاء من كان عابسا

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٦٩٢/٥

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ١٧/٢

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للعرض حارسا

وقال آخر:

وكم من أخ لا تحتمل منه علة ... قطعت ولم يمكنك منه بديل

ومن لم يرد إلا خليلا مهذبا ... فليس له في العالمين خليل

وقال آخر:

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

هذا مأخوذ من الحديث وروي مرفوعا وموقوفا وهو في الترمذي «أحبب حبيبك هونا ما، فعسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، فعسى أن يكون حبيبك يوما ما»." (١)

"الذي جاء «كلمة حق عند إمام جائر» فقدم هذا وكان عنده أن هذا أفضل.

وقال المروذي: سمعت إسحاق بن إبراهيم ونحن بالعسكر يناشد أبا عبد الله ويسأله الدخول على الخليفة ليأمره وينهاه وقال له: إنه يقبل مثل هذا إسحاق بن راهويه يدخل على ابن طاهر فيأمره وينهاه، فقال له: أبو عبد الله تحتج علي بإسحاق فأنا غير راض بفعله، ما له في رؤيتي خير، ولا لي في رؤيته خير، يجب علي إذا رأيته أن آمره وأنهاه، الدنو منهم فتنة، والجلوس معهم فتنة، نحن متباعدون منهم ما أرانا نسلم فكيف لو قربنا منهم؟ قال المروذي وسمعت إسماعيل ابن أخت ابن المبارك يناظر أبا عبد الله ويكلمه في الدخول على الخليفة، فقال له أبو عبد الله: قد قال خالك يعني ابن المبارك: لا تأتهم، فإن أتيتهم فاصدقهم وأنا أخاف أن لا أصدقهم.

وقال في الفنون أكثر من يخالط السلطان لشدة حرصهم على تنفيق نفوسهم عليه بإظهار الفضائل وتدقيق المذاهب، في درك المباغي والمطالب يبلغون مبلغا يغفلون به عن الصواب؛ لأن السلاطين دأبهم الاستشعار، والخوف من دواهي الأعداء فإذا أحسوا من إنسان تنغرا ولمحا تحرزوا منه بعاجل أحوالهم، والتحرز نوع إقصاء فإنه لا قربة لمن لا تؤمن مكايده وعنهم يفتعلون الدواهي لما عساه يلم بجانبهم، **فإن التغافل أصلح** لمخالطتهم من التجالد وإظهار اللمح، فإن للسلطان كنزا لا يجب ظهوره إلى كل أحد ويخاف من تكشف أحواله الدخول عليه من باب الخبرة به، والأولى في الحكمة أن لا ينكشف الإنسان بخلق في محبوبه ولا مكروهه فيدخل عليه الخوف منه.

وقال ابن عبد البر: في كتاب بهجة المجالس يقال: شر الأمراء أبعدهم من العلماء وشر العلماء أقربهم من الأمراء.." (٢)

"يراعي حاله لئلا ينكشف. وقيل: إن كان صالحا فله ذلك، وإن كان غيره فيكره، إلا أن يكون ثم من يراعي حاله، حكاه المنذري (١).

وفيه: التبرك بآثار الصالحين لا سيما سيد الصالحين؛ فإنه صب على جابر من وضوئه المبارك (٢).

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٤٧٠/٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٤٨٢/٣

وفيه: بركة ما باشروه أو لمسوه.

---

(١) "مختصر سنن أبي داود" ٤/ ١٦١.

(٢) قال العلامة الألباني رحمه الله: ولا بد من الإشارة إلى أننا نؤمن بجواز التبرك بآثاره – صلى الله عليه وسلم – ولا ننكره، ولكن لهذا التبرك شروطا منها: الإيمان الشرعي المقبول عند الله، فمن لم يكن مسلما صادق الإسلام فلن يحقق الله له أي خير بتبركه هذا، كما يشترط للراغب في التبرك أن يكون حاصلا على أثر من آثاره – صلى الله عليه وسلم – ويستعمله، ونحن نعلم أن آثاره – صلى الله عليه وسلم – من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، وإذا كان الأمر كذلك فإن التبرك بهذه الآثار يصبح أمرا غير ذي موضع في زماننا هذا، ويكون أمرا نظريا محضا، فلا ينبغي إطالة القول فيه، ولكن ثمة أمر يجب تبيانه، وهو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – وإن أقر الصحابة في غزوة الحديبية وغيرها على التبرك بآثاره والتمسح بها، وذلك لغرض مهم وخاصة في تلك المناسبة، وذلك الغرض هو إرهاب كفار قريش وإظهار مدى تعلق المسلمين بنبيهم، وحبهم له، وتفانيهم في خدمته وتعظيم شأنه، إلا أن الذي لا **يجوز التغافل عنه** ولا كتمانه، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد تلك الغزوة رغب المسلمين بأسلوب حكيم وطريقة لطيفة عن هذا التبرك وصرفهم عنه، وأرشدهم إلى أعمال صالحة خير لهم منه عند الله –عز وجل– وأجدى. اهـ. انظر: "التوسل أنواعه وأحكامها" ص١٤٤ – ١٤٥.

وقال الشيخ صالح بن فوزان: من البدع المحدثة التبرك بالمخلوقين، وهو لون من ألوان الوثنية، وشبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس، والتبرك طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه، وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها، ولا على إبقائها وتثبيتها، فالتبرك بالأماكن والآثار والأشخاص –أحياء وأمواتا– لا يجوز؛ لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة، أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيارته =." [١]

"حفظ العهد

ومنها الدوام للإخوان على حسن العشرة، وإن وقعت بينهم وحشة أو نفرة، فلا يترك كرم العهد، ولا يفشي الأسرار المعلومة في أيام الأخوة.

وينشد لبعضهم:

نصل الصديق إذا أراد وصالنا ... ونصد عند صدوده أحيانا

إن صد عني كنت أكرم معرض ... ووجدت عنه مذهبا ومكانا

لا مفشيا بعد القطيعة سره ... بل كاتم من ذاك ما استرعانا

إن الكريم إذا تقطع وده ... كتم القبيح وأظهر الإحسانا

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٢٧/٤

ومنها التغافل عن الإخوان. قال جعفر بن محمد الصادق: (عظموا أقداركم بالتغافل) .." (١)

"٢٢١٠ - وعن عبيدة المليكي وكانت له صحبة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - («يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته من آناء الليل والنهار، وأفشوه وتغنوه وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون، ولا تعجلوا ثوابه فإن له ثوابا») رواه البيهقي في شعب الإيمان.

٢٢١٠ - (وعن عبيدة) بفتح أوله قاله ابن حجر، وفي نسخة بضم ففتح (المليكي) بالتصغير (وكانت له صحبة) ، أي: بالنبي صلى الله عليه وسلم، والجملة معترضة من كلام البيهقي، أو غيره ولم يذكره المصنف في أسمائه (قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا أهل القرآن) خصوا بالخطاب لأنهم يجب عليهم المبالغة في أداء حقوقه أكثر من غيرهم لاختلاطه بلحمهم ودمهم، ويحتمل أن يراد بهم المؤمنون كلهم لأنهم ما يخلون عن بعض القرآن، أو المراد بأهل القرآن المؤمنون به كما في قوله - عليه الصلاة والسلام - يا أهل البقرة (لا تتوسدوا القرآن) : أي لا تجعلوه وسادة لكم تتلون وتنامون عليه وتغفلون عنه وعن القيام بحقوقه وتتكاسلون في ذلك؛ بل قوموا بحقه لفظا، وفهما، وعملا، وعلما (واتلوه حق تلاوته) : أي اقرؤوه حق قراءته أو اتبعوه حق متابعته، قال النووي في شرح المهذب عن الشيخ أبي محمد الجويني وأقره: لو قرأ نستعين بوقفة لطيفة بين السين والتاء حرم عليه؟ ! لأن ذلك ليس بوقف، ولا منتهى آية عند أحد من القراء. قال ابن حجر: فيه دلالة على أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ومد وغيرهما وجب تعلمه وحرم مخالفته (من آناء الليل والنهار) : أي اتلوه تلاوة كثيرة مستوفية لحقوقها في ساعات الليل والنهار، واتلوه حق تلاوته حال كونها في ساعات هذا وهذا، قال الطيبي: (لا تتوسدوا) يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون كناية رمزية عن التكاسل، أي: لا تجعلوه وسادة تنامون عنه بل قوموا واتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وهذا معنى قوله: (فاتلوه حق تلاوته) ، وثانيها: أن يكون كناية تلويحية **عن التغافل فإن** من جعل القرآن وسادة يلزم منه النوم فيلزم منه الغفلة، يعني: لا تغفلوا عن تدبر معانيه، وكشف أسراره، ولا تتوانوا في العمل بمقتضاه، والإخلاص فيه، وهذا معنى قوله حق تلاوته " ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ [فاطر: ٢٩] للمعنيين فإن قوله: أقاموا وأنفقوا ماضيان عطفا على يتلون، وهو مضارع دلالة على الدوام والاستمرار في التلاوة المثمرة لتجدد العمل المرجو منه التجارة المربحة اهـ. كلامه - رحمه الله -. وقد أطنب ابن حجر هنا بذكر الفروع الفقهية المتعلقة بالقرآن من تحريم توسد المصحف ومستثنياته، وتحريم مد الرجل، ووضع الشيء فوقه، واستدباره، وتخطيه، ورميه، وتصغير لفظه، وجواز تقبيله، وكراهة أخذ الفأل منه، ونقل تحريمه عن بعض المالكية وإباحته عن بعض الحنابلة، وأمثال ذلك مما هو محله في كتب الفتاوى والخلافيات، وأغرب من هذا، أنه قال." (٢)

---

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة الغزي، أبو البركات ص/٥٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١٥٠٦/٤

"٣٢٤٢ – وعن عبد الله بن زمعة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» . وفي رواية «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها في آخر يومه ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال: لم يضحك أحدكم مما يفعل؟» . متفق عليه.

٣٢٤٢ – (وعن عبد الله بن زمعة) : بفتحتين ويسكن قال ابن الهمام: بفتحتين، وفي جامع الأصول بفتح الزاي وفتح الميم وقد يسكن وبالعين المهملة، وقال: المعنى أكثر الفقهاء والمحدثين يسكنون الميم. (قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: لا يجلد أحدكم) : أي: لا يضرب (امرأته جلد العبد) : بفتح الجيم أي ضربا شديدا (ثم يجامعها) : بالسكون للعطف على المجزوم (في آخر اليوم) : قال الطيبي: ثم للاستبعاد، أي مستبعد من العاقل الجمع بين هذا الإفراط والتفريط من الضرب المبرح والمضاجعة. اهـ. ولذا ورد أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما، أو هذا معنى التدبر في الأمر أي النظر في عاقبته. (وفي رواية يعمد) : بكسر الميم أي يقصد (أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها) : أي: يرجع إلى قضاء شهوته منها (في آخر يومه) : أي: يوم جلده فلا تطاوعه، قيل: النهي عن ضربهن كان قبل أمره به كما يأتي، والأظهر أن النهي مقيد بالضرب الشديد فلا ينافيه أمره بالضرب المطلق بل يخصه، قال الطيبي: وهذا يدل على جواز ضرب الإماء والعبيد للتأديب إذا لم يتأدبوا بالكلام الغليظ، لكن العفو أولى، وفيه حسن المعاشرة مع النساء والرفق بهن. (ثم وعظهم) : هي للتراخي في الزمان بعد ما تكلم بالكلام السابق بزمان، رآهم يضحكون من الفعلة المذكورة فوعظهم أي نصحهم (في ضحكهم) : بكسر فسكون في القاموس الضحك بالفتح وبالكسر وبكسرتين وككتف، وفيه إشارة إلى أن القهقهة أولى بالمنع وأن التبسم لا بأس به، والأظهر أن المراد به المعنى الأعم. (من الضرطة فقال) : عطف على وعظ (لم يضحك أحدكم مما يفعل) : وفي نسخة " مما يفعله " أي هو بنفسه؛ لأن الضحك لا يحسن إلا من أمر غريب وشأن عجيب، ولا يوجد عادة ففيه **ندب التغافل عن** ضرطة الغير؛ لئلا يتأذى فاعلها وقد بلغنا أن حاتما لم يكن أصم وإنما سألته امرأة عن مسألة وفي أثناء المسألة حصل منها ضرطة، فقال ارفعي صوتك دفعا لخجالتها، فحسبت إنه أصم ففرحت ثم أنه نم بذلك الحال تتميما لدفع المقال، قال الطيبي – رحمه الله –: فيه تنبيه على إنه ينبغي للرجل العاقل إذا أراد أن يعيب على أخيه المسلم شيئا أن ينظر في نفسه أولا هل هو بريء منه أو ملتبس به؟ فإن لم يكن بريئا، فلأن يمسك عنه خير من أن يعيبه ولقد أحسن من قال:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذي هو فيه.

(متفق عليه) : وروى الطبراني في الأوسط عن جابر «نهي عن الضحك من الضرطة» .." (١)

"٤٥٨ – (إذا أطال أحدكم الغيبة) في سفر أو غيره ومن قيد بالسفر فكأنه لم ينتبه لما نقله هو عن أهل اللغة الآتي على الأثر ومرجع الطول العرف (فلا يطرق) بفتح أوله وفي رواية للشيخين فلا يطرقن (أهله) أي لا يفجأ حلائله بالقدوم عليهم بالليل لتفويت التأهب عليهم. والطروق المجيء بالليل من سفر أو غيره من الطرق وهو الدق سمى الآتي بالليل طارقا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٢١١٩/٥

لحاجته إلى دق الباب قالوا: ولا يقال في النهار إلا مجازا فقوله (ليلا) للتأكيد دفعا لمجاز استعمال الطرق في النهار ولا ينافيه خبر البخاري عن جابر كنا في غزوة فلما قفلنا ذهبنا لندخل فقال صلى الله عليه وسلم أمهلوا حتى تدخلوا ليلا أي عشاء لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة لأن الأمر بالدخول ليلا لمن علم أهله بقدومه فاستعدوا والنهي لمن فاجأ قبل ذلك وأفهم تقييده بالطول أنه لو قرب سفره بحيث تتوقع حليلته إتيانه فتتأهب أنه لا يكره. وبه جزم جمع منهم الطيبي وجرى عليه ابن حجر حيث قال: التقييد بطول الغيبة يشير إلى أن علة النهي إنما توجد حينئذ والحكم يدور مع علته وجودا وعدما فلما كان الذي يخرج لحاجة مثلا نهارا ويرجع ليلا لا يتأدى به له ما يحذر من الذي يطيل الغيبة لم يكن مثله أه. فقول الزين زكريا: الطول ليس بقيد غير جيد كيف والحديث مصرح به والعلة تقتضيه. قال الطيبي: وكذا لو كان في قفل أو عسكر عظيم واشتهر قدومهم تلك الليلة لزوال العلة المقتضية للكراهة وهي عدم تأهب حليلته -[٢٨٩]- فيعافها وقول ابن حجر: أو يجدها على حالة غير مرضية والشرع أمرنا بالستر وعدم تطلب العثرات غير مرضي إذ على الإنسان شرعا وحمية وألفة ومروءة أن يتفحص عن أهل بيته فإن عثر على ريبة حرص على إزالة مقتضيها ولا يقول عاقل فضلا عن عالم فاضل أن الإنسان ينبغي **له التغافل عن** أهل بيته وإهمال النظر في دواخل أحوالهم ليتمكنوا من فعل ماشاؤوا من ضروب الفساد ويستمر ذلك مستورا عليه واستكشافه لأحوالهم لا ينافي الستر المطلوب فإنه إن رأى ريبة كتمها وفارق أهله أو أدب سرا وحسم طريق الفساد

(حم ق عن جابر) ورواه عنه أيضا أبو داود والنسائي وغيرهما." (١)

"٩١١ - (أربا الربا) أي أزيده إثما وأقبحه جرما (تفضيل المرء) أي زيادته (على أخيه) في الإسلام (بالشتم) أي السب والذم. قال الطيبي: أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة وجعل الربا نوعين: متعارفا وغير متعارف وهو - أي غير المتعارف - استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه بأكثر مما يستحقه ثم فضل أحد النوعين على الآخر ولما بين العرض والمال من المناسبة. وقال الغزالي: إن ذلك من الكبائر. وأخرج البيهقي عن ابن مسعود أنه جاء رجل يشكو جاره فقال: إنك إن سببت الناس سبوك وإن نافرتهم نافروك وإن تركتهم تركوك وعن سليم بن زياد: مكتوب في التوراة من لم يسالم الناس لم يسلم ومن شتم الناس شتم ومن طلب الفضل من غير أهله ندم. وقال كسرى لوزيره: ما الكرم؟ **قال: التغافل عن** الزلل قال: فما اللوم؟ قال: الاستقصاء على الضعيف والتجاوز عن الشديد قال: فما الحياء؟ قال: الكف عن الخنا

(ابن أبي الدنيا) واسمه يحيى (في) كتاب فضل (الصمت عن أبي نجيح مرسلا) ورواه بمعناه مسند الطبراني عن يوسف بن عبد الله بن سلام يرفعه بلفظ: أربا الربا استطالة أحدكم في عرض أخيه المسلم. قال الهيتمي: وفيه محمد بن موسى الأملي عن عمر بن يحيى ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. ورواه أيضا أبو يعلى عن عائشة مرفوعا بلفظ: أربا الربا عند الله استحلال

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٨٨/١

عرض امرىء مسلم ثم قرأ ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ قال الهيتمي: ورجاله رجال الصحيح." (١)

"١٩٥٦ - (إن الأمير إذا ابتغى الريبة) أي طلب الريبة أي التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيها فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا ومقصود الحديث حث الإمام **على التغافل وعدم** تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام والإنسان قل ما يسلم من عيبه فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح ولا يتبع عوراتهم ولا يتجسس عليهم وعن ابن مسعود أنه قيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن ظهر لنا شيء نأخذ به قال النووي حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد على شرط الشيخين

(٢) عدوا من ثمرات سوء الظن المنهي عنه التجسس فإن القلب المريض لا يقع بالظن فيتطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس فيقع في سوء الظن بالذم

(د) في الأدب (ك) في الحدود كلاهما من رواية إسماعيل بن عياش (عن جبير بن نفير) بنون وفاء مصغرا ابن مالك الحضرمي الحمصي ثقة جليل أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم باليمن وروى عن أبي بكر وعمر ولأبيه صحبة قال في التقريب لأنه ما وفد إلا في عهد عمر وقال أبو زرعة: جبير هذا عن أبي بكر مرسل (وكثير بن مرة) الحضرمي الجهيني الحمصي قال الذهبي أورده عبدان في الصحابة وهو تابعي مشهور قد أرسل انتهى وسبقه ابن الأثير في الأسد فقال عن أبي موسى كثير هذا حديثه مرسل ولم يذكره في الصحابة غير عبدان وفي التقريب كثير ثقة من الثالثة (والمقدام وأبي أمامة) ورواه أيضا أحمد والطبراني عنهما ورجاله ثقات ذكره الهيثمي." (٣)

"٧٥١٥ - (لولا أن المساكين) في رواية بدله السؤال (يكذبون) في دعواهم الفاقة ومزيد الحاجة (ما أفلح من ردهم) يعني يكذبون في صدق ضرورتهم وحاجتهم غالبا لا أن كلهم كذلك بل فيهم من يجعل المسألة حرفة. سمعت عائشة سائلا يقول: من يعشيني أطعمه الله من ثمار الجنة فعشته فخرج فإذا هو ينادي من يعشيني فقالت: هذا تاجر لا مسكين فلما احتمل أمرهم كذبا وصدقا خفف أمر الرد بقوله لولا ولم يجزم وقوع التهديد وإنما رد الراد بفوات التقديس وهو التطهير بالصدقة لأن للسائل حقا وفيه حث على إجابة السائل وتحذير **من التغافل عنه** والرد خوفا من كونه صادقا

(طب) والقضاعي (عن أبي أمامة) الباهلي قال الهيثمي: فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف وفي الميزان عن العقبلي: لا يصح في هذا شيء وحكم ابن الجوزي بوضعه ونازعه المصنف." (٤)

---

(١) فيض القدير المناوي ٤٦١/١

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير المناوي ٣٢٣/٢

(٤) فيض القدير المناوي ٣٤١/٥

"برفع عملي وأنا صائم) وفي رواية وأنا في عبادة ربي وهذا غير العرض اليومي والعامي فاليومي إجمالا وما عداه تفصيلا أو عكسه (الشيرازي في الألقاب عن أبي هريرة هب عن أسامة بن زيد) ورواه عنه أبو داود وغيره

(أن الإمام) الأعظم (العادل) بين رعيته وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم (إذا) مات و (وضع في قبره) على شقه الأيمن (ترك على يمينه) أي لم تحوله عنه الملائكة (فإذا كان جائرا نقل من يمينه على يساره) أي وأضجع على جنبه الأيسر فإن اليمين يمن وبركة فهو للأبرار والشمال للفجار (ابن عساكر عن عمر بن عبد العزيز) الخليفة الأموي (بلاغا) أي أنه قال بلغنا عن رسول الله ذلك

(أن الأمير إذا ابتغى الريبة) أي طلب الريبة أي التهمة (في الناس) يتتبع فضائحهم (أفسدهم) يعني إذا جاهرهم بسوء الظن فيهم أدى ذلك إلى ارتكابهم ما ظن بهم ورموا به ففسدوا ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام (د ك عن جبير بن نفير) بنون وفاء مصغرا وهو الجهضمي الحمصي صحابي صغير وقيل تابعي (وكثير بن مرة) تابعي كبير فالحديث من جهته مرسل (والمقدام وأبي أمامة) ورواه أيضا أحمد والطبراني عنهما ورجاله ثقات

(أن الإيمان ليخلق) أي يكاد أن يبلى (في جوف أحدكم) أيها المؤمنون (كما يخلق الثوب) وصف به على طريق الاستعارة (فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم) حتى لا يكون لقلوبكم وله لغيره ولا رغبة في سواه وفيه أن الإيمان يزيد وينقص (طب عن ابن عمر) بن الخطاب بإسناد حسن (ك عن ابن عمرو) بن العاص بإسناد رواته ثقات

(أن الإيمان ليأرز) بلام التوكيد وهمزة ساكنة فراء مهملة فزاي معجمة أي لينضم ويلتجئ (إلى المدينة) النبوية يعني يجتمع أهل الإيمان فيها وينضمون إليها (كما تأرز الحية إلى حجرها) بضم الجيم أي كما تنضم وتلتجئ إليه إذا انتشرت في طلب المعاش ثم رجعت فكذا الإيمان شبه انضمامهم إليها بانضمام الحية لأن حركتها أشق لمشيها على بطنها والهجرة إليها كانت مشقة (حم ق ه عن أبي هريرة) وفي الباب سعد وغيره

(أن البركة تنزل في وسط الطعام) بسكون السين أي الإمداد من الله تعالى ينزل في وسطه (فكلوا) ندبا (من حافاته) أي جوانبه وأطرافه (ولا تأكلوا من وسطه) أي يكره ذلك تنزيها لكونه محل تنزلات البركة والخطاب للجماعة أما المنفرد فيأكل من الحافة التي تليه وعليه تنزل رواية حافته بالإفراد (ت ك عن ابن عباس) قال ك صحيح وأقروه

(أن البيت) يعني الموضع وقصره على بيت الصلاة بعيد (الذي فيه الصور) ذوات الأرواح (لا تدخله الملائكة) ملائكة الرحمة والبركة زجرا لرب البيت ولأن في اتخاذها شبها بالكفار (مالك) في الموطأ (ق عن عائشة) وغيرها

(أن البيت الذي يذكر الله فيه) بأي نوع من أنواع الذكر (ليضيء) حقيقة لا مجازا خلافا لمن وهم (لأهل السماء) أي الملائكة (كما تضيء النجوم لأهل الأرض) أي كإضاءتها لمن في الأرض من الآدميين وغيرهم من سكانها (أبو نعيم في المعرفة عن سابط) بن أبي حميصة القرشي

(أن الحجامة في الرأس) أي في وسطه (دواء من كل داء) وأبدل منه قوله (الجنون والجذام) بضم الجيم داء معروف (والعشا)

بفتح العين والقصر ضعف البصر أو عدم الإبصار ليلا (والبرص) وهو آفة تعرض في البشرة تخالف لونها (والصداع) بالضم وجع الرأس وهو مخصوص بأهل الحجاز ونحوهم (طب عن أم سلمة) أم المؤمنين." (١)

"[٤٨٨٧] (عرضي لمن شتمني) أي متصدق لمن شتمني

٤ - (باب في التجسس [٤٨٨٨])

أي في النهي عنه كما في نسخة وهو بالجيم معناه التفتيش عن بواطن الأمور في الشر غالبا

وقيل هو البحث عن العورات

(عن معاوية) أي بن أبي سفيان (إن اتبعت إلخ) قال في فتح الودود أي إذا بحثت عن معائبهم وجاهرتهم بذلك فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم عنك فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة انتهى (أو كدت إلخ) شك من الراوي

والحديث سكت عنه المنذري

[٤٨٨٩] (إن الأمير إذا ابتغى الريبة إلخ) الريبة بالكسر أي طلب أن يعاملهم بالتهمة والظن السوء ويجاهرهم بذلك قال في النهاية أي إذا اتهمهم وجاهرهم بسوء الظن فيهم أداهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ففسدوا انتهى

قال المناوي ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات

قال المنذري في إسناده إسماعيل بن عياش وفيه مقال

وشريح بن عبيد حضرمي شامي كنيته أبو." (٢)

"الحية والعقرب)) .

والإباحة، وصرفه عن الوجوب ما رواه أبويعلى والطبراني في الأوسط عن عائشة، قالت: دخل علي بن أبي طالب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي، فقام إلى جنبه فصلى بصلاته، فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تركته، فذهبت نحو علي، فضربها بنعله حتى قتلها، فلم ير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتلها بأسا. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٢: ص٨٤) : رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير معاوية بن يحي الصدفي، وأحاديثه عن الزهري مستقيمة، كما قال البخاري، وهذا منها، وضعفه الجمهور. وفي طريق الطبراني: عبد الله بن صالح كاتب الليث. قال عبد الملك بن شعيب بن الليث ثقة مأمون، وضعفه الأئمة أحمد وغيره-انتهى. (الحية والعقرب) بيان

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢٨٠/١

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١٥٩/١٣

للأسودين. وتسمية العقرب والحية بالأسودين إما لتغليب الحية على العقرب؛ لأنه لا يسمى بالأسود في الأصل إلا الحية، أو لأن عقرب المدينة يميل إلى السواد. وقيل: بل لأن بعض العقارب يكون أسود، و"ال" فيهما للجنس، فيشمل كل منهما الذكر والأنثى، ويلحق بهما كل ضرار مباح القتل كالزنابير والشبثان ونحوهما، وأما القمل فقال القاضي: **الأولى التغافل عنه**، فإن قتلها فلا بأس؛ لأن أنسا كان يقتل القمل والبراغيث في الصلاة، وكان الحسن يقتل القمل، وقال الأوزاعي: تركه أحب إلي، وكان عمر يقتل القمل في الصلاة، رواه سعيد، كذا في المغني (ج١: ص٦٦٧) . قال الشوكاني: والحديث يدل على جواز قتل الحية والعقرب في الصلاة من غير كراهة. وإلى ذلك ذهب جمهور العلماء، كما قال العراقي. وحكى الترمذي عن جماعة كراهة ذلك، منهم إبراهيم النخعي. وقال الخطابي في المعالم (ج١:ص٢١٨) : رخص عامة أهل العلم في قتل الأسودين إلا إبراهيم النخعي، والسنة أولى ما اتبع-انتهى. قال العراقي: وأما من قتلها في الصلاة، أو هم بقتلها فعلي بن أبي طالب وابن عمر روى ابن أبي شيبة عنه بإسناد صحيح أنه رأى ريشة وهو يصلي فحسب أنها عقرب، فضربها بنعله، ورواه البيهقي أيضا وقال: فضربها برجله، وقال: حسبت أنها عقرب. واعلم أن الأمر بقتل الحية والعقرب في الصلاة مطلق غير مقيد بضربة أو ضربتين، فيجوز قتلهما في الصلاة، وإن احتاج فيه إلى المشي الكثير والمعالجة الكثيرة لإطلاق الحديث. قال ابن الهمام: الحديث بإطلاقه يشمل ما إذا احتاج إلى عمل كثير-انتهى. ولا تفسد الصلاة بذلك؛ لأنه رخصة كالمشي والعمل في سبق الحديث عند الحنفية. وفي شرح المنية قالوا: أي بعض المشائخ هذا إذا لم يحتج إلى المشي الكثير كثلاث خطوات متواليات، ولا إلى المعالجة الكثيرة كثلاث ضربات متواليات، فأما إذا احتاج فمشى وعالج تفسد صلاته كما لو قاتل؛ لأنه عمل كثير، ذكره السروجي في المبسوط. ثم قال: والأظهر أنه لا تفصيل فيه؛ لأنه رخصة كالمشي في سبق الحدث، ويؤيد إطلاق الحديث، والأصح هو الفساد، إلا أنه يباح له إفسادها لقتلهما كما يباح لإغاثة ملهوف أو تخليص أحد من الهلاك كسقوط من سطح أو حرق أو غرق، ذكره القاري في المرقاة. والحق عندنا هو عدم التفصيل، فقتلهما لا يفسد الصلاة مطلقا لإطلاق الحديث. ذكر شيخ الإسلام السرخسي: أن الأظهر أن لا تفسد صلاته؛ لأن هذا عمل رخص فيه للمصلي، فأشبه المشي بعد الحدث والاستقاء من البئر." (١)

"واتلوه حق تلاوته، من آناء الليل والنهار، وافشوه وتغنوه وتدبروا ما فيعه لعلكم تفلحون ولا تعجلوا، ثوابه، فإن له ثوابا)) . رواه البيهقي "في شعب الإيمان"

(٢) باب

﴿الفصل الأول﴾

٢٢٣٣- (١) عن عمر بن الخطاب، قال: ((سمعت هشام بن حكيم بن حزام

عن تلاوة القرآن والتغافل عن القيام بحقوقه أي لا تهملوا تلاوة القرآن والانتفاع بهداه فإن الذي يجعل القرآن وسادة أو يضعه تحت وسادته للنوم فإنما يعرض عن الانتفاع بمعانيه وعن الاهتداء بهداه فإن الوسادة ممتهنة جعلت للاتكاء عليها

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٣/٣٧٨

ووضع الرأس في النوم عليها. قال القاري: أي لا تجعلوه وسادة لكم تنامون عليه وتغفلون عنه وعن القيام بحقوقه وتتكاسلون في ذلك بل قوموا بحقه لفظا وفهما وعملا وعلما (واتلوه حق تلاوته) أي إقرؤه حق قراءته واتبعوه حق متابعته (من آناء الليل والنهار) أي اتلوه تلاوة كثيرة مستوفية لحقوقها في ساعات الليل والنهار أو اتلوه حق تلاوته حال كونها في ساعات هذا وهذا: قال الطيبي: "لا تتوسدوا" يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون كناية رمزية عن التكاسل أي لا تجعلوه وسادة تنامون عنه بل قوموا به واتلوه آناء الليل وأطراف النهار. وثانيهما أن يكون كناية تلويحية **عن التغافل فإن** من جعل القرآن وسادة يلزم منه النوم فيلزم منه لغفلة يعني لا تغفلوا عن تدبر معانيه وكشف أسراره ولا تتوانوا في العمل بمقتضاه والإخلاص فيه (وافشوه) أي بالاسماع والتعليم والكتابة والتفسير والمدارسة والعمل (وتغنوه) كذا في جميع النسخ الحاضرة وذكره في الكنز بلفظ: تغنوا به أي حسنوا الصوت وترنموا به أو استغنوا به عن غيره (تدبروا ما فيه) أي من الآيات الباهرة والزواجر البالغة والمواعيد الكاملة (ولا تعجلوا) قال القاري: بتشديد الجيم المكسورة وفي نسخة بفتح التاء والجيم المشددة المفتوحة أي لا تستعجلوا (ثوابه) قال الطيبي: أي لا تجعلوه من الحظوظ العاجلة (فإن له ثوابا) أي مثوبة عظيمة آجلة (رواه البيهقي) أي مرفوعا ورواه موقوفا أيضا كما في الإتقان وقد تقدم أنه أخرجه البخاري في التاريخ الكبير موقوفا والطبراني مرفوعا وسنده ضعيف وعزاه في الكنز لأبي نعيم وابن عساكر أيضا.

(باب) بالرفع والوقف أي في توابع أخرى كاختلاف القراءات وجمع القرآن.

٢٢٣٣- قوله: (سمعت هشام بن حكيم بن حزام) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الزاي المعجمة ابن خويلد." (١)

"وكل من حل في الدنيا فمرتحل ... يوما لمنزلة في إثر مرتحل

هلا اعتبرت فكم حلوا وكم رحلوا ... وإنما الناس في حل ومرتحل

إذا تجهم أمر لا مرد له ... لم يغن عنك اقتناء المال والحلل

يقوم عنك الأطباء والصديق إذا ... وقد طووا صحف التدبير والحيل

فيدرجونك في الأكفان منتزعا ... عنك الثياب من الأبراد والحلل

ويودعونك تحت الأرض منفردا ... ويتركونك محجوبا من المقل

وقائل منهم قد كان خير أب ... وقائل منهم قد كان خير ولي

فبعد ذلك لا يدرون ما فقدوا ... وهمهم في اقتسام الإرث بالجدل

وبعضهم مع بعض في مخاصمة ... وإنهم بين منصور ومنخذل

ويأخذون قريبا في معايشهم ... لا يذكرونك في خلو ومحتفل

يا أيها الغر لا تغررك صحبتهم ... خير المصاحب عندي صالح العمل

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٢٩٥/٧

فيم التغافل والأيام دائرة ... فيم التكاسل والأحوال في حول

فيم العويل لدى دار خلت وعفت ... فيم البكاء على الآثار والطلل

فيم التصابي وأيام الصبا غبرت ... فيم النسيب ولا إبان للغزل

فكيف تلعب والخمسون قد كملت ... وكيف تلهو ونار الشيب في شعل

دع ذكر ليلى ولبنى وازديادهما ... ثم ارتحالهما من هذه الحلل

تلك الغواني وإن أخلصن خلتها ... والله لسن بريئات من الدخل

حب الأحبة حرمان ومندمة ... فالغول عاقبة للشارب الثمل

يا رب صل وسلم دائما أبدا ... على نبيك طه سيد الرسل." (١)

".. والعجب فاحذره إن العجب مجترف ... أعمال صاحبه في سيله العرم

آخر:

ضيعت عمرك يا مغرور في غفل ... قم للتلاقي فأنت اليوم في مهل

واستفرغ الدمع مما فات من زمن ... واندب بتوبة على أيامك الأول

بادر إلى صالح الأعمال مجتهدا ... فالنجع في الجد والحرمان في الكسل

كن لا محالة في الدنيا كمغترب ... على رحيل دنى أو عابر السبل

دار الخلود مقاما دار آخرة ... إن الإقامة في الدنيا إلى أجل

وكل من حل في الدنيا فمرتحل ... يوما لمنزلة في إثر مرتحل

هلا اعتبرت فكم حلوا وكم رحلوا ... وإنما الناس في حل ومرتحل

إذا تجهم أمر لا مرد له ... لم يغن عنك اقتناء الملل والحلل

يقوم عنك الأطباء والصديق إذا ... وقد طووا صحف التدبير والخيل

فيدرجونك في الأكفان منتزعا ... عنك الثياب من الأبراد والحلل

ويودعونك تحت الأرض منفردا ... ويتركونك محجوبا من المقل

وقائل منهم قد كان خير أب ... وقائل منهم قد كان خير ولي

فبعد ذلك لا يدرون ما فقدوا ... وهمهم في اقتسام الإرث بالجدل

وبعضهم مع بعض مخاصمة ... وإنهم بين منصور ومنخذل

ويأخذون قريبا في معايشهم ... لا يذكرونك في خلو ومحتفل

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٣/٢٤٨

يا أيها الغر لا تغررك صحبتهم ... خير المصاحب عندي صالح العمل

فيم التغافل والأيام دائرة ... فيم التكاسل والأحوال في حول

فيم العويل لدى دار خلت وعفت ... فيم البكاء على الآثار والطلل

وفيم التصابي وأيام الصبا غبرت ... فيم النسيب ولا إبان للغزل

فكيف تلعب والخمسون قد كملت ... وكيف تلهو ونار الشيب في شعل

دع ذكر ليلى ولبنة وازديادهما ... ثم ارتحالهما من هذه الحلل." (١)

"المقارنة، ويمكن إيضاح هذه الأسس في النقاط التالية:

أولا: تحقيق نتائج صحيحة:

من أهم أسس السبق أن تكون النتائج المتوصل إليها صحيحة سليمة، إذ لا عبرة بالنتائج الخاطئة التي يتم التوصل إليها، أو أنها ضعيفة في مصداقيتها، وربما النقد حليفها من أتباعها.

فهناك عوائق قد تكتنف البحث التربوي، فتعطي نتائج خاطئة، ومن تلك العوائق:

١- عدم نضج النتائج:

فبعض الباحثين يدفعه الحماس إلى سرعة التعلق بنظرية مثيرة دون أن يتأكد من صحتها، فيبني عليها بحثه، في حين أن الباحث الدقيق يتأكد أولا من صحة ما يبني عليه بحثه، ولا يعلن عما في ذهنه إلا بعد اختبار جميع الفروض، والوصول إلى الدليل الحاسم.

٢- تجاهل الأدلة المضادة:

وذلك بأن يتم التغافل عن الدليل المضاد، أو غير المتفق مع النتائج التي وصل إليها الباحث، من غير مناقشتها، والتأكد من صحتها أو بطلانها، وترجيح الراجح وإسقاط المرجوح.

٣- الافتقار للأصالة:

إن الافتقار للأصالة والتأثر بالتقليد غير الصحيح يعطي البحث تبعية غير ناضجة، فيعقب ذلك نتائج مفتقرة للمصداقية.

٤- ضعف القدرة:

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥٨٢/١

عدم قدرة الباحث الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة قيد ال–دراسة، وبالتالي يبني نتائجه على أدل–ة مبتورة ناقصة، لم تستوف جانب." (١)

"(٧) دعاء ابن المبارك عند ختم القرآن:

(٨) رسالة ابن المبارك إلى الفضيل في الجهاد:

(٩) حفظ ابن المبارك لوقته رحمه الله:

(١٠) زهد ابن المبارك رحمه الله:

(١١) منابذة ابن المبارك للمبتدعين:

(١٢) خشية ابن المبارك لله تعالى:

(١٣) تواضع ابن المبارك رحمه الله:

(١٤) حسن أدب ابن المبارك في تذكير الناس بما تغافلوا عنه:

(١٥) حرص ابن المبارك على إخفاء العمل رحمه الله:

(١٦) دعوة ابن المبارك لكسب المال ليستعين به على طاعة الله:

(١٧) حفظ ابن المبارك وإتقانه رحمه الله:

(١٨) كان ابن المبارك مستجاب الدعوة رحمه الله:

(١٩) حسن أداء ابن المبارك للأمانة رحمه الله:

(٢٠) حسن تدبر ابن المبارك للقرآن:

(٢١) دعوة ابن المبارك **إلى التغافل عن** مساوئ الإنسان إذا غلبت محاسنه مساوئه:

(٢٢) دعوة ابن المبارك إلى البعد عن السلطان:

(٢٣) دعوة ابن المبارك إلى طول الصمت:

(٢٤) دعوة ابن المبارك إلى بالغ الاهتمام بإخلاص النية:

(٢٥) دعوة ابن المبارك إلى الانشغال بصحيح الحديث عن سقيمه:

(٢٦) دعوة ابن المبارك إلى التلقي عن الثقة:

(٢٧) سلامة لسان ابن المبارك من الخوض في الصحابة:

(٢٨) دعوة ابن المبارك إلى الخوف من أن يسلب الإنسان الإيمان وهو لا يشعر:

(٢٩) كان ابن المبارك لا يخشى في الحق لومة لائم:

---

(١) السبق التربوي مفهومه ومنهجه ومعالمه في ضوء النهج الإسلامي خالد بن حامد الحازمي ص/٤٤٦

(٣٠) تحذير ابن المبارك من الكبر والعجب والعياذ بالله:

(٣١) شجاعة ابن المبارك رحمه الله:

(٣٢) كان ابن المبارك شاعرا محسنا قوالا بالحق:

(٣٣) حرص ابن المبارك على تلقي العلم مع الأدب:

ثانيا مناقب ابن المبارك تفصيلا رحمه الله:

(١) ثناء العلماء على ابن المبارك:

كان ابن المبارك رحمه الله تعالى أئمة الهدى وأعلام التقى ومصابيح الدجى، من حلية الأولياء وأعلام النبلاء، وهاك غيض من فيض ونقطة من بحر من ثناء العلماء عليه:

[*] قال عنه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء:

ومنهم السخي الجراد، الممهد للمعاد، المتزود من الوداد، أليف القرآن والحج والجهاد، جاد فساد، ووجع فزاد، مالله مشارك، وفعله مبارك، وقوله مبارك، شاها نشاه، عبد الله بن المبارك رضى الله تعالى عنه.

[*] وقال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء:." (١)

"[*] أورد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن قال نعيم بن حماد قال رجل لابن المبارك قرأت البارحة القرآن في ركعة فقال لكني أعرف رجلا لم يزل البارحة يكرر (ألهاكم التكاثر) إلى الصبح ما قدر أن ي يتجاوزها يعني نفسه.

(٢١) دعوة ابن المبارك إلى التغافل عن مساوئ الإنسان إذا غلبت محاسنه مساوئه:

[*] أورد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن ابن المبارك: قال إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ وإذا غلبت المساوئ عن المحاسن لم تذكر المحاسن.

(٢٢) دعوة ابن المبارك إلى البعد عن السلطان:

[*] أورد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن محبوب بن الحسن قال: سمعت ابن المبارك يقول من بخل بالعلم ابتلي بثلاث إما موت يذهب علمه وإما ينسى وإما يلزم السلطان فيذهب علمه.

[*] أورد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن الحسن بن الربيع قال: لما احتضر ابن المبارك في السفر قال أشتهي سويقا فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان وكان معنا في السفينة فذكرنا ذلك لعبد الله فقال دعوه فمات ولم يشربه.

(٢٣) دعوة ابن المبارك إلى طول الصمت:

[*] أورد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن حبيب الجلاب قال: سألت ابن المبارك ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١/٩٠٥

غريزة عقل، قلت فإن لم يكن؟ قال حسن أدب، قلت فإن لم يكن؟ قال أخ شفيق يستشيره، قلت فإن لم يكن؟ قال صمت طويل قلت فإن لم يكن؟ قال موت عاجل.

غريزة عقل: أي يكون عنده عقل، لأن بعض الناس سكوته أحسن من كلامه، وبعض الناس يعجبك حتى يتكلم، فإذا تكلم سقط، فالأحسن في مثل هذا أن يصمت.." (١)

"إليه.

ومنهم من يبلغ به الشقاء والهم غايته؛ فلا يجد ما يسعده، أو يريحه من همومه وغمومه، ولا يرى ما ينفس به كربته، أو يعينه على تحمل أعباء حياته؛ فيلجأ حينئذ إلى الانتحار؛ رغبة في التخلص من الحياة بالكلية.

ولقد أصبح الانتحار سمة بارزة في تلك المجتمعات، وصارت نسبته تتزايد وتهدد الحضارة الغربية بأكملها.

ولقد أقلق كثرة الانتحار علماء الاجتماع في تلك البلاد؛ حيث أصبح عدد المنتحرين يفوق عدد القتلى في الحروب، وفي حوادث السيارات.

أما طرق الانتحار فتأخذ أساليب متنوعة؛ فهذا ينتحر بالغرق، وذاك بالحرق، وهذا بابتلاع السموم، وذاك بالشنق، وهذا بإطلاق الرصاص على نفسه، وذاك بالتردي من شاهق، وهكذا (١).

أما أسباب الانتحار فمعظمها تافهة حقيرة، لا تستدعي سوى التغافل، وغض الطرف عنها؛ فهذا ينتحر بسبب الإخفاق في امتحان الدراسة أو الوظيفة، وذاك بسبب وفاة المطرب الذي يحبه، أو هزيمة الفريق الذي يميل إليه، وهذا ينتحر بسبب وفاة عشيقته، وهذه تنتحر بسبب تخلي عشيقها عنها، بل ومنهم من انتحر بعدما توفي كلبه كما فعل (جاك أشورت) وكان عمره ٤٦ سنة (٢).

بل إن هناك من ينتحر بلا سبب ظاهر، ويبقى السبب الأول للانتحار وهو الكفر بالله، وما يستتبعه من الضنك، والشدة، وقلة التفكير في المصير.

---

(١) انظر لماذا انتحر هؤلاء ص ٤٢.

(٢) ويرجع الدكتور مالك بدري معظم أسباب الانتحار إلى الاضطرابات النفسية فيقول: =ارتفعت نسبة الانتحار في أمريكا حتى وصلت حوالي ٧٠٠٠٠ أمريكي كل عام، وكانت أكبر الزيادات في نسبة الانتحار بين شباب العقد الثالث، ويعزى ذلك إلى ازدياد الاضطرابات النفسية بينهم بشكل عام، وإلى مرض الاكتئاب النفسي والعقلي بشكل خاص، ولم

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٩٢٩/١

تستطيع الثورة الجنسية، ولا الانغماس في المسكرات والمخدرات التي يصرف عليها الشعب الأمريكي بلايين الدولارات كل عام، ولم تستطع العقاقير المهدئة التي يبتلع منها الأمريكيون مئات الأطنان كل عام لم تستطع كل هذا أن يأتي بالسعادة النفسية المنشودة+ أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الجرائم ص ١٠٦ـ١٠٧.." (١)

"ولقد زاد هذا الأمر ضراوة بعد أن تراجعت الكنيسة أمام ضربات الإلحاد.

فما أغنت الحرية المزعومة والإباحية المطلقة عن تلك المجتمعات فتيلا أو قطميرا، ولا جلبت لها السعادة الحقة، ولا الحياة الكريمة.

ولهذا يبحث الناس هناك عما يريحهم من هذا العناء والشقاء؛ فمنهم من يلجأ إلى المخدرات والمهدئات التي تضاعف البلاء، وتزيد في الشقاء.

ومنهم من يروي غليله بالشذوذ الجنسي، حتى يفقد إنسانيته وصحته؛ ويكون عرضة للإصابة بأمراض الشذوذ المتنوعة كالزهري، والسيلان، والهربس، والإيدز، وما يصاحب هذه الأمراض من ضيق وتكدر.

ومنهم من يروي غلته بالسطو، والسرقة؛ حتى إن الناس هناك لا يكادون يأمنون على أموالهم، وممتلكاتهم؛ بل لقد أصبحت السرقة تعتمد على الدراسة والتكنولوجيا الحديثة؛ المجهزة بأحدث الوسائل والأساليب، القائمة على أحدث المبتكرات والتخطيط لكل عملية سطو.

ومنهم من يسلك طريق القتل؛ ليتشفى من المجتمع، ويطفيء نار حقده، فتراه يتحين الفرص، وينتهز الغرة؛ ليهجم على ضحية يفقدها الحياة، ثم يبحث عن ضحية أخرى.

بل لقد أصبح القتل عند بعضهم متعة، ونوعا من اللذة.

وكثيرا ما يكون القتل لأتفه الأسباب، حتى إن الواحد قد يقتل أقرب الأقربين إليه.

ومنهم من يبلغ به الشقاء والهم غايته؛ فلا يجد ما يسعده، أو يريحه من همومه وغمومه، ولا يرى ما ينفس به كربته، أو يعينه على تحمل أعباء حياته؛ فيلجأ حينئذ إلى الانتحار؛ رغبة في التخلص من الحياة بالكلية.

ولقد أصبح الانتحار سمة بارزة في تلك المجتمعات، وصارت نسبته تتزايد وتهدد الحضارة الغربية بأكملها.

ولقد أقلق كثرة الانتحار علماء الاجتماع في تلك البلاد؛ حيث أصبح عدد المنتحرين يفوق عدد القتلى في الحروب، وفي حوادث السيارات.

أما طرق الانتحار فتأخذ أساليب متنوعة؛ فهذا ينتحر بالغرق، وذاك بالحرق، وهذا بابتلاع السموم، وذاك بالشنق، وهذا بإطلاق الرصاص على نفسه، وذاك بالتردي من شاهق، وهكذا.

أما أسباب الانتحار فمعظمها تافهة حقيرة، لا تستدعي سوى التغافل، وغض الطرف عنها؛ فهذا ينتحر بسبب الإخفاق في امتحان الدراسة أو الوظيفة، وذاك بسبب وفاة المطرب الذي يحبه، أو هزيمة الفريق الذي يميل إليه، وهذا ينتحر بسبب

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٧٣/٤

وفاة عشيقته، وهذه تنتحر بسبب تخلي عشيقها عنها، بل ومنهم من انتحر بعدما توفي كلبه كما فعل (جاك أشورت) وكان عمره ٤٦ سنة.." (١)

"(١٤) التغاضي والتغافل: وهو من أخلاق الأكابر، ومما يعين على استبقاء المودة واستجلابها، وعلى وأد العداوة وإخلاد المباغضة، ثم إنه دليل على سمو النفس، وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة، قال ابن الأثير متحدثا عن صلاح الدين الأيوبي:'وكان صبورا على ما يكره، **كثير التغافل عن** ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يعلمه بذلك، ولا يتغير عليه. وبلغني أنه كان جالسا وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضا بسرموز . يعني: بنعل . فأخطأته، ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها'.

وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه، وحينما يسأل عن ذلك كان يقول:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

(١٥) الإعراض عن الجاهلين: فمن أعرض عن الجاهلين حمى عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع ما يؤذيه، قال عز وجل: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين [١٩٩]﴾ [سورة الأعراف].

فبالإعراض عن الجاهلين يحفظ الرجل على نفسه عزتها، والعرب تقول:'إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر'. وروي أن رجلا نال من عمر بن عبد العزيز، فلم يجبه، فقيلله: ما يمنعك منه؟

قال: التقى ملجم.

(١٦) العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان: فهذا سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة، وفيه من الطمأنينة، وشرف النفس، وعزها، ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمعن النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

((حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:'أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصد في الجدة، والرفق بالعبدة'.

(وقال الشافعي رحمه الله:

أرحت نفسي من ظلم العدوات لما عفوت ولم أحقد على أحد

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجدر بالعاقل .كما قال ابن حبان .:'توطين نفسه على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٢٣/٤

لمجازاة الإساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها'.." (١)

"أولا: آية سورة المؤمنون والمعارج فيها دلالة ظاهرة فيما استدل به أهل لعلم على تحريم الاستمناء، وحديث: ((فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)) أيضا استدل به أهل العلم على التحريم، ويذكر عن بعض الصحابة، وبعض التابعين أنهم كانوا يأمرون به في المغازي، يعني خشية من الوقوع في المحرم؛ لأن المغازي التحام بين مسلمين وكفار وقد يتعرض الإنسان لفتنة فيحتاج إلى شيء من ذلك، ولا شك أن ارتكاب أخف الضررين هذا إن صح؛ لأنه نقل ولا أدري عن صحته، هذا نقل ولا أدري عن صحته، على كل حال إن صح فباب ارتكاب أخف الضررين أمر مقرر في الشرع، فلو أن شابا أو شابة رأى ما يثير شهوته ولم **يستطع التغافل عنها**، مع أنه يحرم عليه أن يعرض نفسه لمثل هذه الفتن، ما استطاع أن يسكن هذه الشهوة إلا باستخراج المني بهذه الطريقة، فارتكاب أخف الضررين أمر مقرر شرعا، ولا يعني أنه مباح، يعني إذا استعمله فمع التأثم، ويرجى أن يعفو الله عنه؛ لأنه دفع بذلك ما هو أعظم.
يقول: أنتشر في هذا الزمان الاجتماع للعزاء، والتكلف لهذا الاجتماع بالسجاد، والإنارة، والجلوس من قبل المعزين، وشرب القهوة، وتحديد الوقت بثلاث ليالي فقط، السؤال أليس هذا الأمر مخالف للسنة؟
الصحابي يقول: كنا نعد الاجتماع وصنع الطعام، الاجتماع وصنع الطعام من النياحة، يعني إذا اجتمع الأمران فهو نياحة، فالعلة مركبة من أمرين لا تتحقق إلا باجتماعهما، ومن اجتمع من ذوي الميت من أجل بنية التخفيف على المعزي، يعني افترضنا في بلد كبير مثل الرياض، واحد من الأولاد بالشفاء، والثاني بالعلية، والثالث بالنظيم، والرابع بالدخل محدود، لاشك أنهم عليهم مشقة عظيمة من هذه المشاوير الطويلة، لو اجتمعوا في بيت أحدهم فمشايخنا يفتون بجوازه على ألا يصنع الطعام، كونهم يصنع لهم الطعام، كونهم يصنع لهم الطعام، لا يصنعون الطعام وإنما يصنع لهم، فالأصل في ذلك أصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد جاءهم ما يشغلهم.
يقول: بماذا يدعى الخلائق يوم القيامة بأسماء آبائهم أو بأمهاتهم؟." (٢)
"وإذا كان الأمر كذلك فإن التبرك بهذه الآثار يصبح أمرا غير ذي موضوع في زماننا هذا ويكون أمرا نظريا محضا فلا ينبغي إطالة القول فيه.
٣ - إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وإن أقر الصحابة في غزوة الحديبية وغيرها على التبرك بآثاره - صلى الله عليه وآله وسلم - والتمسح بها وذلك لغرض مهم وخاصة في تلك المناسبة - وذلك الغرض هو إرهاب كفار قريش وإظهار مدى تعلق المسلمين بنبيهم وحبهم له وتفانيهم في خدمته وتعظيم شأنه - إلا أن الذي لا **يجوز التغافل عنه** ولا كتمانه أن

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٦٧/٦
(٢) شرح الأربعين النووية - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٣٠/٤

النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بعد تلك الغزوة رغب المسلمين بأسلوب حكيم وطريقة لطيفة عن هذا التبرك وصرفهم عنه وأرشدهم إلى أعمال صالحة خير لهم منه عند الله – عز وجل – وأجدى.

وهذا ما يدل عليه الحديث الآتي: عن عبد الرحمن بن أبي قراد سدد خطاكم أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – توضأ يوما فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –: «ما يحملكم على هذا؟». قالوا: «حب الله ورسوله». فقال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –: «من سره أن يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا اؤتمن، وليحسن جوار من جاوره». (رواه الطبراني، وحسنه الألباني).

«ما يحملكم على هذا؟» أي التمسح، وكان هذا من المعلوم الواضح عنده أنه للتبرك الناشيء عن حسن الاعتقاد في الله ورسوله، فالسؤال لإظهار ما يترتب على الجواب. قالوا: «حب الله ورسوله» أي الحامل، أو حملنا. فقال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –: «من سره أن يحب الله ورسوله» أي على وجه الكمال. «أو يحبه الله ورسوله» (أو) للتنويع، أو بمعنى بل، وهو الأظهر، ويحتمل شك الراوي. «فليصدق حديثه» أي في حديثه. «إذا حدث» أي متى تكلم وتحدث. «وليحسن جوار من جاوره» أي مجاورة جيرانه ومعاشرة أصحابه وإخوانه؛ فإن هذه الأوصاف من أخلاق المؤمنين، وأضدادها من علامات المنافقين؛ فالمدار على الأفعال الباطنة دون الأحوال الظاهرة، فكأنه – صلى الله عليه وآله وسلم – نبههم على أن جملة همتهم يجب أن تكون على أمثال هذه الأخلاق دون الاكتفاء بظواهر الأمور المشترك فيها المؤمن والمنافق والمخالف والموافق.." (١)

"أحد العلماء نزع عمامته يوما، وتوضأ في نهر دجلة فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتى سألوه، وهو يدرس في درسه! فقال: «لعل الذي أخذها محتاج»!

ثامنا: التغافل وإقالة العثرات والتغاضي عن الزلات:

قال محمد بن عبد الله الخزاعي: سمعت عثمان بن زائدة يقول: «العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في التغافل». قال: فحدثت به أحمد بن حنبل فقال: «العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل».

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب ... صديقه

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

وقيل:

أقل ذا الود عثرته وقفه ... على سنن الطريق المستقيمة

ولا تسرع بمعتبة إليه ... فقد يهفو ونيته سليمة

تاسعا: إفشاء السلام:

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢/٣٤٥

عن أبي هريرة سدد خطاكم قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: `` لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم ``. (رواه مسلم).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سدد خطاكم: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تبدؤه بالسلام إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه».." (١)

"١٤. التغاضي والتغافل:

فالتغاضي والتغافل من أخلاق الأكابر والعظماء وهو مما يعين على استبقاء المودة واستجلابها، وعلى وأد العداوة وإخلاد المباغضة.

ثم إنه دليل على سمو النفس، وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة.

قال ابن الأثير متحدثا عن صلاح الدين الأيوبي: "وكان . رحمه الله . حليما حسن الأخلاق، ومتواضعا، صبورا على ما يكره، **كثير التغافل عن** ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يعلمه بذلك، ولا يتغير عليه.

وبلغني أنه كان جالسا وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضا بسرموز١ فأخطأته، ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها"٢.

وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي . رحمه الله . كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه، وحينما يسأل عن ذلك كان يقول:

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي٣

---

١ سرموز: لم أجد لهذه الكلمة معنى؛ فما أدري أهي مصحفة، وأصلها بقشر موز؟ أم هي كلمة أعجمية؟ لا أدري.

٢ الكامل في التاريخ٩/٢٢٥.

٣ انظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عبد الرحمن السديس، ص ٢٠٥-٢٠٦.." (٢)

"فسمي ذلك الاتصال رحما" (١).

* من هم الأرحام وذو القربى؟

صلة الرحم على وجهين: عامة وخاصة، والأرحام على وجه الخصوص هم الأقارب من جهه الأبوين.

قال الإمام القرطبي:

"الرحم على وجهين:–

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢/٦٠٠

(٢) سوء الخلق محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٠٣

فالعامة رحم الدين وتجب بملازمة الإيمان والمحبة لأهله، ونصرتهم، والنصيحة، وترك مضارهم، والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم، والصلاة عليهم ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم.

وأما الرحم الخاصة، وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة كالنفقة وتفقد أحوالهم **وترك التغافل عن** تعاهدهم في أوقات ضرورتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب" (٢).

وقال العلامة ابن باز -رحمه الله-:
"الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، وهم المعنيون بقول الله سبحانه وتعالى في [سورة الأنفال: ٧٥، والأحزاب/ ٦]: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾.

---

(١) "شرح صحيح مسلم" للنووي (٦/ ١١٢).
(٢) "الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ٢٤٨، ٢٤٧).." [1]

"٦٦٢٦ - عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص، أبو عبد الله المكي
سمع يونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان المصريين، وسليمان بن سيف الحراني، وغيرهم.
وكان من مشايخ الصوفية، سكن بغداد حتى مات بها، وحدث وله مصنفات في التصوف.
روى عنه جعفر الخلدي، وغيره.
(٤١٢٧) -[١٤: ١٣٦] أخبرني أبو سعد الماليني قراءة، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، قال: أملى علينا عمرو بن عثمان المكي الصوفي، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن عيينة، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة أو غير أبي هريرة، الشك من أبي عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن فاتك شيء، فقل كذا قدر، وكذا كان، وإياك ولو، فإنها مفتاح عمل الشيطان "، فهذا يدل على معنى التوكل بالتكسب، فإذا فاتهم الأمر بعد الكسب، قالوا: كذا أراد الله، وكذا قدر الله قلت: ما بعد ذكر الشيطان، هو كلام عمرو المكي، وليس بكلام النبي صلى الله عليه وسلم حدثني الأزجي قال: حدثنا علي بن عبد الله الهمداني، قال: حدثني محمد بن علي الشيرواني، قال: قال عمرو بن

---

(١) موسوعة الأخلاق - الخراز خالد الخراز ص/٣٥٢

عثمان المكي: ثلاثة أشياء من صفات الأولياء: الرجوع إلى الله في كل شيء، والفقر إلى الله في كل شيء، والثقة به في كل شيء.

أخبرنا ابن التوزي، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر القناديلي يقول: قال: عمرو بن عثمان المكي: التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين، صغر الذنب أو كبر، وليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية.

لأن المعاصي كلها قد توعد الله عليها أهلها، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة، وهذا مما يبين أن التوبة فرض.

وقال عمرو: اعلم أن كل ما توهمه قلبك، أو سنح في مجاري فكرتك، أو خطر في معارضات قلبك، من حسن، أو بهاء، أو أنس، أو ضياء، أو جمال، أو شبح، أو نور، أو شخص، أو خيال، فالله بعيد من ذلك كله، بل هو أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع إلى قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾.

وقال: ﴿لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد (٤)﴾، وقال عمرو: **المروءة التغافل عن** زلل الإخوان، وقال عمرو: ولقد علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما فيه الشفاء، وجوامع النصر، وفواتح العبادة، فقال: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾.

وقال عمرو: إن العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حرون بين ذلك، جموح خداعة رواغة، فاحذرها وراعها بسياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف، يتم لك ما تريد.

حدثنا الأزجي، قال: حدثنا علي بن عبد الله الهمداني، قال: حدثنا الخلدي قال: سمعت جنيدا وقد قال له أبو القاسم النهاوندي: عمرو المكي يوافي وينزل عند فلان، قال: لا أحب أن أسلم عليه، وذلك أني معزم على أن لا أكلم أحدا ممن كان يظهر الزهد، ويقول به، ثم تبدو منه المذمومات من الانتشار في طلب الدنيا، والاتساع في طلبها، إلا أن يتوب.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين السلمي بنيسابور، قال: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: لما ولي عمرو قضاء جدة هجره الجنيد، فجاء إلى بغداد وسلم عليه فلم يجبه، فلما مات حضر الجنيد جنازته، فقيل: الجنيد الجنيد، فقال بعض من حضر: يهجره في حياته ويصلي عليه بعد وفاته؟ لا والله لا يصلي عليه، فصلى عليه غيره.

قال السلمي: وسمعت بعض أصحابنا يقول: بلغني أن الجنيد لم يصل على عمرو بن عثمان المكي حين بلغه موته، وقال: إنه كان يطلب قضاء جدة.

سمعت أبا نعيم الحافظ يقول: عمرو بن عثمان أبو عبد الله المكي من أئمة المتصوفة، قدم أصبهان فيما ذكر عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان سنة ست وتسعين، وتوفي بمكة بعد سنة ثلاث مائة، وقيل: قبل الثلاث مائة.

قلت: والصحيح أنه مات ببغداد قبل سنة ثلاث مائة.

أخبرنا ابن التوزي، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب طبقات الصوفية، قال: عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكي، كنيته: أبو عبد الله، لقي أبا عبد الله النباجي، وصحب أبا سعيد الخزاز، وغيره من القدماء، وهو عالم بعلم الأصول، وله كلام حسن، وأسند الحديث، مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال: سبع وتسعين قال: والأول

أصح.

أخبرنا الحيري إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب تاريخ الصوفية، أخبرني أحمد بن أحمد بن محمد بن الفضل إجازة، قال: مات عمرو بن عثمان المكي سنة سبع وتسعين ومائتين.

قال السلمي: ويقال: سنة إحدى وتسعين ومائتين، وهذا أصح.

قلت: بل سنة سبع وتسعين أصح، لأن أبا محمد بن حيان ذكر قدومه أصبهان في سنة ست وتسعين، وكان ابن حيان حافظا ثبتا ضابطا متقنا.." (١)

(ونحن إياد عبيد الإله ... ورهط مناجيه في السلم)

(ونحن ولاة حجاب العتيق ... زمان الرعاف على جرهم)

تعزية امرأة للمنصور على أبي العباس مقدمه من مكة قالت اعظم الله اجرك فلا مصيبة اجل من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك

وقال عثمان بن حزيم للمنصور حين عفا عن اهل الشام في اجلائهم مع عبدالله ابن علي عمه يا أمير المؤمنين لقد أعطيت فشكرت وابتليت فصبرت وقدرت فعفوت وقال آخر يا امير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله ان يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون ان يبلغ ارفع الدرجتين وقال اخر من انتقم فقد شفى غيظ نفسه وأخذ اقصى حقه واذا انتقمت فقد انتقصت واذا عفوت تطولت ومن اخذ حقه وشفى غيظه لم يجب شكره ولم يذكر في العالمين فضله وكظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي طرف من العجز ومن رضي ان لا يكون بين حاله وبين حال الظالم الا ستر رقيق وحجاب ضعيف فلم يجزم في تفضيل الحلم وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم ولم تر أهل النهي والمنسوبين الى الحجى والتقى مدحوا الحكام بشدة العقاب وقد ذكروهم بحسن الصفح وبكثرة الاغتفار **وشدة التغافل وبعد** فالمعاقب مستعد لعداوة أولياء المذنب والعافي مستدع لشكرهم امن من مكافأتهم ايام قدرتهم ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من ان يثنى عليك بضيق الصدر على ان اقالتك عثرة عباد الله موجب لاقالتك عثرتك من رب عباد الله وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك

قال الموت الفادح خير من اليأس الفاضح وقال الاخر لا أقل من الرجاء فقال الآخر بل اليأس المريح وقال عبد الله بن وهب الراسبي ازدحام الجواب مضلة للصواب وليس الرأي بالارتجال وليس الحزم ." (٢)

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ١٣٦/١٤

(٢) البيان والتبيين، ص/٢٦٩

"فقال له معاوية: لقد ظلمك من جعلك في ألفٍ من العطاء، أخرجك من عطاء أبناء المهاجرين، وكماة أهل صفين، فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه. فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاوية ممن لا يخادع ولا يجارى؛ ولئن كان بلغ من بلادة يزيد بن شجرة وقلة حسه ما وصف به نفسه، ما كان بجدير بخمسمائة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خفي عن معاوية، ولكنه تغافل على معرفةٍ، لما وفاه حق رياسته.

ويروى عن معاوية انه كان يقول: السرو التغافل.

بين أبي العباس السفاح وأبي بكر الهذلي: وكذلك حكي عن أبي بكر الهذلي أنه بينما هو يسامر أبا العباس، إذ تحدث أبو العباس بحديث من أحاديث الفرس، فعصفت الريح، فأذرت طساً من سطح إلى مجلس أبي العباس، فارتاع ومن حضره، ولم يتحرك أبو بكر لذلك، ولم تزل عينه متطلعة لعين أبي العباس. فقال له: ما أعجب شأنك، يا هذلي! لم ترع مما راعنا.

قال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل يقول: ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه، وإنما للمرء قلب واحد، فلما غمره السرور بمحادثة أمير المؤمنين، لم يكن فيه لحادث مجال. وإن الله إذا انفرد بكرامة أحد، وأحب أن يبقى له ذكرها، جعل تلك الكرامة على لسان نبيه أو خليفته. وهذه كرامة خصصت بها، مال إليها ذهني، وشغل بها فكري. فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها إلا بما يلزمني في نفسي لأمير المؤمنين.

فقال أبو العباس: لئن بقيت لك، لأرفعن منك ضبعاً لا تطيف به السباع، ولا تنحط عليه العقبان.

أقوال في حسن الاستماع

وكان عبد الله بن عياش المنتوف يقول: لم يتقرب العامة إلى الملوك بمثل الطاعة، ولا العبيد بمثل الخدمة، ولا البطانة بمثل حسن الاستماع.

وكان أبو زرعة، روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي يقول: إن أردت أن يمكنك الملك من أذنه، فأمكن أذنك من الإصغاء إليه إذا حدث.

وكان أسماء بن خارجة الغزاري يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجلٍ يصغي إلى حديثي.

وكان معاوية يقول: يغلب الملك حتى يركب بشيئين: بالحلم عند سورته، والإصغاء إلى حديثه.

عود إلى أخلاق الملوك

ومن أخلاق الملك، إذا قرب إنساناً أو أنس به حتى يهازله ويضاحكه، ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يجر بينهما أنس قط، وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخذاء أكثر مما كان عليه قبل، فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.

ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة، فيتمثل عليها، ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حماته، والرجل من حماته وبطانته، إما لجنايةٍ في صلب مالٍ، أو لخيانة حرمة الملك، فيؤخر عقوبته دهراً طويلاً، ثم لا يظهر له ما يوحشه حتى يتقي ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنايات، وعند أول بوادر الغضب.

فأما الملوك وأبناءهم، فليست تقاس أخلاقهم، ولا يعاير عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه،

وبين سحره ونحره، فتطول بذلك المدة، وتمر به الأزمنة، وهو لو قتله في أول حادثةٍ تكون، وعند أول عثرةٍ يعثر، لم يكن بين هذه القتلة وبين الأخرى بعدها بعشرين سنة فرق، غذ كان لا يخاف ثاراً، ولا في الملك وهناً.

معاقبة أنوشروان للخائن

وفيما يذكر عن سيرة أنوشروان أن رجلاً من خاص خدمه جنى جناية اطلع عليها أنوشروان، والرجل غافل عنه. وكانت عقوبة تلك الجناية توجب القتل في الشريعة؛ فلم يدر كيف يقتله: لا هو وجد أمراً ظاهراً يقتل بمثله الحكام فيسفك به دمه، ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الوهن على الملك والمملكة، ولا وجد لنفسه عذراً في قتله غيلة، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثة سلفهم. فدعا به بعد جنايته بسنةٍ، فاستخلاه وقال: قد حزبني أمر من أسرار ملك الروم، وبي حاجة إلى أن أعلمها، وما أجدني أسكن إلى أحدٍ سكوني إليك إذ حللت من قلبي المحل الذي أنت به. وقد رأيت أن أدفع إليك مالاً لتحمل إلى هناك تجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك؛ فإذا بعت ما معك، حملت مما في بلادهم من تجارتهم وأقبلت إلي. وفي خلال ذلك تصغي إلى أخبارهم، وتطلع طلع ما بنا حاجة إليه من أمورهم وأسرارهم.." (١)

"ثم أمر أن تخرج له عصا الزناة التي كان يوسم بها من زنى. فأيقن الرجل بالشر. وأمر أن يكتب ما كان من أمره حرفاً حرفاً، فيقرأ على الناس إذا حضروا، وأن ينفى إلى أقصى حد المملكة، ويجعل العصا في رأس رمحٍ تكون معه حيث كان، ليحذر منه من لا يعرفه. فلما أخرج بالرجل عن المداين، متوجهاً به نحو فارس، أخذ مديةً كانت مع بعض الأعوان الذين وكلوا به، فجب بها ذكره، وقال: من أطاع عضواً من أعضائه صغيراً، أفسد عليه أعضاءه كلها، صغارها وكبارها، فمات من ساعته.

امتحان من يطعن في المملكة

وكان قد نصب رجلاً يمتحن به من فسدت نيته، وطعن في المملكة، فكان الرجل يظهر التأله والدعاء إلى التخلي عن الدنيا، والرغبة في الآخرة، وترك أبواب الملوك.

وكان يقص على الناس ويبكيهم ويشوب في خلال ذلك كلامه بالتعريض بذم الملك، وتركه شرائع ملته وسنن دينه ونواميس آبائه. وكان هذا الرجل الذي نصبه لهذا، أخاه من الرضاعة، وتربه في الصبا. فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي قد مثله له أبرويز، وأمره به ليمتحن بذلك خاصته، أخبر به. وأنا أعلم به. وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني بسوءٍ، ولا المملكة بما يوهنها.

فيظهر الاستهانة بأمره، والثقة من الطمأنينة إليه. ثم يوجه إليه في خلال ذلك من يدعوه غليه، فيأبى أن يجيبه، ويقول: لاينبغي لمن يخاف الله أن يخاف أحداً سواه. فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر الخلوة بهذا الرجل في الزيارة له والأنس به. فإذا خلوا تذاكروا أمر الملك، وابتدأ الناسك يطعن على الملك، وفي صلب المملكة. فأعانه الخائن، وطابقه على ذلك، وشايعه عليه، فيقول له الناسك: إياك أن تظهر هذا الجبار على كلامك! فإنه لا يحتمل لك ما يحتمله لي. فحصن منه دمك. فيزداد الآخر إليه استنامةً، وبه ثقةً. فإذا علم الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في

---

(١) التاج في أخلاق الملوك، ص/١٢

الشريعة، قال له: إني عاقد غداً مجلساً للناس، أقص عليهم، فاحضره! فإنك رجل رقيق القلب عند الذكر، حسن النية، ساكن الريح، بعيد الصوت، وإن الناس إذا رأوك قد حضرت مجلسي، زادت نياتهم خيراً، وسارعوا إلى استجابتي. فيقول له الرجل: إني أخاف هذا الجبار، فلا تذكره إن حضرت مجلسك.

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك إذا ابتدأ في قصة الملك، وكان أبرويز قد وضع عيوناً تحضر مجلس الناسك، متى جلس. فبكر الناسك، وقص على العامة، وزهد في الدنيا، ورغب في الآخرة. وحضره الرجل الخائن، فلما فرغ من قصصه، وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل، وجاءت عيون أبرويز فأخبرته بما كان. فإذ زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان، وكتب إلى عامله: قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا. فأظهر بره، والأنس به، والثقة بناحيته. فإذا اطمأنت به الدار، فاقتله قتلةً تحيي بها بيت النار، وتصل بها حرمة النوبهار. فإنه من فسدت نيته لغير علةٍ في الخاصة والعامة، لم يصلح بعلة.

تقاضي الملك عن الصغائر

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك، ولا يجرح المال، ولا يضع من العز، ويزيد في الأبهة. وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

وفيما يحكى عن بهرام جور أنه خرج يوماً لطلب الصيد، فعار به فرسه حتى وقع إلى راعٍ تحت شجرة، وهو حاقن. فقال للراعي: احفظ علي عنان دابتي، حتى أبول.

فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان الفرس. وكان لجامه ملبساً ذهباً، فوجد الراعي غفلةً من بهرام، فأخرج من خفه سكيناً، فقطع بعض أطراف اللجام. فرفع بهرام رأسه، فنظر غليه، فاستحيا، ورمى بطرفه إلى الأرض، وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام. وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام، قام، فقال: يا راعي، قد إلي فرسي، فإنه قد دخل في عيني مما في هذه الريح، فما اقدر على فتحهما.

وغمض عينيه لئلا يوهمه أنه يتفقد حلية اللجام. فقرب الراعي فرسه، فركبه. فلما ولى، قال له الراعي: أيها العظيم، كيف آخذ إلى موضع كذا وكذا؟ لموضع بعيد.

قال بهرام: وما سؤالك عن هذا الموضع؟ قال: هناك منزلي، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا، ولا أراني أعود إليه ثانية.

فضحك بهرام، وفطن لما أراد، فقال: أنا رجل مسافر، وأنا أحق بأن لا أعود إلى ههنا أبداً.." (١)

"ثم مضى. فلما نزل عن فرسه، قال لصاحب دوابه ومراكبه: إن معاليق اللجام قد وهبتها لسائلٍ مربي، فلا تتهمن بها أحداً.

وهكذا يحكى عن أنوشروان انه قعد ذات يومٍ في نيروز أو مهرجان، ووضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى بحيث يراهم.

---

(١) التاج في أخلاق الملوك، ص/٢١

فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة، وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما انصرف الناس، ورفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهبٍ، فأخفاه في قبائه، وأنوشروان يلحظه. فصرف وجهه عنه.

وافتقد صاحب الشراب الجام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش.

فقال كسرى: لاتتعرض لأحد! وأذن للناس فانصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إنا فقدنا بعض آنية الذهب! فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا ينم عليه. فانصرف الرجل بالجام.

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيدٍ، وقد قعد للناس، ووضعت الموائد وبدر الدراهم والدنانير للجوائز والصلات فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعد على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تنح! فليس هذا بموضع لك.

فسمع معاوية، فقال: دعوا الرجل يقعد حيث انتهى به المجلس فأخذ كيساً، فوضعه بين بطنه وحجزة سراويله، وقام. فلم يجسر أحد أن يدنو منه. فقال الخادم: أصلح الله أمير المؤمنين! إنه قد نقص من المال كيس دنانير. فقال: أنا صاحبه، وهو محسوب لك.

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سيرهم وكتبهم. وإنما يتفقد مثل هذا من هو دون الملك. فأما الملك، فيجل عن كل شيءٍ، ويصغر عنده كل شيء.

رد على العامة

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه؛ وإنما هو شيء ألقاه الشيطان في قلوبهم، وأجراه على ألسنتهم، حتى قلوا في نحوٍ من هذا في البائع والمشتري: المغبون لا محمود ولا مأجور. فحملوا الجهلة على المنازعة للباعة، والمشاتمة للسفلة والسوقة، والمقاذفة للرعاع والوضعاء، والنظر في قيمة حبةٍ، والاطلاع في لسان الميزان، وأخذ المعايير بالأيدي.

وبالحرى أن يكون المغبون محموداً ومأجوراً، اللهم إلا أن يكون قال له: اغبني. بل لو قالها، كانت أكرومة وفضيلة، وفعلةً جميلة تدل على كرم عنصر القائل، وطيب مركبه.

ولذلك قالت العرب: السرو التغافل.

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا غبن، وعن التقصي إذا بخس، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ما تقدر على دفعها. وكذا أدبنا نبينا صلى الله عليه وسلم، فقال: يرحم الله سهل الشراء، سهل البيع، سهل القضاء، سهل التقاضي.

وهذا الأدب خارج من قولهم: المغبون لامحمود ولا مأجور.

وقال معاوية في نحوٍ من هذا: إني لأجر ذيلي على الخدائع.

وقال الحسن عليه السلام: المؤمن لا يكون مكاساً.

وفيما يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لمتنزهه، فبسط له في صحراء، فتغدى مع أصحابه، فلما حان انصرافه، تشاغل غلمانه بالترحال، وجاء أعرابي، فوجد منهم غفلةً، فأخذ دواج سليمان، فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر إليه.

فبصر به بعض حشمه، فصاح به: ألق ما عليك! فقال الأعرابي: لا لعمري! لا ألقيه ولا كرامة! هذا كسوة أمير المؤمنين وخلعته.

فضحك سليمان، وقال: صدق، أنا كسوته. فمر كأنه إعصار الريح.

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس، وقد عثر برجلٍ سرق درةً رائعةً، أخذها من بين يديه. فطلبت بعد أيامٍ، فلم توجد. فباعها الرجل ببغداد، وقد كانت وصفت لأصحاب الجوهر. فأخذ وحمل إلى جعفر، فلما بصر به، استحيا منه، وقال: ألم تكن طلبت هذه الدرة مني، فوهبتها لك؟ قال: بلى.

قال: لاتعرضوا له. فباعها بمائتي ألف درهم.

إكرام الأوفياء

ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وبرهم والاستنامة إليهم والثقة بهم والتقدمة لهم على الخاص والعام، والحاضر والبادي. وذلك انه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً، ولا أنبل فعلاً من الوفاء. وليس الوفاء شكر اللسان فقط، لأن شكر اللسان ليس على أحدٍ منه مؤونة.

واسم الوفاء مشتمل على خلال:." (١)

"و من صائب الرأي ما كان يفعله أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي فإن صاحبه معز الدولة أبا الحسين أحمد بن بويه، كان حديدا سريع الغضب بذيء اللسان يشتم وزراءه ويسبهم، وكان المهلبي مع فضله وعلمه وكمال مروءته وأدبه، يصبر من ذلك على ما لا يصبر عليه أحد، ولا ينكسر لما يبدو منه في حقه. فقيل له: لو أظهرت الإنخزال والإنكسار لكان أصلح لئلا يظن بك تهاونا بأمره، فقال: ليس يخفى علي ذلك، ولكن هذا الأمير خرق عجول لا يملك لسانه، فإن ذهبت أظهر الاستيحاش من هذيانه، وقع له أني قد تنكرت له وأني لا أناصحه، ولعله يتهمني بما لا يدور في فكري فيكون سببا لجائحة ونكبة، وليس له **غير التغافل والتبسم** في وجهه إذا أمكن، فإن لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس إلا قلة الفكر فيه.

ذكر أن فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام أعطت ولدها من الحسن بن الحسن ما ورثته منه، وأعطت ولدها من عبد الله بن عمرو بن عثمان موروثها منه، فوجد ولد الحسن بن الحسن في أنفسهم، لأن ما ورثت من عبد الله بن عمرو كان أكثر، فقالت: يا بني، إني كرهت أن يرى أحدكم شيئا من مال أبيه بيد أخيه فيجد من ذلك في نفسه فلذلك فعلت ما فعلت.

و كان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه من ساسة الملوك، وله في ذلك أخبار مشهورة وأفعال مستحسنة، ولما ملك بغداد والعراق وجدها خرابا، والأسواق بعضها تلول بالحريق، والجوامع خراب، فبدأ بعمارتها وعمارة الأسواق، وألزم أرباب العقار بالعمارة، فمن قصرت قدرته عن النفقة اقترض من بيت المال ما ينفقه عليها وذلك في الأسواق والدور، وكان ببغداد أنهار كثيرة فيها مرفق للمحال البعيدة عن دجلة قد انقطعت ودرست فابتدأ بحفرها مثل نهر العبارة ونهر مسجد

---

(١) التاج في أخلاق الملوك، ص/٢٢

الأنباريين ونهر البزازين ونهر الدجاج ونهر طابق ونهر القلائين ومسراها إلى دجلة والصراة ونهر اشتق من دجيل إلى الحربية وعمر القناطر ورتب أمر الجسر وجعل له الدرابزينات تحفظ من يجتاز به ووكل به الحفظة واستقصى في عمارة السواد، وعمر طريق مكة ورفع الجباية عنها، وأطلق الصدقات والصلات لسائر طبقات الناس من المسلمين، ثم تجاوز ذلك إلى أهل الذمة.

الفصل السادس

نوادر هذا الباب

هذا باب جد لا مدخل للنوادر فيه، لكني تكلفت منه ما شرطته في أول الكتاب من اتباع كل باب بنوادره، ووجدت ذلك يتهيأ فيما كان أصله جدا فعدل به إلى الهزل، وأصله هزلا فاستعمل فيه الأدب والسياسة، أو ما حصل الإشتراك بينهما فيه، فحسن إضافته إليه من جهة الإشتراك، واقتصرت منه على ما لا تليق الحال بالزيادة عليه.

؟بلغ معاوية أن ابنته امتنعت على ابن عامر في الإفتضاض فخرج إليها يتوذف في مشيته، وفي يده مخصره، فجلس وجعل ينكت في الأرض ويقول:

من الخفرات البيض أما حرامها ... فصعب وأما حلها فذلول

وخرج ودخل ابن عامر فلم تمتنع عليه.

؟وقال معاوية: العيال أرضة المال.

؟قال أبو الزناد: كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز، وكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه فيها، فكتب إليه: يخيل إلي أني لو كتبت إليك أن تعطي لرجل شاة لكتبت إلي: أضأن أم ماعز، ولو كتبت إليك بإحداهما: لكتبت: أذكر أم أنثى، ولو كتبت إليك بإحداهما لكتبت: أصغير أم كبير، فإذا أتاك كتابي هذا فلا تراجعني فيها.

؟وكتب أبو جعفر إلى سلم يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وعقر نخلهم، فكتب إليه: باي ذلك نبدأ بالدور أم بالنخل ؟ فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد فإني لو أمرتك بإفساد تمرهم لكتبت تستأذن بأيه تبدأ بالبرني أو الشهريز، وعزله وولى محمد بن سليمان مكانه.

؟قال (أبو) عيسى بن المنجم: سمعت الصاحب يقول: ما أستأذن على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة فيأذن لي فيه، وما أذكر أنه تبذل بين يدي وما زحني قد إلا مرة واحدة، فإنه قال لي في شجون الحديث: بلغني أنك تقول: المذهب الإعتزال والنيك نيك الرجال، فأظهرت الكراهية لانبساطه وقلت: بنا من الجد ما لا نفرغ معه إلى الهزل، وذهبت كالمغاضب، فمازال يعتذر إلي مراسلة حتى عاودت مجلسه، ولم يعد بعدها لما يجري هذا المجرى.." (١)

"

الثامنة الصرامة وهي شدة القلب فإنه لا يليق بصحبة الملوك أولي النكول ومن يلحقه في خدمتهم الفتور وعن الأمر يهاب به التقصير والجسور فإن الملك إذا كان على ما قدمناه من صفاته لم يجب لخادمه إلا النفاذ لجميع ما يأمره به لأنه من العقل بالموضع الذي لا يأمر بأمر إلا في حقه ولا يعرض من ينفذ لأمره لما لا خلاص له منه وقد كان عرض لذي

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/١٢٦

القرنين في بعض حروبه أمر ندب له خاصته ومن كان يثق بمسارعته فنكل أكثرهم إلا رجلاً سارع إليه وقال قد وهبت نفسي للملك واثرت الموت في طاعته فقال له الملك فالان حين اشتد ضني بك وامتناعي من التغرير بك

التاسعة الصدق فإن مضرة الكذب على مستعمله وعلى من يقاربه غير يسيرة

العاشرة التغافل والصفح عن اكثر ما يوجب الغضب من أفعال لعلها تعرض إذا كان التفاعل عن ذلك غير ضائر

الحادية عشرة حسن الزي والهيئة فإن في بهاء الملك ورتبته

الثانية عشرة البشر والاجمال في الملاقاة ليتآلف صاحب الملك بذلك قلوب من يلاقيه ولا يخفيه باللكوح وبشاعة اللقاء من غير حادثة تكون من الملك ومنه

الثالثة عشرة أن يكون معه رأفة لا تصده عن امتثال أمر الملك في جميع ما يأمر به لأن الملك إذ قد وضع عادلاً فليس يجب أن يخالف في شيء مما يرسمه

---

(١) ".

"التاج والتخت أراك بحمد الله قد صفا لك الملك وحاق بجميع أعدائك الهلك فليس لملكك زوال في الخليقة أمثال وقد نلت من كل أمل أسناه وعملت من كل عمل اسماه ولم يبق إلا ذخائر اللذات تقتنيها وأخائر الشهوات تجتنيها وأراك قد ملت لذلك ولا ضير وما زال في رأيك الخيرة والخير فالأمر مأمون وحسن العاقبة مضمون ويا صدق ما قيل أن الحكام ملهون وقد اجتمع هؤلاء الأكارم أرباب الفضائل والمكارم إلا نصوص شفيق أكثر حبالك من الوالد الشقيق وكلهم بذلك يشير والطالع بسعدك بشير فوافق إشارة الجمهور ولا تؤخر فرص السرور

واجسر على فرص اللذات محتقرا عظيم ذنبك أن الله غافره

وما زالت تنمق له المقال وتخيل له الهدى في الضلال حتى انقاد للشهوات يعمل برضاها ويسمع آراءها فيحكم على مقتضاها فصار في الحقيقة أسيرها وقد كان قبل ذلك أميرها وهكذا لتفعل المداهنة مع من يقبلها من السلاطين وكذلك قرناء السوء الشياطين وعند ذلك اشتد اشتعال نار الاختلال وانتشر شرر الشر في جميع المحال فضعف أمر تلك الدولة وانحل واعتل جسم المملكة واختل حتأشرفت على التلف كلها وكاد أن يمنحني من هذا العالم اصلها (قال الخيال) ولم يكن من دليلي الفراسة في خلال هذه الأحوال غير التأسف على ما صارت المملكة إليه من الوبال وسوء المآل وكأنما قطع من فرحها الآمال **وأزمع التغافل والإهمال** قال فأخذتني الحمية والغيرة وقلت له بالله ما هذه الحيرة ولم تسكت على هذا البأس وأي ثمرة تؤمل في اليأس فقم بنا على أقدام الإقدام ولنشمر عن ساعد الاهتمام حتى نغيث هذه الأمة ونزيح عنها بعون الله الغمة ففي الوقت بقية إمكان وعلى الله

---

(١) الخراج وصناعة الكتابة، ص/٤٦٦

تعالى التكلان وهذه البصيرة قد استيقظت من منام غفلتها ووقفت على حقائق الأمور تفصيلها وجملتها وهي ملتفتة إلينا وهاهي قادمة علينا فقال إنما كنت أترقب هذه الفرصة للاشتغال بإساغة هذه الغصة." (١)

"فاكفلوهم ولو بروح أبيكم ... أو بقطع الأعضاء والأطراف

وقال غيره:

مطيّة الضّيف عندي تلو صاحبها ... لن تكرم الضّيف حتى تكرم الفرسا

وصف الكريم والكرم

إنّ الكريم لمعتفيه غريم

الكريم للقليل شاكرٌ، واللئيم للكثير كافرٌ. من فضل المكارم اجتناب المحارم. حصر اللئيم إذا سئل، وحصر الكريم إذا سأل. ما زالت أم الكرم نزوراً، وأم اللؤم ولوداً. الكرم حسن الفطنة، واللؤم قبح التغافل. إن المكارم في المكاره، والمغانم في المغارم. الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور. الكريم تنفع عنده الكلمة، واللئيم لا تنفع عنده الحرمة. الكريم يظلم من فوقه، واللئيم يظلم من دونه. ينبغي لصاحب الكريم أن يصبر عليه إذا جمعتهما قسوة الزمان؛فليس ينتفع بالجوهرة الكريمة من لم ينتظر نفاقها.

إنّ الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنيّاً وهو مجهود

آخر:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

أي بلغوا إلى السعة والسهل.

قطعةٌ من ذكر المحاسن

المحسن معانٌ. أحق الناس بالإحسان إلى الناس من أحسن الله إليه. ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكنه الصبر عليه. الإحسان إلى الجار من كرم النجار. ما حصنت النعمة بمثل المواساة. رأس السخاء أداء الأمانة. أفضل المعروف نصرة الملهوف. المكافأة تحط ثقل الصنيعة. الفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي.

أحسن وأنت معان ... يا أيّها الإنسان

إن الأيادي قروضٌ ... كما تدين تدان

آخر:

ليس في كلّ وهلةٍ وأوان ... تتهيا صنائع الإحسان

فإذا أمكنت فبادر إليها ... حذراً من تعذر الإمكان

آخر:

أحزم النّاس من إذا أح ... سن الدهر تلقّى الإحسان بالإحسان

---

(١) الآثار الفكرية، ص/٣٣٨

مواعظ تليق بهذا الفصل

اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر، لا حيث يؤخذ برجلك وتجر. أغض عينك على القذى، وإلا لم ترض أبداً. أجمل في الطلب، فسيأتيك ما قدر لك. صن عرضك، وإلا أخلقت وجهك. عاون الناس بالكف عن مساوئهم. انس رفدك، ولا تنس وعدك. كذب أسوأ الظنون بأحسنها. هب ما أنكرت لما عرفت، واعف عما أغضبك لما أرضاك. أغن من وليته عن السرقة، فليس يكفيك من لم تكفه. لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك. لا تشمت بمن حلّ به بلاءٌ، فإنه إن عوفي كان مثلك، وأنت إن ابتليت كنت مثله. لا تكن نهماً على الطعام فتمقت، ولا جلداً على الشراب فتهلك. لا تتكلف ما كفيت، فتضيع ما وليت. المهلب لبنيه: إياكم والعينة، فإنها لعينةٌ، وقد تعينت مرةً بأربع مائة درهمٍ، فما تخلصت منها إلا بولاية البصرة.

الأحنف: أكرموا سفهاءكم، فإنهم يكفونكم العار والنار. ابن المعتز: لا تسرع إلى أرفع موضعٍ في المجلس، فالموضع الذي ترفع إليه خيرٌ من الموضع الذي تحط عنه. لا تذكر الميت بسوءٍ، فتكون الأرض أكتم عليه منك.

نبذ من فوائد المدح

أبو نواس:

وليس على الله بمستنكرٍ ... أن يجمع العالم في واحد

وله:

وكّلت بالدّهر عيناً غير غافلةٍ ... من جود كفّيك تأسو كلّ ما جرحا

منصور النمري:

إن المكارم والمعروف أوديةٌ ... أحلّك الله منها حيث تجتمع

أبو تمام الطائي:

فلو صوّرت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من كرم الطّباع

وله:

ولو لم يكن في كفّه غير روحه ... لجاد بها فليتقّ الله سائله

البحتري:

ولم أر أمثال الرّجال تفاوتت ... إلى الفضل حتى عدّ ألفٌ بواحد

وله:

عرف العالمون فضلك بال ... علم وقال الجهّال بالتّقليد

ابن الرومي:

لولا عجائب صنع الله ما نبتت ... تلك الفضائل في لحمٍ ولا عصب

كشاجم:

ما كان أحوج ذا الكمال إلى ... عيبٍ يوقّيه من العين

المتنبي:

ولّما رأيت الناس دون محلّه ... تيقّنت أن الدهر للنّاس ناقد

وله:

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً ... كنت البديع الفرد من أبياتها

وله:

قد شرّف اله أرضاً أنت ساكنها ... وشرّف النّاس إذ سوّاك إنسانا

النامي:." (١)

"وأنا، أعلى الله كعبك، أحصي أشياء جعلها أصحابنا جوالب للتعب عليك، والكلام من ورائك، وليس لي فيما أقول إلاّ الفوز بجمال النُّصح، وإلاّ الالتذاذ بالتنَّبه على الكرم، وإلا إيثار سلامة عرضك على قوم همُّهم المَحْك في كل حال، وإلا التعرّض لذكرك لهم بالجميل بعد الرّحيل من هذه الرباع.

فمن تلك الأشياء: سهوك الذي وقع قد ركد عليك في قبول من تقبل، وإيصال من تُوصل، وإبعاد من تُبعد، وتفضيل من تفضّل بقول من حولك، وحُكم من أطاف بك، استرسالاً مع الأُنس بهم، وثقةً بما سلف لهم. وذهب عليك - أكرمك الله - أن هؤلاء الذين تنظر بأعينهم، وتقبل وتردُّ بأهوائهم، ما خلوا من حسدٍ لمن يخفُّ على قلبك ويحلى بعينيك ويلتاط بنفسك، والعامّة تقول: " القاصّ لا يحبُّ القَاصّ " .

ولو كان قلبك لكل من اسمه عندك، لِصيته البعيد، وسُؤالك لمن لا شهرة له قبلك بحسن التأتي في التقريب، لكان حدّك حينئذٍ مقبولاً بما يظهر لك من الزيادة والنقص، وكانت الحجة تقوم بينك وبين من قد ضري على مالك، أو وضع في نفسه أن ينال مراده منك بالخدع، على **أن التغافل في** هذا الباب أدلُّ على الكرم، كما أن الاستقصاء فيه أجلَبُ فيه للنكد.

فهذا هذا.

وشيء آخر، وهو أصعب مما تقدّم، وذلك أن حجاجك قد بدّد شمل الزُّوار عنك، وقسم ظنونهم بك، وطرح في قلوبهم اليأس منك؛ ولست بأهل لذلك منهم كما أنهم ليسوا بأهل لشدّة الحجاب منك، وقلّة رافعي أخبارهم إليك.

وشيء آخر، وهو أصعب مما تقدم، والسّهو فيه لاحق بالظلم؛ لِمَ يجب - أدام الله دولتك - أن لا يصل برُّك إلا إلى الفاضل، وإلا إلى الكامل، وإلا إلى الذي هو في الشعر مُفلق، وفي الكتابة بارع، وفي الفلسفة غاية، وفي الكلام نهاية، وفي الفقه آية، وفي النّحو مذكور، وفي الطبّ مشهور؟ وهذا ظلم. لأن الله تعالى جعل لكل شيء قدراً، وأظهر له خطراً. وكل متاع وثمنه، وكل بَدَن وسمنه، والمتناهي كان في الأول مُبتدئاً، ثم في الثاني متوسِّطاً، ثم في الثالث الذي لا رابع له؛ وقاصدوك بفضائلهم كالعارضين عليك بأمتعتهم، وأنت تشتري كل متاع بقيمته وتعدِّله ببدَله. فهكذا ينبغي أن تفعل بأبناء الأمل وأصحاب العمل؛ فليس يجمل أن يحظى بصلتك وبرّك وجائزتك ونظرك أبو سعيد السيرافي، وأبو سليمان السجسْتاني، وعلي بن عيسى الرُّمّانيّ، وأصحاب القلانس، ويحرم بعض ذلك فلان وفلان ممن ليس لهم سمع هؤلاء ولا حالهم، على أنك

(١) التمثيل والمحاضرة، ص/٨٩

قادر على إلحاق الصغار بالكبار بالاصطناع والتفضُّل؛ فإن الرجال هكذا يتلاحقون، وفي حلبة الرؤساء يتسابقون.
فكُن سبباً للسّاكت حتى ينطق، وعلّة للسّاكن حتى يتحرّك، وباباً للنّائم حتى يستيقظ، وطريقاً للخامل حتى ينتبه، وجداً سعيداً للميت حتى يحيا؛ فأما من عدا هذه الطبقة فقد سلف له بغيرك ما هو أشكر، وبه أبصَر وله أنصَر؛ على أنك إذا عممت الجميع بالخير كنت أشدّ اقتداءً بالله، وأجنحهم إلى هُدى أنبياء الله، وآخذهم بعادة خلفاء الله.
وشيء آخر ترجّحت بفكري في طيّه ونشره، فرأيت طيّه خَمْشاً لوجه النّصيحة، وذكره بالإطالة فتحاً لباب الفضيحة، فذكرته مختصراً؛ فقد يُفهم من الكلام القصير المعنى العريض الطويل، وهو حديث المائدة والطّبق، وما يُحضر للأكل ويُجمع عليه الرَّقيع والوضيع، والنَّزِهِ والجشع، فجدِّد الاهتمام بذلك، فإن القالة فيه طائرة، والحال فيه دائرة، والحاجة إلى التّحرُّم فيه ماسّة، والتّغافل عنه مجلبة للذمّ؛ وقد رأينا قوماً كراماً تهاونوا في هذا الباب، إما رفعاً لأنفسهم عنه، وإما شغلاً بمهمّاتٍ أُخر دونه، فأكَلَتهم الألسنة، وأعلقتهم الملامة، وأحوجتهم إلى الاعتذار الطّويل بالاحتجاج الكثير. والكرم والمجد لا يثبتان بالدّعوى، ولا يُسلمان بالحجّة، ولكن يشيعان بالفعل الذي نُطقه كالوحي في الحال التي تنتصب للعين، ولا يُؤنَفنّ من ضَعَة الأَكَلَة، فإن لؤم الأكلة دليل ناصع على كرم المُطعِم.
وهذا باب يزلُّ فيه الرئيس ويظلم فيه الخدم؛ فإن الرئيس لا يقدر على أن يتولّى كل ذلك بنفسه فيراعيه بلحظه ولفظه، إلا أنه متى أحكم الأساس فقد أمن الباس، وأرضى جمهور الناس.." (١)

""""""" صفحة رقم ٢٨٥ """""""

فرق ، بأن كان له روحٌ ولكن لا نفس له . فأما النفسان الأخريان اللتان هما الشهوية والغضبية فإنهما أشد اتصالاً بالروح منهما بالنفس ، وإن كانت النفس الناطقة تدبرهما وتمدهما وتأمرهما وتنهاهما ؛ فهذا أيضاً يوضح الفرق بين الروح والنفس ، فليس كل ذي روحٍ ذا نفس ، ولكن كل ذي نفسٍ ذو روح ؛ وقد وجدنا في كلام العرب مع هذا الفرق بينهما ، فإن النابغة قد قال للنعمان بن المنذر : وأسكنت نفسي بعد ما طار روحها . . . وألبستني نعمي ولست بشاهد وقال أبو الأسود : لعمرك ما حشاك الله روحا . . . به جشعٌ ولا نفساً شريرة قال : هذا من الفوائد التي كنت أحن إليها ، وأستبعد الظفر بها ، وما أنفع المطارحة والمفاتحة وبث الشك واستماحة النفس ، **فإن التغافل عما** تمس إليه الحاجة سوء اختيار ، بل سوء توفيق . وما أحسن ما قاله بعض الجلة : توانيت في أوان التعلم عن المسئلة عن أشياء كانت الحاجة تحفز إليها والكسل يصد عنها ، فلما كبرت أنفت من ذكرها وعرضها على من علمها عنده ، فبقيت الجهالة في نفسي ، وركدت الوحشة بين قلبي وفكري . ثم جرى في حديث النفس ذكر بعض العلماء فإنه قال : إن نفسك هي إحدى الأنفس الجزئية من النفس الكلية ، لا هي بعينها ، ولا منفصلةٌ عنها ، كما أن جسدك جزءٌ من العالم لا هو كله ولا منفصلٌ عنه ؛ وقد مر من أمر النفس ما فيه إيضاحٌ تامٌ واستبصارٌ واسع ، وإن كان الكلام في نعت النفس لا آخر له ، ولا وقوف عنه . ولو قال قائلٌ :

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/١٠٢

إن جسدك هو كل العالم لم يكن مبطلاً ، لأنه شبيهٌ به ، ومسلولٌ منه ، وبحق الشبه يحكيه ، وبحق الانسلال يستمد منه ؛ وكذلك النفس الجزئية هي النفس الكلية ، لأنها أيضاً مشاكهةٌ لها ، وموجودةٌ بها ، فبحق الشبه أيضاً تحكي." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٧٨ """"""""

بإقامة رجلٍ جلدٍ مزاح العلة بالفرس والسلاح ، وقعد الجم الغفير ، وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد ، وانتظرته ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوةٍ وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم – وكان وافر الحظ من سوء الأدب ، قليل التحاشي من أهل الفضل والحكمة – ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهمٍ لا **يجوز التغافل عنه** ، والإمساك دونه ، فأذن لهم بين المغرب والعتمة ، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا . فقال أبو الوفاء المهندس لأبي بكر الرازي : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقنع العصابة . فقال أبو بكر : الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، لا مفزع إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه المصير ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله تعالى قد حض على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ، والذب عن الحريم والإسلام والمسلمين في الدهر الصالح ، والزمان المطمئن ؛ فكيف إذا اضطرب الحبل وانتكثت مريرته ، وأبرز مصونه ، وعري حريمه بالاستباحة ؛ وينل جانبه بالضيم ، وضعضع مناره بالرغم ، وقصد ركنه بالهدم ، وأنت أيها المولى من وراء سدة أمير المؤمنين المطيع لله ، والحامل لأعباء مهماته ، والناهض بأثقال نوائبه وأحداثه ؛ والمفزع إليك ، والمعول عليك ، فإن كان منك جدٌ وتشميرٌ فما أقرب الفرج مما قد أظل وأزعج ، وإن كان منك توانٍ وتقصيرٍ فما أصعبه من خطب ؟ وما أبعده من شعب وقد جئناك نحقق عندك ما بلغك من توسط هذه الطاغية أطراف الموصل وما والاها ، وأن الناس قد جلوا عن أوطانهم ، وفتنوا في." (٢)

" فتعمدت أن قلت له أحسنت ليعاود مسألتي وأتغافل عنه فسألني وتغافلت فقال لي يا سيدي **هذا التغافل متى** حدث ذلك سألتك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم فأقبلت عليه وقلت له أنت والله بغيض اسكت يا بغيض واكفف عن هذه المسألة الملحة فوثب من بين يدي وظننت أنه خرج لحاجة وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفا من أن تبتل ووقف تحت السماء لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال يا رب أنت تعلم أني مله ولست نائحا وعبدك هذا الذي رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول لي أحسنت لا يقول لي أسأت وأنا منذ جلست أقول له بنيت لم أقل هدمت فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض فاحكم بيني وبينه يا سيدي فأنت خير الحاكمين

فغلبني الضحك وأمرت به فتنحى وجهدت به أن يغني فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أني أفرش له داره وخدعته فلم أسم له ما أفرشها به فقال الرشيد طيب والله الآن تم لنا به اللهو وهو ذا أدعو به فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش لأنك حلفت له بحياتي فهو ينتجز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له فقل له أنا أفرشها لك بالبواري وحاكمه

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/٢٨٥

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ص/٤٧٨

إليه ثم دعا به فأحضر فما استقر في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحي الفرش الذي حلفت لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري تقدم فيه فقال له جعفر اختر إن شئت فرشتها لك بالبواري وإن شئت بالبردي من الحصر فضج واضطرب

فقال له الرشيد وكيف كانت القصة فأخبره فقال له أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبردي أو بما دون ذلك فقد وفى يمينه وإنما خدعك ولم تفطن له أنت ولا توثقت وضيعت حقك فسكت وقال نوفر البردي والبواري عليه أيضا أعزه الله وغنى المغنون حتى انتهى إليه الدور فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين ". (١)

"٧(عرف بعرفك منه ما لم يعرفوا ** نبا وعن سنة التغافل نبه) ٧(فضلي خلوت لأجله من حظوة ** هي للأديب كنبت مرت أجله) ٧(الفضل مشتعل بنار بلائه ** والحظ مشتغل بأخرق أوره) ٧٤ (أعر التأمل فقه شعري منعما ** لا يشعر الإنسان ما لم يفقه) ٧٥ (وتملها غراء جامعة لكم ** في النعت بين تمدح وتمده) ٧٦ (يهتز ذو الحسنى لجلوة حسنها ** وتجل عن تحسين كل مزهزه) ٧٧ (أفواه أهل الفضل ناطقة لها ** بالفضل إن قيست بشعر الأفوه) ٧٨ (وإن العقول لهت لها فلأنها ** محمية عن كل معنى لهله) ٧٩ (صهباء تودع سامعيها نشوة ** وتعير عرف المسك للمستنكه) ٨٠ (فوليها بتشوق وتشوف ** وحسودها بتشور وتشوه)

". (٢)

"٧- سيطرة : تسلط والمُسَيْطِرُ والمُصَيْطِرُ: المُسَلَّطُ على الشيء لِيُشْرِف عليه ويَتَعَهَّدَ أَحوالَه .

٨- استهوته : يقال استهوته الشياطين ذهبت بهواه وعقله .

٩- زلات : أخطاء يقال زل في منطقه أو فعله يزل زلة أخطأ .

١٠- آفات : جمع آفة وهي عرض يفسد ما يصيبه وهي العاهة .

فَاللهَ ذَا الْمَنِّ أَرْجُو أَنْ يُوَفِّقَنَا وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِيْ وَعِتْرَتِهِ (٢) .

لِنُصْرَةِ الدِّيْنِ فَالإِغْضَاءُ (١) سَوْءَاتُ وَمَنْ قَفا الإِثْرَ (٣) فَاحْتَلَّتْهُ طَاعَاتُ .

؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

١- الإغضاء : التغافل والتغابي وهو في الأصل إدناء الجفون .

٢- العترة : نسل الإنسان وعن ابن الأعرابي أن العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه .

٣- قفا الإثر : تبع أثره يقال قفوت أثره قفوا أي تبعته .

****

---

(١) الأغاني، ١٩/٣١١

(٢) ديوان عماد الدين الأصبهاني، ص/٤٦٥

****

****

الدعاء والتضرع

يَاإلَهي

لَيسَ لِلْمَرْءِ فِي الْقَضَاءِ اخْتِيَارُ فَإِلهُ الْعِبَادِ يُصْدِرُ أَمْرًا فَعَلَيْنَا الرِّضَى بِذَلِكَ حَتْمًا فَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ أَمْرٌ جَلِيْلٌ قُوَّةُ الْقَلْبِ تَجْعَلُ الْخَطْبَ (٢) سَهْلا وَمَتَى غُصْتَ فِي بِحَارِ وَبَاءٍ (٣) فَإِذَا كُنْتَ مُخْلِصًا وَتَقِيًّا يَا إلهَي وَخَالِقِيْ وَمَلِيْكِيْ يَا إِلهَيْ فَأَنْتَ رَبٌّ رَحِيمٌ يَسِّرِ الأَمْرَ فَرِّجِ الْكَرْبَ عَنِّيْ .

لا وَلا فِيْ مَضَائِهِ اسْتِفْسَارُ أَوْ قَضَايا فلَيْسَ فِيْهَا ازْوِرَارُ (١) وَعَلَيْنَا الْخُضُوْعُ وَالإِقْرَارُ وَعَظِيمٌ ورِفْعَةٌ ووَقَارُ وَكَذَا الدِّيْنُ مِشْعَلٌ جَبَّارُ فَادْعُ مَوْلاكَ تَنْجَلِي الأَكْدَارُ زَالَ عَنْكَ الْبَلاءُ وَالأَضْرَارُ ربِّ أنتَ العَظِيْمُ وَالْغَفَّارُ ومُجِيرٌ إذا العِبَادُ اسْتَجَارُوْا يَا إِلهي فَإِنَّنِي مُخْتَارُ .

؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟." (١)

"١(لا تعتبرْ نفسهُ إنْ كنتَ ذا نظرٍ ** مسددٍ ولتكنْ تمشي على قدرِ)(إنَّ المعارجَ والإسرا إليه بِهِ ** على البراقِ الذي أنشأتُ من فكري)(حتى انتهيتُ إلى ماشاءه وقضى ** تركتهُ وامتطينا رفرفَ الدررِ)٤ (عند التفاتي به إذ كان ينزل بي ** إلى السماءِ يناجيني إلى السحرِ)٥ (ودَّعته ثم سرنا حيث قال لنا ** إذا به عن يميني طالباً أثري)٦ (لما تأمّلته لم أدر صورته ** وعلمنا أنهُ هوَ غايةُ الخطرِ)٧ (غفلتُ عنهُ لهُ إذ كانَ مقصدُهُ ** مني التغافلَ بالتحويلِ في الصورِ)٨ (لأنه عالم أني أميّزه ** لَّما تكفلني منْ حالةِ الصغرِ)٩ (له ولدتُ لهذا ما برحتُ له ** مشاهداً ناظراً فيهِ إلى كبري)٠ (لذاك أخبرنا بأنه معنا ** على مكانتنا في بدوٍ أوْ حضرِ)

". (٢)

"قيل لحكيم: هل للغضب مادة تحسمه؟ قال: نعم أن يعلم الإنسان أنه ليس يجب أن يكون مطاعاً أبداً ولا يجب أن يخدم أبداً ولا يجب أن يتحمل خطاؤه أبداً، بل قد يطيع ويخدم ويتحمل الخطأ ويصبر على النوائب، فإذا فعل ذلك لم يغضب، وإذا غضب فقليل. السعيد من وعظ بغيره. لا ينفع كثرة العلم من لا يعمل كما لا يغني ضوء الشمس عن من لا يبصر. رضي بالذل من كشف ضره بترك الورع، وأزرى بنفسه من استشعر الطمع. البدع فخوخ يسترها زخرفة الكلام وخدع المقال. الناس في الدنيا بالإخوان وفي الآخرة بالأعمال. صديق الرجل عقله وعدوه حمقه. من اجتمعت عليه النعمة أديمت له الرغبة.

يتحفظ الأحمق من كل شيء إلا من نفسه. لا وجود إلا بمال ولا صداقة إلا بوفاء ولا فقه إلا بورع. العليل الذي يشتهي

---

(١) روضة الشعر الهادف، ص/١٣

(٢) ديوان محيي الدين بن عربي، ص/٤٤٥

أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي. قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه. اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال لقاء الرجل أخلاءه مسلاة للهم. من لم يصلح على تدبير الله تعالى لم يصلح على تدبير نفسه. الأحلام فرح ووهم كاذب، والعامل بها كالمعتمد على الظل الزائل. الدنيا دول فما كان لك منها أتاك عن ضعف، وما كان عليك لم تقو على دفعه بقوتك. العافية خير من الواقية. الكريم لا يستحي من إعطاء القليل. العفاف زينة الفقير.

الكرم حسن الفطنة. واللؤم سوء التغافل، اختلاف كلام المرء دليل على ميل الهوى به. من حق النعمة أن يرى أثرها. من كان شبعه في الطعام لم يزل جائعاً، ومن كان غناه في المال لم يزل فقيراً، ومن كان قصده بحوائجه الخلق لم يزل محروماً، ومن استعان في أمره بغير الله تعالى لم يزل مخذولاً. من خاف من فوقه خافه من تحته، ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من دونه. ما تحسنه ولا تعمل به لغيرك نوره وعليك بوره. واعجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى، عين العز في طلب ما يبقى. من حذرك كمن بشرك. الشفيع جناح الطالب. إذا أقبلت الدنيا عليك فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى. قال الشاعر:

فأنفق إذا أيسرت غير مقتر ... وأنفق إذا ما أدبرت حين تعسر

فلا الجود يفني المال والحظ مقبل ... ولا البخل يبقي المال والحظ مدبر

ولغيره:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فلن يضر بها التبذير والسرف

وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالشكر منها إذا ما أدبرت خلف

الغريب: في كل مكان مظلوم. من سلك الجلد أمن من الغبار. لم يتجاوز الحد من ركب القصد. عجباً للئيم يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الكرم الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء! من يطل ذيله يكثر ويله. وقال علي رضي الله عنه: من يبطل فعل أبيه تمنطق به . غثك خير من سمين غيرك. إذا أحببت أن لا يفوتك ما تشتهي فاشته ما يمكنك. من قصد أسهل ومن أسرف أوعر. القصد أخذ الحمام. شر السير الحقحقة: يؤنسك في المجالس مجلس لا يقصر بك ولا تقام عنه. أقلع الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.وازجر المسيء بإثابة المحسن لكي يرغب في الإحسان. لن يهلك من مالك ما وعظك. الخلاف يهدم الرأي. خير الناس لغيره خيرهم لنفسه.

إحسان الله تعالى مكفور عند من أصبح مصراً على ذنب مستور. يصير التخلق خلقاً بالاجتهاد والاعتياد. الحجر الغصب في البنيان رهن على الخراب. ربما يشرق شارب الماء به. رب رأي أنفع من مال وحزم أوفى من رجال. من استوعب الحلال تاقت نفسه إلى الحرام. من ذم الزمان لم يحمد الأخوان. بتقلب الأحوال تعلم جواهر الرجال. من عرف الزمان لم يحتج إلى ترجمان، ومن عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد. رسولك ترجمان عقلك. الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة. كلما اشتد الظلام قوي ضوء السراج. الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد. أولى الناس بالرحمة من احتاج إليها فحرمها.." (١)

---

(١) سراج الملوك، ص/١٧٠

"البحر : كامل تام (مَا ذُقْتُ قَطُّ أَمَرَّ مِنْ أَمْرِي ** فِي اليُسرِ والسِّيلانِ والتَّمْرِ) (جازَ المَخاوفَ والشُّراةَ وأصحاب البَدارِقِ من بَني عَمْرو ** مِنْ بَنِي عَمْرو) (وَالرّيحَ فِي تِلْكَ الذَّنائِبِ مَا ** بينَ اختلافِ المَدِّ والجَزْرِ) ٤ (وَالمَوْجَ أَمْثَالَ الجِبَالِ إذَا الْ ** مَلاَّحُ شَقَّلَ فِيهِ لِلْعَبْرِ) ٥ (حَتَّى إذَا وَصَلَ الْمَشُومُ إلَى ** نَهْرِ الْمُعَلَّى جَانِبَ الجِسْرِ) ٦ (دهَمَتْنِي الآفاتُ فِيهِ ولَمْ ** أَفْطَنْ بِهَا مِنْ حَيْثُ لاَ أَدْرِي) ٧ (وأَتَوْهُ غِلمانٌ زَبانِيَةٌ ** يَتتابَعونَ تَتابُعَ القَطْرِ) ٨ (حَتَّى لَقَدْ رَفَعُوا لِيَوْمِهِمُ ** ما حَطَّهُ المَلاَّحُ فِي شَهرِ) ٩ (فَدَعُوا التغافُلَ إنْ سأَلْتُكُمُ ** وَ شْفُوا بِرَدِّ جَوَابِكُمْ صَدْرِي)٠ (كَيْفَ سْتَخْرَتُمْ مَعْ تَفَرُّدِكُمْ ** دُونَ الْوَرَى بِالتّيهِ وَالْكِبْرِ)

. " (١)

" زكاة النعم المعروف

زكاة البدن العلل

زل حمارك في الطين

زاد في الطنبور نغمة

زاد في الشطرنج بغلة

زلق الحمار وكان من شهوة المكاري

زاملة الأكاذيب للكذوب

زكاة الجاه رفد المستعين

زجاجه لا يقوى لصخري

زلة اللسان لا تقال

زم لسانك تسلم جوارحك

زين الشرف التغافل

الزواريق لا تشترى أو تدفع

الزريبة الخالية خير من ملئها ذبابا

الزمانة عدم الأمانة

الزبون يفرح بلا شيء [ص ٣٢٨] . " (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٨٠ """""""

وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشفي طرف من الجزع

---

(١) ديوان سبط ابن التعاويذي، ص/٤٨١

(٢) مجمع الأمثال، ٣٢٧/١

، ولم يمدح أهل التقى والنهى من كان حليما بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل ، وبعد ، فالمعاقب مستدع لعداوة أولياء المذنب ، والعافي مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم ، ولأن يثني عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه ، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم ، وموصول بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه ، قال الله عز وجل : ' خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ' .

العفو عند المقدرة

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه : ' إذا كنت لم ترض مني بالإساءة فلم رضيت من نفسك بالمكافأة ' ؟ .

وأذنب رجل من بني هاشم فقبضه المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من حمل مثل دالتي ، ولبس ثوب حرمتي ، غفر له مثل زلتي ، قال : صدقت وعفا عنه .

ولما دخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نالته فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له : لا يضعني عندك خمول النبوة ، وزوال الثروة ؛ فإن السيف العتيق إذا مسه كثير الصدإ أستغنى بقليل الجلاء حتى يعود حده ، ويظهر فرنده ؛ ولم أصف نفسي عجبا ، لكن شكرا . وقال ، (صلى الله عليه وسلم) : ' أنا أشرف ولد ادم ولا فخر ' ، فجهر بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر .

من أخبار المعتصم

وكان تميم بن جميل السدوسي قد أقام ، بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه كثير من الأعراب ، فعظم أمره ، وبعد ذكره ؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه ، فتبدد جمعه ، وظفر به فحمله موثقا إلى باب المعتصم ، فقال أحمد بن أبي داود : ما رأيت رجلا عاين الموت ، فما هاله ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ؛ فإنه لما مثل بين يدي المعتصم وأحضر السيف والنطع ، ووقف بينهما ، تأمله المعتصم – وكان جميلا وسيما – فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره ، فقال : تكلم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٨ """""""

لا أزال – أطال الله تعالى بقاء مولانا الشيخ – لسوء الانتقاد ، وحسن الإعتقاد ، أمسح جبين الخجل ، وأمد يمين العجل ، ولضعف الحاسة ، في الفراسة ، أحسب الورم شحما ، والسراب شرابا ، حتى إذا تجشمت موارده ، لأشرب بارده ، لم أجد شيئا .

وما حسبت الشيخ سيدي ممن لعنيه هذه الجملة حتى عرضت على النار عوده ، ونشرت بالسؤال جوده ، وكاتبته أستعيره حلية جمال ، سحابة يوم أو شطره ، بل مسافة ميل أو قدره ، فغاص في الفطنة غوصا عميقا ، ونظر في الكيس نظرا دقيقا ، وقال : هذا رجل مشحوذ المدية ، في أبواب الكدية ، قد جعل استعارة الأعلاق طريق افتراسها ، وسبب احتباسها ، وقد منى ضرسه ، وحدث بالمحال نفسه ، ولا لطيفة في هذا الباب ، أحسن من التغافل عن الجواب ، فضلا عن الإيجاب ، وكلا فما في أبواب الرد أقبح مما قرع ، ولا في شرائع البخل أوحش مما شرع ؛ ثم العذر له من جهتي مبسوط إن بسطه

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، ٢/ ١٨٠

الفضل ، ومقبوك إن قبله المجد ، وإنما كاتبته لأعيد الحال القديمة ، وأشرط له على نفسي أن أريحه من سوم الحاجات من بعد ، فمن لم يستحي من أعطني ، لم يستحي له من أعفني ؛ وعلى حسب جوابه أجري المودة فيما بعد ، فإن رأى أن يجيب فعل إن شاء الله .

وله إلى سهل بن محمد بن سليمان : أنا إذا طويت عن خدمة مولاي – أطال الله بقاءه – يوما لم أرفع له بصري ، ولم أعده من عمري ، وكأني بالشيخ – أعزه الله – إذا أغفلت مفروض خدمته ، من قصد حضرته ، والمثول في حاشيته ، وجملة غاشيته ، يقول : إن هذا الجائع لما شبع تضلع ، واكتسى وتلفع ، وتجلل وتبرقع ، تربع وترفع ، فما يطوف بهذا الجناب ، ولا يظهر بهذا الباب ؛ وأنا الرجل الذي آواه من قفر ، وأغناه من فقر ، وآمنه من خوف ، إذ لا حر بوالي عوف ؛ حتى إذا وردت عليه رقعتي هذه ، وأعارها طرف كرمه ، وظرف شيمه ، ونظر في عنوانها اسمي قال : بعدا وسحقا ، وسبا وتبا وحتا ونحتا ، وطعنا ولعنا ، فما أكذب سراب أخلاقه ، وأكثر أسراب نفاقه ، فالآن انحل من عقدته ، وانتبه من رقدته . وكاتبني يستعيدني ، كلا لا أزوجه الرضا ولا قلامة ، ولا أمنحه المنى ولا كرامة ، بل أدعه يركب رأسه ، ويقاسي أنفاسه ، فستأتيني به الليالي ، والكيس الخالي ، ثم أريه ميزان قدره ، وأذيقه وبال أمره ، خى إذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال : مأربة لا حفاوة ، ووطر ساقه ، لا نزاع." (١)

"قال الله تعالى: " اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم " . وقال شيخ لرجل: أظنك كاذبا؛ فقال: أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنه؛ وقال: وأضعف عصمة عصم الظنون.

المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

مدح التغافل:

سئل حكيم: ما اللبيب؟ فقال: الفطن المتغافل. ولما أمضى معاوية بيعة يزيد قال يزيد: يا أبت ما أدري أنخدع الناس أم يخدعوننا بما يأخذون منا فقال: يا بني من خدعك فانخدعت له فقد خدعته. وقيل: إذا أردت لباس المحبة فكن عالما كجاهل. وقيل: من تغافل فعقلوه ومن تكايس فطبطبوه أي العبوا به على الطبطابة، قال الشاعر:

ليس الغني بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

ولأبي فراس وقد أجاد:

تغابيت عن قومي فظنوا غباوتي ... بمفرق أغبانا حصى وتراب

من لا يخدع لعقله:

قال عمرو بن العاص: ما رأيت أحدا كلم عمر رضي الله عنه إلا رحمته، لأنه كان لا يخدع أحدا لفضله، ولا يخدعه أحدا لفطنته؛ وقال إياس بن معاوية: لست بخب ولا الخب يخدعني.

وقيل لرجل: فيك فطنة. فقال: ما ذنبي إذ خلقني الله عاقلا

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٢٩٨/٢

مدح التثبت:

قال الشعبي: أصاب متأمل أو كاد، وأخطأ مستعجل أو كاد. وقال عمرو بن العاص: لا يزال المرء يجني من ثمرة العجلة الندامة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا الخرف إلا شانه؛ قال الشاعر:

لا تعجلن فربما ... عجل الفتى في ما يضره

الموسوي:

وشوكة ضغن ما انتقشت شباتها ... ذهابا بنفسي أن يقال عجول

مدح العجلة:

لأبي العيناء وقد قيل له: لا تعجل فالعجلة من الشيطان فقال: لو كان كذلك لما قال نبي الله موسى عليه السلام: وعجلت إليك ربي لترضى. وقيل: المتأني في علاج الداء بعد أن عرف الدواء كالمتأني في إطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه. وسأل أبو علي البصير ابن منارة، حاجة فقال: رح إلى وقت العصر، فجاء وقت الظهر فقال: ألم أعدك وقت العصر؟ فقال: نعم ولكن رأيت الإفراط في الاستظهار أحمد من الاستظهار في التواني.

ما تحمد فيه العجلة:

قال معاوية: ما من شيء يعدل التثبت. فقال الأحنف: إلا أن تبادر بالعمل الصالح أجلك: تعجل إخراج ميتك، وتنكح الكفء ابنتك.

مدح انتهاز الفرصة:

الهيبة خيبة والفرصة تمر مر السحاب. وقيل: انتهز الفرصة قبل أن تعود غصة الافتراص اقتناص. وقيل: الفرصة ما إذا أخطأك نفعه لم يصبك ضره.

التفكر في العواقب:

قيل: إحمد تغنم ولا تفكر في العواقب فتهزم؛ قال الشاعر:

إذا حدثته النفس أمضى حديثها ... وهان عليه ما يرى في العواقب

وقيل: من تفكر في العواقب لم يشجع في النوائب.

طلب الأمر بالمداراة:

قال الأحنف: عجبت لمن طلب أمرا بالمغالبة وهو يقدر عليه بالملاينة، ولمن طلب أمرا بخرق وهو يقدر عليه برفق. وقيل لبعضهم: ما الدهاء؟ فقال: قتل العدو في لطف.

مدافعة العدو بالمداراة:

في كتاب كليلة: لا تسلم من العدو القوي بمثل التذلل والخضوع، كما أن الحشيش إنما يسلم من الريح العاصف بانثنائه معها أينما مالت به الريح ساعدته؛ أخذه ابن الرومي فقال:

كالريح والزرع استكان لمرها ... وعتت فلم نقدر على تقصيفه

كم قد نجا منه الضعيف وما نجا ... منه العنيف بلفه ولفيفه

وتهاتن الجذع الأبي مهزه ... فأتت عليه ولم ترع لخفيفه

ولهذا الباب نظائر في العداوات.

الجهل بمستقبل الزمان:

قال الله تعالى مخبرا عن النبي عليه السلام: " ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء " .

القطامي:

وما يعلم الخير امرؤ قبل أن يرى ... ولا الشر حتى تستبين دوائره

آخر:

تبين أعقاب الأمور إذا مضت ... وتقبل أشباها عليك صدورها

ومما جاء في المشاورة والإستبداد بالرأي

الحث على مراجعة الأوداء ومدح المشاورة." (١)

"وحدثنا علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن زهير بن أيمن بن الهميسع وصى ابنه عريب بن زهير ولم يكن له ولد غيره، فقال: يا بني، قد انتهى إليك ما كان من وصية جدك سبأ بن يشجب بن يعرب، وما افترق عليه ابناه يوم الوصية والقسمة، وهما جداك حمير وكهلان فلا تجرين الأمر إلا على ما جرت به الرسوم من لدنهما إلى هذه الغاية. وأوصِ بعدك من يصلح لهذا الأمر من ولدك ومن إخوتك. وأوصيك بالثبات على ما وجدتني عليه من العدل في الرعية والتجاوز عن المسيء والكف عن أذى العشيرة، والتحفظ بها والتحبب إليها، فما المرء إلا بقومه ولو عز. وأنشأ يقول: " من البسيط "

عَريبُ لا تنسَ ما وصَّى أبُوكَ بهِ ... إنَّ الوصية لَمَّا يعدُها الرَّشَدُ

كلُّ امرئٍ عِزُّهُ ... فاعلم عشيرتُهُ وفي العشيرةِ يُلغى العِزُّ والعددُ

ما البيتُ لو لمْ يكنْ فوقَ الأساسِ ولم ... تقلّه دعمٌ للسعف والعَمَدُ

لولا الغَريفُ ولولا خيسُ غابَتِهِ ... لما سطا موهِناً بالقُدرةِ الأسدُ

فضيلة المرء تؤويه وتعضدُهُ ... إن الذليلَ الذي ليست لهُ عَضُدُ

والمرءُ تسلمُ دُنياهُ ونعِمتُهُ ... ما ليسَ يأتيهِ من إخوانِهِ الحسدُ

وصية عريب بن زهير

وحدّثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير وصى بنيه وهم أربعة نفر؛ الصباح وجنادة وأبرهة وقطن بنو عريب بن زهير فقال لهم: يا بني، إني وجدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة والطاعة

---

(١) محاضرات الأدباء، ٦/١

والملك يدل على ستة أشياء. إني وجدت السؤدد لا يزايل الكرم، ولا يسود من لا كرم له. وإني وجدت العز مع العدد حيثما كان، ولا عز لمن لا عدد له، ولا عدد لمن لا عشيرة له، وإني وجدت النجدة في الأيادي، ولا نجدة لمن لا أيادي له، وإني وجدت الطاعة مع العدل، ولا طاعة لمن لا عدل له، وإني وجدت الملك في اصطناع الرجال، ولا ملك لمن لا يصطنع الرجال، يا بني، احفظوا وصيتي واثبتوا عليها، واعملوا بها، ولا تعصوا أخاكم قطناً فإنه خليفتي فيكم بعد الله وولي الملك بعدي دون أي أحد. وأنشأ يقول: " من البسيط "

مضتْ لأسلافنا فيمنْ مضى سُنَنٌ ... ساسُوا بها لَهُمُ مُلكاً فما وَهنُوا

فَسُسْتُ بعدهُمُ المُلكَ الذي مَلكُوا ... وأنتَ سائسُ ذاكَ المُلكَ يا قَطَنُ

لم أعدُ سِيرتَهُمْ يوماً وأنتَ لهمْ ... لا تعدُ عن سيرتي ما أورقَ الفَننُ

بالأصلِ تُمرعُ لا بالفَرعِ مونقةٌ ... وكيفَ يخضرُّ لولا أصلُهُ الغُصنُ

ذَرِ التغافُل عن نيلٍ تَجُودُ بهِ ... **إن التغافلَ غيٌّ** والهُدى فِطَنُ

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن قطن بن عريب ولي الملك بعد أبيه، وسار في الناس بسيرته وسيرة أسلافه، وقلد الملك في حياته ابنه الغوث بن قطن بن عريب، وقال له: يا بني إني لم أقلدك الملك ارتفاعاً عنه ولا رغبة في أجل منه، إلا أني أردت أن أقف على سيرك بالناس وسياستك للملك بينهم، وأن أعلم كيف طاعتهم لك كيلا أخرج من الدنيا ولي غصة في ذلك من أمرك وأمر الناس. يا بني، أوصيك بإخوتك أن تفعل لهم ما فعلته لك، وأن تبذل لهم نصيحتك، وتخفض لهم جناحك. وأسألك أن تفعل للعشيرة ما سألتك أن تفعله لهم ولإخوتك، فما الراحة إلا بالأصابع، وما الساعد إلا بالعضُد.

وأنشأ يقول: " من البسيط "

وصَّيتُ غوثاً بما وصَّى أوائلُهُ ... وللوصيَّة إمهالٌ وإمكاثُ

قلَّدتُه المُلكَ لما أن رأيتُ به ... خصائلاً نحوها للمُلك إحثاثُ

ورَّثتهُ سُنناً قد كنتُ وارثِها ... وللملوكِ مواريثٌ وورَّاثُ

قد يُنعشُ المُلكَ ذُو الرأيِ الأصيلِ كما ... يحييْ زراعتهُ بالرأيِ حراثُ

كُلُّ امرئٍ والذي كانتْ عليهِ لهُ ... اباؤُهُ ولكُلٍّ منهُ ميراثُ

والشَّريُ شريٌ ولو أبصرته عسلاً ... والأريُ أريٌ ولو غَالتهُ أحداثُ

وفي الزّواعب خطِّيٌ وذُو خورٍ ... وفي القواضبِ مِذكارٌ ومِئناثُ

وفي السحاب صبير هويُهُ دلسٌ ... ومطبقٌ مسبِلٌ بالجُودِ لثاثُ." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٠ """""""

فقلت له : أحسنت والله يا أبا صدقة فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال : يا سيدي إني قد بنيت دارا أنفقت عليها

---

(١) وصايا الملوك، ص/٦

جميع مالي وما أعددت لها فرشا فأفرشها لي . فتغافلت عنه . وعاود الغناء فتعمدت أن قلت : أحسنت ، فسألني فتغافلت ، فقال : يا سيدي ، هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألتك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم . فأقبلت عليه وقلت له : أنت والله بغيض ، اسكت يا بغيض ، واكفف عن هذه المسألة الملحة . فوثب من بين يدي ، فقلت : إنه قد خرج لحاجة ، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفا من أن تبتل ووقف تحت السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال : يا رب أنت تعلم أني مله ولست نائحا ، وعبدك الذي قد رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول لي : أحسنت لا يقول لي : أسأت ، وأنا مذ جلست أقول له : بنيت ولا أقول له : هدمت ، فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض ، فاحكم بيني وبينه فأنت خير الحاكمين . فغلبني الضحك وأمرت به فتنحى ، وجهدت به أن يغني فامتنع ، حتى حلفت له بحياتك أني أفرش له داره يا أمير المؤمنين ، وخدعته فلم أسم له بما أفرشها . فقال له الرشيد : طيب والله الآن تم لنا به اللهو ، أدعه فإنه إذا رآك سوف يتنجزك الفرش لأنك حلفت له بحياتي فهو يقتضيك ذاك بحضرتي ليكون أوفق له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبواري وحاكمه إلي . ثم دعا به فحضر فلما استقر في المجلس قال لجعفر : الفرش الذي حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري ، تقدم به . فقال له جعفر : اختر ، إن شئت فرشتها لك بالبواري وإن شئت فبالبردي من الحصر ، فصاح واضطرب . فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة ؟ فأخبره ، فقال له : أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة ، فإذا فرشها لك بالبردي أو بما دون ذلك فقد بر في يمينه ، وإنما خدعك ولم تفطن أنت ولا توثقت وضيعت حقك . فسكت ثم قال : نوفر أيضا البردي والبواري عليه أعزه الله . وغنى المغنون حتى انتهى الدور إليه ، فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما يجري مجراه من الغناء . فقال له الرشيد : أي شيء هذا الغناء ؟ قال : من فرش داره بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه ، وكثير أيضا لمن هذه صلته . فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار منماله ، وقال له : افرش دارك بهذه . فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها أو تحكم لي على جعفر بما وعدني وإلا مت." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١١٨ """""""

استدم مودة وليك بالإحسان إليه ، واستسل سخيمة عدوك بعد الاحتراز منه ، وداهن من يجاهرك بعداوتك .

فقد قيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : مداجاة الأعداء ، ومؤاخاة الأكفاء .

ولا تعول على التهم والظنون واطرح الشك باليقين .

فقد قيل : لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له .

قال شاعر :

إذا أنت لم تبرح تظن وتقتضي . . . على الظن أردتك الظنون الكواذب

واختبر من اشتبهت حاله عليك ، لتعلم معتقده فيك ، فتدري أين تضعه منك ؛ فإن الألسن لا تصدق عن القلوب ؛ لما يتصنعه المداجي ويتكلفه المداهن .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٤/٥٠

وشهادات القلوب أصدق ، ودلائل النفوس أوثق .

فإن وقفت بك الحال على الارتياب ، اعتقدت المودة في ظاهره ، وأخذت بالحزم في باطنه .

وإذا أقنعك الإغصاء عن الاختبار فلا تتخطه ، فأكثر الأمور تمشي **على التغافل والإغضاء** .

فقد قال أكثم بن صيفي : من تشدد نفر ، ومن تراخى تألف ، والسر **وفي التغافل** .

ولقلما جوهر المغضي وقوطع المتغافل ، مع انعطاف القلوب عليه ، وميل النفوس إليه . وهذا من أسباب السعادة وحسن التوفيق .

شاور في أمورك من تثق منه بثلاث خصال : صواب الرأي ، وخلوص النية ، وكتمان السر .

فلا عار عليك أن تستشير من هو دونك إذا كان بالشورى خبيرا ؛ فإن لكل ذي عقل ذخيرة من الرأي وحظا من الصواب ، فتزداد برأي غيرك وإن كان رأيك جزلا ، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار وإن كان غزيرا .

وقد يفضل المستشير على المشير ؛ ويظفر المشير بالرأي لأنها ضالة يظفر بها من وجدها من فاضل ومفضول .

وعول على استشارة من جرب الأمور وخبرها ، وتقلب فيها وباشرها ، حتى عرف مواردها ومصادرها ، فلن يخفى عليه خيرها وشرها ، ما لم يوهنه ضعف الهرم .

واعدل عن استشارة من قصد موافقتك متابعة لهواك ، أو اعتمد مخالفتك انحرافا عنك ، وعول على من توخى الحق لك وعليك .

فقد قيل في قديم الحكم : من التمس الرخص من الإخوان في الرأي ، ومن الأطباء في المرض ، ومن الفقهاء في الشبه ، أخطأ الرأي ، وزاد في المرض ، واحتمل الوزر .

ولا تؤاخذ من استشرت بدرك." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧١ """""""

وأما حياؤه وإغضاؤه (صلى الله عليه وسلم)

والحياء : رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله . والإغضاء **: التغافل عما** يكره الإنسان بطبيعته ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) أشد الناس حياء ، وأكثرهم عن العورات إغضاء ، وقد أخبر الله تعالى بحيائه فقال : " إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم " وعن أبي سعيد الخدري : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه . وكان (صلى الله عليه وسلم) لا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول : " ما بال أقوام يصنعون - أو يقولون - كذا " ينهى عنه ولا يسمي فاعله .

وروى أنس رضي الله عنه أنه يدخل عليه رجل به أثر صفرة ، فلم يقل له شيئا - وكان لا يواجه أحدا بما يكره - فلما خرج

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١١٨/٦

قال : " لو قلتم له يغسل هذا " ويروى " ينزعها " . ورووي عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد ، وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره ، (صلى الله عليه وسلم) .

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه (صلى الله عليه وسلم)

فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أكرم الناس عشرة ، وأكثرهم أدبا ، وأبسطهم خلقا مع أصناف الخلق ، انتشرت بذالك الأخبار الصحيحة ، منها ما رويناه بسند متصل عن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكر قصة في آخرها ، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ووطأ عليه بقطيفة ، فركب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم قال سعد : يا قيس ، اصحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال قيس : فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " اركب " فأبيت ، فقال : " إما أن تركب وأما أن تنصرف " فانصرفت ، وفي رواية أخرى : " اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها " . وكان (صلى الله عليه وسلم) لا يدع أحدا يمشي معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال : " تقدمني إلى المكان الذي تريد " وركب (صلى الله عليه وسلم) حمارا عريا إلى قباء ، وأبو هريرة معه ، فقال : " يا أبا هريرة أحملك " ؟ فقال : ما شئت يا رسول الله ، فقال : " اركب " وكان في أبي هريرة ثقل ، فوثب ليركب فلم يقدر ، فاستمسك برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فوقعا جميعا ، ثم ركب (صلى الله عليه وسلم) فقال : " يا أبا هريرة أحملك " ؟ فقال : ما شئت يا رسول الله ، فقال : " اركب " فلم يقدر على ذلك ، فتعلق برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فوقعا جميعا ، ثم قال : " يا أبا هريرة أحملك " ؟ فقال : لا ، والذي بعثك بالحق لاصرعتك." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٠٣ """""""

وتأخر لبعضهم بقية من معلومه المسمى فأخره ولي الأمر عنه وصرفه على غيره من المسلمين أو المستحقين ، أو أرصده لذلك ، هل يجوز له فعل هذه الصور ؟ أم يجب عليه ؟ وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة وأموالهم فيء حلال أم لا ؟ وإذا جاهدهم ولي الأمر أيده الله تعالى بإخماد باطلهم ، وقطعهم من حصون المسلمين ، وتحذير أهل الإسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم وأمرهم بالصوم والصلاة ، ومنعهم من إظهار دينهم الباطل – وهم الذين يلونه من الكفار هل ذلك أفضل وأكثر أجرا من التصدي والترصد لقتال التتار في بلادهم وهدم بلاد سيس ، وديار الفرنج على أهلها أم هذا أفضل ؟ وهل يعد مجاهد النصيرية المذكورين مرابطا ؟ ويكون أجره كأجر المرابط في الثغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكثر أجرا ؟ وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم ، وإظهار الإسلام بينهم فلعل الله تعالى أن يهدي بعضهم إلى الإسلام ، وأن يجعل من ذريتهم وأولادهم ناسا مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم ، أم **يجوز التغافل عنهم**

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٧١/١٨

والإهمال ؟ وما قدر أجر المجتهد على ذلك والمجاهد فيه ، والمرابط له والعازم عليه ؟
وليبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى إنه على كل شيء قدير ،
وهو حسبنا ونعم الوكيل .
فأجاب الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني
عن هذه الفتيا .
الحمد لله رب العالمين ، هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف
القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ،
وضررهم على أمة محمد [ ] أعظم من ضرر الكفار المحاربين ، مثل كفار التتار
والفرنج وغيرهم ، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع ، وموالاة أهل
البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ، ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ،
ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد [ ] ولا
بملة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين
يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن ، من جنس ما ذكره السائل ومن
غير هذا الجنس ، وأنهم ليس لهم حد محدود مما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله
وآياته وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه ، ومقصودهم إنكار الإيمان وشرائع
الإسلام بكل طريق ، مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكره
السائل ؛ من جنس قولهم : إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم ، و " الصيام." (١)

"فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من رفض الاصطلاح، واطراح التغافل، مولع بالنقد، والمخالفة في كل ما يطرق سمعه، مرشحا ذلك بالجدل المبرم، ذاهبا أقصى مذاهب القحة، كثير الفلتات، نالته بسبب هذه البلية محن، ووسم بالرهق في دينه مع صحة العقل، وهوالآن عامر الرباط المنسوب إلى اللجام على رسم الشياخة، عديم التابع، مهجور الفناء، قيد الكثير من الأجزاء منها في نسبة الذنب إلى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ، ومنها فيما أشكل من كتاب أبي محمد ابن الشيخ، وصنف كتابا كبير الحجم في الاعتقادات جلب فيه كثيرا من الحكايات، رأيت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المقري ما يدل على استحسانه. ومن البرسام الذي يجري على لسانه، بين الجد والقحة والجهالة والمجانة، قوله لبعض خدام باب السلطان وقد ضويق في شيء أضجره منقولا من خطه – بعد رد كثير منه للإعراب – ما نصه: الله نور السموات من غير نار ولا غيرها، والسلطان ظل له وسراجه في الأرض، ولكل منهما فراش مما يليق به ويتهافت عليه، فهوتعالى محرق فراشه بذاته، مغرقهم بصفاته وسراجه، وظله هوالسلطان محرق فراشه بناره، مغرقهم بزيته ونواله، ففراش الله تعالى ينقسم إلى حافين ومسبحين ومستغفرين وأمناء وشاخصين، وفراش السلطان ينقسمون إلى أقسام لا يشذ أحدهم عنها، وهم وزعة ابن وزعة،

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ، ٢٠٣/٣٢

وكلب ابن كلب، وكلب مطلقا، وعار ابن عار، وملعون ابن ملعون، وقط، فأما الوزغة فهوالمغرق في زيت نواله المشغول بذلك عما يليق بصاحب النعمة من النصح وبذل الجهد، والكلب ابن الكلب هوالكيس المتحرز في تهافته من إحراق وإغراق يعطي بعض الحق ويأخذ بعضه، وأما الكلب مطلقا فهوالمواجه وهوالمشرد للسفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة، وأما العار ابن العار فهوالمتعاطي في تهافته ما فوق الطوق، ولهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة إذا مر بهم جلف أومتعاظم يقولون: هذا العار ابن العار، يحسب نفسه رئيسا، وذلك لقرب المناسبة؛ فهوموضوع لبعض الرياسة، كما ا، الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة، وأما الملعون." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٠٨ """""""

قالوا : مقتل الرجل بين لحييه . التثبت نصف العفو . قال أكثم : الكرم حسن الفطنة . واللؤم سوء التغافل . قيل : أسوأ الناس حالا من اتسعت معرفته ، وبعدت همته ، وضاقت مقدرته . كان عبد الملك بن الحجاج : يقول : لأنا للعاقل المدبر أرجا مني للأحمق المقبل . وقالوا : أمران لا ينفكان من الكذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري : دلني على من أجلس إليه . قال : تلك ضالة لا توجد . قيل لعبد الله بن كرز : هلا أجبت أمير المؤمنين حين سألك عن مالك . قال : إنه إن استكثره حسدني ، وإن استقله حقرني . قال بعضهم : عيادة النوكى الجلوس فوق القدر ، والمجيء في غير وقت . قال محمد بن واسع : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث ؛ بلغة من عيش له ليس لأحد فيها منة ، ولا لله علي فيها تبعة ، وصلاة في جماعة أكفى سهوها ويدخر لي أجرها ، وأخ إذا ما أعوججت قومني . مر عمر بن ذر بابن عياش المنتوف وكان قد سفه عليه ثم أعرض عنه ، فتعلق بثوبه وقال : يا هناه ؛ إنا لم نجد لك إذا عصيت الله فينا خيرا من أن نطيع الله فيك . قال بعضهم : ما نصحت لأحد إلا وجدته يفتش عن عيوبي . قال لبعضهم : أي الناس أحلم ؟ قال : سفهاء لقوا أكفاءهم . قال خليفة بن عبد الله التغلبي : ما خاصمت أحمق ولا كيسا إلا رأيته بصيرا بما يسوءني . سأل ابن أبي بكرة : أي شيء أدوم إمتاعا ؟ قال : المنى . وقال عباية ما يسرني بنصيبي من المنى حمر النعم .." (٢)

"فإلا أكن عين الجواد فإنني ... على الزاد في الظلماء غير شتيم

وإلا أكن عين الشجاع فإنني أرد سنان الرمح غير سليم

إليها، يعني إلى راحلته. وجعل الفتية مكلومي الأكف عندما يتولونه من قسمة الجزور وتفصيل أوصالها، لأنهم لا يهتدون إلى المفاصل، ولم يزاولوا نحر الإبل وجزرها قبل ذلك. فيقول: جمعت على قسمة ناقتي فتيانا قد تكلفوا ما دعوتهم إليه تكرما، وإن لم يكن ذلك من شأنهم، ولا صار منهم ببال، لكن شدة الزمان، وتناهي الضر في الجيران وطوائف الناس فرض على أمثالهم تجشم فعله لهم، وحسن توليه فيهم.

وقوله إذا ما اشتهوا منها شواء، يريد: زإذا انبسطوا للتناول وتواضعوا وأظهروا في المعاون اهتزازهم فنشطوا، سعى في اتخاذ

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٣/٦

(٢) نثر الدر ، ١٠٨/٤

الشواء لهم وتهيئته رجل خفيف السعي، كثير الألطاف، حسن الخدمة للكرام، عارف برسومهم في اكتساب المكرمات. ويعني به نفسه.

وقوله: فإلا أكن عين الجواد، يريد إن لم أكن كل الجواد والجامع لأسباب السخاء، فإنني لا أشتم في الظلماء بعلة الزاد وحبسه عن مريده؛ وإن لم أكن حق الشجاع، والتام الآلات في المصاع، فإني أجر الرمح في المطعون وأرد سنانه كسرا. وليس الجود ولا الشجاعة إلا ما ذكره، ولكنه أراد أن تكون دعواه قاصرة عن الغاية المرموقة، ليكون أحسن في الأحدوثة، وأدخل في العقل، وأقرب في الذكر. وقد مر القول في مثله في باب الحماسة أشبع من هذا.

والهذريان والهيذار: الكثير الكلام فيما يحمد. والهذر والمهذار: الكثير الكلام في كل باب.

وقال آخر:

وسع بمدك ماء اللحم تقسمه ... وأكثرالشوب إن لم يكثر اللبن

وسع به وتلت حول حاضره ... إن الكريم الذي لم يخله الفطن

قوله بمدك مصدر مددت القدر، إذا أكثرت مرقها. ويقال: مددت الدواة أيضا، إذا كثر مرق قدرك ليتسع لغاشيتها، وأكثر خلط اللبن إن لم يكثر في نفسه ولم يتسع لوارده. والشوب: مصدر شاب يشوب، إذا خلط وهذا مثل ما سار به المثل، وهو مثل الماء خير من الماء. وأصله أن رجلا استسقى غيره لبنا، فقال: إنه مثل الماء، أي فضلة بقيت من لبن مشوب. فقال المستسقي: مثل الماء خير من الماء. يريد أن المشوب من اللبن خير من الماء القراح. ومثله قول الآخر:

نمد لهم بالماء من غير هونهم ... ولكن إذا ما ضاق شيء يوسع

وقوله وسع به وتلفت حول حاضره يريد كثره والتفت فيمن حولك من جار ومحتاج، ولا تنتظر بما تفرقه السؤال والطلب، ولكن ليكن من نفسك باعث على تمييز المحتاج، والنظر له، والإفضال عليه؛ لأن الكريم هو الذي لا يخليه فطنه، والتفاته ونظره. واللؤم: سوء التغافل.

وهذا كما قال الآخر:

إن الكريم من تلفت حوله ... وإن اللئيم دائم الطرف أفود

وقال آخر

إذا هي لم تمنع برسل لحومها ... من السيف لاقت حده وهو قاطع

ندافع عن أحسابنا بلحومها ... وألبانها إن الكريم يدافع

ومن يقترف خلقا سوى خلق نفسه ... يدعه وترجعه إليه الرواجع

قوله إذا هي لم تمنع، يعني الإبل. فيقول: إذا لم يكن في النوق لبن تحمي نفوسها به من العقر عند نزول الضيفان لاقت حد السيف وهو يجزرها ويقطعها. ومثله قول الآخر:

وإن تعتذر بالمحل من ذي ضروعها ... على الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

وأبلغ منهما قول الآخر:

فتى لا يعد الرسل يقضي ذمامه ... إذا نزل الأضياف أو تنحر الجزر

وقوله ندافع عن احسابنا بلحومها، يريد بإطعام لحومها، وسقى ألبانها لأن عادتنا تفرض علينا المدافعة عن الكرم، والمحاماة على الشرف، وذلك خلقنا الذي ننشأ عليه، وننبت فيه، ومن يتعاط خلقا مستجدا مخالفا لما ألفه وتعوده يفارقه ويرجع إليه الخلق الأول. ومثله قول الآخر:

كل امرىء راجع يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

والقرف يكون من الذنب والجرم، يقال: هو يقترف ذنبا، أي يأتيه ويفعله، ويقال أيضا: هو يقترف لعياله، أي يكتسب. واقترف حسنة، أي اكتسبها. وقوله: وترجعه إلى الرواجع، يقال: رجع فلان من كذا رجوعا، ورجعته أنا رجعا، ومثله صد وصددته، وكسب وكسبته.

وقال مضرس بن ربعي." (١)

" بالحجاز وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر بن كلاب وبني دارم وبني ماوية وبني معبد بن زرارة وبني تميم وانهزمت فيه بنو تميم ومن معهم وأسر معبد بن زرارة وقصد أخوه لقيط بن زرارة أن يستفكه فلم يقدر وعذبوا معبدا حتى مات ويوم شعب جبلة وشعب جبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف وكان من شأنه أنه لما انقضت وقعة رحرحان المتقدمة ومضى لها سنة وذاك في العام الذي ولد فيه رسول الله استنجد لقيط بن زرارة التميمي بني ذبيان لثأر أخيه فأنجدته وتجمعت بنو تميم غير بني سعد وخرجت معه بنو أسد وسار بهم لقيط إلى بني عامر وبني عبس في طلب ثأر أخيه معبد فأدخلت بنو عامر وبنو عبس أموالهم في شعب جبلة فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جمائع لقيط وقتلوا لقيطا وأسروا أخاه حاجب بن زرارة وانتصرت بنو عامر وبنو عبس نصرا عظيما وقتل أيضا من بني ذبيان وبني تميم ومن بني أسد جماعة مستكثرة وكان هذا اليوم من أعظم أيامهم ويوم ذي قار وهو أقرب الوقائع المشهورة في الجاهلية عهدا وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله وقيل عام بدر

وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فحبسه فهلك في الحبس وكان النعمان قد أودع حلقته وهي السلاح والدروع عند هانىء بن مسعود البكري فأرسل أبرويز يطلبها من هانىء فقال هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي فاستشار أبرويز إياسا فقال إياس **المصلحة التغافل عن** هانىء بن مسعود حتى يطمئن ونتبعه ." (٢)

" وأما ما ذكرته من افتتاحك الجزيرة المعروفة بجربة لما شرحته من عدوان أهلها وعدولهم عن طرق الخيرات وسبلها واجترائهم في الطغيان على أسباب لا **يجوز التغافل عن** مثلها واستعمالهم الظلم تمردا وتماديهم في الغي تباهيا في الباطل وغلوا يأسا من الجزاء لما استبطأوه فإن من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمة عنه نائية وخليق أن يأخذه الله من مأمنه أخذة رابية كما أنه من كان من أهل السلامة وسالكا سبيل الاستقامة ومقبلا على صلاح شانه وغير متعد للواجب في

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١٩/٢

(٢) صبح الأعشى، ٤٤٨/١

سره وإعلانه تعين أن نوفر من الرعاية سهمه ونجزل من العناية نصيبه وقسمه ويؤمن مما يقلقه ويزعجه ويقصد بما يسره ويبهجه ويصان عن أن يناله مكروه ويحمى من أذى يلم به ويعروه

وأما شكرك لوزيرك الأمير تأييد الدولة وعضدها عز الملك وفخره نظام الرياسة أمير الأمراء فإن من تهذب بتهذيبك وتخلق بأخلاقك وتأدب بتأديبك لا ينكر منه إصابة المرامي ولا يستغرب عنده نجح المساعي وواجب عليه أن لا يجعل قلبه إلا مثوى للنصائح وأن لا يزال عمره بين غاد في المخالصة ورائح

وأما المركب العروس ووصول كتاب وكيله ذاكرا ما اعتمده مقدم أسطولك من صونه وحمايته وحفظه ورعايته وإعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه جار في الديوان الخاص الحافظي ففعل يجمل عنك صدره ويليق بك أن ينسب إليك ذكره وخبره ويدل على علم أصحابك برأيك وإحكام معاقدة المودة ويعرب عن إيثارك إبرازها كلما تقادم عهدها في ملابس بهجة مستجدة وهذا الفعل من خلائقك الرضية غير مستبدع وقد ذخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مقر وأكرم مستودع لا جرم أن أوامره خرجت إلى مقدمي ." (١)

" وغيرهما من أهله فدلوه بالغرور وحملوه على ما قضى بالاستيحاش منه والنفور وقووا عزمه فيما يؤدي إلى اضطراب الأحوال واختلال الأمور فامتعض العساكر المنصورة مما أساء به سياستهم وأبوا الصبر على ما غير به رسمهم وعادتهم فلم رأى أمير المؤمنين ذلك استعظم الحال فيه وتيقن **أن التغافل عنه** يقضي بما يعسر استدراكه وتلافيه فكاتب وليه وصفيه الذي ربي في حجر الخلافة وسما به استحقاقه إلى أعلى درج الإنافة وحصلت له الرياسة باكتسابه وانتسابه وغدا النظر في أمور المملكة لا يصلح لغيره ولا يليق إلا به السيد الأجل الأفضل وهو يومئذ والي الأعمال الغربية وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعره بهذا الأمر الصعب وتستكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب فأجاب دعاءه ولبى نداءه وقام قيام مثله ممن أجزل الله حظه من الإيمان وجعله جل وعز حسنة هذا الزمان واختصه بعناية قوية وأمده بمواد علوية وأيده بإعانة سماوية تخرج عن الاستطاعة البشرية فجمع الناس وقام خطيبا فيهم وباعثا لهم على ما يزلفهم عند الله ويحظيهم وموضحا لهم ما يخشى على الدولة من الأمر المنكر فاجتمعوا إليه كاجتماعهم يوم المحشر وغصت النجود والأغوار وامتلأت السهول والأوعار وضاقت الأرض على سعتها بالخلائق وارتفعت في توجههم لطلب المذكور الأعذار والعوائق ولم يبق فضاء إلا وهو بهم شرق ولا أحد إلا وهو منزعج بقصده وعلى تأخر ذلك قلق وكان بهرام وأصحابه بالإضافة إليهم كالشامة في اللون البسيط وكالقطرة في البحر المحيط وساروا مع السيد الأجل الأفضل نحوه مسارعين وعلى الانقضاض عليهم متهافتين فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ولاذ بالهرب والفرار يهجر المناهل ويطوي المراحل ويرى الشرود غنما ويعد السلامة حلما واستقرت وزارة أمير المؤمنين لهذا السيد الأجل الأفضل الذي لم تزل فيه راغبة وله خاطبة ونحو توليه إياها متطلعة وإلى نظره فيها مبادرة متسرعة ." (٢)

" المجازة

---

(١) صبح الأعشى، ٤٤٨/٦

(٢) صبح الأعشى، ٤٥٠/٦

والشكر من أكبر أبواب الأمانة وأبعده من أسباب الخيانة ولن يبلغ أحد في ذلك غاية المجد إلا بمعونة الطمع وإلا الحرب سجال بينهما والظفر مقسوم عليهما

كذلك حكم الأشياء إذا تساوت في القوة وتقاربت في بلوغ المدة

وقد زعم ناس أن الشاكر والمنعم لا يستويان كما أن البادئ بالظلم والمنتصر لا يعتدلان لأن الباديء أخذ ما ليس له والمنتصر لم يتجاوز حقه الذي هو له ولأن الباديء لم يكن مهيجا على الظلم بعلة جناها المنتصر والمنتصر مهيج على المكافأة بعلة جناها البادىء والمثور للطباع المغضب والمستخف المهيج أعذر من الساكن الوادع المطمئن

فلذلك قالوا إن البادىء أظلم والمنتصر أعذر

وزعموا أن المنعم هو الذي أودع صدر الشاكر المحبة بإنعامه عليه وهيجه بذلك على مكافأته لإحسانه إليه فقد صار المنعم شريك الشاكر في إحسانه وتفرد بفضل إنعامه دون مشاركة غيره والمنعم هو الذي دفع للشاكر أداة الشكر وأعاره آلة الوفاء فهو من ههنا أحق بالتقديم وأولى بالتفضيل

هذا وقد قال الحكماء والأدباء والعلماء من تمام كرم **المنعم التغافل عن** حجته والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته لأن المحاجة مغالبة ولا تتم مودة إلا مع المسامحة

ولذلك قال الربعي لناس من العرب يختصمون هل لكم في الحق أو خير منه قالوا قد عرفنا الحق فما الذي هو خير منه **قال التغافل فإن** الحق مر

ألا ترى إلى بنت هرم بن سنان لما قالت لابنة زهير بن أبي سلمى في بعض المناحات أو في بعض المزاورات إنه ليعجبني ما أرى من حسن شارتكم ونقاء نفحتكم

قالت ابنة زهير أما والله لئن قلت ما قلت فما ذلك إلا من فضول ما وهبتم ومن بقايا ما أنعمتم

قالت بنت هرم لا بل لكم الفضل وعلينا الشكر أعطيناكم ما يفنى وأعطيتمونا ما يبقى

وقيل لعبد الله بن جعفر حين أجزل لنصيب الشاعر في الهبة وكثر له في العطية أتنيل هذا العبد الأسود كل هذا النيل وتحبوه بمثل هذا الحباء فقال عبد لله بن جعفر أما والله لئن كان أسود الجلد إنه ." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وقال عليه الصلاة والسلام لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يوشك أن يفضحه ولو في رحله وقال أكثم بن صيفي استر عيب أخيك لما تعلم من نفسك وقالوا أحمق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه قيل للربيع بن خيثم مالك لا تعيب أحداً قال لست عن نفسي راضياً فاتفرغ لعيوب الناس ومذامهم وقالوا من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون ومن تتبع مساوئ العباد فقد نحلهم عرضه قال الشاعر

لا تكشفن من مساوئ الناس ما ستروا ... فيكشف الله ستراً من مساويكا

---

(١) صبح الأعشى، ١٤/١٩٧

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

وما أحسن قول القائل

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى ... ودينك موفور وعرضك صين

فلا ينتطق منك اللسان بسوأة ... فللناس سوآت وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوياً ... لقوم فقل يا عين للناس أعين

فعاشر بانصاف وكن متودّداً ... ولا تلق إلا بالتي هي أحسن

وقالوا فلان يصم أذنه عن الفحشاء ويخرس لسانه عن التكلم بها وقال الشاعر يمدح

غنيّ عن الفحشاء أمّا لسانه ... فعف وأمّا طرفه فكليل

آخر

كريم له عينان عين عن الخنا ... تنام وأخرى في المكارم تسهر

آخر

وإذا تواخاك امرؤ بقبيحه ... فأجبه بالاحسان والاجمال

حكى أن رجلاً عاب رجلاً عند المأمون فقال له المأمون قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما هي فيه لا بقدر ما فيه منها وقال الشاعر

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذي هو فيه

وما خير من تخفى عليه عيوبه ... ويبدله بالعيب عيب أخيه

وقالت رابعة العدوية الانسان إذا نصح لله في نفسه أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل بها عن خلقه

والعاقل من جعل اغضاءه عن المساوئ ... حصناً إليه من ذم اللئام يأوي

يقال ربما سخط العاقل فيبدي الرضا ويغضي مثل جمر الغضا وقيل لبزرجمهر من أعقل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضاً لسماع الفحشاء وكان الغالب **عليه التغافل وقال** أبو بكر الصديق رضي الله عنه من امتطى **زمام التغافل ملك** زمام المروأة وقالوا أشرف الكرم تغافلك عما تعلم **ويقال التغافل من** الكرام يمنحهم الاجلال والاكرام أنشد الباخرزي في الدمية لأبي الفضل عبد الله بن محمد الحيري رحمه الله تعالى

يا من يعرّض بالخنا متوهماً ... جهلي به مهلاً فإنك جاهل

كم مرّة أغضيت منك على قذى ... لولا النهى لرأيت ما أنا فاعل

آخر

ويشتمني النذل اللئيم فلا أرى ... كفؤاً لعرضي عرضه فأجامله

أجرّ له ذيلي كأني غافل ... أضاحكه طوراً وطوراً أخاتله

وقيل لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل قال الشاعر

أعرض عن العوراء إن أسمعتها ... وأسكت كأنك غافل لم تسمع

ولبعضهم معرباً بكرمه ومعرّفاً بشيمه

وإني لأغضى عن أمور كثيره ... ومن دونها قطع الحبيب المواصل

وأعرض حتى يحسب الناس أنني ... جهلت الذي آتى ولست بجاهل

آخر

وأغضى عن العوراء حتى يقال لي ... بأذنيه وقر عندها حين ينطق

حياء وإكراماً لعرض أصونه ... ولا خير في عرض يظلّ يمزق

آخر

دعى ملاحاة من هجاني ... يا نفس إن تغفلي تصاني

إذا حكيت البذا عليه ... فما هجاني سوى لساني

وأمّا ما قبل في التغاضي والاحتمال ... والكف عن جواب قبيح المقال

قالوا أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت في عقوبة السفيه وقال بعض الحكماء السكوت عن السفيه جواب والاعراض عنه عقاب قال الشاعر

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من اجابته السكوت." (١)

"قال: حدثني سعيد بن سليمان قال: حدثنا إسماعيل بن زكريا عن سعيد بن طريف عن عمير بن المأمون قال: سمعت الحسن بن عليّ يقول: من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثماني خصال: آيةً محكمةً، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمةً منتظرةً، وكلمةً تدلّه على هدىً أو تردعه عن ردىً، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً.

أقوال في الصاحب قال: وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن أبيه قال: كان يقال: الصاحب رقعةٌ في قميص الرجل، فلينظر أحدكم بم يرقع قميصه.

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن أبيه أنه قال: كان يقال: ما وجدنا شيئاً أبلغ في خير أو شرّ من صاحب.

وحدثني الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: حدثنا سليمان بن المغيرة قال: قال يونس: اثنان ما في الأرض أقلّ منهما ولا يزدادان إلا قلّةً: درهمٌ يوضع في حقٍّ، وأخٌ يسكن إليه في الله علقمة بن لبيد ينصح ابنه وحدّثني شيخ لنا عن محمد بن مناذر عن سفيان بن عيينة قال: قال: علقمة بن لبيد العطارديّ لابنه: يا بنيّ، إذا نزعتك إلى صحبة الرجال حاجةٌ، فأصحب منهم من إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصةٌ مانك؛ وإن قلت صدّق قولك ، وإن صلت شدّ صولك؛ وإن مددت يدك بفضلٍ مدّها، وإن رأى منك حسنةً عدّها؛ وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمّات آساك؛ من لا يأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق؛ وإن حاول حويلاً آمرك، وإن تنازعتما منفساً آثرك.

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٥٤

القرظي لعمر بن العزيز قال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز: إنّ فيك جهلاً، فداو بعض ما فيك ببعضٍ، وآخ من الإخوان من كان ذا مغلاةٍ في الدّين ونّيةٍ في الحق، ولا تؤاخ منهم من تكون منزلتك عنده على قدر حاجته إليك، فإذا قضى حاجته منك ذهب ما بينك وبينه. وإذا غرست غراساً من المعروف فلا تبقيّن أن تحسن تربيته.

للأحنف بن قيس في خير الإخوان وقال الأحنف بن قيس: خير الإخوان من استغنيت عنه لم يزدك في المودّة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن عثرت عضدك، وإن احتجت إلى مؤونته رفدك.

وقال الشاعر:

إنّ أخاك الصّدق من لم يخدعك ... ومن يضرّ نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمانٍ صدعك ... شتت شمل نفسه ليجمعك

وإن رآك ظالماً سعى معك

شعر لحجيّة بن المضرّب وقال حجية بن المضّرب:

أخوك الذي إن تدعه لملمةٍ ... يجبك وإن تغضب إلى السّيف يغضب

وكتب رجلٌ إلى صديق له: أنت كما قال أعشى بأهلة:

من ليس في خيره منّ فيفسده ... على الصّديق ولا في صفوه كدر

وليس فيه إذا استنظرته عجلٌ ... وليس فيهأذا ياسرته عسر

لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وقال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه:

أخوك الذي إن أحوجتك ملمةٌ ... من الدّهر لم يبرح لها الدّهر واجما

وليس أخوك الحقّ من إن تشعّبت ... عليك أمورٌ ظلّ يلحاك لائما

وقال آخر:

إذا كان إخوان الرجال حرارةً ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانبٌ ... إذا رامه الأعداء مركبه صعب

وتأخذه عند المكارم هزّةٌ ... كما اهتزّ تحت البارح الغصن الرطب

وقال آخر:

أبكي أخاً يتلقّاني بنائله ... قبل السؤال ويلقى السّيف من دوني

إنّ المنايا أصابتني مصائبها ... فاستعجلت بأخٍ قد كان يكفيني

من كتاب الهند وقرأت في كتاب للهند: رأس المؤدة الإسترسال لأكثم بن صيفيّ وقال أكثم بن صيفيّ: من تراخى تألف، ومن تشدّد نفرّ، والشرف التغافل.

لحاتم في العاقل وقال حاتم: العاقل فطنٌ مغافلٌ.

من كتاب الهند في علامة الصديق، وشعر للعتابي في ذلك وقرأت في كتاب للهند: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدوّ صديق عدواً.

قال العتابي في ذلك:

تودّ عدوّي ثم تزعم أنّني ... صديقك، إن الرأي عنك لعازب

وليس أخي من ودّني رأي عينه ... ولكن أخي من صدّقته المغايب

لبزر جمهر قيل لبزر جمهر: أخوك أحبّ إليك من صديقك؟ قال: إنما أحبّ أخي إذا كان صديقاً.

لبعضهم." (١)

"وكان في كلامهم حشو كثير حصلت خالصة زبدته ما أعدت ههنا، وذكرته في جملة الكلام والناس من أول الدهر إنما يتكلمون في الأخلاق، على هذا تدل الكتب السالفة، والأشعار المتقدمة، والمواعظ القائمة، والمزاجر المترددة، ومع ذلك كله من طبع على الجبن ليس يجيء منه شجاع، ومن طبع على الغيرة لم يمكنه أن يغفل، ومن وجد في سوسه شيئاً أبداه، ومن كان في قوته شيء أظهره، ومن استكن في مزاجه شيء أبانه والأصل طالع على رابية الأيام، والاختيار في الأشياء قوة ضعيفة جداً لا ثبات لها مع الضرورة التي ترد قاهرة، وتوافي مجبرة، فإن الاختيار أيضاً في الأول من جملة تلك الضرورة في عرض القسمة السماوية، إن أذن له بدا وظهر، وسعى وسفر؛ وإن تكن الآخر بطل حكمه ورسمه، وارتفع عيبه وفعله. وقد شاهدنا من يمدح الجود ويحث عليه، ويحسنه ويدعو إليه، وهو أبعد الناس من العمل به، والقيام بحكمه. وقد وجدنا من يلوم التغافل في الحرمة وما يجري معها، ويبعث على الغيرة والصرامة فيها، وخوض الدم من أجل عارض في بابها، وهو أشد الناس انحلالاً فيها، وأظهرهم اختلالاً عليها. فكأن ما يقوله أحدهم ذاماً ومادحاً، هو غير ما ينبغي أن يأتيه أو يتركه مجتنباً. وكان أبو سليمان يقول: كثير من أخلاق الإنسان تخفى عليه، وتطوى عنه؛ وذلك جلي لصاحبه وجاره وعشيره. وهو يدرك أخفا من ذلك على صاحبه وجليسه ومعامله وقريبه وبعيده، وكأنه في عرض هذه الأحوال عالم جاهل، ومتيقظ غافل، وجبان شجاع، وحليم طائش. يرضى عن نفسه في شيء هو المغتاظ على غيره من أجله. قال: وهذا كله دليل على أن الخلق في وزن الخلق وعلى نساجه، يعسر منه ما يعسر من هذا، ويسهل من هذا ما يسهل من ذاك.

قلت له عند التفاف الكلام في هذا الحد: ما الخلق؟ قال: شعار.

قلت: فما المحمود منه؟ قال: ما أنشأته النفس الفاضلة في ذي المزاج المعتدل.

قلت: فما المذموم منه؟ قال: ما توريه الطبيعة في ذي المزاج المتفاوت.." (٢)

"فقيه جليل القدر رحل إلى المشرق وحج وولى قضاء حلب، وعاد إلى الأندلس فجل قدره عند المقتدر بن هود ملك سرقسطة. ومن شعره قوله يخاطب إخوانه:

سلام على صفحات الكرم ... على الغرر الفارجات الغمم

فلا أنس لا انس ذاك الحيا ... وتلك المعالي وتيك الشيم

ودنيا بكم طلقة المجتلى ... ودهراً بكم واضح المبتسم

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٨١

(٢) المقابسات .. لأبي حيان التوحيدي، ص/٢٣

وساعات أنس تجول النفوس ... لديها مجال حمام الحرم

أحن إليكم من شاقه ... تذكر عهدكم لم يلم

وأنشر من فضلكم ما علمت ... على أنه ظاهر كالعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الثاني

من الكتابين اللذين يشتمل عليهما كتاب المملكة الباجية وهو

كتاب الأقراط المكللة في حلى حصن مارتلة

من حصون باجة، وهو معقل جليل، كان في أيدي المسلمين حين كانت بالأندلس.

منه:

الزاهد أبو عمران

موسى بن عمران المارتلي

سار بإشبيلية في طريق الزهادة، وكان الملوك يزورونه ولا يلتفت إليهم، وله نثر ونظم في الزهد والحكم مدون مشهور. ومن نثره: كل ما يفني ما له معنى. من خف لسانه وقدمه كثر **ندمه. التغافل عن** الجواب من فعل ذوي الألباب. من أعطاك رفده فقد منحك وده. ملك فؤاد من أفادك. ومن نظمه قوله:

إلى كم أقول ولا أفعل ... وكم ذا أحوم ولا أنزل

وأزجر عيني فلا ترعوى ... وأنصح نفسي فلا تقبل

وكم ذا تعلل لي ويحها ... بعل وسوف وكم تمطل

وكم ذا أومل طول البقا ... وأغفل والموت لا يغفل

وفي كل يوم ينادي بنا ... منادى الرحيل: الأ فانزلوا

آمن بعد سبعين أرجو البقا ... وسبع أتت بعدها تعجل

كأن بي وشيكاً إلى مصرعي ... يساق بنعشي ولا أمهل

فيا ليت شعري بعد السؤال ... وطول المقام لما أنقل

وكان ملتزماً لما ينطق به من قوله:

اسمع أخي نصيحتي ... والنصح من محض الديانة

لا تقربن إلى الشها ... دة والوساطة والأمانة

تسلم من أن تعزى لزو ... ر أو فضول أو خيانة

ومات في آخر مدة ناصر بني عبد المؤمن.

مملكة اشبونة

كتاب الرياض المصونة في حلى مملكة أشبونة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب السادس من الكتب التي يشتمل عليها كتاب غرب الأندلس وهو

كتاب الرياض المصونة في حلى مملكة أشبونة

مملكة جليلة على البحر المحيط في غرب إشبيلية وشمالها، وقد حصلت في يد النصارى.

وينقسم كتابها إلى: كتاب الغرة الميمونة في حلى مدينة أشبونة كتاب حديقة الأحداق في حلى دولة القبذاق كتاب النكهة العطرة في حلى مدينة شنترة كتاب عرف النسرين في حلى شنترين

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الأول من الكتب التي يشتمل عليها كتاب المملكة الأشبونية وهو

كتاب الغرة الميمونة في حلى مدينة أشبونة

هي عروس

المنصة

من كتاب الرازي: مدينة قديمة في غرب باجة، ولها أثرة فاضلة في طيب الثمرات وتمكن في ضروب الصيد براً وبحراً، وبزاتها الجبلية أطير البزاة وأعتقها، وفي جبالها شورة النحل، وهو العسل الخالص البياض كالسكر، ويوضع في خرقة، فلا يكون له رطوبة.

التاج

كانت في مدة ملوك الطوائف للمتوكل بن الأفطس وقد ولي عليها أبا محمد بن هود المهاجر إليه من سرقسطة. وأخذها النصارى في آخر مدة الملثمين.

السلك

محمد بن سوار الأشبوني

شاعر مشهور مذكور في كتاب الذخيرة أسره النصارى وجرت عليه محن، وفداه منهم ابن عشرة كريم سلا، فله فيه أمداح

كثيرة، منها قوله:

رأيتك أندى الناس كفاً وكل ما ... تجود به فالله ينميه للأخرى." (١)

"أعليت في مصر مكاني بعدما ... خفضت به ولقدره لم يؤبه

طلعت نجومكم الثواقب للورى ... زهرا وإني كالسهى عنه سهي

جبرت يد الإفضال منه مكاسرا ... من فضلي المتكسر المتكده

عرف بعرفك منه ما لم يعرفوا ... نبا وعن سنة التغافل نبه

فضلي خلوت لأجله من حظوة ... هي للأريب كنبت مرت أجله

الفضل مشتعل بنار بلائه ... والحظ مشتغل بأخرق أوره

أعر التأمل فقه شعري منعما ... لا يشعر الإنسان ما لم يفقه

وتملها غراء جامعة لكم ... في النعت بين تمدح وتمده

يهتز ذو الحسنى لجلوة حسنها ... وتجل عن تحسين كل مزهره

أفواه أهل الفضل ناطقة لها ... بالفضل إن قيست بشعر الأفوه

وإن العقول لهت لها فلأنها ... محمية عن كل معنى لهله

صهباء تودع سامعيها نشوة ... وتعير عرف المسك للمستنكه

فوليها بتشوق وتشوف ... وحسودها بتشور وتشوه

دم يا بن شاهنشاه ملكا سيدا ... متوشحا بالسؤدد الشاهنشهي

متمليا بهرام شاه ممتعا ... منه بندب سيد شهم شهي

لو شاهد اليميني جبهة يمنكم ... ما ظل مفتخرا بخيل الأجبه

هذه إشارة إلى أنني نظمت هذه القصيدة على وزن قصيدة أوردها لبعض شعراء اليمن في آخر القسم الثالث أولها:

العز في صهوات خيل الأجبه

ولما سمع تاج الدين الكندي القصيدة، عمل على وزنها في مدح عز الدين أيضا:

هل أنت راحم عبرة وتوله ... ومجير صب عند مأمنه دهي

هيهات يرحم قاتل مقتوله ... وسنانه في القلب غير منهنه

من بل من داء الغرام فإنني ... مذ حل بي داء الهوى لم أنقه

إني بليت بحب أغيد ساحر ... بلحاظه رخص البنان برهره

أبغي شفاء تدلهي من دله ... ومتى يرق مدلل لمدله ؟

كم آهة لي في هواه وأنة ... لو كان ينفعني عليه تأوهي

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٩٧

ومآرب من وصله لو أنها ... تقضي لكانت عند مبسمه الشهي

يا مفردا بالحسن إنك منته ... فيه كما أنا في الصبابة منته

قد لام فيك معاشر أفأنتهي ... باللوم عن حب الحياة وأنت هي

أبكي لديه فإن أحس بلوعة ... وتشهق أوما بطرف مقهقه

أنا من محاسنه وحالي عنده ... حيران بين تفكه وتفكه

ضدان قد جمعا بلفظ واحد ... لي في هواه بمنعيين موجه

لأجردن من اصطباري عزمة ... ما ربها في محفل بمسفه

أو لست رب فضائل لو حاز أد ... ناها وما أزهى بها غيري زهي

شهدت لها الأعداء واستشفت بها ... عينا حسود بالغباوة أكمه." (١)

"طفقت تزجيه البوارق حفلا ... تروي البلد بوبلها الغيداق

حتى تسربل كل جزع روضة ... محتفة بغديره الرقراق

وإذا الهواء الطلق جر نسيمه ... أذيال أردية عليه رقاق

ضم الغصون على الغصون كما التقى ال ... أحباب بالأحباب غب فراق

فانعم بورد كالخدود ونرجس ... غض الجنى كنواظر الأحداق

حيا به الساقي المدير وربما ... ألهاك عنه بمقلتيه الساقي

رشأ ينير دجى الظلام بغرة ... كالبدر بل كالشمس في الإشراق

كتب الجمال بخطه في خده ... هذي بدائع صنعة الخلاق

الدعص حشو إزاره والغصن طي ... ي وشاحه والبدر في الأطواق

ما بان صبري يوم بان وإنما ... بددته من دمعي المهراق

الكاف وقوله من قصيدة:

ملك أعز بسيفه دين الهدى ... وأذل دين الكفر والإشراك

وأنار في ظلم الحوادث رأيه ... فأراك فعل الشمس في الأحلاك

لم يبق في ظهر البسيطة جامح ... إلا استقاد لسيفه البتاك

ومنها:

يا شاكيا عنت الزمان وجوره ... ألمم به تلمم بمشكي الشاكي

يا أرض لولا حلمه ووقاره ... ما دمت ساكنة بغير حراك

يا شمس لو واجهت غرة وجهه ... لسترت نورك دونها وسناك

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/١٧٦

يا سحب لو شاهدته يوم الندى ... لحصرت جودك عنده ونداك

شتان بين اثنين هذا ضاحك ... أبدا لآمله وهذا باكي

وقوله من قصيدة:

أنى يفوتك مطلب حاولته ... وظباك ضامنة لك الإدراكا

وبراعة تنهل مسكا أذفرا ... من راحة لا تعرف الإمساكا

اللام وقوله يشكر حسن وساطة الممدوح في خلاصه من الحبس:

حييت من طلل برامة محول ... عبثت به أيدي الصبا والشمأل

وغدا بك النوار من درر الندى ... ينآد بين مؤزر ومكلل

وإذا أدار بك الغمام كؤوسه ... شرب النبات على غناء البلبل

دع ذا لهم في فؤادك شاغل ... عن ذكر دار للحبيب ومنزل

طرقت عواد للخطوب عدتك عن ... ذاك الغزال فلات حين تغزل

إني سقيت من الخطوب سلافة ... جعل السقاة مزاجها من حنظل

كأس ثملت بها فملت وإنما ... دحضت بها قدمي من الشرف العلي

فاحلب بضبعي منقذي من هوة ... أصبحت منها في الحضيض الأسفل

وامدد إلي يد المغيث فكم يد ... لك أنقذت من كل خطب معضل

إني دعوتك حين أجحف بي الردى ... فأغث فإني منه تحت الكلكل

فإليك مفزع كل عان خائف ... ولديك فرجة كل باب مقفل

قد طالت الشكوى وأقصر وقتها ... مود بكل تصبر وتجمل

واشتدت البلوى وأنت لرفعها ... فأجب فإني قد دعوتك يا علي

عمر يمر وكربة ما تنقضي ... أبد الزمان وغمة لا تنجلي

وزمان سخط ما له من آخر ... ورجاء عفو ما له من أول

كم **ذا التغافل عن** وليك وحده ... والأمر يجزم دون كل مؤمل

وعلام يهمل أمره ويضيعه ... من ليس للصنع الجميلبمهمل

قم في خلاصي واصطنعني تصطنع ... رطب اللسان مدير با ع المقول

يثني عليك بما صنعت وربما ... كرم الثناء فذم عرف المبذل

وقوله ملغزا بالبكرة من قصيدة:

فما كدرية لم تعل مذ ... طارت ولم تسفل." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٤٥٠

"اعتساف الحيرة فاحتبذ طاعتنا بلفظ واكتظم بإدراتنا وألن كتفك يسلس لك قيادتا فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع ناقير من أراد قضما ولكن منعا ن كل من رام لناهضما.

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال: إن من آفة المنطق الكذب ومن لؤم الأخلاق الملق ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط فإن أعلمناك أن مواجهتنا لك عن الائتلاف وانقيادنا لك عن تصاف ما أنت لقبول ذلك منا ولا للاعتماد عليه بحقيق ولمن الوفاء بالعهود وإحكام ولث لعقود والأمر بينا وبينك معتدل وما لم يأتمن قبلك ميل أو زلل، قال كسرى من أنت قال الحارث بن ظالم قال إن في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك وأن تكون أولى بالغدر وأقرب من الوزر قال الحارث إن في الحق مغضبة والسر التغافل ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة فلتشبه أفعالك مجلسك قال كسرى هذا فتى القوم، ثم قال كسرى قد فهمت ما نطقت به أخطاؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم ولم يحكم أمركم وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم لم أجز لكم كثيرا مما تكلمنم به وإني لأكره أن أجبه وفودي أو أحنق صدورهم والذي أحب من إصلاح مدبركم وتألف شواذكم والإعذار إلى الله فيما يني وبينكم وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان في من خلل فانصرفوا إلى ملككم فاحسنوا موازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وقيموا أودهم وأحسنوا أدبهم فإن في ذلك صلاح العامة.

روي عن الكلبي أنه قال كان كسرى يحفل بالعرب ويستأنس بمشاهدهم ويرغب في سماع محادثاتهم ومفاخراتهم ومنافراتهم ولم يدخر وسعا إلا بذله للحصول على ذلك (ومما اتفق له) أن النعمان بن المنذر كان بمجلسه يوما فقال له هل في العرب من قبلية تشرف على قبيلة، قال نعم، قال فبأي شيء قال من كانت له ثلاث آباء متوالية رؤساء واتصل ذلك بمزية فبيته أشرف بيت وليه تنسب القبيلة وه." (١)

"لأنه الدهر فانظر فيه واعتبر

لا تعتبر نفسه إن كنت ذا نظر

مسدد ولتكن تمشي على قدر

إن المعارج والإسرا إليه به

على البراق الذي أنشأت من فكري

حتى انتهيت إلى ماشاءه وقضى

تركته وامتطينا رفرف الدرر

عند التفاتي به إذ كان ينزل بي

إلى السماء يناجيني إلى السحر

ودعته ثم سرنا حيث قال لنا

---

(١) جواهر الأدب، ١٤٧/١

إذا به عن يميني طالبا أثري

لما تأملته لم أدر صورته

وعلمنا أنه هو غاية الخطر

غفلت عنه له إذ كان مقصده

مني التغافل بالتحويل في الصور

لأنه عالم أني أميزه

لما تكفلني من حالة الصغر

له ولدت لهذا ما برحت له

مشاهدا ناظرا فيه إلى كبري

لذاك أخبرنا بأنه معنا

على مكانتنا في بدو أو حضر

العصر العباسي >> محيي الدين بن عربي >> رأيت بارقة كالنجم لامعة

رأيت بارقة كالنجم لامعة

رقم القصيدة : ١١٤٢٥

رأيت بارقة كالنجم لامعة

بسقف بيتي على قرب من السحر

علمتها عين من أهوى تعرفني

بما أنا منه في ورد وفي صدر

وكنت في حاضر الأبصار أرقبه

لحادث كان لي فيهم من الخبر

على لسان الذي ظني به حسن

يحيا الفؤاد بذاكره وبالنظر

عن الرسول رسول الله سيدنا

المصطفى المجتبى المختار من مضر

فقلت أعرفكم حالا وأشهدكم

عينا وأظهركم لأعين البشر

لأنهم جهلوا ما نحن نعلمه

من التجلي الذي لله في الصور

ما قلت فيكم ولا فهنا بذكركم

إلا بما جاء في الآيات والسور

أتلو وأسرد آيات علمت بها

في شأنكم عنكم ما قلت عن نظر

ما لي التحكم في نفسي فكيف لنا

فيه التحكم والرامي على خطر

من أن يصيب به من لا يجوز له

فيه التصرف إلا حالة الضرر

مثل النبي الذي يوحى إليه به

لكي يبلغه للسمع والبصر

العصر العباسي >> محيي الدين بن عربي >> بالشم أدرك أحيانا وبالنظر

بالشم أدرك أحيانا وبالنظر

رقم القصيدة : ١١٤٢٦." (١)

"محال وحق من فعالي كالظن

يهد أركان الجبال هدا

هي اختدعتني والغمام ولم أكن

بأول من أهدى التغافل للدجن

إذا اشتعلت في الطاس والكاس نارها

صليت بها من راحتي ناعم لدن

قرين الصبا في وجنتيه ملاحة

ذكرت بها أيام يوسف في الحسن

إذا نحن أومأنا إليه أدارها

سلافا كماء الجفن وهي من الجفن

تقلب روح المرء في كل وجهة

وتدخل منه حيث شاءت بلا إذن

ومسمعنا طفل الأنامل عنده

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٨٦/٥

لنا كل نوع من قرى العين والأذن

لنا وتر منه إذا ما استحثه

فصيح ولحن في أمان من اللحن

وفي روضة نبتية صبغت لها

جداولها أنوارها صبغة الدهن

ظللنا بها في جنة غاب نحسها

تذكرنا جناتها جنة العدن

نعمنا بها في بيت أروع ماجد

من القوم آب للدناءة والأفن

فتى شق من عود المحامد عوده

كما اشتق له اسما من الحسن

العصر العباسي >> أبو تمام >> هل اجتمعت عليا معد ومذحج

هل اجتمعت عليا معد ومذحج

رقم القصيدة : ١٦١١١

هل اجتمعت عليا معد ومذحج

بملتحم إلا ومنا أميرها؟

بل اليمن استعلت لدى كل موطن

وصار لطيء تاجها وسريرها

محرمة أكفال خيلي في الوغى

ومكلومة لباتها ونحورها

حرام على أرماحنا طعن مدبر

وتندق بأسا في الصدور صدورها

العصر العباسي >> أبو تمام >> إن كان غيرك الإسراء والنعم

إن كان غيرك الإسراء والنعم

رقم القصيدة : ١٦١١٢

إن كان غيرك الإسراء والنعم

فلم يغيرني عن محتدي العدم

إذا أناخ علي الدهر كلكله

قراه صبرا وعزما مني الكرم

فإن علتني من أزمانه ظلم." (١)

"وآليت خوف الشر ألا أحبكم

وتلك لعمر الله حلفة حانث

بني عمنا لا تطمعوا في لحاقنا

فكم بين أسماك السهى والكثاكث

سبقناكم عفوا ولم تلحقوا بنا

على جهد مجهود ولهثة لاهث

وقدما عهدتم عنكم وقد

عضضتم بأنياب الخطوب الكوارث

ونحن على إما جياد ضوامر

وإما على أقتاد خوص دلائث

وما زلتم مستطمرين سحائبا

بنصركم ما بين تلك الهثاهث

فخرتم بغير الدين فينا وإنما

فخرتم بأنساب لئام خبائث

وإن لكم أطمار ذل كأنها

من الشين أطمار النساء الطوامث

وقلتم بأنا الآمرون عليكم

وذاك بأسباب ضعاف نكائث

وما ضرنا أنا خليون من غنى

وكم شبع يهفو به غرث غارث

قعدتم عن الإجمال فينا بباعث

وقمنا به فيكم بلا بعث باعث

وما غركم **إلا التغافل عنكم**

على ظالم منكم لدينا وعائث

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٣/١٣

فأقسم بالبيت الذي جولت به

أخامص أقوام كرام ملاوث

وبالبدن في وادي مني يوم عقرهم

يقدن إلى أيد هناك فوارث

تخال رياط الفاتقين نحورها

برش دم غلالة طامث

ومن بات في جمع كليلا من الوجا

إلى شعث من السرى وأشاعث

لنحن بنشر الفخر أعبق منكم

وأسمق منكم في الجبال اللوابث

لنا السلف الأعلى الذي تعهدونه

علقنا به من وارث بعد وارث

هم أوسعوا في الناس ضمن أكفهم

وهم أوسعوا في الأزم جوع المغارث

وهم ورثوا آباءهم مأثراتهم

وأنتم من العلياء غير موارث

وهم نزهوا أولادهم بأواخر

وشنتم قديما كان منكم بحادث

ونحن غداة الجدب خير مخاصب

ونحن غداة الروع خير مغاوث

وأطعن منكم للكلى بمثقف

نضم عليه بالطوال الشوابث

وأضرب منكم للرؤوس لدي وغى

وأوهب منكم للهجان الرواغث." (١)

"**فدعوا التغافل إن** سألتكم

وكشفوا برد جوابكم صدري

كيف كستخرتم مع تفردكم

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٤/٢٨

دون الورى بالتيه والكبر
أن تعرضوا من غير ما سبب
تتشبثون به ولا عذر
لهدية جاءت لشاعركم
من غيركم منزورة القدر
حتى كأني ما نظمت لكم
في مدحكم بيتا من الشعر
وكسوتكم حللا مفوفة
بالحمد من نظمي ومن نثري
ونشرت في الأحياء ذكركم
فض التجار لطيمة العطر
قسما بمن قصد الحجيج له
والبيت ذي الأستار والحجر
ما دمت أنظر في وجوهكم
إن كنت أفلح آخر الدهر
ولأبكين وهذه معكم
حالي لما ضيعت من عمري
وستعلمون من الغبين إذا
فارقتكم وعرفتم قدري
العصر العباسي >> سبط ابن التعاويذي >> يا لك من يوم له حرمة
يا لك من يوم له حرمة
رقم القصيدة : ٢٦٦٩٣

يا لك من يوم له حرمة
تقصر الأسن عن شكره
ببرء مولانا الذي استؤصلت
شافة أهل الجور في عصره
لو لم يكن فيه سوى رده
كيد أبي الريان في نحره

وأنه كذب آماله

وكسر الحاجات في صدره

أمل لا قدره الله أن

يظهر ما يبطن في سره

حتى استشف الناس من وجهه

ما صور الشيطان في فكره

فيا أمير المؤمنين كعتمد

ما يقتضيه الحزم في أمره

طهر بلاد العدل من جوره

ونزه الإسلام من كفره

وككشف عن الدولة ما رابها

من عاره المخزي ومن عسره

وكستدرك الفارط في حقه

وكخش على بغداذ من مكره

فربما أخربها شؤمه

لا بارك الرحمن في عمره." (١)

"فاق الملوك على وإن لم يظفروا

منها بغير تشبث وتشبه

إن الملوك تخلفوا وسبقتم

أين السوام من العتاق الفره

راجيكم من داء كل ملمة

يشفى وعد سماحكم لم يشفه

وعدوكم في مهرب لم ينجه

ووليكم في مطلب لم ينجه

إن يجحد الشاني علاك فما ترى

إشراق عين الشمس عين الأكمه

ولرب مجر رائع حملاته

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٨٧/٣٣

وتخاله في الزحف سيل مدهده

يقري العواسل من فرائس أسده

لحما بنار البيض مشعلة طهي

متحت به قلب القلوب ذوابل

أشبهن أشطانا بأيدي مته

فالأسمر العسال يحكي ناحلا

متلوبا من سقمه لم ينقه

والأبيض الرعاف يشبه مدنفا

ألف الضنى وأصابه جرح صهي

وهو الذي ترك العدى من رعبه

يوم اللقاء بصدمه في وهره

بك أصبحت راياته منصورة

يا سيدا عنت الوجوه لوجهه

لك في الشهامة والصرامة موقف

لصفاته إعجاز كل مفوه

ما الصارم الهندي غير مكهم

والباسل الصنديد غير منفه

وإذا عزمت تركت أعداء الهدى

ما بين هلاك وحيرى عمه

يا حلف جود للغيوث مخجل

أبدا وبأس بالليوث مجهجه

مولاي من مدحي سواك توجعي

وإليك من دون الملوك توجهي

أهب الثناء لمجد بيتك طائعا

وأبيعه لسواك بيع المكره

مدح الجميع موجه ومديحكم

في الصدق والإخلاص غير موجه

يفديك مغرور الزمان بلهوه

ولهاه غرار السراب بلهله

مولاي مصر أخملت قدري فكن

باسمي جزيت الخير خير منوه

شرهي على العلياء جر معاطبي

أمن المعاطب كل من لم يشره

ولقد تملى بالسعادة ذو غنى

عن شقوة المتطلب المتطله

أين الكرامة للأفاضل عندكم

إن لم تكن عند الكرام فأين هي

لبى نداء نداك لب رجائه

فازجر ملم اليأس عنه وانداه

أعليت في مصر مكاني بعدما

خفقت به ولقدره لم يؤبه

طلعت نجومكم الثواقب للورى

زهرا وإني كالسهى عنه سهي

جبرت يد الإفضال منه كاسرا

من فضلي المتكسر المتكده

عرف بعرفك منه ما لم يعرفوا

نبا وعن سنة التغافل نبه

فضلي خلوت لأجله من حظوة

هي للأديب كنبت مرت أجله

الفضل مشتعل بنار بلائه

والحظ مشتغل بأخرق أوره

أعر التأمل فقه شعري منعما

لا يشعر الإنسان ما لم يفقه." (١)

"العصر الأندلسي >> الحكم بن أبي الصلت >> هموم سكن القلب أيسرها يضنى ووقد خطوب بعضها المهلك والمضني

هموم سكن القلب أيسرها يضنى ووقد خطوب بعضها المهلك والمضني

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٢٨/٤٣

رقم القصيدة : ٥٣١٣٢

هموم سكن القلب أيسرها يضنى ووقد خطوب بعضها المهلك والمضني

إني سقيت من الخطوب سلافة

جعل السقاة مزاجها من حنظل

كأس ثملت بها فملت وإنما

دحضت بها قدمى من الشرف العلي

فاحلب بضبعي منقذي من هوة

أصبحت منها في الحضيض الأسفل

وامدد إلى يد المغيث فكم يد

لك أنقذت من كل خطب معضل

إني دعوتك حين أجحف بي الردى

فأغث فإني منه تحت الكلكل

فإليك مفزع كل عان خائف

ولديك فرجة كل باب مقفل

قد طالت الشكوى وأقصر وقتها

مؤد بكل تصبر وتجمل

واشتدت البلوى وأنت لرفعها

فأجب فإني قد دعوتك يا علي

عمر يمر وكربة ما تنقضي

أبد الزمان وغمة لا تنجلي

وزمان سخط ماله من آخر

ورجاء عفو ما له من أول

كم **ذا التغافل عن** وليك وحده

والأمر يخرج دون كل مؤمل

وعلام يهمل أمره ويضيعه

من ليس للصنع الجميل بمهمل

قم في خلاصي واصطنعني تصطنع

رطب اللسان مدير باع المقول

يثني عليك بما صنعت وربما

كرم الثناء فذم عرف المبذل

العصر الأندلسي >> الحكم بن أبي الصلت >> يا مفردا بالغنج والشكل

يا مفردا بالغنج والشكل

رقم القصيدة : ٥٣١٣٣

يا مفردا بالغنج والشكل

من دل عينيك على قتلي

البدر من شمس الضحى نوره

والشمس نورك تستملي

عذيري من دهر كأني وترته

بباهر فضلي فاستقاد به مني

تعجلني بالشيب قبل أوانه

فجر عني الدردي من أول الدن

العصر الأندلسي >> الحكم بن أبي الصلت >> ولو لم أكن حر الخلائق ماجدا

ولو لم أكن حر الخلائق ماجدا

رقم القصيدة : ٥٣١٣٤

ولو لم أكن حر الخلائق ماجدا

لما كان دهري ينطوي لي على ضغن

وما مر بي كالسجن فيه ملمة

وشر من السجن المصاحب في السجن

أظن الليالي مبقياتي لحالة." (١)

"عدلا تبيت له بليل مخاض

ولما هجوتك بل وعظتك إنني

لا أجعل الأعراض كالأغراض

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٩٤/٤٣

فاكفف سهامك عن أخيك فإنما

آسفته فرماك بالمعراض

ومتى هجوت معاتبا لك منصفا

فلديه عزم في هجائك ماضي

واعلم بأنك إن وردت على الذي

نهنهت عنه وردت شر حياض

ومتى نفحت من الهجاء بنفحة

عالت فريضتها على الفراض

لست الحليم عن السفيه أخي الخنا

كلا ولا الواني عن الركاض

قد جربت مني الوقائع باسلا

أبقى الزمان به ندوب عضاض

أنا من يرى المكوى أقل هنائه

ويقابل الأخلال بالأحماض

فليبرأ الجربى فلست كمن لقوا

ما أبعد المكوى من الخضخاض

أنا من سمعت به وحسبك خبرة

بأخيك ذاك المبرم النقاض

فمتى حلمت لقيت أحنف دهره

ومتى جهلت منيت بالبراض

فاعذر أخاك على الوعيد فإنما

أنذرت قبل الرمي بالإنباض

أنذرت نبلي أنها إن أرسلت

لم تبق باقية من الأعراض

واعلم وقيت الجهل أن خساسة

بطر الغنى ومذلة الأنفاض

العصر العباسي >> ابن الرومي >> لست عندي بقحطبي ولكن

لست عندي بقحطبي ولكن

رقم القصيدة : ٦١٤٥٨

لست عندي بقحطبي ولكن

قحطبي وغير ذلك أيضا

أنت للناس كلهم ولأم

غاض فيها ماء البرية غيضا

يا لئيم اللئام لست مريدا

لك لؤما بلؤمك الدهر قيضا

لو تمسحت بالحطيم لحاضت

كعبة الله من مخازيك حيضا

أي شيء أقول أفحمتني عي

يا وبحري يفيض بالشعر فيضا

العصر العباسي >> ابن الرومي >> أرواح فيك سعوط لا يقام له

أرواح فيك سعوط لا يقام له

رقم القصيدة : ٦١٤٥٩

أرواح فيك سعوط لا يقام له

والوجه منك ذرور فه إمضاض

في قفد رأسك تنجيش لقافده

وفي التغافل منا عنك إرماض

وما ذكرناك إلا كان متصلا

ببظر أمك إمصاص وإعضاض." (١)

"ياخ فيه كأنهم أطفاله

ونعت مصر والشام إماما

طرزت مجد ذا وذاك خلاله

كم مقام كما سمعت ملوكي

ولديه تصرفت أفعاله

كم بيمناه قصة قد اجيب

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٩١/٧٣

وسؤول بها أجيب سؤاله

كم قريب دعا به وبعيد

وهو هام يد الندى هطاله

كم أتتني مع الركاب لهاه

ووفت لي مع الزمان خصاله

لو بقدر الأسى بكيت لسالت

مهجة كم وفت لها أفضاله

في سبيل العلى غمام تولى

بعد ما أخصب الورى إقباله

هكذا عادة الزمان بنوه

بسط ظل كما ترى وزواله

و دفين على بقايا دفين

مثل ما قال من سرت أمثاله

كم الى كم **هذا التغافل منا**

عن يقين الردى وهذا التباله

جاد يا قاضي القضاة ضريحا

كنت فيه غيث يسر انهماله

و جزى الله جود كفك عنا

وتولاك جوده ونواله

لك منا نشر النسيم ثناء

ولنا بالأسى عليك اعتلاله

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> بلغا القاصدين أن الليالي

بلغا القاصدين أن الليالي

رقم القصيدة : ٥٨٥٧٧

بلغا القاصدين أن الليالي

قبضت جملة العلى بالكمال

وقفا في مدارس النقل والعق

ل ونوحا معي على الأطلال

سائلاها عسى يجيب صداها

أين ولى مجيب أهل السؤال

أين ولى بحر العلوم وأبقى

بين أجفاننا الدموع لآلي

أين ذاك الذهن الذي قد ورثنا

عنه مافي الحشا من الأشعال

أين ذاك البحث الذي يحرس الح

فل على غير أهبة واحتفال

أين ملك الأقلام يوم انتصار

كعوالي الرماح يوم نزال

ينقل الناس عن حديث هداها

طرق العلم عن متون العوالي

و تفيد الجنى من اللفظ حلوا

حين كانت نوعا من العسال

أين تلك الأوصاف تنفح طيبا

رخصت عنه فنون الغوالي

يالها من رزية في حشا الاس

لام من وقعها كحد النصال

يالها وقعة على الرمل أبقت

للبرايا لواعجا كالجبال

نقصت بهجة الحياة فلا ين

كر تأثير للنقص بعد الكمال

و انطوى مبسم العلوم وأغضت

مقلة البحث دونها والجدال

و كحلنا الجفون بالسهد حتى

بات منها الكرى على أميال

أيها الراحل الذي عطلت من

بعده القاصدون شد الرحال." (١)

"رقم القصيدة : ٥٨٨٧١

قد أسرج الشيب في فودي وألجمني

عما أعانيه من نقض وإبرام

فما التغافل عن شأن الرحيل إلى

دار البلى بعد إسراج وإلجام

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> بروحي من في وجنتيه إذا بدا

بروحي من في وجنتيه إذا بدا

رقم القصيدة : ٥٨٨٧٢

بروحي من في وجنتيه إذا بدا

محاسن تشقي ناظري وتنعم

يحدث بالجفن الذي يجرح الحشا

فأجفانه في الحالتين تكلم

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> يا سقيم الجفن أسقمني

يا سقيم الجفن أسقمني

رقم القصيدة : ٥٨٨٧٣

يا سقيم الجفن أسقمني

وحلا في حبه ألمي

إن حكت عيناك لي جسدا

فلقد حاكت على السقم

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> يا ملكا لا يخيب زائره

يا ملكا لا يخيب زائره

رقم القصيدة : ٥٨٨٧٤

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٠٧/٨٣

يا ملكا لا يخيب زائره

دعوة ضيف منقح النظم

يبكي على رسمه ولا عجب

لشاعر إن بكى على رسم

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> و لم أنس في رسم الأحبة موقفا

و لم أنس في رسم الأحبة موقفا

رقم القصيدة : ٥٨٨٧٥

و لم أنس في رسم الأحبة موقفا

أضفت به للجسم سقما الى سقم

و قد رفعت عيناي قصة دمعها

فوقع فيها الوجد يجري على الرسم

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> سكندري قلت لما بدا

سكندري قلت لما بدا

رقم القصيدة : ٥٨٨٧٦

سكندري قلت لما بدا

في صحبه كالبدر في الأنجم

يا مانع الثغر وحق الهوى

إني لمشتاق الى اللثم

العصر الأندلسي >> ابن نباتة المصري >> ظفرت على رغم الرقيب بطيفها

ظفرت على رغم الرقيب بطيفها

رقم القصيدة : ٥٨٨٧٧

ظفرت على رغم الرقيب بطيفها

وقد طردت خلف الثريا النعائم

فيا لرقيب ليس يرزق نظرة." (١)

" ١٣١ - قولهم أصم عما ساءه سميع

يضرب مثلا للرجل يتغافل عما يكره ومن اجود ما قيل في هذا المعنى قول بشار

(قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء)

وقيل العاقل الفطن المتغافل

وقلت

(تغافل فليس السرو **الا التغافل** ... وليس سقوط القدر الا التعاقل)

(ولا تتجاهل إن منيت بجاهل ... فليس فساد الجاه الا التجاهل)

(ولا تتطاول إن تطاول أحمق ... فرأس حماقات الرجال التطاول)

وقال الأحنف وجدت الحلم أنصر لي من الرجال

وقال الحجاج لابن القرية ما الأدب قال تجرع الغصة حتى تنال الفرصة

وقال خالد بن صفوان شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه فقال آجرك الله على ما ذكرت من صواب وغفر لك ما ذكرت من خطأ فما حسدت أحدا حسدي عمرا على هاتين الكلمتين

وقال غيره أغض على القذى والا فإنك لا ترضى أبدا

وقلت في معناه

(وإنك إن أذيت بكل سوء ... فليس بمنقض أبدا أذاكا) ." (٢)

" فربما جنى الكثير

لا تضحكوا مما لا يضحك منه

حيلة من لا حيلة له الصبر

كونوا جميعا فإن الجمع غالب

تثبتوا ولا تسارعوا فإن أحزم الفريقين الركين

رب عجلة تهب ريثا

ادرعوا الليل واتخذوه جملا فإن الليل اخفى للويل

لا جماعة لمن اختلف

قد أقر صامت

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٨٣/١٩٣

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ١/١٤٠

المكثار كحاطب الليل

من اكثر أسقط

لا تفرقوا في القبائل فإن الغريب بكل مكان مظلوم

عاقدوا الثروة وإياكم والوشائظ فإن الذلة مع القلة

لو سئلت العارية لقالت أبغى لأهلي ذلا

الرسول مبلغ غير ملوم

من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء

أساء سمعا فأساء جابة

الدال على الخير كفاعله

إن المسألة من أضعف المكسبة

قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها

لم يجر سالك القصد ولم يعم قاصد الحق

من شدد نفر ومن تراخى تألف

السرو التغافل

أوفى القول اوجزه

أصوب الأمور ترك الفضول

التغرير مفتاح البؤس

التواني والعجز ينتجان الهلكة

لكل شيء ضراوة

أحوج الناس الى الغنى من لا يصلحه الا الغنى وهم الملوك

حب المدح رأس الضياع

رضا الناس غاية لا تبلغ فلا تكره سخط من رضاه الجور

معالجة العفاف مشقة فتعوذ بالصبر

اقصر لسانك على الخير وأخر الغضب فإن القدرة من ورائك

من قدر أزمع

ألآم أعمال المقتدرين الانتقام

جار بالحسنة ولا تكافىء بالسيئة

أغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة

من حسد من دونه قل عذره

من جعل لحسن الظن نصيبا روح عن قلبه

عي الصمت احمد من عي المنطق

الناس رجلان محترس ومحترس منه ." (١)

" طوال الأيام وقصارها وصيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك له يدا ولا عضوا ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ باليسير من الكلام إلى المعانى الكثيرة فبينما هو ذات يوم فى مجلسه وأصحابه حواليه والسماط بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول إلى مؤق عينه فرام الصبر فى سقوطه على المؤق وصبر على عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو بعض وجهه او يذب بأصابعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد مكانا لا **يحتمل التغافل أطبق** جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح فتنحى فلما سكن جفنه عاد إلى مؤقه بأشد من مرته الأولى فغمس خرطومه فى مكان كان قد آذاه فيه قبل ذلك وكان احتماله أقل وعجزه عن الصبر على الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد فى شدة الحركة وفى فتح العين ومتابعة الفتح والإطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من أن يذب عن عينه بيده ففعل وعيون القوم ترمقه وكأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فألجأه إلى أن ذب على وجهه بطرف كمه ثم ألجأه إلى أن تابع ذلك وعلم أنه كان بعين من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا إليه قالوا نشهد أن الذباب ألج من الخنفساء وأزهى من الغراب قال استغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله أن يعرفه من ضعفه ما كان مستورا عنه قد علمتم أنى ." (٢)

"قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنّ مما يصفى لك ودّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس.

قال بعض الحكماء : رأس المداراة ترك المماراة.

وفي الحديث المرفوع : " إذا أحب الله عبداً أحبّه الناس " .

أخذه الشاعر فقال :

إذا أحبّ الله يوماً عبده ... ألقى عليه محبةً في الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بشراركم " ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال : " من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة. ألا أنبئكم بشر من ذلكم " قالوا : بلى. قال : " من يبغض الناس ويبغضونه " .

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيباً خاليا ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خاليا ؟ قال : هجرت الناس فيك. قال : أفلا أدلّك على شئ تبلغ رضاي؟ خالق الناس بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٤٩٤/١

(٢) ثمار القلوب، ص/٥٠٢

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم.

قال أكثم بن صيفي : من تشدّد فرّق ، ومن تراخى تألف ، والسرور في التغافل.

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقاله العثرة ، ومسامحة العشرة ، والمواساة في العسرة.

قيل للعتّابي : إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! قال : دفع ضغينةٍ بأيسر مؤونة ،واكتساب إخوان بأيسر مبذول.

قال محمود الوراق :

أخو البشر محمود على كلّ حالةٍ ... ولن يعدم البغضاء من كان عابساً

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للعرض حارساً

قال أعرابي يمدح رجلا بساماً هو زياد الأعجم يمدح عبد الله بن عامر ابن كريز.

أخ لك ما تراه الدّهر إلاّ ... على العلات بساماً جواداً

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً ما أعود إليه إلاّ ... تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

وقال آخر :

ولي صاحبٌ كالموت يوم فراقه ... تغيّر والأيام جمّ عجيبها

أريد له هجراً لبعض خلاله ... فتعطفي أخرى له فأجيبها

وقال آخر :

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه ... تلون ألواناً كثيراً خطوبها

إذا عبت منه خلّةً فهجرته ... دعتني إليه خلّة لا أعيبها

وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناس عن علم بهم ... انصرفوا وكلّهم له عدا

وقال كثير :

ومن لا يغمّض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتبع جاهداً كل عثرةٍ ... يجدها ولا يسلم الدّهر صاحب

وقال آخر :

وكم من أخٍ لم يحتمل منه خلّةً ... قطعت ولم يمكنك منه بديل

ومن لم يرد إلا خليلاً مهذباً ... فليس له في العالمين خليل

قال آخر :

وأحبب إذا أحببت حبّاً مقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : " أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما " .

وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية :

قل لمن يعجب من ... حسن رجوعي ومقالي

ربّ صدّ بعد ودّ ... وهوى بعد تقالى

قد رأينا ذا كثيراً ... جارياً بين الرجال

أنشد حبيبٌ للفند الزّمّاني وقال الجاحظ لا أظنها له :

صفحنا عن بنى ذهل ... وقلنا : القوم إخوان

عسى الأيام أن يرجع ... ن قوما كالذي كانوا

قال آخر :

وكنت إذا صبحت رجال قوم ... صحبتهم وشيمتي الوفاء

فأحسن حين يحسن محسوهم ... وأجتنب الإساءة إن أساءوا

وأبصر ما ينقصني بعين ... عليها من عيوهم غطاء

وقال آخر :

ما نالت النفس على شهوة ... ألذ من ودّ صديقٍ أمين

من فاته ودّ أخٍ صالحٍ ... فذلك المغبون حقّ اليقين

قال آخر :

استوحش الناس عليّ جدّا ... ولا أرى لي من أناس بدّأ." (١)

"شئ من اعمال الخير نحو هذه الجهة ولا يتقدم اليها الا في كل شئ ردئ ، واما وقت زوال الشمس عن نصف النهار فأنه مرشح لأكتساب الاجر ، فيجب ان يكون فيه طاهرا ، والمساء وقت العشاء والصلاة ويجوز ان يفعلهما فيه من غير اغتسال ، فليس امر الاغتسال الثالث مثل الاول والثاني في التأكد، وانما الاغتسال الواجب عليه بالليل في اوقات الكسوفات بسبب اقامة سشرائطها وقرابينها ، وتغذى البرهمن في جميع عمره في اليوم مرتين عند الظهيرة والعتمة ، فأذا اراد الطعام ابتدأ بأفراز الصدقة منه لنفر او نفرين وخاصة للبراهمة المستوحشين الذي يجيئون وقت العصر للسؤال ، **فأن التغافل عن** اطعامهم اثم عظيم ، ، ثم للبهائم والطير والنار ، ويسبح على الباقي ويأكله ، وما فضل منه فيضعه خارج الدار ولا يقرب مه اذ لا يحل له وانما هو لمن سنح واتفق من محتاج اليه سواء كان انسانا او طائرا او كلبا او غيره ، ويجب ان يكون آنية مائه على حدة والا كسرت ، وكذلك الات طعامه ،وقد رأيت من البراهمة من جوز مؤاكلته اقاربه في قصعة واحدة وانكر ذلك سائرهم ؛ ويلزمه ان يسكن فيما بين نهر السند نحو الشمال وبين نهر جرمنمت نحو الجنوب ، ولا يتجاوزهما الى

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٤٣

حدود الترك وحدود كرنات والبحر في جانبي المشرق والمغرب ، فقد ذكر انه لا يحل له المقام في ارض لا تنبت الحشيشة التي يتختم بها في البنصر ولا ترتعى فيها الغزلان السود الشعر ، وتلك صفة ما وراء الحدود المذكورة ، فان اجتازها الى ما ورائها كان مذنبا ولزمته الكفارة فاما البلاد التي لا يطين فيها جميع ارض البيت المهيأ للطعام ولكن يجعل لكل واحد من الاكلين مندل بصب الماءعلى موضع وتطيينه بأخثاء البقر فيجب ان يكون شكل مندل البرهمن مربعا ، وقد زعم من يعمل المندل في سببه : ان موضع الاكل يتنجس بالاكل ، وانه اذا فرغ منه غسل وطين ليطهر، فان لم يكون الموضع النجس معينا تحسب سائر المواضع لاجل الاشتباه ، ومحرم عليه بالنص خمسة اصناف من النبات هي : البصل والثوم والقرع واصل نبات كالجزر يسمى "كرنجن " ونبان اخر ينبت حول حياضهن يسمى " نالي " . من اعمال الخير نحو هذه الجهة ولا يتقدم اليها الا في كل شئ ردئ ، واما وقت زوال الشمس عن نصف النهار فأنه مرشح لأكتساب الاجر ، فيجب ان يكون فيه طاهرا ، والمساء وقت العشاء والصلاة ويجوز ان يفعلهما فيه من غير اغتسال ، فليس امر الاغتسال الثالث مثل الاول والثاني في التأكد، وانما الاغتسال الواجب عليه بالليل في اوقات الكسوفات بسبب اقامة سشرائطها وقرابينها ، وتغذى البرهمن في جميع عمره في اليوم مرتين عند الظهيرة والعتمة ، فأذا اراد الطعام ابتدأ بأفراز الصدقة منه لنفر او نفرين وخاصة للبراهمة المستوحشين الذي يجيئون وقت العصر للسؤال ، **فأن التغافل عن** اطعامهم اثم عظيم ، ، ثم للبهائم والطير والنار ، ويسبح على الباقي ويأكله ، وما فضل منه فيضعه خارج الدار ولا يقرب مه اذ لا يحل له وانما هو لمن سنح واتفق من محتاج اليه سواء كان انسانا او طائرا او كلبا او غيره ، ويجب ان يكون آنية مائه على حدة والا كسرت ، وكذلك الات طعامه ،وقد رأيت من البراهمة من جوز مؤاكلته اقاربه في قصعة واحدة وانكر ذلك سائرهم ؛ ويلزمه ان يسكن فيما بين نهر السند نحو الشمال وبين نهر جرمنمت نحو الجنوب ، ولا يتجاوزهما الى حدود الترك وحدود كرنات والبحر في جانبي المشرق والمغرب ، فقد ذكر انه لا يحل له المقام في ارض لا تنبت الحشيشة التي يتختم بها في البنصر ولا ترتعى فيها الغزلان السود الشعر ، وتلك صفة ما وراء الحدود المذكورة ، فان اجتازها الى ما ورائها كان مذنبا ولزمته الكفارة فاما البلاد التي لا يطين فيها جميع ارض البيت المهيأ للطعام ولكن يجعل لكل واحد من الاكلين مندل بصب الماءعلى موضع وتطيينه بأخثاء البقر فيجب ان يكون شكل مندل البرهمن مربعا ، وقد زعم من يعمل المندل في سببه : ان موضع الاكل يتنجس بالاكل ، وانه اذا فرغ منه غسل وطين ليطهر، فان لم يكون الموضع النجس معينا تحسب سائر المواضع لاجل الاشتباه ، ومحرم عليه بالنص خمسة اصناف من النبات هي : البصل والثوم والقرع واصل نبات كالجزر يسمى "كرنجن " ونبان اخر ينبت حول حياضهن يسمى " نالي " .

سد – فيما لغير البرهمن من الرسوم في عمره." (١)

"إنه أراد حسن الثناء من بعده .

وقال أكثم بن صيفي : إنما أنتم أخبار فطيبوا أخباركم .

أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فقال : وما ابن آدم إلا ذكر صالحة أو ذكر سيئة يسري بها الكلم أما سمعت بدهر باد أمته

---

(١) تحقيق ما للهند، ص/١٩١

جاءت بأخبارها من بعدها أمم وقال أبو بكر محمد بن دريد : وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى وقالوا : الأيام مزارع فما زرعت فيها حصدته .

ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق : يا من تجلد للزما ن أما زمانك منك أجلد سلط نهاك على هوا ك وعد يومك ليس من غد إن الحياة مزارع فازرع بها ما شئت تحصد والناس لا يبقى سوى آثارهم والعين تفقد والمال إن أصلحته يصلح وإن أفسدت يفسد والعلم ما وعت الصدو ر وليس ما في الكتب يخلد وقال الأحنف بن قيس : ما أدخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء شيئاً أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب والآداب .

وقالوا : تربيب المعروف أولى من اصطناعه لأن اصطناعه نافلة وتربيبه فريضة .

وقالوا : أحي معروفك بإماتة ذكره وعظمه بالتصغير له .

وقالت الحكماء : من تمام كرم **النعم التغافل عن** حجته والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته .

وقالوا : للمعروف خصال ثلاث : تعجيله وستره وتيسيره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط عنه الشكر .

وقيل لمعاوية : أي الناس أحب إليك فقال : من كانت له عندي يد صالحة .

قيل : فإن لم تكن له فقال : فمن كانت لي عنده يد صالحة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه فإن لم يقم بتلك المؤونة عرض النعمة للزاول .

أبو اليقظان قال : أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أدية أخا أبي بلال وقطع يده ورجله وصلبه على باب داره .

فقال لأهله وهو مصلوب : انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

ابن المبارك عن حميد عن الحسن قال : لأن أقضي حاجة لأخ لي أحب إلي من عبادة سنة .." (١)

"ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال : إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجعة الارتياد وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة وتوقف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضماً ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضماً .

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : إن من آفة المنطق الكذب ومن لؤم الأخلاق الملق وانقيادنا لك عن تصاف فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ولا للاعتماد عليه بحقيق ولكن الوفاء بالعهود وإحكام ولث العقود والأمر بيننا وبينك معتدل ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل .

قال كسرى : من أنت قال : الحارث بن ظالم قال : إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك وأن تكون أولى بالغدر وأقرب من الوزر .

---

(١) العقد الفريد، ص/١٦٣

قال الحارث : إن في الحق مغضبة **والسرو التغافل ولن** يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة فلتشبه أفعالك مجلسك .
قال كسرى : هذا فتى قوم .
ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف فيه أودكم ولم يحكم أمركم وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به وإني لأكره أن أجبه وفودي أو أخنق صدورهم والذي أحب هو إصلاح مداركم وتألف شواذكم والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم وقد قبلت ما كان في منطقهم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا موازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم وأحسنوا أدبهم فإن في ذلك صلاح العامة .
وفود حاجب بن زرارة على كسرى." (١)

"" فيقوم عذره، **في التغافل عن** ذكر السلطة، في أن الموضوع الذي كان يبحثه فوكو فيه كان تاريخ الفكر لا تاريخ المؤسسات، في حين أن كتاب "علم آثار المعرفة" يتضمن بعض التلميحات هنا وهناك مما يدل على أن فوكو بدأ يدنو من موضوع السلطة من خلال عدد من التجريدات التي تعني السلطة ضمنا: إذ إنه يشير فيه إلى أشياء من أمثال القبول والتكديس والمحافظة والتشكيل المعزوة كلها لإنشاء المقولات والخطابات والأرشيفات والوظائف التي تقوم بها، غير أنه يفعل ذلك دون أن يهدر شيئا من وقته على ذكر ما قد يكون المصدر العام لقوتها ضمن المؤسسات أو في ميادين المعرفة أو حتى في المجتمع نفسه.
فنظرية فوكو عن السلطة –التي سوف أقيد نفسي بها هنا– تنبثق عن محاولته تحليل الفعل الذي تفعله أنظمة الحبس من الداخل، أي تلك الأنظمة التي تعتمد في أدائها وظائفها على كل من ديمومة المؤسسات ومن تفريخ الإيديولوجيات التقنية التي تسوغ وجود تلك المؤسسات.
وما هذه الإيديولوجيات إلا الخطابات والمعارف التي ينهمك بها فوكو. ففي عرضه الواقعي لبعض الواقف المحلية التي تحتشد فيها مثل هذه السلطة ومثل هذه المعرفة لا نظير له، علاوة على أن ما فعله لشيء في غاية التشويق بأي معيار. إن السلطة كي تكون فاعلة يجب أن يكون بوسعها، كما يقول في كتاب "الرقابة والعقاب"، تدبير التفاصيل والتحكم بها وحتى خلقها أيضا: إذ كلما تزايدت التفاصيل تزايدت السلطة الفعلية، إدارة تفرخ وحدات يسيرة الإدارة، الأمر الذي يفرخ بدوره معرفة ذات مزيد من التفاصيل، ومعرفة ذات تحكم أدق. فالسجون، كما يقول في تلك الفقرة التي لا تنسى، ما هي إلا المصانع التي تنتج الجنوح، وما الجنوح إلا المادة الخام للخطابات التأديبية.." (٢)

"فإذا كان الخلطاء من جمهور الناس، وأصحاب المعايش من دهماء الجماعة، يرون ذلك واجباً وتدبيراً في التعامل، على ما هم فيه من مشاركة الخطأ للصواب، وامتزاج الضعف بالقوة، فلسنا نشك أن الإمام الأكبر والرئيس الأعظم، مع

---

(١) العقد الفريد، ص/٢٣٠
(٢) العالم والنص والناقد، ٤٨٢/١

الأعراق الكريمة والأخلاق الرفيعة، والتمام في الحلم والعلم، والكمال في الحزم والعزم، مع التمكين والقدرة، والفضيلة والرّياسة والسيادة، والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة، والتأييد وحسن المعونة، أن الله جل اسمه لم يكن ليجلله باسم الخلافة، ويحبوَه بتاج الإمامة، وبأعظم نعمة وأسبغها، وأفضل كرامةٍ وأسناها، ثم وصل طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، إلا ومعه من الحلم في موضع الحلم، والعفو في موضع العفو، والتغافل في موضع التغافل، ما لا يبلغه فضل ذي فضلٍ، ولا حلم ذي حلمٍ.

ونحن قائلون، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيما انتهى إلينا في أمر الأتراك: زعم محمد بن الجهم، وثمامة بن الأشرس، والقاسم بن سيار، في جماعة ممن يغشى دار الخلافة، وهي دار العامة، قالوا جميعاً: بيننا حميد بن عبد الحميد جالساً ومعه يخشاد الصُّغدي، وأبو شجاع شبيب بن بخاراخداي البلخي، ويحيى بن معاذ، ورجال من المعدودين المتقدمين في العلم بالحرب من أصحاب التجارب والمراس، وطول المعالجة والمعاناة في صناعات الحرب، إذ خرج رسول المأمون فقال لهم: نقول لكم متفرقين ومجتمعين: ليكتب كل رجلٍ منكم دعواه وحجته، وليقل أيما أحب إلى كل قائد منكم إذا كان في عدته من صحبه وثقاته: أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجي؟ فقال القوم جميعاً : لأن نلقى مائة تركي أحب إلينا من أن نلقى مائة خارجي! وحميد ساكت.

فلما فرغ القوم جميعاً من حججهم، قال الرسول: قد قال القوم فقل واكتب قولك، وليكن حجة لك أو عليك.

قال: بل ألقى مائة خارجي أحب إلي؛ لأنني وجدت الخصال التي يفضل بها الخارجي جميع المقاتلة غير تامةٍ في الخارجي، ووجدتها تامة في التركي.ففضل التركي على الخارجي بقدر فضل الخارجي على سائر المقاتلة، ثم بان التركي عن الخارجي بأمورٍ ليس فيها للخارجي دعوى ولا متعلق. على أن هذه الأمور التي بان بها التركي عن الخارجي، أعظم خطراً وأكثر نفعا، مما شاركه الخارجي في بعضها.

ثم قال حميد: والخصال التي يصول بها الخارجي على سائر الناس صدق الشدة عن أول وهلة، وهي الدفعة التي يبلغون بها ما أرادوا، وينالون الذي أملوا.

والثانية: الصبر على الخبب وعلى طول السُّرى، حتى يصبح القوم الذين مرقوا بهم غارين فيهجموا عليهم وهم بسوء،ولحمٌ على وضم، يتعجَّلونهم عن الروية، وعن رد النفس عن النزوة والجولة، لا يظنون أن أحداً يقطع في ذلك المقدار من الزمان ذلك المقدار من البلاد.

والثالثة: أن الخارجي موصوف عند الناس بأنه إن طَلب أدرك، وإن طُلب فات.

والرابعة: خفة الأزواد وقلة الأمتعة، وأنها تجنب الخيل وتركب البغال، وإن احتاجت أمست بأرضٍ وأصبحت بأخرى، وأنهم قوم حين خرجوا لم يخلفوا الأموال الكثيرة، والجنان الملتفة، والدور المشيدة، ولا ضياعاً ولا مستغلات، ولا جواري مطهمات، وأنهم لا سلب لهم ولا مال معهم فيرغب الجند في لقائهم، وإنما هم كالطير لا تدخر ولا تهتم لغدٍ، ولها في كل أرض من المياه والأقوات ما تتبَّلغ به، وإن لم تجد ذلك في بعض البلاد فأجنحتها تقرب لها البعيد، وتسهل لها الحزون.وكذلك الخوارج لا يمتنع عليهم القرى والمطعم، وإن تمنع عليهم ففي بنات شحَّاجٍ وبنات صهَّال، وخفة الأثقال على طول الخبب، ما يسهل أقواتها، ويكثر من أرزاقها.

والخامسة: أن الملوك إن أرسلوا إليهم أعدادهم ليكونوا في خفة أوزارهم وأثقالهم، وليقووا على التنقل كقوتهم، لم يقووا عليهم؛ لأن مائة من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج؛ وإن كثفوا الجيش بالجيش، وضاعفوا العدد بالعدد ثقلوا عن طلبهم، وعن الفوت إن طلبهم عدوهم. ومتى شاء الخارجي أن يقرب منهم ليتطرّفهم أو ليصيب الغرة منهم، أو ليسلبهم، فعل ذلك ثقة بأنه يغنم عند الفرصة ورؤية العورة، ويمكنه الهرب عند الخوف. وإن شاء كبسهم ليقطع نظامهم، أو ليقتطع القطعة منهم.

قال حميد: فهذه هي مفاخرهم وخصالهم، التي لها كره القواد لقاءهم.." (١)

"ومن المزاح – جعلت فداءك – باب مكر وجنس خدع يتكل المرء في إساءته إلى جليسه، واستماعه لصديقه على أن يقول: مزحت، وعلى أن يقول عند المحاكمة: عبثت، وعلى أن يقول: من يغضب من المزاح إلا كز الخلق؟ ! ومن يرغب عن المفاكهة إلا ضيق العطن؟ ! وبعد فمتى أعدت النفس عذراً كانت إلى القبيح أسرع، ومتى لم تعده كانت عنه أبطأ.

ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعي الخطأ إليه أن كثيراً ممن تمازحه يضحكك وإن كنت أغضبته، ولا يقطع مزاحك وإن كنت قد أوجعته. فإن حقد ففي الحقد الداء، وإن عجل فذلك البلاء.

فإن قلت: فما أدخلك في شيء هذه سبيله، وهكذا جوهره وطريقه؟ قلت: لأني حين أمنت عقاب الإساءة، ووثقت بثواب الإحسان، وعلمت أنك لا تقضي إلا على العمد، ولا تعذب إلا على القصد، صار الأمن سائقاً، والأمل قائداً.

وأي عمل أرد، وأي متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة، والأمن والمثوبة.

ولو كان هذا ذنباً كنت شريكي فيه، ولو كان تقصيراً لكنت سببي إليه، لأن **دوام التغافل شبيه** بالإهمال، وترك التعريف يورث الإغفال، والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة، ويذهبان بالتحفظ؛ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان بن عفان: " عمر كان خيراً لي منك، أرهبني فاتقاني، وأعطاني فأغناني " .

فإن كنت اجترأت عليك فلم أجترىء عليك إلا بك؛ وإن كنت أخطأت فلم أخطىء عليك إلا لك؛ لأن حسن الظن بك والثقة بعفوك سبب إلى قلة التحفظ، وداعية إلى ترك التحرز.

وبعد فمن وهب الكبير كيف يقف عند الصغير، ومن لم يزل يعفو عن العمد كيف يعاقب على السهو؟ ! ولو كان عظم قدري هو الذي عظم ذنبي لكان عظم قدري هو الذي شفع لي. ولو استحققت عقابك بإقدامي عليك مع خوفي لك لاستوجبت عفوك عن إقدامي عليك بحسن ظني بك.

على أني متى أوجبت لك العفو فقد أوجبت لك الفضل، ومتى أضفت إليك العقاب فقد وصفتك بالإنصاف. ولا أعلم حال الفضل إلا أشرف من حال العدل؛ والحال التي توجب لك الشكر إلا أرفع من الحال التي توجب لك الصبر.

وإن كنت لا تهب عقابي لحرمتي فهبه لأياديك عندي؛ فإن النعمة تشفع في النعمة.

فإن لم تفعل ذلك للحرمة فافعله لحسن الأحدوثة، وعد إلى حسن العادة. وإن لم تفعل ذلك لحسن العادة فائت ما أنت أهله.

واعلم أني وإياك متى تحاكمنا إلى كرمك قضي لي عليك، ومتى ارتفعنا إلى عدلك حسن العفو عني عندك.

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٩

وفصل ما بيننا وبينك، وفرق ما بين أقدارنا وقدرك، أنا نسيء وتغفر، ونذنب وتستر، ونعوج وتقوم، ونجهل وتعلم؛ وأن عليك الإنعام وعليك الشكر. ومن صفاتك أن تفعل ومن صفاتنا أن نصف.

وإذا فعلت ما تقدر عليه من العقاب كنت كمن فعل ما يقدر عليه من التعرض، وصرت ترغب عن الشكر كما رغبنا عن السلم، وصار التعرض لعفوك بالأمن باطلاً، والتعرض لعقابك بالخوف حقاً، ورغبت عن النبل والبهاء، وعن السؤدد والسناء، وصرت كمن يشفي غيظاً أو يداوي حقداً، أو يظهر القدرة أو يحب أن يذكر بالصولة.

ولم نجدهم – أبقاك الله – يحمدون القدرة إلا عند استعمالها في الخير، ويذمون العجز إلا لما يفوت به من إتيان الجميل.

وأنى لك بالعقاب وأنت خير كلك، ومن أين اعتراك المنع وأنت أنهجت الجود لأهله. وهل عندك إلا ما في طبعك، وكيف لك بخلاف عادتك؟ فلم تستكره نفسك على المكافأة وطباعها الصفح؟ ولم تكدها بالمناقشة ومذهبها المسامحة؟ سبحان من جعل أخلاقك وفق أعراقك، وفعلك وفق عملك، ومن جعل ظنك أكثر من يقيننا، وفراستك أثقب من عياننا، وعفوك أرجح من جهدنا، وبداهتك أجود من تفكرنا، وفعلك أرفع من وصفنا، وغيبتك أهيب من حضور السادة، وعتبك أشد من عقاب الظلمة.

وسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد، وتتجافى عن عقاب المصر، وتتغافل عن المناوي وتصفح عن المتهاون حتى إذا صرت إلى من ذنبه نسيان وتوبته خلاص، وهفوته بكر، وشفاعته الحرمة ومن لا يعرف الشكر إلا لك، والإنعام إلا منك، ولا العلم إلا من تأديبك، ولا الأخلاق إلا من تقويمك، ولا يقصر في بعض طاعتك إلا لما رأى من احتمالك، ولا نسي بعض ما يجب لك إلا لما داخله من تعظيمك صرت تتوعده بالصرم وهو دليل كل بلية، وتستعمل الإعراض وهو قائد كل هلكة.." (١)

"وقد قسم الله تعالى الخيرة على المعدلة، وأجرى جميع الأمور إلى غاية المصلحة، وقسط أجزاء المثوبة على العزيمة والرخصة وعلى الإعلان والتقية، وأمر بالمداراة كما أمر بالمباداة، وجوز المعاريض كما أمر بالإفصاح، وسوغ المباح كما شدد أمر المفروض، وجعل المباح جماماً للقلوب، وراحة للأبدان، وعوناً على معاودة الأعمال، فصار الإطلاق كالحظر، والصبر كالشكر.

فليس للإنسان من الخيرة في الذكر شيء إلا وله في النسيان مثله، ولا في الفطنة شيء إلا وله في الغفلة مثله، ولا في السراء إلا وله في الضراء مثله.

ولو لم يرزق الله تعالى العباد إلا بالصواب محضاً، وبالصدق بحتاً، وبمر الحق صفحاً، لهلكت العوام، ولانتقض أمر الخاص.

ولو ذكر الإنسان كل ما أنسيه لشقي، ولو جد في كل شيء لانتكث.

وقد يكون الذكر إلى الهلكة سلماً كما يكون النسيان للسلامة سبباً. وسبيل المزاح والجد كسبيل المنع والبذل. وعلى ذلك يجري جميع القبض والبسط.

فهذا وما قبله جمل أقاويل القوم.

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/١٧٨

ونحن نعوذ بالله أن نجعل المزاح في الجملة كالجد في الجملة، بل نزعم أن بعض المزح خير من بعض الجد، وعامة الجد خير من عامة الهزل. والحق أن ينضح عن بعض المزح، ويحتج لجمهور الجد. وكيف لنا بذم جميع المزح مع ما نحن ذاكرون.

وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يقال: كان فيه مزاح، ولا يقال مزاح. وكذا الأئمة ومن تبذل في بعض الحالات من أهل الحلم والوقار.

وقال عمر رضوان الله تعالى عليه: " إنا إذا خلونا كنا كأحدكم " .

وقد كان عمر عبوساً قطوباً.

وكان زياد مع كلوحه وقطوبه، يمازح أهله في الخلا كما يجد في الملا.

وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه، وتمرده وشدة سلطانه، يمازح أزواجه ويرقص صبيانه. وقال له قائل: أيمازح الأمير أهله؟ قال: " والله إن تروني إلا شيطاناً؟ والله لربما رأيتني وإني لأقبل رجل إحداهن! " .

فقد ذكرنا خير العالمين، وجلة من خيار المسلمين، وجباراً عنيداً، وكافراً لعيناً.

وبعد فمن حرم المزاح وهو شعبة من شعب السهولة، وفرع من فروع الطلاقة. وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة، ولم يأتنا بالانقباض والقسوة، وأمرنا بإفشاء السلام، والبشر عند الملاقاة، وأمرنا بالتوادد والتصافح والتهادي.

فصل

قد اعتذرنا في معصيتك والخلاف على محبتك مرة بالمزاح، ومرة بالنسيان، ومرة بالاتكال على عفوك وعلى ما هو أولى بك. والجملة أنا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم أنكرنا، لكان في فضلك ما يتغمدنا، وفي كرمك ما **يوجب التغافل عنا**. فكيف وإنما سهونا ثم تذكرنا، واعتذرنا ثم أطنبنا.

فإن تقبل، فحظك أصبت، ولنفسك نظرت. وإن لم تقبل فاجهد جهدك، ولا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا عفا عنك إن عفوت. وأقول كما قال أخو بني منقر:

فما بقيا علي تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال

والله لئن رميتني ببجيلة لأرمينك بكنانة، ولئن نهضت بصالح بن علي لأنهضن بإسماعيل بن علي، ولئن صلت علي بسليمان بن وهب لأدمغنك بالحسن بن وهب، ولئن تمت علي بمنادمة جعفر الخياط لأتيهن عليك بحسبة وهب الدلال.

وأنا أرى لك أن تقبل العافية، وترغب إلى الله تعالى في السلامة. واحذر البغي فإن مصرعه وخيم، واتق الظلم فإن مرعاه وبيل.

وإياك أن تتعرض لجرير إذا هجا، وللفرزدق إذا فخر، ولهرثمة إذا دبر، ولقيس بن زهير إذا مكر، وللأغلب إذا كر، ولطاهر إذا صال. ومن عرف قدره عرف قدر خصمه، ومن جهل نفسه لم يعرف قدر غيره.

وعليك بالجادة ودع البنيات فإن ذلك أمثل لك.

وأنت – والله يا أخي – تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار، أني أظهر منك حرباً، وألطف كيداً، وأكثر

علماً، وأوزن حلماً، وأخف روحاً، وأكرم عيناً، وأقل غثاً وأحسن قداً وأبعد غوراً، وأجمل وجهاً، وأنصع ظرفاً. وأكثر ملحاً، وأنطق لساناً وأحسن بياناً، وأجهر جهارة، وأحسن شارة.

وأنت رجل تشدو من العلم، وتنتف من الأخبار، وتموه نفسك، وتعز من قدرك، وتتهيأ بالثياب، وتتنبل بالمراكب، وتتحبب بحسن اللقاء، ليس عندك إلا ذاك. فلم تزاحم البحر بالجداول، والأجسام بالأعراض، وما لا يتناهى بالجزء الذي لا يتجزأ.." (١)

"وما الذي قسم الله بين الناس من ذلك إلا كما صنع الله في طينة الأرض، فجعل بعضها حجراً، وبعض الحجر ياقوتاً، وبعضه ذهباً، وبعضه نحاساً، وبعضه رصاصاً، وبعضه صفراً، وبعضه حديداً، وبعضه تراباً، وبعضه فخاراً. وكذلك الزاج، والمغرة، والزرنيخ، والمرتك، والكبريت، والقار، والتوتيا، والنوشادر، والمرقشيشا، والمغناطيس.

ومن يحصي عدد جواهر الأرض وأصناف الفلز؟ ! وإذا كان الأمر على ما وصفنا فالبنوي خراساني. وإذا كان الخراساني مولىً والمولى عربي، فقد صار الخراساني والبنوي والمولى والعربي شيئاً واحداً. وأدنى ذلك أن يكون الذي معهم من خصال الوفاق غامراً لما معهم من خصال الخلاف، بل هم في معظم الأمر، وفي كبر الشأن وعمود النسب متفقون. فالأتراك خراسانية، وموالي الخلفاء قصرة، فقد صار فضل الترك إلى الجميع راجعاً، وصار شرفهم زائداً في شرفهم.

وإذا عرف سائر الأجناد ذلك سامحت النفوس، وذهب التعقيد، ومات الضغن، وانقطع سبب الاستثقال، فلم يبق إلا التحاسد والتنافس الذي لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة، وفي الصناعة، وفي المجاورة.

على أن التوازر والتسالم في القرابات وفي بني الأعمام والعشائر أفشى وأعم من التخاذل والتعادي.

ولحب التناصر والحاجة إلى التعاون انضم بعض القبائل في البوادي إلى بعض، ينزلون معاً، ويظعنون معاً. ومن فارق أصحابه أقل، ومن نصر ابن عمه أكثر، ومن اغتبط بنعمته وتمنى بقاءها والزيادة فيها أكثر ممن بغاها الغوائل وتمنى انقطاعها وزوالها.

ولا بد في أضعاف ذلك من بعض التنافس والتخاذل، إلا أن ذلك قليل من كثير.

وليس يكون أن تصفو الدنيا، وتنقى من الفساد والمكروه، حتى يموت جميع الخلاف، وتستوي لأهلها، وتتمهد لسكانها على ما يشتهون ويهوون؛ لأن ذلك من صفة دار الجزاء، وليس كذلك صفة دار العمل.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله

رضي الله عنه ونضر وجهه

فلم يصل إليه لأسباب يطول ذكرها، فلذلك لم أعرض للإخبار عنها، وأحببت أن يكون كتاباً قصداً، ومذهباً عدلاً، ولا يكون كتاب إسراف في مديح قوم، وإغراق في هجاء آخرين؛ فإن الكتاب إذا كان كذلك شابه الكذب وخالطه التزيد، وبني أساسه على التكلف، وخرج كلامه مخرج الاستكراه والتغليق.

وأنفع المدائح للمادح، وأجداها على الممدوح، وأبقاها أثراً وأحسنها ذكراً، أن يكون المديح صدقاً، ولظاهر حال الممدوح

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/١٨٢

موافقاً، وبه لائقاً، حتى لا يكون من المعبر عنه والواصف له إلا الإشارة إليه، والتنبيه عليه.

وأنا أقول: إن كان لا يمكن ذكر مناقب الأتراك إلا بذكر مثالب سائر الأجناد، فترك ذكر الجميع أصوب، والإضراب عن هذا الكتاب أحزم.

وذكر الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم إلا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح، وهو معصية وباب من ترك الواجب. وقليل الفريضة أجدى علينا، لأن ذكر الأكثر بالجميل نافلة، وباب من التطوع؛ وذكر الأقل بالقبيح معصية، وباب من ترك الواجب. وقليل الفريضة أجدى علينا من كثير التطوع.

ولكل الناس نصيب من النقص، ومقدار من الذنوب، وإنما يتفاضل بكثرة المحاسن وقلة المساوىء. فأما الاشتمال على جميع المحاسن، والسلامة من جميع المساوىء، دقيقها وجليلها، ظاهرها وخفيها، فهذا لا يعرف فيهم.

فإذا كان الخلطاء من جمهور الناس وأهل المعايش من دهماء الجماعة يرون ذلك واجباً في الأخلاق، ومصلحة في المعاش، وتدبيراً في التعامل، على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب، وامتزاج الضعف بالقوة، فلسنا نشك أن الإمام الأكبر، والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة، والأخلاق الرفيعة، والتمام في الحلم والعلم، والكمال في العزم والحزم، مع التمكين والقدرة، والفضيلة والرياسة والسيادة، والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة، والتأييد وحسن المعونة لم يكن الله ليجلله لباس الخلافة، ويحبوه ببهاء الأمة، وبأعظم نعمة وأسبغها، وأفضل كرامة وأسناها، ثم وصل طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، إلا ومعه من الحلم في موضع الحلم، والعفو في موضع العفو، والتغافل في موضع التغافل، ما لا يبلغه فضل ذي فضل، ولا حلم ذي حلم.

ونحن قائلون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فيما انتهى إلينا من القول في الأتراك.." (١)

"والجملة أن فرط العجب إذا قارن كثرة الجهل، والتعرض للعيب إذا وافق قلة الإكتراث، بطلت المزاجر، وماتت الخواطر. ومتى تفاقم الداء، وتفاوت العلاج، صار الوعيد لغواً مطرحاً، والعقاب حكماً مستعملاً.

وقد أصبح شيخك، وليس يملك من عقابهم إلا التوقيف، ولا من تأديبهم إلا التعريف.

ولو ملكناهم ملك السلطان، وقهرناهم قهر الولاة، لنهكناهم عقوبة بالضرب، ولقمعناهم بالحصر.

والكبر – أعزك الله تعالى – باب لا يعد احتماله حلماً، ولا الصبر على أهله حزماً، ولا ترك عقابهم عفواً، ولا الفضل عليهم مجداً، **ولا التغافل عنهم** كرماً، ولا الإمساك عن ذمهم صمتاً.

واعلم أن حمل الغنى أشد من حمل الفقر، واحتمال الفقر أهون من احتمال الذل. على أن الرضا بالفقر قناعة وعز، واحتمال الذل نذالة وسخف. ولئن كانوا قد أفرطوا في لوم العشيرة، والتكبر على ذوي الحرمة، لقد أفرطت في سوء الاختيار، وفي طول مقامك على العار.

وأنت مع شدة عجبك بنفسك، ورضاك عن عقلك، خالطت من موته يضحك السن، وحياته تورث الحزن، وتشاغلك به من أعظم الغبن.

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٢٠١

وشكوت تنبلهم عليك، واستصغارهم لك، وأنك أكثر منهم في المحصول، وفي حقائق المعقول. ولو كنت كما تقول لما أقمت على الذل ولما تجرعت الصبر وأنت بمندوحة منهم، وبنجوة عنهم. ولعارضتهم من الكبر بما يهضهم، ومن الامتعاض بما يبهرهم.

وقلت: ولو كانوا من أهل النبل عند الموازنة، أو كان معهم ما يغلط الناس فيه عند المقايسة لعذرتهم واحتججت عنهم، ولسترت عيبهم، ولرقعت وهيهم. ولكن أمرهم مكشوف، وظاهرهم معروف.

وإن كان أمرهم كما قلت، وشأنهم كما وصفت، فذاك ألوم لك، وأثبت للحجة عليك.

وسأؤخر عذلك إلى الفراغ منهم، وتوقيفك بعد التنويه بهم.

أقول: وإن كان النبل بالتنبل، واستحقاق العظم بالتعظم وبقلة الندم والاعتذار، وبالتهاون بالإقرار، فكل من كان أقل حياءً، وأتم قحة، وأشد تصلفاً، وأضعف عدة، أحق بالنبل وأولى بالعذر.

وليس الذي يوجب لك الرفعة أن تكون عند نفسك دون أن يراك الناس رفيعاً، وتكون في الحقيقة وضيعاً.

ومتى كنت من أهل النبل لم يضرك التنبل، ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التنبل.

وليس النبل كالرزق، يكون مرزوقاً الحرمان أليق به، ولا يكون نبيلاً السخافة أشبه به.

وكل شيء من أمر الدنيا قد يحظى به غير أهله، كما يحظى به أهله.

وما ظنك بشيء المروءة خصلة من خصاله، وبعد الهمة خلة من خلاله، وبهاء المنظر سبب من أسبابه، وجزالة اللفظ شعبة من شعبه، والمقامات الكريمة طريق من طرقه.

فصل منه

واعلم أنك متى لم تأخذ للنبل أهبته، ولم تقم له أداته، وتأته من وجهه، وتقم بحقه، كنت مع العناء مبغضاً، ومع التكلف مستصلفاً. ومن تبغض فقد استهدف للشتام، وتصدى للملام.

فإن كان لا يحفل بالشتم، ولا يجزع من الذم، فعده ميتاً إن كان حياً؛ وكلباً إن كان إنساناً.

وإن كان ممن يكترث ويجزع، ويحس ويألم، فقد خسر الراحة والمحبة، وربح النصب والمذمة.

وبعد، فالنبل كلف بالمولي عنه، شنف للمقبل عليه، لازق بمن رفضه، شديد النفار ممن طلبه.

فصل منه

والسيد المطاع لم يسهل عليه الكظم، ولم يكن له كنف الحلم، إلا بعد طول تجرع للغيظ، ومقاساة للصبر. وقد كان معنى القلب دهره، ومكدود النفس عمره، والحرب سجال بينه وبين الحلم، ودول بينه وبين الكظم. فلما انقادت له العشيرة، وسمحت له بالطاعة، ووثق بظهور القدرة خلاف المعجزة سهل عليه الصبر، وغمر بعلوه دواعي الجزع، بطلت المجاذبة، وذهبت المساجلة.

والذي كان دعاه إلى تكلف الحلم في بدء أمره وإلى احتمال المكروه في أول شأنه، الأمل في الرياسة، والطمع في السيادة، ثم لم يتم له أمره، ولم يستحكم له عقده إلا بعد ثلاثة أشياء: الاحتمال، ثم الاعتياد، ثم ظهور طاعة الرجال.

ولولا خوف جميع المظلومين من أن يظن بهم العجز، وألا يوجه احتمالهم إلى الذل لزاحم السادة في الحلم رجال ليسوا في

أنفسهم بدونهم، ولغمرهم بعض من ليس معه من أسبابهم.

فصل منه

ولا يكون المرء نبيلاً حتى يكون نبيل الرأي، نبيل اللفظ، نبيل العقل، نبيل الخلق، نبيل المنظر، بعيد المذهب في التنزه، طاهر الثوب من الفحش، إن وافق ذلك عرقاً صالحاً، ومجداً تالداً.." (١)

"٣(هكذا عادة الزمان بنوه ** بسط ظل كما ترى وزواله)(و دفين على بقايا دفين ** مثل ما قال من سرت أمثاله)(كم الى كم **هذا التغافل منا** ** عن يقين الردى وهذا التباله)٤ (جاد يا قاضي القضاة ضريحاً **كنت فيه غيثٌ يسرّ انهماله)٥ (و جزى الله جود كفك عنا ** وتولاك جوده ونواله)٦ (لك منا نشر النسيم ثناء ** ولنا بالأسى عليك اعتلاله)

". (٢)

"البحر : – (قد أسرج الشيب في فودي وألجمني ** عما أعانيه من نقضٍ وإبرام) (**فما التغافل عن** شأن الرحيل إلى ** دار البلى بعد إسراج وإلجام)

". (٣)

"١(سبقناكمُ عفواً ولم تلحقوا بنا ** على جَهْدِ مجهودٍ ولَهْثَةِ لاهِثِ)(وقِدماً عهدتمُ عنكمُ وقد ** عُضضتُمْ بأنيابِ الخطوبِ الكوارثِ)(ونحنُ على إمَّا جِيادٍ ضَوامرٍ ** وإمّا على أقتادِ خُوصٍ دلائثِ)٤ (وما زِلتُمُ مُسْتطمرين سَحائبًا ** بنصركُمُ ما بينَ تلكَ الهثاهثِ)٥ (فَخَرْتُمْ بغيرِ الدِّينِ فينا وإنَّما ** فخرتُمْ بأَنسابٍ لِئامٍ خبائِثِ)٦ (وإنَّ لكمْ أطمارَ ذُلٍّ كأنَّها ** من الشّينِ أطمارُ النّساءِ الطّوامثِ)٧ (وقلتُمْ بأنّا الآمِرون عليكُمُ ** وذاك بأسبابٍ ضعافٍ نكائثِ)٨ (وما ضَرَّنا أنّا خَلِيّون من غِنًى ** وكم شِبَعٍ يَهْفو بهِ غَرْثُ غارثِ)٩ (قَعدتُمْ عنِ الإجمالِ فينا بباعثٍ ** وقُمنا به فيكمْ بلا بعثِ باعثِ)١٠ (وما غرّكمْ **إلاّ التغافلُ عنكمُ** ** على ظالمٍ منكمْ لدينا وعائثِ)

". (٤)

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٢٧١

(٢) ديوان ابن نباتة المصري، ص/١٥٤٣

(٣) ديوان ابن نباتة المصري، ص/١٩٣١

(٤) ديوان الشريف المرتضى، ص/٥٤٥

"١(وزمان سخط ماله من آخر ** ورجاء عفو ما له من أول)(كم **ذا التغافل عن** وليك وحده ** والأمر يخرج دون كل مؤمل)(وعلام يهمل أمره ويضيعه ** من ليس للصنع الجميل بمهمل)٤ (قم في خلاصي واصطنعني تصطنع ** رطب اللسان مدير باع المقول)٥ (يثني عليك بما صنعت وربما **كرم الثناء فذم عرف المبذل)

---

(١) ".

"البحر : طويل (أفيكمْ فتى حيٌّ فيخبرني عني ** بما شَرِبَتْ مِشْروبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْني) (بُدورُ المُظْلِماتِ إذا تَنَادَوْا **) (هي عزمةٌ كالسيفِ إلا أنها ** جعلتْ لأسبابِ الزمانِ قضوبا) (غدتْ وهيَ أولى من فؤادي بعزمتي ** ورحتُ بما في الدنِّ أولى من الدنِّ) (لقدْ تركتني كأسها وحقيقتي ** محالٌ وحقٌّ من فعاليَ كالظنِّ) ٤ (هي اختدعتني والغمامُ ولم أكنْ ** بأوَّلَ مَنْ **أهدى التَّغافُلَ للدَّجْنِ**) ٤ (يهدُّ أركانَ الجبالِ هدا **) ٥ (إذا اشتَعَلَتْ في الطّاسِ والكاسِ نارُها ** صليتُ بها منْ راحتي ناعمٍ لدنِ) ٦ (قرينُ الصبا في وجنتيهِ ملاحةٌ ** ذَكَرْتُ بها أَيَّامَ يُوسُفَ في الحُسْنِ) ٧ (إذا نحنُ أومأنا إليهِ أدارها ** سُلافاً كماءِ الجَفْنِ وَهْيَ مِنَ الجِفْنِ)

---

(٢) ".

"البحر : – (أرْواحُ فيك سُعوطٌ لا يقامُ له ** والوجهُ منكَ ذَرُورٌ فه إمْضاضٌ) (في قَفدِ رأسكَ تنجيشٌ لقافدِهِ ** **وفي التَّغافلِ منا** عنكَ إرماضُ) (وما ذكرناك إلا كان مُتصلا ** ببظر أُمكَ إمصاصٌ وإعضاضُ) ٤ (وما تكلَّمتَ إلا قُلتَ فاحشةً **كأن فكَّيكَ للأعراضِ مقراض) ٥ (مهما نطقتَ فنبلٌ منك مُرسَلةٌ ** وفُوكَ قَوْسُكَ والأعراضُ أغراض) ٦ (إن مُتَّ عاش من الأعراض ميتُها ** وإن بقيتَ فما للناسِ أعراض) ٧ (يغيبُ وجهُكَ فالأمراضُ غائبةٌ ** وبالقلوبِ إذا شوهِدْتَ أمراض) ٨ (وما تُفيضُ بعلمٍ لا ولا صفدٍ ** وأنت بالسَّلح قبل السُّكرِ فيَّاض)

---

(٣) ".

"وحدثنا علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن زهير بن أيمن بن الهميسع وصى ابنه عريب بن زهير ولم يكن له ولد غيره، فقال: يا بني، قد انتهى إليك ما كان من وصية جدك سبأ بن يشجب بن يعرب، وما افترق عليه ابناه يوم الوصية والقسمة، وهما جداك حمير وكهلان فلا تجرين الأمر إلا على ما جرت به الرسوم من لدنهما إلى هذه الغاية. وأوص بعدك من يصلح لهذا الأمر من ولدك ومن إخوتك. وأوصيك بالثبات على ما وجدتني عليه من العدل في الرعية والتجاوز عن المسيء والكف عن أذى العشيرة، والتحفظ بها والتحبب إليها، فما المرء إلا بقومه ولو عز. وأنشأ يقول: " من البسيط

---

(١) ديوان الحكم بن أبي الصلت، ص/٢٤٨

(٢) ديوان أبي تمام، ص/٨٩٨

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٢٥٦٧

"

عريب لا تنس ما وصى أبوك به ... إن الوصية لما بعدها الرشد

كل امرئ عزه ... فاعلم عشيرته وفي العشيرة يلغى العز والعدد

ما البيت لو لم يكن فوق الأساس ولم ... تقله دعم للسعف والعمد

لولا الغريف ولولا خيس غابته ... لما سطا موهنا بالقدرة الأسد

فضيلة المرء تؤويه وتعضده ... إن الذليل الذي ليست له عضد

والمرء تسلم دنياه ونعمته ... ما ليس يأتيه من إخوانه الحسد

وصية عريب بن زهير

وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير وصى بنيه وهم أربعة نفر؛ الصباح وجنادة وأبرهة وقطن بنو عريب بن زهير فقال لهم: يا بني، إني وجدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة والطاعة والملك يدل على ستة أشياء. إني وجدت السؤدد لا يزايل الكرم، ولا يسود من لا كرم له. وإني وجدت العز مع العدد حيثما كان، ولا عز لمن لا عدد له، ولا عدد لمن لا عشيرة له، وإني وجدت النجدة في الأيادي، ولا نجدة لمن لا أيادي له، وإني وجدت الطاعة مع العدل، ولا طاعة لمن لا عدل له، وإني وجدت الملك في اصطناع الرجال، ولا ملك لمن لا يصطنع الرجال، يا بني، احفظوا وصيتي واثبتوا عليها، واعملوا بها، ولا تعصوا أخاكم قطنا فإنه خليفتي فيكم بعد الله وولي الملك بعدي دون أي أحد. وأنشأ يقول: " من البسيط "

مضت لأسلافنا فيمن مضى سنن ... ساسوا بها لهم ملكا فما وهنوا

فسست بعدهم الملك الذي ملكوا ... وأنت سائس ذاك الملك يا قطن

لم أعد سيرتهم يوما وأنت لهم ... لا تعد عن سيرتي ما أورق الفنن

بالأصل تمرع لا بالفرع مونقة ... وكيف يخضر لولا أصله الغصن

ذر التغافل عن نيل تجود به ... **إن التغافل غي** والهدى فطن

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال إن قطن بن عريب ولي الملك بعد أبيه، وسار في الناس بسيرته وسيرة أسلافه، وقلد الملك في حياته ابنه الغوث بن قطن بن عريب، وقال له: يا بني إني لم أقلدك الملك ارتفاعا عنه ولا رغبة في أجل منه، إلا أني أردت أن أقف على سيرك بالناس وسياستك للملك بينهم، وأن أعلم كيف طاعتهم لك كيلا أخرج من الدنيا ولي غصة في ذلك من أمرك وأمر الناس. يا بني، أوصيك بإخوتك أن تفعل لهم ما فعلته لك، وأن تبذل لهم نصيحتك، وتخفض لهم جناحك. وأسألك أن تفعل للعشيرة ما سألتك أن تفعله لهم ولإخوتك، فما الراحة إلا بالأصابع، وما الساعد إلا بالعضد.

وأنشأ يقول: " من البسيط "

وصيت غوثا بما وصى أوائله ... وللوصية إمهال وإمكات

قلدته الملك لما أن رأيت به ... خصائلا نحوها للملك إحثاث

ورثته سننا قد كنت وارثها ... وللملوك مواريث ووراث

قد ينعش الملك ذو الرأي الأصيل كما ... يحيي زراعته بالرأي حراث

كل امرئ والذي كانت عليه له ... اباؤه ولكل منه ميراث

والشري شري ولو أبصرته عسلا ... والأري أري ولو غالته أحداث

وفي الزواعب خطي وذو خور ... وفي القواضب مذكار ومئناث

وفي السحاب صبير هويه دلس ... ومطبق مسبل بالجود لثاث." (١)

"من يحسد الشمس نورها، ويجهد أن يأتي لها بضريب، وإلى أن وردني خطابك الخطير مشتملا على نظم من الكلام، رائق الأعلام، يقرب من الإفهام، ويبعد نيله في الأوهام، قد أرهفت نواحيه بالتهذيب، وطرزت حواشيه بكل معنى غريب، وحشيت معانيه باللفظ الرائع المهيب، فازددت به تهيبا ورعبا، وعاينت منه مركبا صعبا، وقلت التغافل عن الجواب، أولى بالصواب، وإن ألمت بالجفاء، وقابلت الوفاء باللفاء، إذ ليس بلبيب من يعارض السيل بوشل، ويناهض التشمير بفشل، ويطاول الفيل بشلو منتشل،

ولا باريب من قيس الشبر بالبارع، والمد بالصاع، والجبان بالشجاع، والقطوف بالوساع، فمن طلب فوق طاقته افتضح، ومن تعسف الخرق النازح رزح، ومن سبح ف البحر كم عسى أن يسبح، ولا جرم أنه اقتضاني في المراجعة صديق لنا كريم لم لتت إلى معذرة، ولا سمح بنظرة، فتكلفتها بحكم عزمته وتحت فادح حصر، ونازح بصر، فقد يكدي على علمك الخاطر، ويخوي النجم الماطر، وربما عاد اللسن في بعض الأوقات لكنا، والجواد كودنا، وبحر القريحة ثمدا، وحسام الذهن معضدا، فإن تفضلت بالأعضاء، سامحت في الاقتضاء، وسلمت لك في اليد البيضاء، وبرزت لشكرك في الفضاء، واجتليت منك أدام الله عزك ف معنى تعذر تلاقينا، عند قرب تدانينا، فصولا حسانا حسبتها برهانا، ورأيت بها السحر الحلال عيانا، ولئن اعترض عائق الزمان دون ذلك الأمل وقد عارضنا من أمم، وصار أدنى من يد لفم، فإن نفوسنا بحمد الله في المقاصد والأغراض، متلاقية على موارد الإخلاص ولا محاض، والله تعالى بحفظ جواهرها من الأرض، ويصونها من الانتكاث والانتفاض، بمنه وطوله أنه على كل شيء قدير، وبيده الأمر والتدبير، وأما ما جلاه من صورة الود، في معرض الجد، وفقد ثوى بين الجوانح محلا، لا يسوم الدهر عقده حلا، ولا يزال جفني ف رعيه مسهدا، وقلبي لصونه ممهدا، إن شاء الله واقرأ عليك يا سيدي المعظم في خلدي ساما شريف النصاب، كريم الإحساب، والسلام الأتم الدعم، ما طلعت الأنجم وتضوع المسك الأحم، على سيدي الأعظم، ورحمة الله وبركاته.

ذو الوزارتين المشرف أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم أعزه الله." (٢)

---

(١) وصايا الملوك دعبل الخزاعي ص/٦

(٢) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/١١٤

"فجاء إلى أكثم فادعاها، وسأله الإبل، فقال أكثم: حتى يأتيني رسولي.

فخرج من عنده مغضبا حتى أتى بني مجاشع وبني نهشل فقال: أتغلبني أسيد على مالي؟ فخرجوا، فركبوا إليهم، فخرج إليهم أكثم في قومه، فردهم.

وقال في ذلك:

أنبئت أن الأقرعين وخالدا ... أرادوا بأن يستنقصوا عز أكثما

" ويروي: يستهضموا؛ وقيل: يستبعضوا "

فعض بما أبقيت خواتن أمه ... بعمد أرادوا أن أذم ويغنما

" أي: ويغنم خالد ".

وزعموا أنه قال أيضا:

سأحبسها حتى يبين سبيلها ... ويسرحها تحدي إلى الحي أسلم

ويمنعها قومي ويمنعها يدي ... وجرداء من أهل الأفاقة صلدم

قال: أصاب النعمان أساري من بني تميم، فركب إليه وفودهم، وفيهم أكثم بن صيفي حتى انتهوا إلى النجف، فلما علوه أناخ أكثم بعيره، وقال لأصحابه: ترون خصيلتي؟ قالوا: رأينا ما ساءنا.

قال: قلبي مضغة من جسدي، ولا أظنه إلا نحل كما نحل سائر جسدي، فلا تتكلوا على في حيلة ولا منطق.

فقدموا الحيرة، فأقاموا نصف حول.

ثم شخص النعمان إلى القطانة، فأقام بها نصف حول.

فلما انفضت الوفود، ولم يبقى منهم إلا اليسير قام أكثم، فأخذ بحلقة الباب، ونادى:

يا حمل بن مالك بن أهبان ... هل تبلغنا ما أقول النعمان

إن الطعام كان عيش الإنسان ... أهلكتني بالحبس بعد الحرمان

من بين عار جائع وعطشان ... وذاك من شر حباء الضيفان

فسمع النعمان صوته فقال: أبو حيدة ورب الكعبة، ما زلنا نحبس أصحابه حتى تفحشناه.

ثم أذن لهم.

فلما دخلوا قال: مرحبا بكم، سلوني ما شئتم إلا أساري عندي.

فطلب إليه القوم حوائجهم؛ وأبي أكثم أن يسأله.

فقيل له: ما يمنعك؟ قال: قد علم قومي أني من أكثرهم مالا، وجئنا لأمر قد نهينا عنه.

فقال النعمان: ما أراهم إلا سيغنمون، وتخيب.

قال ذلك لهم ثلاثا، يقول النعمان مثل مقالته، ويقول أكثم مثل مقالته، ثم أذن له في الرابعة في القول.

فتكلم أكثم، فقال: " أبيت اللعن، قد علم قومي أني من أكثرهم مالا، ولم أسأل أحدا شيئا، إن المسألة من أضعف المكسبة، وقد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، إن من سلك الجدد أمن العثار، ولم يجر سالك القصد، ولم يعم على القاصد مذهبه، من

شدد نفر، ومن تراخى تألف، والشر التغافل، وأحسن القول أوجزه، وخير الفقه ما حاضرت به ".

فقال النعمان: سل حاجتك.

فقال: ناقتك برحلها، وخلعتك، وكل مكروب بالقطقطانة والحيرة عرفني.

قال: ذاك لك.

فركب ناقته في كسونه، ثم نادى، يا أهل السجن، إن النعمان قد جعل لي من عرفني.

قالوا: كلنا يعرفك، أنت أكثم بن صيفي.

ثم فعل مثل ذلك بالحيرة، فأخرجهم، ثم قال:

ثوينا بالقطاقط ما ثوينا ... وبالعبرين حولا ما نريم

وأخبر أهلنا أن قد هلكنا ... وقد أعيا الكواهن والبسوم

وآسانا على ما كان أوس ... وبعض القوم ملحي ذميم

فقلت لهم، أيا قومي أبانت ... فكونوا الناهضين بها، وقوموا

بوفد من سراة بني تميم ... إلى أمثالهم لجأ اليتيم

فإنكم لأن تكفوه أهل ... عليكم حق قومكم عظيم

وإنكم بعقوة ذي بلاء ... وحق الملك مكشوف عظيم

قال: وكتب ملك هجر، أو نجران إلى أكثم أن يكتب إليه بأشياء ينتفع بها، وأن يوجز.

فكتب إليه:." (١)

"وسرعة الطرف وتحميج النظر ... وتركى الحسناء في قبل الطهر

وحذرا أزداده إلى حذر ... والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال أكثم بن صيفي: الكرم حسن الفطنة وحسن التغافل، واللؤم سوء الفطنة وسوء التغافل.

وقال أكثم بن صيفي: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة.

وقال آخر لبنيه: تباذلوا تحابوا.

قال: ودخل عيسى بن طلحة بن عبيد الله، على عروة بن الزبير وقد قطعت رجله، فقال له عيسى: والله ما كنا نعدك للصراع، ولقد أبقى الله لنا أكثرك: أبقى لنا سمعك وبصرك، ولسانك وعقلك، ويديك وإحدى رجليك.

فقال له عروة: والله يا عيسى ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل» .

قال: وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: «إقرؤا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، ولن يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، ولن يقرب من أجل، ولن يباعد من رزق، أن يقوم رجل بحق، أو يذكر بعظيم» .

---

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٦

وقال إعرابي لهشام بن عبد الملك: أتت علينا ثلاثة أعوام. فعام أكل الشحم، وعام أكل اللحم، وعام انتقى العظم «١» . وعندكم أموال، فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله، وإن كانت لعباد الله فادفعوها إليهم، وإن كانت لكم فتصدقوا، فإن الله يجزي المتصدقين. قال: فهل من حاجة غير ذلك؟ قال: ما ضربت إليك أكباد الابل أدرع الهجير، وأخوض الدجى لخاص دون عام.." (١)

"تعزية إمرأة للمنصور على أبي العباس مقدمه من مكة. قالت: أعظم الله أجرك، فلا مصيبة أجل من مصيبتك، ولا عوض أعظم من خلافتك.

وقال عثمان بن خريم للمنصور، حين عفا عن أهل الشام في أجلابهم مع عبد الله بن علي عمه: يا أمير المؤمنين: لقد أعطيت فشكرت، وابتليت فصبرت، وقدرت فغفرت.

وقال آخر: يا أمير المؤمنين، الإنتقام عدل، والتجاوز فضل، والمتفضل قد تجاوز حد المنصف. فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين.

وقال آخر: من انتقم فقد شفي غيظ نفسه، وأخذ أقصى حقه. وإذا انتقمت فقد انتصفت، وإذا عفوت فقد تطولت. ومن أخذ حقه وشفي غيظه لم يجب شكره، ولم يذكر في العالمين فضله. وكظم الغيظ حلم، والحلم صبر، والتشفي طرف من العجز، ومن رضي ألا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلا ستر رقيق، وحجاب ضعيف، فلم يجزم في تفضيل الحلم، وفي الإستيثاق من ترك دواعي الظلم. ولم تر أهل النهي والمنسوبين إلى الحجا والتقى. مدحوا الحلماء بشدة العقاب، وقد ذكروهم بحسن الصفح، وبكثرة الإغتفار، وشدة التغافل. وبعد فالمعاقب مستعد لعداوة أولياء المذنب، والعافي مستدع لشكرهم، آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم، ولأن يثنى عليك بإتساع الصدر خير من أن يثنى عليك بضيق الصدر. على أن إقالتك عثرة عباد الله موجب لإقالتك عثرتك من رب عباد الله، وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك، وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك.

وقالوا: الموت الفادح، خير من اليأس الفاضح.

وقال آخر: لا أقل من الرجاء. فقال آخر: بل اليأس المريح.

وقال عبد الله بن وهب الراسبي: إزدحام الجواب مضلة للصواب، وليس الرأي بالإرتحال، ولا الحزم بالإقتضاب، فلا تدعونك السلامة من خطأ موبق، أو غنيمة نلتها من صواب نادر، إلى معاودته، وإلتماس الأرباح من قبله. إن." (٢)

"فإذا كان الخلطاء من جمهور الناس، وأصحاب المعايش من دهماء الجماعة، يرون ذلك واجبا وتدبيرا في التعامل، على ما هم فيه من مشاركة الخطأ للصواب، وامتزاج الضعف بالقوة، فلسنا نشك أن الإمام الأكبر والرئيس الأعظم، مع الأعراق الكريمة والأخلاق الرفيعة، والتمام في الحلم والعلم، والكمال في الحزم والعزم، مع التمكين والقدرة، والفضيلة والرياسة والسيادة، والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة، والتأييد وحسن المعونة، أن الله جل اسمه لم يكن ليجلله باسم الخلافة،

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٤٦/٢

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٧٦/٢

ويحبوه بتاج الإمامة، وبأعظم نعمة وأسبغها، وأفضل كرامة وأسناها، ثم وصل طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، إلا ومعه من الحلم في موضع الحلم، والعفو في موضع العفو، والتغافل في موضع التغافل، ما لا يبلغه فضل ذي فضل، ولا حلم ذي حلم.

ونحن قائلون، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيما انتهى إلينا في أمر الأتراك: زعم محمد بن الجهم، وثمامة بن الأشرس، والقاسم بن سيار، في جماعة ممن يغشى دار الخلافة، وهي دار العامة، قالوا جميعا: بيننا حميد بن عبد الحميد جالسا ومعه يخشاد الصغدي، وأبو شجاع." (١)

"الإحسان، وعلمت أنك لا تقضي إلا على العمد، ولا تعذب إلا على القصد، صار الأمن سائقا، والأمل قائدا. وأي عمل أرد، وأي متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة، والأمن والمثوبة.

ولو كان هذا ذنبا كنت شريكي فيه، ولو كان تقصيرا لكنت سببي إليه، لأن **دوام التغافل شبيه** بالإهمال، وترك التعريف يورث الإغفال، والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة، ويذهبان بالتحفظ؛ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان بن عفان: " عمر كان خيرا لي منك، أرهبني فاتقاني، وأعطاني فأغناني ".

فإن كنت اجترأت عليك فلم أجترىء عليك إلا بك؛ وإن كنت أخطأت فلم أخطىء عليك إلا لك؛ لأن حسن الظن بك والثقة بعفوك سبب إلى قلة التحفظ، وداعية إلى ترك التحرز.." (٢)

"والجملة أنا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم أنكرنا، لكان في فضلك ما يتغمدنا، وفي كرمك ما **يوجب التغافل عنا**. فكيف وإنما سهونا ثم تذكرنا، واعتذرنا ثم أطنبنا.

فإن تقبل، فحظك أصبت، ولنفسك نظرت. وإن لم تقبل فاجهد جهدك، ولا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا عفا عنك إن عفوت. وأقول كما قال أخو بني منقر:

فما بقيا علي تركتماني ... ولكن خفتما صرد النبال

والله لئن رميتني ببجيلة لأرمينك بكنانة، ولئن نهضت بصالح بن علي لأنهضن بإسماعيل بن علي، ولئن صلت علي بسليمان بن وهب لأدمغنك بالحسن بن وهب، ولئن تمت علي بمنادمة جعفر الخياط." (٣)

"وأسبغها، وأفضل كرامة وأسناها، ثم وصل طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، إلا ومعه من الحلم في موضع الحلم، والعفو في موضع العفو، والتغافل في موضع التغافل، ما لا يبلغه فضل ذي فضل، ولا حلم ذي حلم.

ونحن قائلون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فيما انتهى إلينا من القول في الأتراك.

زعم محمد بن الجهم وثمامة بن الأشرس والقاسم بن سيار في جماعة ممن يغشى دار الخلافة، وهي دار العامة، قالوا جميعا: بينا حميد بن عبد الحميد جالسا ومعه إخشيد الصغدي، وأبو شجاع شبيب بن بخار خداي البلخي، ويحيي بن معاذ،

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٣٩/١

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٧٥/٣

(٣) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٩٨/٣

ورجال من المعدودين المتقدمين في العلم بالحرب، من أصحاب التجارب والمراس، وطول المعالجة والمعاناة بصناعة الحرب، إذ خرج رسول المأمون فقال لهم: يقول لكم مفترقين ومجتمعين: فليثبت كل." (١)

"والكبر – أعزك الله تعالى – باب لا يعد احتماله حلما، ولا الصبر على أهله حزما، ولا ترك عقابهم عفوا، ولا الفضل عليهم مجدا، **ولا التغافل عنهم** كرما، ولا الإمساك عن ذمهم صمتا.

واعلم أن حمل الغنى أشد من حمل الفقر، واحتمال الفقر أهون من احتمال الذل. على أن الرضا بالفقر قناعة وعز، واحتمال الذل نذالة وسخف. ولئن كانوا قد أفرطوا في لوم العشيرة، والتكبر على ذوي الحرمة، لقد أفرطت في سوء الاختيار، وفي طول مقامك على العار.

وأنت مع شدة عجبك بنفسك، ورضاك عن عقلك، خالطت من موته يضحك السن، وحياته تورث الحزن، وتشاغلك به من أعظم الغبن.

وشكوت تنبلهم عليك، واستصغارهم لك، وأنك أكثر منهم في المحصول، وفي حقائق المعقول. ولو كنت كما تقول لما أقمت على الذل ولما تجرعت الصبر وأنت بمندوحة منهم، وبنجوة عنهم. ولعارضتهم من الكبر بما يهضهم، ومن الامتعاض بما يبهرهم.

وقلت: ولو كانوا من أهل النبل عند الموازنة، أو كان معهم ما يغلط الناس فيه عند المقايسة لعذرتهم واحتججت عنهم، ولسترت عيبهم، ولرقعت وهيهم. ولكن أمرهم مكشوف، وظاهرهم معروف.." (٢)

"أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري، وغطى على قلبي، فما شعرت بشيء حتى نبهني أمير المؤمنين.

فقال له معاوية: لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء، أخرجك من عطاء أبناء المهاجرين، وكماة أهل صفين، فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه. فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاوية ممن لا يخادع ولا يجارى؛ ولئن كان بلغ من بلادة يزيد بن شجرة وقلة حسه ما وصف به نفسه، ما كان بجدير بخمسمائة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خفي عن معاوية، ولكنه تغافل على معرفة، لما وفاه حق رياسته.

ويروى عن معاوية انه كان يقول: السرو التغافل.." (٣)

"وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك إذا ابتدأ في قصة الملك، وكان أبرويز قد وضع عيونا تحضر مجلس الناسك، متى جلس. فبكر الناسك، وقص على العامة، وزهد في الدنيا، ورغب في الآخرة. وحضره الرجل الخائن، فلما فرغ من قصصه، وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل، وجاءت عيون أبرويز فأخبرته بما كان. فإذ زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان، وكتب إلى عامله: قد وجهت إليك رجلا وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا. فأظهر بره، والأنس به، والثقة بناحيته. فإذا اطمأنت به الدار، فاقتله قتلة تحيي بها بيت النار، وتصل بها حرمة

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٩٨/٣

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٧٠/٤

(٣) التاج في أخلاق الملوك الجاحظ ص/٥٥

النوبهار. فإنه من فسدت نيته لغير علة في الخاصة والعامة، لم يصلح بعلة.

تقاضي الملك عن الصغائر

ومن أخلاق **الملك التغافل عما** لا يقدح في الملك، ولا يجرح المال، ولا يضع من العز، ويزيد في الأبهة. وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.." (١)

"ولذلك قالت العرب: السرو التغافل.

وأنت لا تجد أبدا أحدا يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا غبن، وعن التقصي إذا بخس، إلا وجدت له في قلبك فضيلة وجلالة ما تقدر على دفعها. وكذا أدبنا نبينا صلى الله عليه وسلم، فقال: يرحم الله سهل الشراء، سهل البيع، سهل القضاء، سهل التقاضي.

وهذا الأدب خارج من قولهم: المغبون لامحمود ولا مأجور.

وقال معاوية في نحو من هذا: إني لأجر ذيلي على الخدائع.

وقال الحسن عليه السلام: المؤمن لا يكون مكاسا.

وفيما يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لمتنزهه، فبسط له في صحراء، فتغدى مع أصحابه، فلما حان انصرافه، تشاغل غلمانه بالترحال، وجاء أعرابي، فوجد منهم غفلة، فأخذ دواج سليمان، فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر." (٢)

"وقد حمل الناس كما ترى على العين ما لا يجوز، وما لا يسوغ في شيء من المجازات. وقول الذي اعور: إذا رأيت الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني، من أعظم الحجج في الفاصل من صاحب العين إلى المعين.

قال: ويقال إن فلانا لعيون: إذا كان يتشوف للناس ليصيبهم بعين. ويقال عنت فلانا أعينه عينا: إذا أصبته بعين، ورجل معين ومعيون: إذا أصيب بالعين. وقال عباس بن مرداس: [من الكامل]

قد كان قومك يحسبونك سيدا ... وإخال أنك سيد معيون «١»

ويقال للعيون: إنه لنفوس، وما أنفسه، أي ما أشد عينه، وقد أصابته نفس أو عين.

٣٥١-[دفاع عن الكلب]

وأما قول القائل: إن من لؤم الكلب وغدره أن اللص إذا أراد دار أهله أطعم الكلب الذي يحرسهم قبل ذلك مرارا ليلا ونهارا، ودنا منه ومسح ظهره، حتى يثبت صورته، فإذا أتاه ليلا أسلم إليه الدار بما فيها- فإن هذا التأويل لا يكون إلا من نتيجة سوء الرأي، فإن سوء الرأي يصور لأهله الباطل في صورة الحق. وفيه بعض الظلم للكلب وبعض المعاندة للمحتج عن الكلب، وقد ثبت للكلب استحقاق المدح من حيث أراد أن يهجوه منه، فإن كان الكلب بفرط إلفه وشكره كف عن

---

(١) التاج في أخلاق الملوك الجاحظ ص/٩٧

(٢) التاج في أخلاق الملوك الجاحظ ص/١٠١

اللص عند ذكر إحسانه، وإثبات صورته، فما أكثر من يفرط عليه الحياء حتى ينسب إلى الضعف والكرم وحتى ينسب إلى الغفلة، وربما شاب الرجل بعض الفطنة ببعض التغافل، ليكون أتم لكرمه، فإن الفطنة إذا تمت منعت من أمور كثيرة، ما لم يكن الخيم «٢» كريما والعرق سليما.

وإنك أيها المتأول، حين تكلف الكلب- مع ما قد عجل إليه اللص من اللطف والإحسان- أن يتذكر نعمة سالفة، وأن يحترس من خديعة المحسن إليه، مخافة أن يكون يريغ «٣» بإكرامه سوءا- لحسن الرأي فيه، بعيد الغاية في تفضيله.." (١)

"قصارها، وفي صيفها وفي شتائها. وكان مع ذلك لا يحرك يده، ولا يشير برأسه.

وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة. فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه، وفي السماطين بين يديه، إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث، ثم تحول إلى مؤق عينه، فرام الصبر في سقوطه على المؤق، وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته، أو يغضن وجهه، أو يذب بإصبعه. فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه، وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح، فتنحى ريثما سكن جفنه، ثم عاد إلى مؤقه بأشد من مرته الأولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك، فكان احتماله له أضعف، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى، فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين، وفي تتابع الفتح والإطباق، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده. فلم يجد بدا من أن يذب عن عينيه بيده، ففعل، وعيون القوم إليه ترمقه، وكأنهم لا يرونه، فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كمه، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك، وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه. فلما نظروا إليه قال: أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء، وأزهى من الغراب! وأستغفر الله! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا! وقد علمت أني عند الناس من أزمت الناس، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه! ثم تلا قوله تعالى: وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب

[١] .

وكان بين اللسان، قليل فضول الكلام، وكان مهيبا في أصحابه، وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه، ولا في تعريض أصحابه للمنالة.

٧٩٥-[قصة في إلحاح الذباب]

فأما الذي أصابني أنا من الذبان، فإني خرجت أمشي في المبارك [٢] أريد دير الربيع، ولم أقدر على دابة، فمررت في عشب أشب [٣] ونبات ملتف كثير الذبان،

---

[١] ٧٣/الحج: ٢٢.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٢٧/٢

[٢] المبارك: اسم نهر بالبصرة؛ احتفره خالد القسري، والمبارك: نهر وقرية فوق واسط. معجم البلدان ٥/ ٥٠.

[٣] عشب أشب: ملتف «القاموس: أشب» .." (١)

"١٣٩٧-[أطول الحيوان ذماء وأقصره]

وتقول العرب [١] : «الضب أطول شيء ذماء» [٢] .

ولا أعلم في الأرض شيئا أقصر ذماء [٢] ، ولا أضعف منة [٣] ولا أجدر أن يقتله اليسير من الفأر.

١٣٩٨-[لعب السنور بالفأر]

وبلغ من تحرزه واحتياطه، أنه يسكن السقوف، فربما فاجأه السنور وهو يريد أن يعبر إلى بيته والسنور في الأرض والفأرة في السقف، ولو شاءت أن تدخل بيتها لم يكن للسنور عليها سبيل، فتتحير، فيقول السنور بيده كالمشير بيساره: ارجع. فإذا رجعت أشار بيمينه: أن عد فيعود. وإنما يطلب أن تعيا أو تزلق أو يدار بها [٤] . ولا يفعل ذلك بها ثلاث مرات، حتى تسقط إلى الأرض، فيثب عليها. فإذا وثب عليها لعب بها ساعة ثم أكلها. وربما خلى سبيلها، **وأظهر التغافل عنها** فتمعن في الهرب، فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها وثبة فأخذها. فلا يزال كذلك كالذي يحب أن يسخر من صاحبه، وأن يخدعه، وأن يأخذه أقوى ما يكون طمعا في السلامة، وأن يورثه الحسرة والأسف، وأن يلذ بتنغيصه وتعذيبه.

وقد يفعل مثل ذلك العقاب بالأرنب، ويفعل مثل ذلك السنور بالعقرب.

١٣٩٩-[أكل الجرذان واليرابيع والضباب والضفادع]

وقال أبو زيد [٥] : دخلت على رؤبة هو يمل [٦] جرذانا، فإذا نضجت أخرجها من الجمر فأكلها، فقلت له: أتأكل الجرذان؟! قال: هي خير من اليرابيع والضباب.

إنها عندكم تأكل التمر والجبن والسويق والخبز، وتحسو الزيت والسمن.

وقد كان ناس من أهل سيف البحر [٧] من شق فارس يأكلون الفأر والضفادع،

---

[١] مجمع الأمثال ١/ ٤٣٧، والمستقصى ١/ ٢٢٧، وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٠، والدرة الفاخرة ١/ ٢٨٤، ٢٨٦، ٢/ ٤٣٨.

[٢] الذماء: بقية الروح.

[٣] المنة: القوة.

[٤] يدار بها: يصيبها الدوار. وهو شبه الدوران يأخذ في الرأس.

[٥] الخبر في الأغاني ٢٠/ ٣٥٠، وربيع الأبرار ٥/ ٤٧٢.

[٦] يمل: يشوي في الملة، وهي الرماد الحار الجمر.

[٧] سيف البحر: شاطئه.." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣/ ١٦٤

(٢) الحيوان الجاحظ ٥/ ١٣٨

"١٤٣٠-[شعر ابن عبدل في الفأرة والسنور]

وقال ابن عبدل في الفأرة والسنور: [من الخفيف]

يا أبا طلحة الجواد أغثني ... بسجال من سيبك المقسوم [١]

أحي نفسي فدتك نفسي فإني ... مفلس قد- علمت ذاك- عديم

أو تطوع لنا بسلف دقيق ... أجره إن فعلت ذاك عظيم [٢]

قد علمتم فلا تعامس عني ... ما قضى الله في طعام اليتيم [٣]

أراد: لا تعامسوا. فاكتفى بالضمة من الواو. وأنشد [٤] : [من الوافر]

فلو أن الأطبا كان حولي ... وكان مع الأطباء الأساة

ليس لي غير جرة وأصيص ... وكتاب منمنم كالوشوم [٥]

وكساء أبيعه برغيف ... قد رقعنا خروقه بأديم [٦]

وإكاف أعارنيه نشيط ... هو لحاف لكل ضيف كريم [٧]

ونبيذ مما يبيع صهيب ... يذر الشيخ رمحه ما يقوم

رب حلا فقد ذكرت أصيصي ... ولحافي حتى يغور النجوم

كل بيت عليه نصف رعيف ... ذاك قسم عليهم معلوم

فر منه موليا فار بيتي ... ولقد كان ساكنا ما يريم

قلت: هذا صوم النصارى فحلوا ... لا تليحوا شيوخكم في السموم [٨]

ضحك الفأر ثم قلن جميعا ... أهو الحق كل يوم تصوم

قلت: إن البراء قد قام في ال ... ناس بإذن وأنت فينا ذميم [٩]

حملوا زادهم على خنفسات ... وقراد مخيس مزموم [١٠]

---

[١] سجال: جمع سجل، وهو الدلو العظيمة. السيب: العطاء.

[٢] السلف: الجراب الضخم.

[٣] التعامس: التغافل.

[٤] البيت بلا نسبة في مجالس ثعلب ٨٨، والإنصاف ٣٨٥، وشرح المفصل ٥/٧، ٨٠/٩، والمقاصد النحوية ٥٥١/٤، والخزانة ٢٢٩/٥، ٢٣١، وهمع الهوامع ٥٨/١، والدرر ١٧٨/١.

[٥] الأصيص: إناء كهيئة الجرة له عروتان يحمل فيه الطين، أو هو الخابية تزرع فيه الرياحين.

[٦] الأديم: الجلد.

[٧] الإكاف: البرذعة. نشيط: اسم رجل.

[٨] لا تليحوا: لا تهلكوا. السموم: الريح الحارة.

[٩] البراء: الليلة الأولى أو الأخيرة، أو اليوم الأول أو الأخير من الشهر.

[١٠] خنفسات: جمع خنفسة. مخيس: مذلل. مزموم: وضع عليه الزمام.." (١)

"٣- هامش كتاب النبل والتنبل وذم الكبر

(١) الجاحظ يحرض على تأديب المتكبرين بقوله «والكبر أعزك الله تعالى باب لا يعد احتماله حلما، ولا الصبر على اهله حزما، ولا ترك عقابهم عفوا، ولا الفضل عليهم مجدا، **ولا التغافل عنهم** كرما، ولا الامساك عن ذمهم صمتا» . لاحظ تقطيع الجمل المتوازي وزنا ومعنى.

(٢) يفرق بين النبل والتنبل: التنبل هو التظاهر بالنبل او تكلفه.

(٣) الدول جمع دولة ومعناها هنا العهد والمرحلة الزمنية.

(٤) «فالخارجي قد يتنبت بنفسه، والنابتي قد يخرج بطبعه، ولكل غر اول، واول كل قديم حادث» . هذه العبارة مبهمة لا يأتلف معناها مع ما قبلها وما بعدها.

الخارجي هو من ينتمي الى فرقة الخوارج الذين خرجوا على علي وكفروه بعد ان كانوا من اتباعه ونادوا بالجهاد. والنابتي نسبة الى النابتة، أتباع معاوية، وهي فرقة نبتت اي حدثت في عصر الجاحظ تدعو مجددا الى احياء الدولة الاموية، نبتت خلافة معاوية. وقد كتب الجاحظ حولها رسالة النابتة التي نشرناها ضمن رسائل الجاحظ الكلامية.

(٥) الاحنف هو الاحنف بن قيس ساد قبيلته في العصر الأموي واشتهر بحلمه ولسنه وموهبته الخطابية.

- الكبر والعظمة لله اما الانسان فاخلق به التواضع والتذلل.

- الرغبة: الورع والتقوى.

(٦) الخلال والخصال مترادفتان.

(٧) اللئيم يستعملها بمعنى المتكبر؟.

الحقيقة تعنى هنا الطبيعة والجوهر.." (٢)

"فان كنت لم أقصر عن الغاية، ولم أتجاوز حد النهاية، فبما أعرف من يمن مكالمتك وبركة مكاتبتك، ومن حسن تقويمك وجودة تثقيفك. وإن كنت قد أخطأت الطريق، وجاوزت حد المقدار، فما كان ذلك عن جهل بفضلك ولا إنكار لحقك، ولكن حدود الأشياء إذا خفيت ومقاديرها إذا أشكلت، ولم يكن مع الناظر فيها مثل تمامك، ولا مع المتكلف لها مثل كمالك، دخل عليه من الخلل بقدر عجزه، وسلم منه بقدر نفاذه، نعم ولو كان من العلماء الموصوفين والأدباء المذكورين.

ومن المزاح جعلت فداك باب مكر وجنس خدع يتكل المرء في إساءته إلى جليسه وإسماعه لصديقه على أن يقول: مزحت، وعلى أن يقول عند المحاكمة: عبثت، وعلى أن يقول: من يغضب من المزاح إلا كز الخلق، ومن يرغب عن المفاكهة إلا

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٦٠/٥

(٢) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/١٤٥

ضيق العطن. وبعد فمتى أعدت النفس عذرا كانت إلى القبيح أسرع ومتى لم تجده كانت عنه أبطأ. ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعي الخطأ إليه أن كثيرا ممن تمازحه يضحك وإن كنت قد أغضبته، ولا يقطع مزاحك وإن كنت قد أوجعته، فإن حقد ففي الحقد الداء، وإن عجل فذلك البلاء.

فان قلت: فما أدخلك في شيء هذا سبيله وهكذا جوهره وطريقه؟

قلت: لأني حين أمنت عقاب الإساءة ووثقت بثواب الإحسان وعلمت أنك لا تقص إلا على العمد، ولا تعذب إلا على القصد، صار الأمن سائقا والأمل قائدا. وأي عمل أرد وأي متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة والأمن والمثوبة. ولو كان هذا ذنبا لكنت شريكي فيه، ولو كان تقصيرا لكنت سببي إليه، لأن **دوام التغافل شبيه** بالإهمال، وترك التعريف يورث الإغفال، والعفو المتتابع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة ويذهبان بالتحفظ. ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان بن عفان رضي الله عنه: عمر كان خيرا لي منك،." (١)

"وهزال ونشيط. وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يقال كان فيه مزاح، وكذلك لا يقال مزاح. وكذلك الأئمة ومن هزل في بعض الحالات من أهل الحلم والوقار. فما روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «يا أبا عمير ما فعل النغير» وقوله: «لا تدخل الجنة عجوز» وقوله: «زوجك الذي في عينيه بياض» وقد كان علي رضي الله عنه يمزح. وقال عمر: إنا إذا خلونا كنا كأحدكم. وقد كان عمر عبوسا قطوبا. وقد كان زياد مع كلوحه وقطوبه يمازح أهله في الخلا كما يجد في الملا. وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانه. وقال له قائل: أيمازح الأمير أهله؟ فقال: والله إن تروني إلا شيطانا، والله لربما رأيتني وإني أقبل رجل إحداهن! فقد ذكرنا خير العالمين وجلة من خيار المسلمين وجبارا عنيدا وكافرا لعينا.

وبعد، فمن حرم المزاح وهو شعبة من شعب السهولة وفرع من فروع الطلاقة! وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ولم يأتنا بالانقباض والقسوة وقد أمرنا بافشاء السلام وبالبشر عند التلاقي وأمرنا بالتوادد والتصافح والتهادي. قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تبسما. وقالوا: كان لا يستغرق ضحكا. وقال: «دفقوا على صاحبكم» .

وقال: «هذه أيام أكل وشرب وتعلل» وسمع جواري تضرب الكبر عند عائشة فلم ينكره وضحك في قيافة مجزز المدلجي ومن الاعرابي صاحب الدجال.

قد اعتذرنا من معصيتك والخلاف على محبتك مرة بالمزح ومرة بالنسيان ومرة بالاتكال على عفوك وعلى ما هو أولى بك. على اني لم ارد بمزاحك الا ضحك سنك، انظر هل هرمت إلا في طاعتك، وهل أخلقني إلا معاناة خدمتك؟ وفي الجملة إنا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم أنكرنا لكان في فضلك ما يتغمدنا، وفي كرمك ما **يوجب التغافل عنا**. فكيف وإنما سهونا ثم تذكرنا ثم اعتذرنا ثم أطنبنا، فإن تقبل فحظك أصبت ولنفسك نظرت، وإن لم تقبل." (٢)

---

(١) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٤٥٧

(٢) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٤٦٩

"أخ لي كأيام الحياة إخاؤه ... تلون ألوانا علي خطوبها

إذا عبت منه خلة فتركته ... دعتني إليه خلة لا أعيبها

وقال بشار:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا ... خليلك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقال مطيع بن إياس الليثي:

ولئن كنت لا تصاحب الا ... صاحبا لا تزل، ما عاش، نعله

لم تجده ولو جهدت وأنى ... بالذي لا يكون يوجد مثله

وقال محمد بن سعيد، وهو رجل من الجند:

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فإذا كان الخلطاء من جمهور الناس، وأصحاب المعايش من دهماء الجماعة، يرون ذلك واجبا وتدبيرا في التعامل، على ما هم فيه من مشاركة الخطأ للصواب، وامتزاج الضعف بالقوة، فلسنا نشك أن الامام الأكبر والرئيس الأعظم، مع الأعراق الكريمة والأخلاق الرفيعة، والتمام في الحلم والعلم، والكمال في الحزم والعزم، مع التمكين والقدرة، والفضيلة والرياسة [والسيادة] ، والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة، والتأييد وحسن المعونة، أن الله جل اسمه لم يكن ليجلله باسم الخلافة، ويحبوه بتاج الإمامة، وبأعظم نعمة وأسبغها، وأفضل كرامة وأسناها، ثم وصل طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، إلا ومعه من الحلم في موضع الحلم، والعفو في موضع العفو، والتغافل في موضع التغافل، ما لا يبلغه فضل ذي فضل،." (١)

"إن المنايا أصابتني مصائبها ... فاستعجلت بأخ قد كان يكفيني

وقرأت في كتاب للهند: رأس المودة الاسترسال «١» .

وقال أكثم بن صيفي «٢» : من تراخى تألف «٣» ، ومن تشدد نفر، والشرف التغافل. وقال حاتم: العاقل فطن متغافل. وقرأت في كتاب للهند: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا. قال العتابي في ذلك «٤» : [من الطويل]

تود عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك، إن الرأي عنك لعازب «٥»

وليس أخي من ودني رأي عينه ... ولكن أخي من صدقته المغايب «٦»

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٩٢

قيل لبزرجمهر: أخوك أحب إليك أم صديقك؟ قال: إنما أحب أخي إذا كان صديقا.

وقال بعضهم: إن أحب إخواني إلي، من كثرت أياديه علي.

وقال رجل في أخ له: [من الوافر]

وكنت إذا الشدائد أرهقتني ... يقوم لها وأقعد لا أقوم." (١)

"وقالت الحكماء: من تمام كرم **المنعم التغافل عن** حجته، والاقرار بالفضيلة لشاكر نعمته.

وقالوا: للمعروف خصال ثلاث: تعجيله وتيسيره وستره، فمن أخل بواحدة منها فقد بخس «١» المعروف حقه وسقط عنه الشكر.

وقيل لمعاوية: أي الناس أحب إليك؟ قال: من كانت له عندي يد صالحة. قيل:

فإن لم تكن له؟ قال: فمن كانت لي عنده يد صالحة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه، فإن لم يقم بتلك المؤونة عرض النعمة للزوال» .

عروة بن أدية في صلبه

: أبو اليقظان قال: أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أدية أخا أبي بلال، وقطع يده ورجله، وصلبه على باب داره؛ فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم، فإنهم أضيافكم.

ابن المبارك عن حميد عن الحسن قال: لأن أقضي حاجة لأخ لي، أحب إلي من عبادة سنة.

بين السندي وكوفي ذي مروءة

: وقال إبراهيم بن السندي: قالت لرجل من أهل الكوفة، من وجوه أهلها، كان لا يجف لبده «٢» ، ولا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مفوها؛ فقلت له: أخبرني عن الحالة التي خففت عنك النصب «٣» وهونت عليك التعب في القيام بحوائج الناس، ما هي؟ قال قد والله." (٢)

"قال الحارث: إن في الحق مغضبة، **والسرو التغافل** «١»

، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة، فلتشبه أفعالك مجلسك.

قال كسرى: هذا فتى القوم.

ثم قال كسرى: قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم، وتفنن فيه متكلموكم ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم، ولم يحكم أمركم، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم، وغلب على طباعكم، لم أجز لكم كثيرا مما تكلمتم به. وإني لأكره أن أجبه «٢»

وفودي أو أحنق صدورهم، والذي أحب هو إصلاح مدبركم، وتألف شواذكم، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم؛ وقد

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣/٩

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١/١٩٥

قبلت ما كان في منطقكم من صواب. وصفحت عما كان فيه من خلل؛ فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته، واردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم، وأحسنوا أدبهم، فإن في ذلك صلاح العامة.

وفود حاجب بن زرارة على كسرى

العتبي عن أبيه: أن حاجب بن زرارة وفد على كسرى لما منع تميما من ريف العراق، فاستأذن عليه، فأوصل إليه فقال: أسيد العرب أنت؟ قال: لا. قال: فسيد مضر؟ قال: لا. قال: فسيد بني أبيك أنت؟ قال: لا. ثم أذن له فدخل عليه. قال:

من أنت؟ قال: سيد العرب! قال: أليس قد أوصلت إليك: أسيد العرب أنت؟

فقلت: لا، حتى اقتصرت بك على بني أبيك، فقلت: لا؟ قال له: أيها الملك، لم أكن كذلك حتى دخلت عليك، فلما دخلت عليك صرت سيد العرب. قال كسرى:

زه «٣»

! املئوا فاه درا. ثم قال: إنكم معشر العرب غدر، فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد، وأغرتم على العباد، وأذيتموني. قال حاجب: فإني ضامن للملك ألا يفعلوا.." (١)

"١٣١ - قولهم أصم عما ساءه سميع

يضرب مثلا للرجل يتغافل عما يكره ومن أجود ما قيل في هذا المعنى قول بشار

(قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء)

وقيل العاقل الفطن المتغافل

وقلت

(تغافل فليس السرو **إلا التغافل** .. وليس سقوط القدر إلا التعاقل)

(ولا تتجاهل إن منيت بجاهل ... فليس فساد الجاه إلا التجاهل)

(ولا تتطاول إن تطاول أحمق ... فرأس حماقات الرجال التطاول)

وقال الأحنف وجدت الحلم أنصر لي من الرجال

وقال الحجاج لابن القرية ما الأدب قال تجرع الغصة حتى تنال الفرصة

وقال خالد بن صفوان شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه فقال آجرك الله على ما ذكرت من صواب وغفر لك ما ذكرت من خطأ فما حسدت أحدا حسدي عمرا على هاتين الكلمتين

وقال غيره أغض على القذى وإلا فإنك لا ترضى أبدا

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٨٧/١

وقلت في معناه

(وإنك إن أذيت بكل سوء ... فليس بمنقض أبدا أذاكا)." [(١)]

"المعجوز عنه، وقرف بسوء الاختيار، وحكم عليه ببوار السعي وبطلان الاجتهاد. ومع هذا فليس له أن ييأس من إصلاح ما هو مستطاع، ليأسه من إصلاح ما هو غير مستطاع. وليس له أيضا أن يرجو إصلاح ما ليس بمستطاع، لاقتداره على إصلاح ما هو مستطاع.

قطب هذه المذاكرة في الأخلاق، على أن تهذيبها وتطهيرها وردها إلى مقارها، وتسويتها وتعديلها من الصعب المتعسر، والممتنع المتعذر، لكنها مع هذا كله ممكنة من نفسها في أشياء خاصة، وفي مواضع معلومة، بعض الإمكان، وضامنة الاستحالة فيها بعض الضمان، فعلى هذا لا ينبغي أن يطمع في إصلاحها كل الطمع، ولا يقطع الرجاء عن إصلاح الممكن منها كل القطع.

وكان في كلامهم حشو كثير حصلت خالصة زبدته ما أعدت ههنا، وذكرته في جملة الكلام والناس من أول الدهر إنما يتكلمون في الأخلاق، على هذا تدل الكتب السالفة، والأشعار المتقدمة، والمواعظ القائمة، والمزاجر المترددة، ومع ذلك كله من طبع على الجبن ليس يجيء منه شجاع، ومن طبع على الغيرة لم يمكنه أن يغفل، ومن وجد في سوسه شيئا أبداه، ومن كان في قوته شيء أظهره، ومن استكن في مزاجه شيء أبانه والأصل طالع على رابية الأيام، والاختيار في الأشياء قوة ضعيفة جدا لا ثبات لها مع الضرورة التي ترد قاهرة، وتوافي مجبرة، فإن الاختيار أيضا في الأول من جملة تلك الضرورة في عرض القسمة السماوية، إن أذن له بدا وظهر، وسعى وسفر؛ وإن تكن الآخر بطل حكمه ورسمه، وارتفع عيبه وفعله. وقد شاهدنا من يمدح الجود ويحث عليه، ويحسنه ويدعو إليه، وهو أبعد الناس من العمل به، والقيام بحكمه. وقد وجدنا من **يلوم التغافل في** الحرمة وما يجري معها، ويبعث على الغيرة والصرامة فيها، وخوض الدم." [(٢)]

"النفس الناطقة فإنها جوهر إلهي، وليست في الجسد على خاص ماهيته ولكنها مدبرة للجسد، ولم يكن الإنسان إنسانا بالروح، بل النفس، ولو كان إنسانا بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق، بأن كان له روح ولكن لا نفس له. فأما النفسان الأخريان اللتان هما الشهوية والغضبية فإنهما أشد اتصالا بالروح منهما بالنفس، وإن كانت النفس الناطقة تدبرهما وتمدهما وتأمرهما وتنهاهما، فهذا أيضا يوضح الفرق بين الروح والنفس، فليس كل ذي روح ذا نفس، ولكن كل ذي نفس ذو روح، وقد وجدنا في كلام العرب مع هذا الفرق بينهما، فإن النابغة قد قال للنعمان بن المنذر:

وأسكنت نفسي بعد ما طار روحها ... وألبستني نعمى ولست بشاهد

وقال أبو الأسود:

لعمرك ما حشاك الله روحا ... به جشع ولا نفسا شريرة

قال: هذا من الفوائد التي كنت أحن إليها، وأستبعد الظفر بها، وما أنفع المطارحة والمفاتحة وبث الشك واستماحة النفس،

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١/١٤٠

(٢) المقابسات أبو حيّان التوحيدي ص/١٤٠

فإن التغافل عما تمس إليه الحاجة سوء اختيار، بل سوء توفيق.
وما أحسن ما قال بعض الجلة: توانيت في أوان التعلم عن المسألة عن أشياء كانت الحاجة تحفز إليها والكسل يصد عنها، فلما كبرت أنفت من ذكرها وعرضها على من علمها عنده، فبقيت الجهالة في نفسي، وركدت الوحشة بين قلبي وفكري.
ثم جرى في حديث النفس ذكر بعض العلماء فإنه قال: إن نفسك هي إحدى الأنفس الجزئية من النفس الكلية، لا هي بعينها، ولا منفصلة عنها، كما أن جسدك جزء من جسد العالم لا هو كله ولا منفصل عنه، وقد مر من أمر النفس ما فيه إيضاح تام واستبصار واسع، وإن كان الكلام في نعت النفس لا آخر له، ولا وقوف عنه.
ولو قال قائل: إن جسدك هو كل العالم لم يكن مبطلا، لأنه شبيه به، ومسلول منه، وبحق الشبه يحكيه، وبحق الانسلال يستمد منه، وكذلك النفس الجزئية هي النفس الكلية، لأنها أيضا مشاكهة لها، وموجودة بها، فبحق الشبه أيضا تحكي حالها، وبحق الوجود تبقى بقاءها، فليس بين الجسد إذا أضيف إلى العالم، والنفس إذا قيست بالأخرى فرق، إلا أن الجسد معجون من الطينة، والنفس مدبرة بالقوة الإلهية، ولهذا احتيج إلى الإحساس والمواد، وإلى الاقتباس والالتماس حتى تكون مدة الحياة الحسية بالغة إلى آخرها من ناحية الجسد، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولا بالأبد بعد الأبد.
فقال- أدام الله سعادته-: لو كان ما يمر من هذه الفوائد الغرر والمرامي اللطاف مرسوما بسواد على بياض، ومقيدا بلفظ وعبارة، لكان له ريع وإتاء، وزيادة ونماء.." (١)

"والنسل، وفضيحة الولد والأهل. فسكن المشايخ منهم، وطيبوا أنفسهم، وقووا منتهم ووعدوهم أن يرتئوا فيه متفقين، ويجتمعوا عليه مجتهدين، ويستخيروا الله ضارعين، وانصرف الناس عنهم.
واجتمع القوم: أبو تمام الزينبي، ومحمد بن صالح بن شيبان، وابن معروف القاضي، وابن غسان القاضي، وابن مكرم- وكان من كبار الشهود في سوق يحيى- وابن أيوب القطان العدل وأبو بكر الرازي الفقيه، وعلي بن عيسى والعوامي صاحب الزبيري، وابن رباط شيخ الكرخ، ونائب الشيعة ولسان الجماعة، وابن آدم التاجر، والشالوسي أبو محمد، وغيرهم ممن يطول ذكرهم، وتشاوروا وتفاوضوا، وقلبوا الأمر، وشعبوا القول، وصوبوا وصعدوا، وقربوا وبعدوا والتأم لهم من ذلك أن تخرج طائفة وراء الأمير بختيار إلى الكوفة وتلقاه وتعرفه ما قد شمل مدينة السلام من الاهتمام، وأن الخوف قد غلبهم، وأن الذعر قد ملكهم، وأنهم يقولون: لو كان لنا خليفة أو أمير أو ناظر سائس لم يفض الأمر إلى هذه الشناعة، وأن أمير المؤمنين المطيع لله إنما ولاه ما وراء بابه ليتيقظ في ليله، متفكرا في مصالح الرعايا، وينفذ في نهاره آمرا وناهيا ما يعود بمراشد الدين، ومنافع الدانين والقاصين وإلا فلا طاعة، وكلاما على هذا الطابع، وفي هذا النسج، فاتفق جماعة على صريمة الرأي في الحركة إلى الكوفة، منهم أبو كعب الأنصاري، وأبو الحسن مدره القوم، وعلي بن عيسى، والعوامي، وابن حسان القاضي صاحب الوقوف، وأبو أحمد الجرجاني القاضي البليغ، وابن سيار القاضي أبو بكر، وأبو بكر الرازي.
وأما جعل، فإنه ذكر ما به من وجع النقرس، واستعفى.
وأما أبو سعيد السيرافي، فإنه ذكر ضعفا وسنا، وقال: أنا أعين في هذه النائبة بإقامة رجل جلد مزاح العلة بالفرس والسلاح،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٢٣٨

وقعد الجم الغفير، وسارت الجماعة إلى الكوفة، ولحقت عز الدولة في التصيد، وانتظرته، فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل، فلم يلتفت إليهم، ولا عاج عليهم- وكان وافر الحظ من سوء الأدب، قليل التحاشي من أهل الفضل والحكمة- ثم قيل له:

إن القوم وردوا في مهم لا **يجوز التغافل عنه**، والإمساك دونه، فأذن لهم بين المغرب والعتمة، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب، فقال: تكلموا.

فقال أبو الوفاء المهندس لأبي بكر الرازي: تكلم أيها الشيخ، فإنك رضا الجماعة، ومقنع العصابة.

فقال أبو بكر: الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه، ولا بلوى إلا بقضائه، ولا مفزع إلا إليه، ولا يسر إلا فيما يسره، ولا مصلحة إلا فيما قدره، له الحكم وإليه." (١)

"ويحلى بعينيك ويلتاط بنفسك، والعامة تقول: " القاص لا يحب القاص ".

ولو كان قلبك لكل من اسمه عندك، لصيته البعيد، وسؤالك لمن لا شهرة له قبلك بحسن التأتي في التقريب، لكان حدك حينئذ مقبولا بما يظهر لك من الزيادة والنقص، وكانت الحجة تقوم بينك وبين من قد ضري على مالك، أو وضع في نفسه أن ينال مراده منك بالخدع، على **أن التغافل في** هذا الباب أدل على الكرم، كما أن الاستقصاء فيه أجلب فيه للنكد. فهذا هذا.

وشيء آخر، وهو أصعب مما تقدم، وذلك أن حجاجك قد بدد شمل الزوار عنك، وقسم ظنونهم بك، وطرح في قلوبهم اليأس منك؛ ولست بأهل لذلك منهم كما أنهم ليسوا بأهل لشدة الحجاب منك، وقلة رافعي أخبارهم إليك.

وشيء آخر، وهو أصعب مما تقدم، والسهو فيه لاحق بالظلم؛ لم يجب - أدام الله دولتك - أن لا يصل برك إلا إلى الفاضل، وإلا إلى الكامل، وإلا إلى الذي هو في الشعر مفلق، وفي الكتابة بارع، وفي الفلسفة غاية، وفي الكلام نهاية، وفي الفقه آية، وفي النحو مذكور، وفي الطب مشهور؟." (٢)

"مجاري فكرك أو خطر لك في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو جمال أو قبح أو نور أو شبح أو شخص أو خيال فالله تعالى ذكره بعيد من ذلك كله بل هو أعظم وأجل وأكبر ألا تسمع إلى قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى ١١) وإلى قوله ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ (الأخلاص ٣٤)

وبهذا الإسناد قال عمرو **المروءة التغافل عن** زلل الإخوان

وبهذا الإسناد قال عمرو لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين

وبهذا الإسناد قال عمرو لقد علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما فيه الشفاء وجوامع النصر وفواتح العبادة فقال ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ (فصلت ٣٦)

وبهذا الإسناد قال عمرو المعرفة دوام محبة الله تعالى ودوام مخافته ودوام الإقبال عليه ودوام انتصاب القلب بذكره وهي علم

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣٧٥

(٢) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/٥١٧

القلوب بفسخ العزوم وخلع الإرادات وإحياء الفهوم

وبه قال عمرو المعرفة صحة التوكل على الله تعالى

وبه قال عمرو لقد وبخ الله تعالى التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ (ص ٦) فهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينه

وبهذا الإسناد قال عمرو اعلم أن العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموح خداعة رواغة فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد." (١)

"قالوا: مقتل الرجل بين لحييه. التثبت نصف العفو. قال أكثم: الكرم حسن الفطنة. واللؤم سوء التغافل. قيل: أسوأ الناس حالا من اتسعت معرفته، وبعدت همته، وضاقت مقدرته. كان عبد الملك بن الحجاج: يقول: لأنا للعاقل المدبر أرجا مني للأحمق المقبل. وقالوا: أمران لا ينفكان من الكذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار. قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري: دلني على من أجلس إليه. قال: تلك ضالة لا توجد. قيل لعبد الله بن كرز: هلا أجبت أمير المؤمنين حين سألك عن مالك. قال: إنه إن استكثره حسدني، وإن استقله حقرني. قال بعضهم: عيادة النوكى الجلوس فوق القدر، والمجيء في غير وقت. قال محمد بن واسع: ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث؛ بلغة من عيش له ليس لأحد فيها منة، ولا لله علي فيها تبعة، وصلاة في جماعة أكفى سهوها ويدخر لي أجرها، وأخ إذا ما أعوججت قومني. مر عمر بن ذر بابن عياش المنتوف وكان قد سفه عليه ثم أعرض عنه، فتعلق بثوبه وقال: يا هناه؛ إنا لم نجد لك إذا عصيت الله فينا خيرا من أن نطيع الله فيك. قال بعضهم: ما نصحت لأحد إلا وجدته يفتش عن عيوبي. قال لبعضهم: أي الناس أحلم؟ قال: سفهاء لقوا أكفاءهم. قال خليفة بن عبد الله التغلبي: ما خاصمت أحمق ولا كيسا إلا رأيته بصيرا بما يسوءني. سأل ابن أبي بكرة: أي شيء أدوم إمتاعا؟ قال: المنى. وقال عباية ما يسرني بنصيبي من المنى حمر النعم.." (٢)

"تمييز المحتاج، والنظر له، والإفضال عليه؛ لأن الكريم هو الذي لا يخليه فطنه، والتفاته ونظره. واللؤم: سوء التغافل. وهذا كما قال الآخر:

إن الكريم من تلفت حوله ... وإن اللئيم دائم الطرف أفود

وقال آخر

إذا هي لم تمنع برسل لحومها ... من السيف لاقت حده وهو قاطع

ندافع عن أحسابنا بلحومها ... وألبانها إن الكريم يدافع

ومن يقترف خلقا سوى خلق نفسه ... يدعه وترجعه إليه الرواجع

قوله إذا هي لم تمنع، يعني الإبل. فيقول: إذا لم يكن في النوق لبن تحمي نفوسها به من العقر عند نزول الضيفان لاقت حد السيف وهو يجزرها ويقطعها. ومثله قول الآخر:

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/١٦٤

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٠٨/٤

وإن تعتذر بالمحل من ذي ضروعها ... على الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

وأبلغ منهما قول الآخر:

فتى لا يعد الرسل يقضي ذمامه ... إذا نزل الأضياف أو تنحر الجزر

وقوله ندافع عن احسابنا بلحومها، يريد بإطعام لحومها، وسقى ألبانها لأن عادتنا تفرض علينا المدافعة عن الكرم، والمحاماة على الشرف، وذلك خلقنا الذي ننشأ عليه، وننبت فيه، ومن يتعاط خلقا مستجدا مخالفا لما ألفه وتعوده يفارقه ويرجع إليه الخلق الأول. ومثله قول الآخر:

كل امرىء راجع يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

والقرف يكون من الذنب والجرم، يقال: هو يقترف ذنبا، أي يأتيه ويفعله، ويقال أيضا: هو يقترف لعياله، أي يكتسب. واقترف حسنة، أي اكتسبها. وقوله:." (١)

"وقال غيره:

مطية الضيف عندي تلو صاحبها ... لن تكرم الضيف حتى تكرم الفرسا

وصف الكريم والكرم

إن الكريم لمعتفيه غريم

الكريم للقليل شاكر، واللئيم للكثير كافر. من فضل المكارم اجتناب المحارم. حصر اللئيم إذا سئل، وحصر الكريم إذا سأل. ما زالت أم الكرم نزورا، وأم اللؤم ولودا. الكرم حسن الفطنة، واللؤم قبح التغافل. إن المكارم في المكاره، والمغانم في المغارم. الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور. الكريم تنفع عنده الكلمة، واللئيم لا تنفع عنده الحرمة. الكريم يظلم من فوقه، واللئيم يظلم من دونه. ينبغي لصاحب الكريم أن يصبر عليه إذا جمعتهما قسوة الزمان؛ فليس ينتفع بالجوهرة الكريمة من لم ينتظر نفاقها.

إن الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنيا وهو مجهود." (٢)

"والنديم الكريم والكاعب الحس؟ ... ناء تهتز في سميط الوشاح

ومن شعره أيضا رمل مجزوء

... ... كل مضفور الذؤابه

أنا للناس إمام ... غير أني ذو صبابه

مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية كتب إلى عامل له أهدى إليه غلاما أسود فقال: لو علمت عددا أقل من الواحد ولونا شرا من الأسود لأهديته والسلام.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٨٧

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٤٣١

وكتب إليه: أنا وإياك كالحجر والزجاج، إن وقع عليها رضها، وإن وقعت عليه فضها.

نصر بن سيار والي خراسان، من ظريف كلامه: كل شيء يبدو صغيرا ويكبر إلا المصيبة تبدو كبيرة وتصغر. وكل شيء يرخص إذا كثر إلا الأدب فإنه إذا كثر كان أغلى.

الليث بن نصر بن سيار والي خراسان دفع إليه وكيله أربعين درهما في جلاء مرآة، فضحك وقال: لو صدئت عين الشمس لم يبلغ جلاؤها أربعين درهما.

أبو العباس السفاح أول ملوك بني العباس، من ظريف كلامه: التغافل عن ذنوب الناس وعيوبهم من أخلاق الكرام، والتهاون بمفاضحتهم من أخلاق اللئام.

وكان يقول: إذا عظمت القدرة قلت الشهوة.

وكان يوما مشرفا على صحن داره ينظرها ومعه امرأته أم سلمة فعبثت بخاتمها فسقط من يدها إلى الدار، فألقى السفاح أيضا خاتمه، فقالت يا أمير المؤمنين ما أردت بهذا؟ قال: خشيت أن يستوحش خاتمك فآنسته بخاتمي غيرة عليه لانفراده.

أبو جعفر المنصور رحمه الله، رفع إليه رجل قصة في شكاية بعض عماله فوقع: اكفني أمر هذا وإلا كفيت أمرك والسلام.

وقال له بعض الهاشميين: إني صرورة. قال: فاحجج. قال: ليس لي نفقة. قال: ليس عليك حج! فقال: يا أمير المؤمنين إنما جئتك مستجديا لا مستفتيا. فأمر له بعشرة آلاف درهم.

المهدي، ماتت له جارية فاشتد جزعه عليها، فكتب إليه أبوه المنصور: أتطمع أن أوليك أمر الأمة وهذا جزعك على أمة؟ فكتب إليه: يا أمير المؤمنين لم أجزع على قيمتها بل على موافقتها.

واستأذنه سلم بن قتيبة ليقبل يده فأبى، فقال: يا أمير المؤمنين، يدك أحق يد بالتقبيل لعلوها في المكارم وطهورها من المآثم. فقال: يا بن قتيبة إنا نصونك عنها ونصونها عن غيرك!.

هارون الرشيد رحمه الله تعالى أراد سفرا فقال جعفر بن يحيى: تثقل المؤنة يا أمير المؤمنين. فقال: ومتى خفت مؤنتنا؟ فبلغ ذلك ملك الروم فقال: والله هذا من كلام الملوك.

وكان يقرأ في المصحف فانتهى إلى قوله تعالى: " ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون " فقال: لعنه الله ما كان أوضعه، ادعى الربوبية بملك مصر! لأولينها أخس عبيدي، فولاها الخصيب. وفيه يقول أبو نواس سريع:

أنت الخصيب وهذه مصر ... فتدافعا فكلاكما بحر

وكتب إليه نقفور ملك الروم يهدده، فكتب إليه توقيعا: الجواب ما تراه لا ما تقراه.

جعفر بن سيلمان الهاشمي كان يقول: الطيب لسان المروءة.

وكان يقول: في الطيب أربع خصال: السنة والمروءة واللذة والقوة.

معن بن زائدة تعرض إليه رجل فقال: احملني أيها الأمير فقال: أعطوه جملا وفرسا وبغلا وحمارا وجارية وقال: لو علمت أن الله تعالى خلق مركوبا سوى ما ذكرناه لأمرنا لك به. فحكي هذا الحديث للمعلى بن أيوب فقال: رحم الله معنا، لو كان

يعلم أن الغلام يركب لأمر له به، ولكنه كان عربيا محضا لم يتدنس بقاذورات العجم!.

ولما مدح أبو القاسم الزعفراني الصاحب بقصيدته التي يقول فيها متقارب:

يا من عطاياه تعطي الغنى ... إلى راحتي من نأى أو دنا

كسوت المقيمين والزائرين ... كسى لم يخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون في ... صنوف من البر إلا أنا

حكي للصاحب خبر معن فقال: اخلعوا عليه جبة وقميصا ودراعة وعمامة وسراويل وفرجية ومنديلا وطيلسانا وجوربا وقال: لو علمنا كسوة سوى هذه لأمرنا له بها. فامتثل أمره وراح الزعفراني وعليه بعضها، وبعضها في مناديل تحملها غلمانه.

محمد الأمين بن الرشيد أصبح ذات يوم وهو يسمع أصوات المحاصرين من ناحية، وأصوات جيشه ساعين في طلب الأرزاق من أخرى فقال: لعن الله الفريقين أما أحدهما فيطلب دمي، وأما الآخر فيطلب مالي. فقال بعض أصحابه: ما أظرف أمير المؤمنين في السراء والضراء!.." (١)

"والصرف

الكريم يعز من حيث يهون والرمح يشتد بأسه حين يلين الاعتذار في غير موضعه ذنب والتكلف مع وقوع الثقة عتب الدواء لغير حاجة إليه داء كما أنه عند الحاجة إليه شفاء الاستقالة تأتي على العثرات كما أن الحسنات يذهبن السيئات الذنب للعين العشواء في محبة الظلماء وكراهية الضياء

فم المريض يستثقل وقع الغذاء ويستمرئ طعم الماء الكريم إذا أساء فعن خطيئة وإذا أحسن فعن عمد ونية

الحر إذا جرح أساء وإذا خرق رفا

وإذا ضر من جانب نفع من جوانب

الحر كريم الظفر إذا نال أنال واللئيم سيئ الظفر إذا نال استنال

الآباء أبوان أبو ولادة وأبو إفادة فالأول سبب الحياة الجسمانية والثاني سبب الحياة الروحانية

الغيرة على الكتب من المكارم بل هي أخت الغيرة على المحارم والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه

ومعرفة بفضله الرجل إذا قيده عقال الوجل لم ينطلق نحو مطية الأمل

المحجوج بكل شيء ينطق والغريق بكل حبل يعلق العاقل يختار خير الشرين ويميل مع أعدل الثقتين الجواد محتكر بر لا محتكر بر

والكريم تاجر جمال لا تاجر مال

والحر وقاية الحر من فقره وسلاحه على دهره

العفو إلى المقر أسرع منه إلى المصر

الفرس الجواد يجري على عتقه والفرع ينزع إلى عرقه

---

(١) اللطف واللطائف الثعالبي، أبو منصور ص/٣

وكيف يخالف الإنسان مقتضى نسبته ويطيب الثمر مع خبث تربته
المسافة صغيرة البقعة صغيرة الرقعة إذ ذرعت بذرع الهوى ومسحت بيد الذكرى فهي بعيدة إذا ذرعت بذرع التسلي ونظر إليها **بعين التغافل والتناسي**
الغضب ينسي الحرمات ويدفن الحسنات ويخلق للبريء جنايات المدح الكاذب ذم والبناء على غير أساس هدم الدهر غريم ربما يفي بما يعد والزمان حبلى ربما يتئم فيما يلد الدهر أصم عن الكلام صبور على وقع سهام الملام يختصر العيدان ويهتصر الأغصان ويخترم الشبان ويبلي الآمال والأبدان." (١)
"وصف العتاب عند الجواب عنه
عتاب سماؤه تمور، ومراجله تفور. تعتاب يهز الفوارع، وتقريع يحكي القواريع. قد قرع سمعي من عذله، ما جاوز خفق الرعود، وصك قلبي من توبيخه. ما أنسى زئير الأسود. وصل كتابك بعتب كالعضب، وملام كالحسام. عتاب يفلق الحجر، ويقطع الماء العد. عتب مقانبه تكر كرة الأقدار، وعذل كتائبه تصول كالفلك المدار، حتام هذا التوبيخ والتهجين والعتاب الهجين. وصل كتابك الذي كله عتب وليس ذنب، وعذل وليس عدل، وتقريع وليس تضجيج، وتأنيب وليس تثريب، وتظلم وليس تألم وشكاية وليست نكاية.
لبس الصديق على علاته والاغضاء عن هناته
قاربته إذا جاذب، وواصلته إذا جانب، وشربته على كدورته، ولبسته على خشونته، وكاتبته أستمد وداده، وأستلين قياده، وأستميل فؤاده. قد تركته بعرة، وطويته على غرة. جررت **أذيال التغافل دون** فرطته، وسترت بأجنحة التجاوز على سقطته. أعرته أذنا صماء وهي سميعة، وعينا عمياء وهي بصيرة. سحبت عليه ذيل التغافل، وغضضت دونه طرف التساهل.
وصف الغيظ والحرد
اضطرب واضطرم، واحتد واحتدم. جاء بأوداج لا يسعها الزران، وعيناه في رأسه تذرانه. فلان يتصلى بنار الصبر ويتصلب، ويتلقى على جمر الغيظ ويتقلب. يفور غيظا، ويتميز حقدا، ويتلظى غضبا، ويتزيد حنقا. غالب غيظه وهو يغلبه، وكظمه وهو يشغله. قد التهبت جمرة الغيظ في صدره، ونطقت ترجمة الحقد عن عينه. يغالب نفسه على الغضاء، ويتلوى تلوي الحية في الرمضاء. فلان غضبان حتى ما تنفع فيه حيلة، ولا تصلحه رقية، ولا تهزه." (٢)
"ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي
من أصلح فاسده، أرغم حاسده. من أطاع غضبه، أضاع أدبه. عادات السادات، سادات العادات. وشيم الأحرار، أحرار الشيم. من سعادة جدك، وقوفك عند حدك. أفحش الإضاعة، الإذاعة. الخيبة، تهتك الهيبة. في الدعة، رائد الضعة. من لم يكن لك نسيبا، فلا ترج منه نصيبا. الرشوة رشاء الحاجة. اشتغل عن لذاتك، بعمارة ذاتك. أجهل الناس من كان للإخوان مذلا، وعلى السلطان مدلا. حبيبك، من لا يعيبك. إذا بقي ما قاتك، فلا تأس على ما فاتك. الدنيا فناء.

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤/٢٢٤
(٢) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/١٣٧

الفناء. البشر عنوان الكرم. من تبرج بره، تأرج ذكره. من حصن أطرافه، حسن أوصافه. المراء يهدم المروءة. الفهم شعاع العقل. رضى المرء عن نفسه، دليل تخلفه ونقصه. الحدة والعزيمة فرسا رهان. الجود والشجاعة شريكا عنان. العجز والتواني رضيعا لبان. نعم الشفيع إلي عدوك عقله. لا تغترن بصحة مزاجك في الهواء الوبي. ولا تغترن بقوة بصرك في الظلمة الراكدة. أفراط التغافل، تثاقل. رب مقال لاتقال عثرته، حسن الأخلاق، أنفس الأعلاق. الحلم مطية، وطية. كيف القرار، على الشرار. مسلك الحزن، حزن. أحصن الجنة، لزوم السنة. الرد الهائل، خير من الوعد الحائل. الخلاف غلاف الشر. نعم العدة، طول المدة. البرايا، أهداف البلايا. حد العفاف، الرضا بالكفاف. من لزم السلم سلم. الخرق، آفة الخلق. إفراط السخاوة، رخاوة. ربما كانت العطية، خطية. الفلسفة فل السفه. لكل حادث حديث ما كل خاطر، بعاطر. البشر نور الإيجاب. البخل سوس السياسة. العفيف، يكفيه الطفيف. لسان النصح فصيح التكلف ترجمان التخلف من تعطل بتطل أدهى المصائب كثرة العايب المعيب. إفراط الدماثة، غثاثة. إفراط الفخامة، وخامة. إفراط التأني توان. الإنصاف أحسن الأوصاف. عليك بالحذر، من الهذر. ربما تكون المنية، هنية.." (١)

"معنى المعاشرة، ترك المعاسرة، ما لخرق الرقيع مرقع. ربما تكون العناية، جناية. قدر الأمين، ثمين. قوتك، قوتك. الغيث، لا يخلو من العيث.

ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العتبي

الشباب باكورة الحياة. الشيب رداء الردى. تعز عن الدنيا تعز. لسان التقصير، قصير. من يكس، وكس ونكس. البخل فراش العار، والحرص فراش النار. إذا قرع المر باب الكهولة فقد استأذن على البلى. الوقاحة، كحجر القداحة. لولاه ما استعر لهب، ولا استعل حطب. للهم في وخز النفوس، حال السوس. في خز السوس. السفه نباح الإنسان. الرفق لقاح الصلاح، وجناح النجاح. عجبت لمن يسمح بالروح اضطرارا، كيف لا يسمح بالمال اختيارا. الصلة المستورة، كالحلة المنشورة. حفظ الأيمان، من وثاق الأيمان. من ثمل من كأس الثناء، طرب لأنس اللقاء. تناسي المعروف قلادة في جيد الجود. التجربة مرآة المرء. الشعر قرآن الشيطان. الخمر مطية الخطية. التغافل من رموز الكرم. إياك والجدل فإن أوله مجاراة، وأوسطه مباراة، وآخره مماراة. الأناة سمت العاقل، وسمة الفاضل. العاقل من أصبح من الأجل، على وجل. للبقول أحرار، وفي الطير عتاق. الشيب أحد كافوري الكفن، حسن الخلق في الخلد. البدعة شرك الشرك. ربي ربي على كل خفي كذا. تكليل المعروف تعجيله، وتتويجه، وتطويقه، تحقيقه، وتسويره، وتيسيره، وتوشيحه، تسريحه. الماء يطيب المسك. العشرة بعنبر الإنصاف. إذا سمعت نغمة الشكر طربت للمزيد. عدتي في العقبى، مودتي في القربى.

ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي في كتابه كتاب الفرائد والقلائد

أعيي الناس من أطال الخطبة، وأساء الخطبة. أشد الغصص، فوت." (٢)

---

(١) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/١٩٩

(٢) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/٢٠٠

"ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضها على بعض حتى يخلص الرأي".

٥٨٢-"هجين عاقل خير من هجان جاهل".

٥٨٣-فيلسوف: "لا رأي لمن تفرد برأيه".

٥٨٤-قيل لبزر جمهر: "من أكمل الناس؟ قال: من [لم] يجعل عقله وسمعه غرضا للفحشاء، وكان الأغلب عليه التغافل".

٥٨٥-وقال عبد الله بن وهب الراسبي: "دعوا الرأي يغب فإن غبوبه يكشف لك عن محضه".

٥٨٦-وقال: "استفتحوا باب الرأي بالاستخارة".." (١)

"طوال الأيام وقصارها وصيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك له يدا ولا عضوا ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ باليسير من الكلام إلى المعانى الكثيرة فبينما هو ذات يوم فى مجلسه وأصحابه حواليه والسماط بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول إلى مؤق عينه فرام الصبر فى سقوطه على المؤق وصبر على عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو بعض وجهه او يذب بأصابعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد مكانا لا **يحتمل التغافل أطبق** جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح فتنحى فلما سكن جفنه عاد إلى مؤقه بأشد من مرته الأولى فغمس خرطومه فى مكان كان قد آذاه فيه قبل ذلك وكان احتماله أقل وعجزه عن الصبر على الثانية أقوى فحرك أجفانه وزاد فى شدة الحركة وفى فتح العين ومتابعة الفتح والإطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من أن يذب عن عينه بيده ففعل وعيون القوم ترمقه وكأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فألجأه إلى أن ذب على وجهه بطرف كمه ثم ألجأه إلى أن تابع ذلك وعلم أنه كان بعين من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا إليه قالوا نشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب قال استغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله أن يعرفه من ضعفه ما كان مستورا عنه قد علمتم أنى." (٢)

"وقال:

هل يدنيني من فنائك سابح ... مرح وجائلة النسوع أمون

ومهند فيه الفرند كأنه ... در له خلف الفرات كمين

غضب المضارب مقفرا من أعين ... لكنه من أنفس مسكون

وأهدى الكندى إلى بعض إخوانه سيفا، فكتب إليه: «الحمد لله الذى خصك بمنافع كمنافع ما أهديت، وجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم، وتمضى فى الأمور مضاء حده المأثور، وتصون عرضك بالإرفاد «١» ، كما تصان السيوف بالأغماد، ويطرد ماء الحياء فى صفحات خدك المشوف، كما يشف الرونق فى صفائح السيوف، وتصقل شرفك بالعطيات، كما

---

(١) الشكوى والعتاب الثعالبي، أبو منصور ص/٢٠٤

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٥٠٢

تصقل متون المشرفيات.

[وفد الشام بين يدى المنصور]

قدم على أبي جعفر المنصور وفد من الشام بعد انهزام عبد الله بن على، وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الغفارى، فتكلم جماعة منهم، ثم قام الحارث فقال:

يا أمير المؤمنين؛ إنا لسنا وفد مباهاة، ولكنا وفد توبة استخفت حليمنا؛ فنحن بما قدمنا معترفون، وبما سلف منا معتذرون، فإن تعاقبنا فبما أجرمنا، وإن تعف عنا فطالما أحسنت إلى من أساء، فقال المنصور: أنت خطيب القوم، ورد عليه ضياعه بالغوطة.

وقال رجل من أهل الشام للمنصور: يا أمير المؤمنين، من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف، ومن عفا تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حلم، والتشفى طرف من الجزع، ولم يمدح أهل التقى والنهى من كان حليما بشدة العقاب، ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل." (١)

"نظرا دقيقا، وقال: هذا رجل مشحوذ المدية، فى أبواب الكدية «١» ، قد جعل استعارة الأعلاق طريق افتراسها، وسبب احتباسها، وقد منى ضرسه، وحدث بالمحال نفسه، ولا لطيفة فى هذا الباب، أحسن من التغافل عن الجواب، فضلا عن الإيجاب، وكلا فما فى أبواب الرد أقبح مما قرع، ولا فى شرائع البخل أوحش مما شرع؛ ثم العذر له من جهتى مبسوط إن بسطه الفضل، ومقبول إن قبله المجد، وإنما كاتبته لأعيد الحال القديمة، وأشرط له على نفسى أن أريحه من سوم الحاجات من بعد، فمن لم يستحى من «أعطنى» ، لم يستحى له من «أعفنى» ؛ وعلى حسب جوابه أجرى المودة فيما بعد، فإن رأى أن يجيب فعل إن شاء الله.

وله إلى سهل بن محمد بن سليمان:

أنا إذا طويت عن خدمة مولاى- أطال الله بقاءه- يوما لم أرفع له بصرى، ولم أعده من عمرى، وكأنى بالشيخ- أعزه الله- إذا أغفلت مفروض خدمته، من قصد حضرته، والمثول فى حاشيته، وجملة غاشيته، يقول: إن هذا الجائع لما شبع تضلع، واكتسى وتلفع، وتجلل، وتبرقع، تربع وترفع، فما يطوف بهذا الجناب، ولا يظهر بهذا الباب؛ وأنا الرجل الذى آواه من قفر، وأغناه من فقر، وآمنه من خوف، إذ لا حر بوادى عوف؛ حتى إذا وردت عليه رقعتى هذه، وأعارها طرف كرمه، وظرف شيمه، ونظر فى عنوانها اسمى قال: بعدا وسحقا، [وسبا وتبا] وحتا ونحتا، وطعنا ولعنا، فما أكذب سراب أخلاقه، وأكثر أسراب نفاقه، فالآن انحل من عقدته، وانتبه من رقدته وكاتبنى يستعيدنى، كلالا أزوجه الرضا ولا قلامة، ولا أمنحه المنى ولا كرامة، بل أدعه يركب راسه، ويقاسى أنفاسه، فستأتينى به الليالى، والكيس الخالى، ثم أريه ميزان قدره، وأذيقه وبال أمره، حتى." (٢)

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٣/٨٣٨

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٤/٩٩٠

"رقيبا هذه صفته؛ وفي ذلك أقول قطعة منها: [من مخلع البسيط] مواصل لا يغب قصدا ... اعظم بهذا الوصال غما صار وصرنا لفرط ما لا ... يزول كالإسم والمسمى ٣ - ثم رقيب على المحبوب، فذلك لا حيلة فيه إلا بترضيه.

وإذا أرضي فذلك غاية اللذة، وهذا الرقيب هو الذي ذكرته الشعراء في أشعارها.

ولقد شاهدت من تلطف في استرضاء رقيب حتى صار الرقيب عليه رقيبا له، ومتغافلا في وقت التغافل، ودافعا عنه وساعيا له؛ ففي ذلك أقول: [من الطويل] ورب رقيب أرقبوه فلم يزل ... على سيدي عمدا ليبعدني عنه فما زالت الألطاف تحكم أمره ... إلى ان غدا خوفي له أمنا منه وكان حساما سل حتى يهذني ... فعاد محبا ما لنعمته كنه وأقول قطعة، منها: [من المنسرح] صار حياة وكان سهم ردى ... وكان سما فصار درياقا وإني لأعرف من رقب على بعض من كان يشفق عليه رقيبا وثق به عند نفسه، فكان اعظم الآفة عليه وأصل البلاء فيه.

واما إذا لم يكن في الرقيب حيلة ولا وجد إلى ترضيه سبيل، فلا طمع إلا بالإشارة بالعين همسا وبالحاجب أحيانا، والتعريض اللطيف بالقول، وفي ذلك متعة وبلاغ إلى حين، يقنع به المشتاق؛ وفي ذلك أقول شعرا أوله: [من الطويل] على سيدي مني رقيب محافظ ... وفي لمن والاه ليس بناكث ومنه: ويقطع أسباب اللبانة في الهوى ... ويفعل فيها فعل بعض الحوادث."

(١)

"٦٦٧٣- عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص، أبو عبد الله المكي [١] :

سمع يونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان المصريين، وسليمان بن سيف الحراني، وغيرهم، وكان من مشايخ الصوفية سكن بغداد حتى مات بها، وحدث، وله مصنفات في التصوف. روى عنه جعفر الخلدي وغيره.

أخبرني أبو سعد الماليني- قراءة- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حيان قال: أملى علينا عمرو بن عثمان المكي الصوفي قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن عيينة عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة- أو غير أبي هريرة الشك من أبي عبد الله- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن فاتك شيء فقل كذا قدر، وكذا كان، وإياك ولو فإنها مفتاح عمل الشيطان» [٢]

.

فهذا يدل على معنى التوكل بالتكسب، فإذا فاتهم الأمر بعد الكسب قالوا: كذا أراد الله وكذا قدر الله.

قلت: ما بعد ذكر الشيطان هو كلام عمرو المكي وليس بكلام النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثني الأزجي، حدثنا علي بن عبد الله الهمداني، حدثني محمد بن علي الشيرواني قال: قال عمرو بن عثمان المكي: ثلاثة أشياء من صفات الأولياء: الرجوع إلى الله في كل شيء، والفقر إلى الله في كل شيء، والثقة به في كل شيء.

أخبرنا ابن التوزي، أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر القناديلي يقول: قال عمرو بن عثمان المكي:

التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين، صغر الذنب أو كبر، وليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية، لأن

---

(١) طوق الحمامة لابن حزم ابن حزم ص/١٦٨

المعاصي كلها قد توعد الله عليها أهلها ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة، وهذا مما يبين أن التوبة فرض. وقال عمرو: اعلم أن كل ما توهمه قلبك، أو سنح في مجاري فكرتك، أو خطر في معارضات قلبك، من حسن أو بهاء، أو أنس أو ضياء، أو جمال أو شبح، أو نور أو شخص أو خيال، فالله بعيد من ذلك كله، بل هو أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع إلى قوله: ليس كمثله شيء

[الشورى ١١] . وقال: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

[الإخلاص ٣، ٤] . وقال عمرو: **المروءة التغافل عن** زلل الإخوان. وقال عمرو: ولقد علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما فيه الشفاء، وجوامع النصر، وفواتح العبادة. فقال:

---

[١] ٦٦٧٣- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ٩٧/١٣.

[٢] انظر الحديث في: صحيح مسلم، كتاب القدر ٣٤. وسنن ابن ماجة ٧٩، ٤١٦٨.

ومسند أحمد ٣٧٠/٢. وفتح الباري ٢٢٧/١٣.." (١)

"١٤٤- أبوبكر رضي الله عنه: فاز بالمروءة من امتطى التغافل، وهان على القرناء من عرف باللجاج.

١٤٥- عائشة رضي الله عنها: عنه عليه السلام: إن الله عز وجل إذا أراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب رفق، وعنه عليه السلام: يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة.

١٤٦- جرير بن عبد الله: إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق، فإذا أحب الله تعالى عبدا أعطاه الرفق. ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا قد حرموا.

١٤٧- أنس: إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف.

١٤٨- علي رضي الله عنه: إن لم تكن حليما فتحلم فأنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم.

- وعنه: الجود حارس الأعراض، والحلم فدام السفيه «١» .

١٤٩- الحسن: الرفق يمن، وسوء الخلق شؤم.

١٥٠- وكان يقال: خذوا بالناس اليسر، ولا تملوهم فإن المؤمنين رفقاء حلماء رحماء.

١٥١- استأذن رهط «٢» من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقالوا:

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢١٨/١٢

السام عليك، فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة، فقال عليه السلام: يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟." (١)

"١٨٤- كان إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس «١» إذا غضب على أحد ندم وتداركه بضيعة، وكان الرجل إذا احتاج أغضبه. كان جالسا يوما فقام ليدخل وترك ألفي دينار في مجلسه، واتبعه صاحب الحرس بالألفين، فاحتد وقال: من أمرك بهذا؟ وشتمه، ثم ندم فوهب له الألفين.

وأغلظ يوما لأم ولد أخيه، ثم أرضاها بمال كثير ودعا بولدها فوهب له وصائف، وأقطعه دار القصب وهي مائة ألف ذراع.

١٨٥- كلم المنصور السفاح في محمد بن عبد الله بن الحسن «٢» فقال:

يا أمير المؤمنين آنسهم بالإحسان، فإن استوحشوا فالشر يصلح ما عجز عنه الخير، ولا تدع محمدا يمرح في أعنة العقوق.

فقال: يا أبا جعفر أنا كذاك، ومن شدد نفر، ومن لان **تألف. التغافل من** سجايا الكرام. وما أحسن ما قال أعشى وائل:

يغضى على العوراء لولا السحلم غيرها انتصاره.." (٢)

"يكشف لك عن محضه. وقال: استفتحوا باب الرأي بالاستخارة.

٥٤- ابن المقفع: ما رأيت حكيما إلا وتغافله أكثر من فطنته.

٥٥- قيل لبزرجمهر: من أكمل الناس؟ قال: من لم يجعل سمعه غرضا للفحشاء، وكان الأغلب عليه التغافل.

٥٦- حكيم: المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي.

أعقل الرجال لا يستغني عن مشاورة ذوي الألباب، وأفره «١» الدواب لا يستغني عن السوط، وأورع النساء لا تستغني عن الزوج.

٥٧- الحسن: الناس ثلاثة، فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل، فأما الرجل فذو الرأي، والمشورة، وأما نصف الرجل فالذي له رأي، ولا يشاور، وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي لا رأي له ولا يشاور.

٥٨-[شاعر] :

إني أتيح لها حرباء تنضبة ... لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا «٢»

٥٩- نضرب للحازم. ونحوه أن رجلا شكا إلى أخيه قلة مرفقه في عمله، واستشاره في التقصي، فقال: إن كلبا لقي كلبا في فمه رغيف محترق، فقال: ويحك ما أردأ هذا الرغيف! قال: نعم، لعنة الله عليه وعلى من يتركه حتى يجد خيرا منه.

٦٠- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحطيئة: كيف صبرتم." (٣)

"بحكمته إلى أخيه، كلما رأى شيئا مما يهودى ردته حكمته.

٣٩- قال رجال لفيلسوف: ما أشد فقرك! فقال: لو علمت ما الفقر لشغلك الغم لنفسك عن الغم لي.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٢٣٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٢٣٩

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٤٤٩

٤٠- أعرابي: المال لا يصلح إلا بالوالي يلي المال ربه وإن كان أحمق.

٤١- قالوا: الغبن في شيئين، في الغلاء والرداءة، فإذا استجدت فقد أحرزت أفضلهما.

٤٢- شاعر:

خلق المال واليسار لقوم ... وأراني خلقت للإملاق

أنا فيما أرى بقية قوم ... خلقوا بعد قسمة الأرزاق

٤٣- قريء على درهم في أحد جانبيه:

قرنت بالنجح وبي كلما ... يراد من ممتنع يوجد

وفي الجانب الآخر:

وكل من كنت له آلفا ... فالجن والأنس له أعبد

٤٤- الجاحظ: إنما هو شيء ألقاه الشيطان في قلوب العامة، وأجراه على ألسنتهم حتى قالوا: المغبون لا محمود ولا مأجور، فحملوا الجهلة على النظر في قيمة حبة، والإطلاع في لسان الميزان، وأخذ المعايين بالأيدي. وبالحري أن يكون المغبون محمودا ومأجورا.. وقالت الحكماء: السؤدد التغافل. وأدبنا رسول الله حيث قال: رحم الله رجلا سهل البيع سهل الشرى. وقال معاوية: إني لأجر ذيلي على الخدائع.

وعن الحسن البصري: لا يكون المؤمن مماكسا «١» .." (١)

"وأنت يا سيدي ممن يسر بما ذكرته، لأنك الولي الذي ل مرض بوده، ولا استحالة لعهده، ولا يوحشك ما سلف من عتب عليك، ومنفرة لك، وانقباض عنك، فمن ضن بالخلة نافس في الصلة، وقد عفا الله عما مضى، إن حققت الآن ما ادعيت، ووفيت بما منيت، فإنك عاهدت أن تستدرك من صلة المكاتبة على تنائي الأقطار، ما ضيعت منها مع تجاور الديار، وقد آن لك أن تزور كعبة الكرم، وتهاجر إلى مطمح الآمال [والهمم] ، وأن تلقى ملكا ليس كالملوك التي لقيت، ولا أحسبك ترى مثله ما بقيت، فبادر تغم، ولا تتأخر تندم.

[وله] من أخرى [في مثله] : كتبت وقد أدال الله من تلك الديار الموحشة بضدها، وأراح من [٧٨ ب] مواطن الهون بفقدها، ونقل بفضله إلى حيث البر الباهر، والانعام غامر، والفضل في النقص آمر، والنبل على الجهل ظاهر، نعم: وحيث المجد شامخ البناء، والشرف عادي الانتماء، والسلطان رائع الرواء، والملك متناه في البهاء، وحيث [بحور] الكرم زاخرة، وسماء المجد ماطرة، إلى غير ذلك يطول عدة، ويعجز البيان حده.

وله من أخرى: أتراك ممن تغير، وفي جملة من تنكر، فنحتاج إلى استئلافك، ونأخذ في استلطافك -! أنا أكفيك مؤنة الجواب، في هذا الباب، وأخصم نفسي عنك، وأقيم الحجة عليها لك، فأجعل عذرك في الأشغال، ولا أنسبك **إلى التغافل والإهمال**، وأقول: بعيد." (٢)

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٨٠/٥

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٢٩٤/٥

"مجرد سياسة ونظر للملك، وفعل أبي العباس مع أنه ما خلا من سياسة وأدب فهو بكرم الأخلاق أليق وأولى.

[١١٦٧]- ومن صائب الرأي ما كان يفعله أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي فإن صاحبه معز الدولة أبا الحسين أحمد بن بويه، كان حديدا سريع الغضب بذيء اللسان يشتم وزراءه ويسبهم، وكان المهلبي مع فضله وعلمه وكمال مروءته وأدبه، يصبر من ذلك على ما لا يصبر عليه أحد، ولا ينكسر لما يبدو منه في حقه. فقيل له: لو أظهرت الانخزال والانكسار لكان أصلح لئلا يظن بك تهاونا بأمره. فقال: ليس يخفى علي ذلك، ولكن هذا الأمير خرق عجول لا يملك لسانه، فإن ذهبت أظهر الاستيحاش من هذيانه، وقع له أني قد تنكرت له وأني لا أناصحه، ولعله يتهمني بما لا يدور في فكري فيكون سببا لجائحة ونكبة، وليس له **غير التغافل والتبسم** في وجهه إذا أمكن، فإن لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس إلا قلة الفكر فيه.

[١١٦٨]- ذكر أن فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام أعطت ولدها من الحسن بن الحسن ما ورثته منه، وأعطت ولدها من عبد الله بن عمرو بن عثمان موروثها منه، فوجد ولد الحسن بن الحسن في أنفسهم، لأن ما ورثت من عبد الله بن عمرو كان أكثر، فقالت: يا بني، إني كرهت أن يرى أحدكم شيئا من مال أبيه بيد أخيه فيجد من ذلك في نفسه فلذلك فعلت ما فعلت.

[١١٦٩]- وكان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه من ساسة الملوك، وله في ذلك أخبار مشهورة وأفعال مستحسنة، ولما ملك

[١١٦٧] تجارب الامم ٢: ١٤٦.

[١١٦٩] تجارب الامم ٢: ٤٠٤.." (١)

"ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظا، ويشتم أبا صدقة كل شتم حتى ضجر وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشرب وسئمنا من عبثه به، فقلت له: دع هذا عنك، وغن غناءك، فغنى رملا ذكر أنه من صنعته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أني طربت مثله منذ حين وزمان، وهو: [من الخفيف]

فتنتني بفاحم اللون جعد ... وبثغر كأنه نظم در

وبوجه كأنه طلعة البد ... ر وعين في طرفها نفث سحر

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة! [فلم أسكت] من هذه الكلمة حتى قال لي: يا سيدي، إني قد بنيت دارا أنفقت عليها خزينتي، وما أعددت لها فرشا، فافرشها لي نجد الله لك في الجنة ألف قصر. فتغافلت عنه، وعاود الغناء، فتعمدت أن قلت: أحسنت ليعاود مسألتي، وأتغافل عنه؛ فسألني وتغافلت، فقال: يا سيدي، **هذا التغافل متى** حدث لك؟ سألتك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم. فأقبلت عليه وقلت: أنت والله بغيض، اسكت يا بغيض واكفف عن هذه المسألة الملحفة. فوثب من بين يدي، فقلت خرج لحاجة، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفا من أن تبتل،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٥٦/١

ووقف تحت السماء ولا يواريه منها شيء والمطر يأخذه، ورفع رأسه وقال: يا رب، أنت تعلم أني مله ولست نائحا، وعبدك الذي قد رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول لي: أحسنت، ولا يقول لي: أسأت، وأنا منذ جلست أقول له بنيت ولا أقول هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض، فاحكم بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين. فأمرت به فنحي بعد أن غلبني الضحك، واجتهدت أن يغني فامتنع، حتى حلفت له بحياتك أني أفرش له داره وخدعته فلم أسم له ما أفرشها فقال له الرشيد: طيب والله! الآن ثم لنا به [اللهو] وهو ذا، ادعوه، فإذا رآك فسوف يتنجزك الفرش لأنك حلفت له بحياتي، فهو يقتضيك ذاك." (١)

"قيل لسعيد بن المسيب: مات إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: كيف مات؟ قيل سقط قصره، فقال هيهات لا يموت مثله هكذا، فلما أخرج من الهدم وجدوه حيا ما برجله كسر، فقيل لسعيد كيف قلت ما قلت؟ فقال: لأنه واصل للرحم، وواصل الرحم يوقى سيئه السوء.

يقال: إن القرابة تحتاج إلى المودة، والموجة لا تحتاج إلى القرابة، والود أعطف من الرحم. ذكر بعض الحكماء: أن غسل الوجه بالماء البارد عقب الخروج من الحمام يبقي طراوته مع كبر السن، أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عيه السلام:_تدري لم اتخذتك خليلا) . قال الحسن البصري: ما لا، (لأني رأيتك تحب أن تعطي، ولا تحب أن تأخذ وهذه صفتي، فاتخذتك خليلا) . قال الحسن البصري: ما أنصفك من كلفك لحلاله ومنعك ماله؟ [الطويل]

إذا لم تكن نفس الشريف شريفة ... وإن كان ذا قدر فليس له شرف

قال أكثم بن صيفي: السخاء حسن الفظنة، واللؤم سوء التغافل، ومن [٧٥] حسن الفطنة تبليغ التعريض. مت حكى عن بعض الأمراء أن رجلا سايره، فقال له: ما أهزل برذونك، فقال له: أيها الأمير يده مع أيدينا فوصله بصلة سنية، اكتفى بهذه الإشارة، ومن ذلك ما حكى عبيد الله بن سليمان أنه لما تقلد الوزارة للمعتضد، كتب إليه عبد الله بت عبد الله بن طاهر. [الطويل]

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا، فمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن المهم المقدم

فقال الوزير: ما أحسن ما شكا حاله من إضعاف مدحه، وقضى حاجته. قال بعض الحكماء: الضرورة توقح الضرورة يعني العاجز، وفي معناه: [الطويل]

ألا قبح الله الضرورة إنها ... تكلف أعلا الخلق أدنى الخلائق

ولله در الاختيار فإنه ... يبين حد السبق من غير سابق

قال الفضل بن سعيد لرجل سأله حاجة: أعدك اليوم، وأحبوك غدا بالإنجاز، فتذوق حلاوة الأمل، وأتزين بثوب الوفاء.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٧٠/٩

وروى النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال "لكل شيء ثمرة، وثمرة المعروف تعجيل السراح".

وقيل لأنوشروان: ما أعظم المصائب عندكم؟ فقال: أن تقدر على المعروف، فلا تصطنعه، حتى لا يفوت. وقال أبو عبد الحميد: من أضاع الفرصة وعن وقتها فليكن على ثقة من فوتها. روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه ذكر عنده رجل فذكر فيه خير، وقالوا: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم: خرج معنا حاجا فإذا نزلنا منزلا لم يزل يصلي، حتى نرحل، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله سبحانه، حتى ننزل، قال: "فمن كان يكفيه علف ناقته وصنيع طعامه" قالوا: كلنا قال: "فكلكم خير منه".

كتب بعض ذوي الحاجات إلى عامل بلد في رعاية حرمته: [الكامل]

أعلى الصراط تريد تظهر حرمتي ... أن في الحساب تمن بالأنعام

للنفع في الدنيا أريدك فانتبه ... الحي أنجى من رقدة النوام

وكتب أبو علي البصير إلى بعض الوزراء، وقد اعتذر إليه بكثرة الأشغال:

لنا كل توبة قد نتوبها ... وليس لنا رزق، ولا عندنا شغل

فلا تعتذر بالشغل عنا فإنما ... تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

قال بعض البلغاء المقادير الغالية لا تنال بالمغالبة، والأرزاق، لا تنال بالشدة، والمكالبة، فذلك للمقادير نفسك، واعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك، وقد قيل رب حظ أدركه غير طالبه، ودر أحرزه غير جالبه ودر حصله غير طالبه، لبعض الأدباء، وهو محمد بن حازم: [مجزوء الكامل]

يا أسير الطمع الكا ... ذب في أسر الهوان

إن عز الناس خير ... لك من ذلك الأماني

سامح الدهر إذا أعز ... وخذ صفو الزمان

ربما أعدم ذو الحر ... ص وأثرى ذو الثواني

قال بعض الحكماء: في تقلب الأحوال نتعرف جواهر الرجال، الكره يسهل بالمرون، قال في تأويل قوله تعالى: حياة طيبة، قال القناعة. وقال أكثم بن صيفي من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة وقال بعض الشعراء: [الطويل]

إذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى ... فأنت إذن والمقترون سواء

على أن في الأموال يوما تباعة ... على أهلها والمقترون براء

(وقال آخر) : [الطويل]

إذا أسود وجه المرء وأبيض شعره ... تنغص من أيامه مستطابها." (١)

"أعليت في مصر مكاني بعدما ... خفضت به ولقدره لم يؤبه

طلعت نجومكم الثواقب للورى ... زهرا وإني كالسهى عنه سهي

جبرت يد الإفضال منه مكاسرا ... من فضلي المتكسر المتكده

عرف بعرفك منه ما لم يعرفوا ... نبا وعن سنة التغافل نبه

فضلي خلوت لأجله من حظوة ... هي للأريب كنبت مرت أجله

الفضل مشتعل بنار بلائه ... والحظ مشتغل بأخرق أوره

أعر التأمل فقه شعري منعما ... لا يشعر الإنسان ما لم يفقه

وتملها غراء جامعة لكم ... في النعت بين تمدح وتمده

يهتز ذو الحسنى لجلوة حسنها ... وتجل عن تحسين كل مزهره

أفواه أهل الفضل ناطقة لها ... بالفضل إن قيست بشعر الأفوه

وإن العقول لهت لها فلأنها ... محمية عن كل معنى لهله

صهباء تودع سامعيها نشوة ... وتعير عرف المسك للمستنكه

فوليها بتشوق وتشوف ... وحسودها بتشور وتشوه

دم يا بن شاهنشاه ملكا سيدا ... متوشحا بالسؤدد الشاهنشهي

متمليا بهرام شاه ممتعا ... منه بندب سيد شهم شهي

لو شاهد اليميني جبهة يمنكم ... ما ظل مفتخرا بخيل الأجبه

هذه إشارة إلى أنني نظمت هذه القصيدة على وزن قصيدة أوردها لبعض شعراء اليمن في آخر القسم الثالث أولها:

العز في صهوات خيل الأجبه

ولما سمع تاج الدين الكندي القصيدة، عمل على وزنها في مدح عز الدين أيضا:

هل أنت راحم عبرة وتوله ... ومجير صب عند مأمنه دهي

هيهات يرحم قاتل مقتوله ... وسنانه في القلب غير منهنه

من بل من داء الغرام فإنني ... مذ حل بي داء الهوى لم أنقه

إني بليت بحب أغيد ساحر ... بلحاظه رخص البنان برهره

أبغي شفاء تدلهي من دله ... ومتى يرق مدلل لمدله؟

كم آهة لي في هواه وأنة ... لو كان ينفعني عليه تأوهي

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٢٩

ومآرب من وصله لو أنها ... تقضي لكانت عند مبسمه الشهي
يا مفردا بالحسن إنك منته ... فيه كما أنا في الصبابة منته
قد لام فيك معاشر أفأنتهي ... باللوم عن حب الحياة وأنت هي
أبكي لديه فإن أحس بلوعة ... وتشهق أوما بطرف مقهقه
أنا من محاسنه وحالي عنده ... حيران بين تفكه وتفكه
ضدان قد جمعا بلفظ واحد ... لي في هواه بمنعيين موجه
لأجردن من اصطباري عزمة ... ما ربها في محفل بمسفه
أو لست رب فضائل لو حاز أد ... ناها وما أزهى بها غيري زهي
شهدت لها الأعداء واستشفت بها ... عينا حسود بالغباوة أكمه." (١)
"طفقت تزجيه البوارق حفلا ... تروي البلد بوبلها الغيداق
حتى تسربل كل جزع روضة ... محتفة بغديره الرقراق
وإذا الهواء الطلق جر نسيمه ... أذيال أردية عليه رقاق
ضم الغصون على الغصون كما التقى ال ... أحباب بالأحباب غب فراق
فانعم بورد كالخدود ونرجس ... غض الجنى كنواظر الأحداق
حيا به الساقي المدير وربما ... ألهاك عنه بمقلتيه الساقي
رشأ ينير دجى الظلام بغرة ... كالبدر بل كالشمس في الإشراق
كتب الجمال بخطه في خده ... هذي بدائع صنعة الخلاق
الدعص حشو إزاره والغصن طي ... ي وشاحه والبدر في الأطواق
ما بان صبري يوم بان وإنما ... بددته من دمعي المهراق
الكاف وقوله من قصيدة:
ملك أعز بسيفه دين الهدى ... وأذل دين الكفر والإشراك
وأنار في ظلم الحوادث رأيه ... فأراك فعل الشمس في الأحلاك
لم يبق في ظهر البسيطة جامح ... إلا استقاد لسيفه البتاك
ومنها:
يا شاكيا عنت الزمان وجوره ... ألمم به تلمم بمشكي الشاكي
يا أرض لولا حلمه ووقاره ... ما دمت ساكنة بغير حراك
يا شمس لو واجهت غرة وجهه ... لسترت نورك دونها وسناك

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٥٨٨/٢

يا سحب لو شاهدته يوم الندى ... لحصرت جودك عنده ونداك

شتان بين اثنين هذا ضاحك ... أبدا لآمله وهذا باكي

وقوله من قصيدة:

أنى يفوتك مطلب حاولته ... وظباك ضامنة لك الإدراكا

وبراعة تنهل مسكا أذفرا ... من راحة لا تعرف الإمساكا

اللام وقوله يشكر حسن وساطة الممدوح في خلاصه من الحبس:

حييت من طلل برامة محول ... عبثت به أيدي الصبا والشمأل

وغدا بك النوار من درر الندى ... ينآد بين مؤزر ومكلل

وإذا أدار بك الغمام كؤوسه ... شرب النبات على غناء البلبل

دع ذا لهم في فؤادك شاغل ... عن ذكر دار للحبيب ومنزل

طرقت عواد للخطوب عدتك عن ... ذاك الغزال فلات حين تغزل

إني سقيت من الخطوب سلافة ... جعل السقاة مزاجها من حنظل

كأس ثملت بها فملت وإنما ... دحضت بها قدمي من الشرف العلي

فاحلب بضبعي منقذي من هوة ... أصبحت منها في الحضيض الأسفل

وامدد إلي يد المغيث فكم يد ... لك أنقذت من كل خطب معضل

إني دعوتك حين أجحف بي الردى ... فأغث فإني منه تحت الكلكل

فإليك مفزع كل عان خائف ... ولديك فرجة كل باب مقفل

قد طالت الشكوى وأقصر وقتها ... مود بكل تصبر وتجمل

واشتدت البلوى وأنت لرفعها ... فأجب فإني قد دعوتك يا علي

عمر يمر وكربة ما تنقضي ... أبد الزمان وغمة لا تنجلي

وزمان سخط ما له من آخر ... ورجاء عفو ما له من أول

كم **ذا التغافل عن** وليك وحده ... والأمر يجزم دون كل مؤمل

وعلام يهمل أمره ويضيعه ... من ليس للصنع الجميلبمهمل

قم في خلاصي واصطنعني تصطنع ... رطب اللسان مدير با ع المقول

يثني عليك بما صنعت وربما ... كرم الثناء فذم عرف المبذل

وقوله ملغزا بالبكرة من قصيدة:

فما كدرية لم تعل مذ ... طارت ولم تسفل." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٨٦٢

"وحدثنى أحمد بن كامل القاضى قال: هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ابن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة، ومولده فى سنة خمس ومائتين.

والأول أثبت وأصح. وتوفى- رحمه الله- يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. حضرت جنازته عشاء، ودفن فى مقابر باب الكوفة، وصلى عليه البربهارى- رحمه الله.

وكان- رحمه الله- يخضب بالوسمة، وكان من طهارة الأخلاق، وحسن المجالسة والصدق فيما يرويه على حال ما شاهدت عليها أحدا ممن لقيناه. وكان يقول: جلست إلى هذه الأسطوانة «١» منذ خمسين سنة (هى مجلسه بجامع المدينة «٢»). وكان حسن الحفظ للقرآن أول ما يبتدئ به فى مجلسه بمسجد الأنباريين بالغدوات إلى أن يقرئ القرآن على قراءة عاصم، «٣»، ثم الكتب بعدها، وكان فقيها عالما بمذهب داود الأصفهانى، رأسا فيه، سلم له ذلك جميع أصحابه، وكان مسندا «٤» فى الحديث، ثقة صدوقا؛ لا يتعلق عليه بشىء من سائر ما رووه. وكان حسن المجالسة للخلفاء والوزراء، متقن الحفظ للسير وأيام الناس وتواريخ الزمان، ووفاة العلماء، وكانت له مروءة وفتوة وظرف، ولقد هجم علينا يوما فى بستان كان له بالزبيدية «٥» فى سنة عشرين أو إحدى وعشرين وثلاثمائة، فرآنا على حال تبدل، فانقبضت، وذهبت أعتذر إليه، فقال لى: **التغافل عن** النبيذ سخف «٦».." (١)

"محمد بن أحمد بن سهل الواسطي قال: أنشدنا أبو طالب سعد بن محمد الوحيد، قدم علينا واسطا، لنفسه:

بلوت من الدهر ما أقنعا ... وكشفت أحواله أجمعا

زمانك ذا مثل أبنائه ... فلا تحفلن بمن ودعا

اذا واصلوك فصل حبلهم ... وإن قاطعوك فكن مقطعا

ومن ود من لا يجازي الوداد ... مثالا بمثل فقد ضيعا

وكنت اذا صاحب ملني ... ولم أر في وده مطمعا

غسلت بماء القلى شخصه ... وكبرت من فوقه أربعا (٢٧٩- و)

وكان التغافل أكفانه ... وترب التناسي له مضجعا

فإن قالت النفس صل حبله ... أقل إن من مات لن يرجعا

أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل قال: أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن السمرقندي في كتابه قال: أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد ابن بشران- اجازة- قال: أنشدني سعد بن محمد بن علي الوحيد لنفسه:

لو تخليت للزمان للاقى ... مسمعيه مني عتاب طويل

إنما تكثر الملامة للدهر ... لأن الكرام فيه قليل

أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار قال: سعد بن محمد بن علي بن الحسن بن معبد بن مطر بن مالك بن الحارث بن سنان بن خزاعة بن حيي الأزدي، أبو طالب الشاعر المعروف بالوحيد، ذكر أبو غالب بن بشران أنه بغدادي، ورد

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٢١٦/١

واسطا وقال: قرأت عليه شرح المتنبي له، وروى عنه كثيرا من شعره، وروى عنه أيضا القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي وأبو الخطاب الجبلي.

سعد بن مسعود الثقفي الكوفي:

شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكان من أمراء الأساع من أهل الكوفة، على قيس وعبد القيس. (٢٧٩- ظ) .." (١)

"(فكم بالسجن ويحك أنت زاه ... وكم بالضيق الواهي تباهي)

(وتمنح من به يغريك ودا ... وتتهم الزواجر والنواهي)

(ألم تعلم بأنك كل يوم ... به تفجاك أصناف الدواهي)

(تحل قواك جزءا بعد جزء ... وتفنى أنت والدنيا كما هي)

(وتحسبها صديقا وهي أردى ... عدو بين الشحناء داهي)

(همومك فيه لا تنفك تترى ... وعيشك فيه عيش غير زاهي)

(أما يكفيك زجر الشيب زجرا ... وحسب أخي النهي بالشيب ناهي)

(فعد عنه إلى رحب فسيح ... مقامك فيه ليس له تناهي)

(**فحتام التغافل والتعامي** ... وكم هذا الجنوح إلى الملاهي)

(فلا تغتر أن أصبحت فيه ... أخا مال وبت عريض جاه)

(فكم من أيد أضحى فأمسى ... بعيد ثرائه والأيد واهي)

(وكان يقول من سفه بأن لا ... يصاب له شبيه أو مضاهي)

(فتب فجميع ما تأتيه يلفى ... صغيرا عندغفران الإله) الوافر

وأنشدني أيضا لنفسه

(أقول لنفسي حين أبدت تشوقا ... إلى العالم الأعلى رويدك يا نفسي)

(محالا ترومين النجاة وأنت في ... المهالك من جنس الطبيعة والحس)

(ودونك بحر إن تعديت لجه ... أمنت وفزت بالخلاص من الحبس)

(فإن رمت وصلا نحو سنخك فاكشفي ... غطاءك وانضي ما عليك من اللبس)

(ولا تقبلي نحو الكثيف فتحرمي ... مجاورة الأطهار في حضرة القدس)

(ولا تتركي ما يأمر الله ضلة ... فتبقي سجيس الدهر في الشك واللبس)

(ولا تهملي يا نفس ذاتك وأكثري ... التفكر فيها واهجري كل ما ينسي)

(ولا تغفلي عن ذكرك الأول الذي ... به قامت الأفلاك والعرش والكرسي)

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٤٢٧٤/٩

(وصلت على كره إلى الهيكل الذي ... به اعتضت بالذعر الطويل عن الإنس)

(وما كان هذا الوصل إلا لترجعي ... منزهة بالعلم عن وصمة الوكس)

(فعن أمم يقضي أيابك فاعملي ... لأخراك ما ينجيك من ظلمة الرمس)

(فإن تتركي نهج الهدى كنت في غد ... كمن باع رأس المال بالثمن البخس)

(فعودي إلى باريك يا نفس ترتقي ... إليه وإلا دمت في العالم المنسي)

(حليفة هم دائم وكآبة ... مجاورة أهل الدناءة والرجس)." (١)

"انتقلت عني نعمة صارت إليه، ولا غربت عني رتبة طلعت عليه فقال جعفر: لله أخي ما أنفس نفسه، وأبين دلائل الفضل عليه، وأقوى منة العقل فيه، وأوسع في البلاغة ذرعه.

وكان الرشيد قد جعل ولده محمدا في حجر الفضل بن يحيى، والمأمون في حجر جعفر، فاختص كل واحد منهما بمن في حجره، ثم إن (١) الرشيد قلد الفضل بعمل خراسان، فتوجه إليها وأقام بها مدة، فوصل كتاب صاحب البريد بخراسان إلى الرشيد ويحيى جالس بين يديه ومضمون الكتاب أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية، فلما قرأه الرشيد رمى به إلى يحيى، وقال له: يا أبت، اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه بما يردعه عن هذا، فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد: حفظك الله يا بني وأمتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من التشاغل (٢) بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره، فعاود ما هو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به، والسلام وكتب في أسفله هذه الأبيات:

انصب نهارا في طلاب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى إذ الليل أتى مقبلا ... واستترت فيه وجوه العيوب

فكابد اليل بما تشتهي ... فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكا ... يستقبل الليل بأمر عجيب

غطى عليه الليل أستاره ... فبات في لهو وعيش خصيب

ولذة الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو رقيب والرشيد ينظر إلى ما يكتب (٣) ، فلما فرغ قال: أبلغت يا أبت، فلما ورد

---

(١) وكان الرشيد ... ثم إن: ورد في ر م والمختار؛ وجاء في سائر النسخ: وكان الرشيد قد ولاه خراسان وأقام بها مدة ... الخ.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٧٠٨

(٢) ر: التغافل.

(٣) ن: ماكتب، وسقطت من لي.." (١)

"آخر

وإذا تواخاك امرؤ بقبيحه ... فأجبه بالاحسان والاجمال

حكى أن رجلا عاب رجلا عند المأمون فقال له المأمون قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما هي فيه لا بقدر ما فيه منها وقال الشاعر

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذي هو فيه

وما خير من تخفى عليه عيوبه ... ويبدله بالعيب عيب أخيه

وقالت رابعة العدوية الانسان إذا نصح لله في نفسه أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل بها عن خلقه

والعاقل من جعل اغضاءه عن المساوئ ... حصنا إليه من ذم اللئام يأوي

يقال ربما سخط العاقل فيبدي الرضا ويغضي مثل جمر الغضا وقيل لبزرجمهر من أعقل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا لسماع الفحشاء وكان الغالب **عليه التغافل وقال** أبو بكر الصديق رضي الله عنه من امتطى **زمام التغافل ملك** زمام المروأة وقالوا أشرف الكرم تغافلك عما تعلم **ويقال التغافل من** الكرام يمنحهم الاجلال والاكرام أنشد الباخرزي في الدمية لأبي الفضل عبد الله بن محمد الحيري رحمه الله تعالى

يا من يعرض بالخنا متوهما ... جهلي به مهلا فإنك جاهل

كم مرة أغضيت منك على قذى ... لولا النهى لرأيت ما أنا فاعل." (٢)

"وأما حياؤه وإغضاؤه صلى الله عليه وسلم

والحياء: رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله. **والإغضاء: التغافل عما** يكره الإنسان بطبيعته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاء، وقد أخبر الله تعالى بحيائه فقال: «إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم» «١» وعن أبي سعيد الخدرى:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه. وكان صلى الله عليه وسلم لا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: «ما بال أقوام يصنعون- أو يقولون- كذا» ينهى عنه ولا يسمى فاعله. وروى أنس رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة، فلم يقل له شيئا- وكان لا يواجه أحدا بما يكره- فلما خرج قال: «لو قلتم له يغسل هذا» ويروى «ينزعها» .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد، وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام إليه مما

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤/٢٨

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٣٥

يكره، صلى الله عليه وسلم.

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس عشرة، وأكثرهم أدبا، وأبسطهم خلقا مع أصناف الخلق، انتشرت بذلك الأخبار الصحيحة، منها ما رويناه بسند متصل عن قيس بن سعد قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة فى آخرها، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا." (١)

"على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكثر أجرا؟ وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم، وإظهار الإسلام بينهم فلعل الله تعالى أن يهدى بعضهم إلى الإسلام، وأن يجعل من ذريتهم وأولادهم ناسا مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم، أم **يجوز التغافل عنهم** والإهمال؟ وما قدر أجر المجتهد على ذلك والمجاهد فيه، والمرابط له والعازم عليه؟ وليبسطوا القول فى ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى إنه على كل شئ قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فآجاب الشيخ تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى عن هذه الفتيا.

الحمد لله رب العالمين، هؤلاء القوم المسمون بالنصرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع، وموالاة أهل البيت، وهم فى الحقيقة لا يؤمنون بالله، ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهى، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين [١] قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولا بملة من الملل السالفه، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند [علماء] [٢] المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن، من جنس ما ذكره السائل ومن غير هذا الجنس، وأنهم ليس لهم حد محدود مما يدعونه من الإلحاد فى أسماء الله وآياته وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه، ومقصودهم إنكار الإيمان وشرائح الإسلام بكل طريق، مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكره السائل؛ من جنس قولهم: إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم، و «الصيام المفروض» كتم أسرارهم، و «حج البيت العتيق» زيارة شيوخهم وإن [٣] «يدا أبى لهب» هما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وإن النبأ العظيم والإمام المبين على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولهم فى معاداة

---

[١] فى ك «المسلمين» والمثبت من ص، وف، ومجموع الفتاوى.

[٢] إضافة من مجموع الفتاوى ٣٥: ١٤٩.

[٣] «إن يدا أبى لهب» برفع يدى على الحكاية. أى حكاية وما ورد فى القرآن.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥٦/١٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٦٨/٣٢

"إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره فقال له: كان عندى أبو زكار الأعمى وأبو صدقة، وكان أبو زكار كلما غنى صوتا، لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة؛ فإذا انتهى الدور اليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وشمائله، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظا ويشتم أبا صدقة كل الشتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك، إلى أن توسطنا الشرب وسمئنا من عبثه به؛ فقلت له: دع هذا عنك وغن غناءك. فغنى رملا ذكر أنه من صنعته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أنى طربت مثله منذ حين «١» وهو:

فتنتنى بفاحم اللون جعد ... وبثغر كأنه نظم در

وبوجه كأنه طلعة البد ... روعين في طرفها نفث سحر

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة! فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال:

يا سيدى إنى قد بنيت دارا أنفقت عليها جميع مالى وما أعددت لها فرشا فآفرشها لى.

فتغافلت عنه. وعاود الغناء فتعمدت أن «٢» قلت: أحسنت، فسألنى فتغافلت؛ فقال:

يا سيدى، **هذا التغافل متى** حدث لك؟ سألتك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتنى عن كلامى ولو بشتم. فأقبلت عليه وقلت له: أنت والله بغيض، اسكت يا بغيض، واكفف عن هذه المسألة الملحة. فوثب من بين يدى، فقلت: إنه قد خرج لحاجة، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفا من أن تبتل ووقف تحت السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال: يا رب أنت تعلم أنى مله ولست نائحا، وعبدك الذى قد رفعته وأحوجتنى الى خدمته يقول لى: أحسنت لا يقول لى: أسأت، وأنا مذ جلست أقول له: بنيت ولا أقول له: هدمت، فيحلف." (١)

"القلوب أصدق، ودلائل النفوس أوثق. فإن وقفت بك الحال على الارتياب، اعتقدت المودة فى ظاهره، وأخذت بالحزم فى باطنه. وإذا أقنعك الإغضاء عن الاختبار فلا تتخطه، فأكثر الأمور تمشى **على التغافل والإغضاء**. فقد قال أكثم بن صيفى:

من تشدد نفر، ومن تراخى تألف، والسرو [١] فى التغافل. ولقلما جوهر المغضى وقوطع المتغافل، مع انعطاف القلوب عليه، وميل النفوس إليه. وهذا من أسباب السعادة وحسن التوفيق.

شاور فى أمورك من تثق منه بثلاث خصال: صواب الرأى، وخلوص النية، وكتمان السر. فلا عار عليك أن تستشير من هو دونك إذا كان بالشورى خبيرا؛ فإن لكل ذى عقل ذخيرة من الرأى وحظا من الصواب، فتزداد برأى غيرك [وإن كان رأيك [٢]] جزلا، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار وإن كان غزيرا. وقد يفضل المستشير على المشير؛ ويظفر المشير بالرأى، لأنها ضالة يظفر بها من وجدها من فاضل ومفضول. وعول على استشارة من جرب الأمور وخبرها، وتقلب فيها وباشرها، حتى عرف مواردها ومصادرها، فلن يخفى عليه خيرها وشرها، ما لم يوهنه ضعف الهرم.

واعدل عن استشارة من قصد موافقتك متابعة لهواك، أو اعتمد مخالفتك انحرافا عنك، وعول على من توخى الحق لك وعليك. فقد قيل فى قديم الحكم: من التمس الرخص من الإخوان فى الرأى، ومن الأطباء فى المرض، ومن الفقهاء فى الشبه،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٠/٤

أخطأ الرأى، وزاد فى المرض، واحتمل الوزر. ولا تؤاخذ من استشرت بدرك [٣] الرأى

---

[١] فى الأصل «والسرور فى التغافل» وفى «كتاب التاج فى أخلاق الملوك» طبع المطبعة الأميرية ص ٥٧ و ١٠٣: «السر والتغافل» فكلمة «السرور» فى الأصل محرفة عن السرو. والسرو: السخاء فى مروءة.

[٢] التكملة عن قوانين الوزارة.

[٣] الدرك: التبعة.." (١)

"منها في التغافل. قال: فحدثت به أحمد بن حنبل، فقال: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.

وقال أبو سعيد الأشج عن إسحاق بن سليمان: سمعت عثمان بن زائدة، يقول: قال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت قد يأتي بغتة.

وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات" (١) وقال: أصله من الكوفة وانتقل إلى الري، وكان من العباد المتقشفين، وأهل الورع الدقيق والجهد الجهد (٢) .

روى له مسلم حديثا واحدا، وقد وقع لنا بعلو عنه.

أخبرنا به أحمد بن أبي الخير، قال: أنبأنا أبو الحسن الجمال، قال: أخبرنا أبو علي الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا أبان بن مخلد وابن رسته، يعني: محمد بن عبد الله -.

(ح) : وأخبرنا أبو الحسن بن البخاري، قال: أنبأنا أسعد بن أبي طاهر الثقفي، قال: أخبرنا إسماعيل لن الإخشيذ، قال: حدثنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي، قال: حدثنا أبو بشر الدولابي.

---

(١) ٧ / ١٩٥.

(٢) قوله: والجهد الجهيد"في المطبوع من ابن حبان"الجهد الشديد"وذكره العقيلي في "الضعفاء"وقال: حديثه غير محفوظ عن نافع (الورقة ١٤٦) . وقال الذهبي في "الميزان": صدوق، وله حديث خولف فيه (٣ / الترجمة ٥٠٠٧) . وقال ابن حجر في "التقريب": ثقة زاهد.." (٢)

"بل الورى عمهم رزؤه ... وكم فؤاد بعده ذائب

وما ترى في الناس غير امرئ ... وعينه تبكي على الحاجب

أقطوان الأمير علاء الدين الظاهري الساقي.

كان صالحا يقوم الليل، ويجاهد في المحراب وعلى ظهور الخيل، ويلازم صلاة الجماعة، وما لحقوق الله تعالى عنده إضاعة. وكان يحفظ أشياء في الزهد يوردها، ويأتي بها من حفظه ويسردها.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٦/٦

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٣٧٠/١٩

ناب السلطنة بقلعة الجبل في أيام السعيد بن الظاهر لما توجه إلى الشام، ثم إنه نقل إلى الشام، وأقام به إلى أن صرع الساقي، وظفر من عمله بالكنز الباقي.

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة ثمان عشرة وسبع مئة. وكان من أبناء الثمانين أو تجاوزها، ودفن بالقبيبات.

أقوش الأمير جمال الدين الشريفي.

كان والي الولاة بالصفقة القبلية بالشام، تولاها وهي كثيرة الهرج، مباحة الدم والفرج، قد غلب فيها العشير على حكام الدولة، وكادت قراها تحكي أطلال خولة، فأطلق فيها سيفه الماضي، **ورفض التغافل والتغاضي**، إلى أن هذب تلك الناحية، وميز الفرقة الناجية.." (١)

"ومن شعره قوله «١» : [الوافر]

أدر كأس المدام فقد تغنى ... بفرع الأيك أورقها الصدوح

وهب «٢» على الرياض نسيم صبح ... يمر كما ونى «٣» ساد طليح

وسال النهر يشكو من حصاه ... جراحات كما أن الجريح

وقال: [الطويل]

سقى الله دهرا ضم شمل مودة ... وجمع إخوان الصفاء بلا وعد

بميناء تعلوها الرياح بليلة ... وتنظر منها الشمس بالأعين الرمد

وفاته: توفي بغرناطة في حدود الثلاثين وخمسمائة «٤» .

ومن الطارئين

عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة

من أهل شابش، يكنى أبا علي.

حاله: كان فقيها أديبا مكثرا، شهير المكان بجهته، مولعا بمكاتبة الأدباء وتقييد ما يصدر عنهم، مؤرخا من أهل النباهة والعناية. ألف كتابا سماه «نخبة الأعلاق، ونزهة الأحداق في الأدباء» ، وحلى من ذكر فما قصر عن السداد. وله نظم ونثر وخطب، وبيعات ومراجعات تضمنها الكثير من كتبه.

فمن شعره ما قاله يخاطب بعض إخوانه: [البسيط]

خذها إليك أبا إسحاق تذكرة ... من ذاكر لك في قرب وفي شحط

يرعى ذمامك، لا تنسى لوازمه ... ولا يمازجه بالسهو والغلط

ولا يزال بحفظ العهد معتنيا ... ولا يعامل في البحران بالشطط

فأنت عندي أولى من أذمة ر ... بحي ومن صفوتي في أرفع النمط

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١/٥٥٩

قد طال شوقي للإعلام منك بما ... لديك إذ فيه لي تأنيس مغتبط

وقد تبت بنكري في التغافل عن ... معهود ما كنت توليه لذي الشحط." (١)

"كله، مليح الملبس، مترفع عن الكدية، عزيز النفس، قليل الإطراء، حسن الحديث، عذب التجاوز فيه، على سنن من السذاجة والسلامة والرجولة والحمل، صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين. وعلى ذلك فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من رفض الاضطلاع «١» ، وترك السمت، واطراح «٢» التغافل، وولوعه بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه، مرشحا ذلك بالجدل «٣» المبرم، ذاهبا أقصى مذاهب القحة، كثير الفلتات. نالته بسبب هذه البلية محن كثيرة، أفلت منها بجريعة الذقن، ووسم بالوهن «٤» في دينه، مع صحة العقل. وكان الآن عامرا للرباط المنسوب إلى اللجام، على رسوم الشياخة، وعدم التابع، مهجور الفناء.

مشيخته: زعم أنه حج، ولقي جلة، منهم الشيخ أبو الطاهر بن صفوان المالقي، ولقاؤه إياه وصحبته معروف بالأندلس، وغير ذلك مما يدعيه متعدد الأسماء.

تواليفه: قيد «٥» الكثير من الأجزاء، منها في نسبة الذنب إلى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ، وفيما «٦» أشكل من كتاب أبي محمد ابن الشيخ. وصنف كتابا كبير الحجم في الاعتقاد «٧» ، جلب فيه كثيرا من الأقوال والحكايات «٨» ، رأيت عليه بخط شيخنا عبد الله «٩» بن المقري ما يدل على استحسانه. وطلب «١٠» مني الكتب عليه بمثل ذلك، فكتبت له ببعض ورقاته «١١» ، إثارة لضجره، واستدعاء لفكاهة انزعاجه، ما نصه: وقفت من الكتاب المنسوب لأبي «١٢» زكريا البرغواطي، على برسام «١٣» محموم، واختلاط مذموم، وانتساب زنج في روم، وكان حقه أن يتهيب طريقا لم يسلكها، ويتجنب عقيلة «١٤» لم يملكها، إذ المذكور لم يتلق شيئا من علم الأصول، ولا نظر في الإعراب في فصل من الفصول. إنما." (٢)

"من كلامه: " ثلاثة أشياء من صفات الأولياء: الرجوع إلى الله في كل شيء، والفقر إلى الله فى كل شيء، والثقة بالله في كل شئ ".

وقال: " المروءة التغافل عن زلل الأخوان ".

وقيل إنه دخل أصبهان، فصحبه حدث، وكان والده يمنعه من صحبته، فمرض الصبى، فدخل عليه عمرو مع قوال. فنظر الحدث إلى عمرو، وقال: " قل لع يقول شيئا! " فقال:

ما لي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم، ويمرض عبدكم فأعود؟!

فتمطى الحدث على فراشه وقعد، وقال للقوال: " زدنى بحبك لله! "، فقال:

وأشد من مرضى على صدودكم ... وصدود عبدكم على شديد

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٣٦/٤

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٦٩/٤

أقسمت لاعلق الفؤاد بغيركم ... ولكم على بما أقول عهود

فزاد به البر حتى قام، وخرج معهم ".." (١)

"[حرف السين] :

١٣٥- سعيد بن علي بن محمد بن الحسن، أبو طالب الوحيدي الأزدي١.

إمام النحو واللغة، وله شرح على ديوان المتنبي، بين خطأه في عدة مواضع.

خطه في غاية الحسن والصحة، وكان ضيق الرزق.

مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة٢. ومن شعره.

وكنت إذا صاحبي ملني ... ولم أر في وده مطمعا

غسلت بماء القلي شخصه ... وكبرت من فوقه أربعا

وكان التغافل أكفانه ... وترب التناسي له مضجعا

فإن قالت الناس صل حبله ... أقل إن من مات لن يرجعا

١٣٦- سعيد بن أوس بن ثابت بن حرام بن محمود بن رفاعة بن الأحمر بن القيطون، أبو زيد الأنصاري٣.

صاحب كتاب "النوادر". روى القراءات عن أبي عمرو بن العلاء٤.

مات سنة خمس عشرة ومائتين وعمرة أربعة وتسعون عاما٥.

---

١ ترجمته في بغية الوعاة ١/ ٥٨٨، واسمه في "ب": "سعد"، وفي "أ" و "ب". "الوحيد" والتصحيح من بغية الوعاة.

٢ في بغية الوعاة أنه عمر زيادة على ثمانين سنة.

٣ ترجمته في طبقات الزبيدي ص١١٦ وطبقات القراء ١/ ٣٠٥ والفهرست ص٥٤ ومعجم الأدباء ١١/ ٢١٢ وإنباه الرواة ٢/ ٣٠ وبغية الوعاة ١/ ٥٨٢ وطبقات ابن قاضي شهبة ص٢٩٠ والأعلام ٣/ ١٤٤ ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٢٠.

٤ زبان بن العلاء. وقد ترجم له المصنف برقم ١٢٩.

٥ وفاته عند القفطي سنة ٢١٤ أو ٢١٥ بالبصرة، وله ٩٣ سنة. وعند السيوطي ٢١٤ أو ٢١٥ أو ٢١٦ بالبصرة، وله ٩٣ سنة أيضا. وعند ياقوت سنة ٢١٥ في خلافة المأمون وقد جاوز التسعين وعند ابن قاضي شهبة سنة ٢١٥، كذلك عن ٩٣ أو ٩٤ سنة.." (٢)

"بالحجاز) «١» وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر بن كلاب، وبني دارم، وبني ماوية، وبني معبد بن زرارة، وبني تميم؛ وانهزمت فيه بنو تميم ومن معهم، وأسر معبد بن زرارة؛ وقصد أخوه لقيط بن زرارة أن يستفكه فلم يقدر، وعذبوا معبدا حتى مات. ويوم شعب جبلة، وشعب جبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف «٢» . وكان من شأنه أنه لما انقضت

---

(١) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٣٤٤

(٢) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي ص/١٤٣

وقعة رحرحان المتقدمة، ومضى لها سنة، وذاك في العام «٣» الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استنجد لقيط بن زرارة التميمي بني ذبيان لثأر أخيه فأنجدته، وتجمعت بنو تميم غير بني سعد، وخرجت معه بنو أسد، وسار بهم لقيط إلى بني عامر وبني عبس في طلب ثأر أخيه معبد، فأدخلت بنو عامر وبنو عبس أموالهم في شعب جبلة، فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جمائع لقيط وقتلوا لقيطا، وأسروا أخاه حاجب بن زرارة، وانتصرت بنو عامر وبنو عبس نصرا عظيما؛ وقتل أيضا من بني ذبيان وبني تميم ومن بني أسد جماعة مستكثرة؛ وكان هذا اليوم من أعظم أيامهم.
ويوم ذي قار، وهو أقرب الوقائع المشهورة في الجاهلية عهدا، وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقيل عام بدر.
وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فحبسه فهلك في الحبس؛ وكان النعمان قد أودع حلقته (وهي السلاح والدروع) عند هانيء بن مسعود البكري «٤» ، فأرسل أبرويز يطلبها من هانيء، فقال هذه أمانة، والحر لا يسلم أمانته؛ وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي، فاستشار أبرويز إياسا، فقال إياس: **المصلحة التغافل عن** هانيء بن مسعود حتى يطمئن ونتبعه." (١)

"المجازاة. والشكر من أكبر أبواب الأمانة، وأبعده من أسباب الخيانة؛ ولن يبلغ أحد في ذلك غاية المجد إلا بمعونة الطمع، وإلا الحرب سجال بينهما، والظفر مقسوم عليهما. كذلك حكم الأشياء إذا تساوت في القوة، وتقاربت في بلوغ المدة. وقد زعم ناس أن الشاكر والمنعم لا يستويان، كما أن الباديء بالظلم والمنتصر لا يعتدلان، لأن الباديء أخذ ما ليس له، والمنتصر لم يتجاوز حقه الذي هو له، ولأن الباديء لم يكن مهيجا على الظلم بعلة جناها المنتصر، والمنتصر مهيج على المكافأة بعلة جناها الباديء، والمثور للطباع المغضب، والمستخف المهيج أعذر من الساكن الوادع المطمئن.
فلذلك قالوا: إن الباديء أظلم، والمنتصر أعذر. وزعموا أن المنعم هو الذي أودع صدر الشاكر المحبة بإنعامه عليه، وهيجه بذلك على مكافأته لإحسانه إليه، فقد صار المنعم شريك الشاكر في إحسانه، وتفرد بفضل إنعامه دون مشاركة غيره؛ والمنعم هو الذي دفع للشاكر أداة الشكر، وأعاره آلة الوفاء، فهو من ههنا أحق بالتقديم، وأولى بالتفضيل.
هذا، وقد قال بعض الحكماء والأدباء والعلماء: من تمام كرم **المنعم التغافل عن** حجته، والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته، لأن المحاجة مغالبة، ولا تتم مودة إلا مع المسامحة. ولذلك قال الربعي لناس من العرب يختصمون:
هل لكم في الحق أو خير منه؟ قالوا: قد عرفنا الحق، فما الذي هو خير منه؟
قال: التغافل فإن الحق مر. ألا ترى إلى بنت هرم بن سنان لما قالت لابنة زهير بن أبي سلمى في بعض المناحات، أو في بعض المزاورات: إنه ليعجبني ما أرى من حسن شارتكم، ونقاء نفحتكم. قالت ابنة زهير: أما والله لئن قلت ما قلت، فما ذلك إلا من فضول ما وهبتم، ومن بقايا ما أنعمتم. قالت بنت هرم: لا بل لكم الفضل، وعلينا الشكر؛ أعطيناكم ما يفنى،

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١/٤٤٨

وأعطيتمونا ما يبقى. وقيل لعبد الله بن جعفر حين أجزل لنصيب الشاعر في الهبة، وكثر له في العطية: أتنيل هذا العبد الأسود كل هذا النيل، وتحبوه بمثل هذا الحباء؟ فقال عبد الله بن جعفر: أما والله لئن كان أسود الجلد إنه." (١)

"وأما ما ذكرته من افتتاحك الجزيرة المعروفة بجربة «١» لما شرحته من عدوان أهلها، وعدولهم عن طرق الخيرات وسبلها، واجترائهم في الطغيان على أسباب لا **يجوز التغافل عن** مثلها، واستعمالهم الظلم تمردا، وتماديهم في الغي تباهيا في الباطل وغلوا، يأسا من الجزاء لما استبطأوه، فإن من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمة عنه نائية، وخليق أن يأخذه الله من مأمنه أخذة رابية، كما أنه من كان من أهل السلامة، وسالكا سبيل الاستقامة؛ ومقبلا على صلاح شانه، وغير متعد للواجب في سره وإعلانه؛ تعين أن نوفر من الرعاية سهمه، ونجزل من العناية نصيبه وقسمه، ويؤمن مما يقلقه ويزعجه، ويقصد بما يسره ويبهجه، ويصان عن أن يناله مكروه، ويحمى من أذى يلم به ويعروه.

وأما شكرك لوزيرك الأمير تأييد الدولة وعضدها عز الملك وفخره نظام الرياسة، أمير الأمراء، فإن من تهذب بتهذيبك، وتخلق بأخلاقك وتأدب بتأديبك، لا ينكر منه إصابة المرامي، ولا يستغرب عنده نجح المساعي.

وواجب عليه أن لا يجعل قلبه إلا مثوى للنصائح، وأن لا يزال عمره بين غاد في المخالصة ورائح.

وأما المركب العروس ووصول كتاب وكيله ذاكرا ما اعتمده مقدم أسطولك من صونه وحمايته، وحفظه ورعايته، وإعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه جار في الديوان الخاص الحافظي، ففعل يجمل عنك صدره، ويليق بك أن ينسب إليك ذكره وخبره، ويدل على علم أصحابك برأيك وإحكام معاقدة المودة، ويعرب عن إيثارك إبرازها كلما تقادم عهدها في ملابس بهجة مستجدة، وهذا الفعل من خلائقك الرضية غير مستبدع، وقد ذخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مقر وأكرم مستودع. لا جرم «٢» أن أوامره خرجت إلى مقدمي." (٢)

"وغيرهما من أهله، فدلوه بالغرور، وحملوه على ما قضى بالاستيحاش منه والنفور، وقووا عزمه فيما يؤدي إلى اضطراب الأحوال واختلال الأمور، فامتعض العساكر المنصورة مما أساء به سياستهم، وأبوا الصبر على ما غير به رسمهم وعادتهم. فلما رأى أمير المؤمنين ذلك استعظم الحال فيه، وتيقن **أن التغافل عنه** يقتضي بما يعسر استدراكه وتلافيه، فكاتب وليه وصفيه الذي ربي في حجر الخلافة، وسما به استحقاقه إلى أعلى درج الإنافة، وحصلت له الرياسة باكتسابه وانتسابه، وغدا النظر في أمور المملكة لا يصلح لغيره ولا يليق إلا به، السيد الأجل الأفضل، وهو يومئذ والي الأعمال الغربية. وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعره بهذا الأمر الصعب، وتستكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب، فأجاب دعاءه، ولبى نداءه، وقام قيام مثله ممن أجزل الله حظه من الإيمان، وجعله جل وعز حسنة هذا الزمان، واختصه بعناية قوية، وأمده بمواد علوية، وأيده بإعانة سماوية، تخرج عن الاستطاعة البشرية. فجمع الناس وقام خطيبا فيهم، وباعثا لهم على ما يزلفهم عند الله ويحظيهم؛ وموضحا لهم ما يخشى على الدولة من الأمر المنكر، فاجتمعوا إليه كاجتماعهم يوم المحشر، وغصت النجود والأغوار، وامتلأت السهول والأوعار، وضاقت الأرض على سعتها بالخلائق، وارتفعت في توجههم لطلب المذكور الأعذار

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤/١٩٧

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٦/٤٤٨

والعوائق. ولم يبق فضاء إلا وهو بهم شرق «١» ، ولا أحد إلا وهو منزعج بقصده وعلى تأخر ذلك قلق. وكان بهرام وأصحابه بالإضافة إليهم كالشامة في اللون البسيط، وكالقطرة في البحر المحيط، وساروا مع السيد الأجل الأفضل نحوه مسارعين، وعلى الانقضاض عليهم متهافتين. فلما شعر بذلك لم يبق له قرار، ولاذ بالهرب والفرار، يهجر المناهل، ويطوي المراحل، ويرى الشرود غنما، ويعد السلامة حلما. واستقرت وزارة أمير المؤمنين لهذا السيد الأجل الأفضل الذي لم تزل فيه راغبة، وله خاطبة، ونحو توليه إياها متطلعة، وإلى نظره فيها مبادرة متسرعة،." (١)

"الواحد منهم بكونه في عبوديته قد ملك رقه وتطبع هو الحشمة فتكلف وتنطع في ألفاظه التي ليس بها يعرف وأغلط حتى في تخيله وحدسه وصار إلى رياسة وضخامة وغفلة عما يلاقيه أمامه ونفوذ كلمته وشدة شكيمته وهابته الأمراء والقضاة فضلا عن المباشرين والنظار وهادته الرؤساء من سائر الأقطار والسلطان فيما يعيده ويبديه يزيد في إرخاء العنان له والتصريح بشكر أياديه والدعاء الذي يجهر به بحضرة عدوه فكيف عند من يواليه لقيامه بما لم ينهض به غيره من جلب الأموال والتحف ولباسه لأجله من المظالم ما ارتدي به والتحف مع اشتغال هذا بالدندنة بالجمالي ناظر الخاص واشتغال قلب المشار إليه بما يشافهه به من الذم والانتقاض وهو مظهر التغافل عن أمره مبطن تدبير رأيه في طمس أثره وخفض قدره إلى أن اتفق مجيء البلاطنسي في محنة الشاميين بأحد أعوان صاحب الترجمة أبي الفتح الطيبي وما به كل منهم يقاسي فصعد إلى السلطان في أواخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وأعلمه بمزيد الضرر من الطيبي على المسلمين فبادر بعد الإصغاء للمقال بعزله وكان هذا ابتداء إهانة صاحب الترجمة وذله فانه بعد بيسير وثب طائفة من المماليك فضربوه وهجموا بيته وأخذوا ما به من جليل وحقير وأعانتهم العامة حتى أحرق بابه وعظم صراخ كل من أعوانه وانتحابه ولم يلبث أن جاء إليه نقيب الجيش فأخذه ماشيا ابعد ذلك التيه والطيش وذهب به لقاضي الشافعية المناوي وانطلقت الألسن بما اشتمل عليه من القبائح والمساوئ ورام السلطان بذلك تسكين الفتنة ويأبى الله إلا صرف تلك المحنة فاستميل السلطان حتى رسم بنقله لباب المالكي لتحتم قتله فما وافق القاضي على ذلك بل أمر بسجنه في الديلم لتتضح له في قتله المسالك فأخذوه على حمار وفي عنقه جنزير وأودعوه فيه بعد إهانة من العامة وذل)

كبير فأقام به إلى أن أمر السلطان بعوده للمناوي لكونه أقرب للغرض الذي مضمره وله ناوي فحينئذ بادر إلى الحكم باسلامة وحقن دمه وتعزيره ورفع ألمه ومع ذلك كله فكف الله السلطان عن عوده لمنزله وأهله وأمر باخراجه من القاهرة منفيا إلى طرطوس فأخرج ليلا خوفا من اغتياله الذي به ترتاح النفوس ثم صار يؤمر في كل قليل بضربه مع التبريح به والتنكيل بل ينقل أيضا من مكان إلى مكان قصدا لتوالي الذل بذلك والامتهان ولله در القائل:

(يا من علا علوه ... أعجوبة بين البشر)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٦/٤٥٠

(غلط الزمان برفع قد ... رك ثم حطك واعتذر)

ثم بعد بيسير لم يشعر الناس إلا وقد أشيع أنه ببيت أمير المؤمنين ليطلع معه." (١)

"علي رضي الله عنه: الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك. يوسف النمري: أتى جبريل آدم عليهما السلام بثلاث خصال: الحياء والدين والعقل، فقال: اختر واحدة منها، فاختار العقل، فقال الحياء والدين: أمرنا أن لا نفارق العقل حيث كان. أبو بكر رضي الله عنه: أفضل الناس عند الله من عز به الحق، وانتشر عنه الصدق، ورتق برأيه الفتق. يقال: إذا غلب العقل الهوى صرف المساوي إلى المحاسن فجعل البلادة حلما، والحدة ذكاء، والمكر فطنة، والهذر بلاغة، والعي صمتا، والعقوبة أدبا، والجبن حذرا، والإسراف جودا. قيل: هجين عاقل خير من هجان «١» جاهل.

ابن المقفع: ما رأيت حكيما إلا وتغافله أكثر من فطنته. قيل لبزرجمهر:

من أكمل الناس؟ قال: من لم يجعل سمعه غرضا للفحشاء، وكان الأغلب عليه التغافل. بعض الحكماء: التواضع أمان من التقاطع، والتملق أمان من التفرق، والتغافل عن بعض الأمور تعاقل، والتناعس في بعضها تكايس «٢» . في المثل:

تغافل كأنك واسطي «٣» . ملك: إذا شاورت العاقل كان عقله لك. فيلسوف:

لا رأي لمن تفرد برأيه. المأمون: إذا أنكرت من عقلك شيئا فاقدحه بعاقل.

قيل: الرأي مرآة العقل، فمن أردت أن ترى صورة عقله فاستشره. إذا عطلت الروية بطلت القضية. يقال: أنجح الآراء ما كثر امتحانه وأطيل تأمله. قيل:

كل رأي لم تتمخض به الفكرة ليلة كاملة كان مولودا بغير تمام. قيل: أفضل الرأي ما أجادت الفكرة نقده، وأحكمت الروية عقده.." (٢)

"٥ – إلا آثاره ولا يسمع الواعي إلا أخباره فذكر الملزوم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره لما **في التغافل عن** ذكره والأعراض عنه من الإيذان بأن فضائله يكفي فيها أن يكون ذو بصر وسمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضل

ومثله قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي

(فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ... نطقت ولكن الرماح أجرت) // الطويل //

يريد أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهي أنها أجرته أي شقت لسانه

ومثله قول طفيل الغنوي

(جزى الله خيرا جيرة حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت)

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٦٤/٧

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأَماسي ص/١٠٤

(أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذي يلقون منا لملت)

(هم خلطونا بالنفوس وألجأوا ... الى حجرات أدفأت وأظلت) // الطويل //." (١)

"واتفق في أوائل سلطنة السلطان محمد خان، عليه الرحمة والرضوان، مجيء رجل من بلاد العرب، واسع الاطلاع في العلوم العربية، واجتمع بعلماء الديار الرومية عند السلطان المذكور، وسألهم عن بعض المسائل المتعلقة بالعلوم العربية، فعجزوا عن جوابها، وانقطع الجميع، فحصل للسلطان بسبب ذلك غضب زائد، ورأى عارا على نفسه أن تكون بلده خالية من عالم يقوم بالجواب عما يرد من مثل هذه المسائل المشكلة، فذكره عند المولى خضر بيك، فأحضره من تلك الناحية، فحضر إليه، وكان إذ ذاك يلبس لباس الجند، وكان سنه يومئذ نحو ثلاثين سنة، فازداد الرجل المذكور لصغر سنه، ولكونه بغير زي أهل العلم، وسأله عن بعض المسائل الدقيقة، فأجاب عنها بأحسن الأجوبة.

ثم إن المولى المذكور سأل الرجل عن مسائل شتى، في فنون عديدة فلم يجب عنها، وانقطع، فسر السلطان محمد به، وحصل له فرخ زائد، ووجه له تدريس مدرسة جده السلطان محمد خان بمدينة بروسة، وعين له كل يوم خمسين درهما عثمانيا، ثم صار مدرسا بإحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة أدرنة.

ثم لما فتح السلطان محمد مدينة قسطنطينية جعله قاضيا بها، وهو أول من وليها من القضاة، وتوفي وهو قاض بها، في سنة ثلاث وستين وثمانمائة.

وكان، رحمه الله تعالى، من فضلاء دهره وأماثل عصره، أخذ عنه جماعة كثيرة، منهم: المولى القسطلاني، والمولى مصلح الدين الشهير بخواجه زاده، والمولى شمس الدين الخيالي، وغيرهم.

كذل لخضت هذه الترجمة من " الشقائق النعمانية ".

وفي " الضوء اللامع " للسخاوي، ما نصه: خضر بيك بن القاضي جلال الدين بن صدر الدين بن حاجي إبراهيم، العلامة خير الدين الرومي الحنفي، أحد علماء الروم ومدرسيهم وأعيانهم.

ولد في مستهل شهر ربيع الأول، سنة عشر وثمانمائة، ونشأ بمدينة بروسة، فتفقه بالبرهان حيدر الخافي، والفناري، وقرأ يعقوب القرماني، وغيرهم.

وبرع في النحو والصرف، والمعاني والبيان، وغيرها.

وصنف وجمع، وأفاد ودرس، ومن تصنيفه: " حواش " على " حاشية الكشاف " للتفتازاني، و " أرجوزة في العروض "، و " أخرى في العقائد ".

وولى تدريس الجامع الكبير بأدرنة، ومدرسة السلطان مراد.

وقدم مكة، في سنة تسع وخمسين، فلقيه ابن عزم المغربي، وأفادنيه. وقال: إنه مات في سنة ستين. انتهى ما في " الضوء اللامع ".

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٢٣٣/١

والظاهر أن خضر بيك هذا هو الذي ذكره صاحب " الشقائق "، وأن الترجمتين لشخص، والتفاوت في تاريخ الوفاة بين الكتابين يسير، والله تعالى أعلم.

٨٢٣ - خضر بن شماف - بتخفيف الميم -

النوروزي القاهري

ولد في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، بالقاهرة، ونشأ بها في كنف أبويه، فحفظ القرآن وغيره، واشتغل على تنم الفقيه، ولازمه في الفقه والنحو والصرف وغيرها، وقرأ على ملا شيخ، حين كان بالقاهرة في " شرح الإرشاد " في النحو، وفي " شرح الدرر "كلاهما من تأليفه، وقرأ على العز عبد السلام البغدادي " شرح المنار " في الأصول للأقصرابي، وحضر عند ابن الهمام، وسيف الدين، وقرأ على الشهاب ابن العطار في " البخاري " وغيره، وسمع على ابن حجر بجامع عمرو.
وحج، وزار بيت المقدس، وصار خازن الكتب بالصرغتمشية.
وعرف بلطف العشرة والكياسة، مع التفنن في الفضيلة.
وانجمع في آخر عمره من الناس بخزانة الكتب المذكورة، وأعرض عن أمور الدنيا، إلى أن مات. رحمه اله تعالى.

٨٢٤ - خضر بن عمر بن علي بن عيسى الرومي الصالحي
صلاح الدين، المعروف بابن السيوفي
كان فاضلا، خيرا، دينا، حسن الشكل، وكان شيخ زاوية جده بسفح قاسيون.
وتوفي سنة ست وسبعين وسبعمائة.
وجمع كتابا في الأحكام.
ذكره ابن طولون، في " الغرف العلية "، وذكر من روايته أن الأوزاعي، قال: السلامة عشرة أجزاء، منها تسعة في التغافل.
وأن أحمد ابن حنبل لما سمع ذلك قال: يرحم الله الأوزاعي، عشرتها في التغافل.

٨٢٥ - خضر بن يوسف الرومي
الشهير والده بالمعمار ستان.

ذكره الحافظ السيوطي في " الفلك المشحون "، فقال: في يوم الثلاثاء تاسع عشري صفر، سنة إحدى وتسعمائة، وورد علينا من إصطنبول الإمام العالم العلامة خضر بن يوسف، الشهير والده بالمعمار ستان، وذكر أن له عن إصطنبول نحو خمسة أشهر، وأنه قدم علينا لأجل الحج، وأثنى على بلاده وملكهم خيرا كثيرا.." [١]

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٦٩

"فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من رفض الاصطلاح، واطراح التغافل، مولع بالنقد، والمخالفة في كل ما يطرق سمعه، مرشحا ذلك بالجدل المبرم، ذاهبا أقصى مذاهب القحة، كثير الفلتات، نالته بسبب هذه البلية محن، ووسم بالرهق في دينه مع صحة العقل، وهوالآن عامر الرباط المنسوب إلى اللجام على رسم الشياخة، عديم التابع، مهجور الفناء، قيد الكثير من الأجزاء منها في نسبة الذنب إلى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ، ومنها فيما أشكل من كتاب أبي محمد ابن الشيخ، وصنف كتابا كبير الحجم في الاعتقادات جلب فيه كثيرا من الحكايات، رأيت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المقري ما يدل على استحسانه. ومن البرسام الذي يجري على لسانه، بين الجد والقحة والجهالة والمجانة، قوله لبعض خدام باب السلطان وقد ضويق في شيء أضجره منقولا من خطه – بعد رد كثير منه للإعراب – ما نصه: الله نور السموات من غير نار ولا غيرها، والسلطان ظل له وسراجه في الأرض، ولكل منهما فراش مما يليق به ويتهافت عليه، فهوتعالى محرق فراشه بذاته، مغرقهم بصفاته وسراجه، وظله هوالسلطان محرق فراشه بناره، مغرقهم بزيته ونواله، ففراش الله تعالى ينقسم إلى حافين ومسبحين ومستغفرين وأمناء وشاخصين، وفراش السلطان ينقسمون إلى أقسام لا يشذ أحدهم عنها، وهم وزعة ابن وزغة، وكلب ابن كلب، وكلب مطلقا، وعار ابن عار، وملعون ابن ملعون، وقط، فأما الوزغة فهوالمغرق في زيت نواله المشغول بذلك عما يليق بصاحب النعمة من النصح وبذل الجهد، والكلب ابن الكلب هوالكيس المتحرز في تهافته من إحراق وإغراق يعطي بعض الحق ويأخذ بعضه، وأما الكلب مطلقا فهوالمواجه وهوالمشرد للسفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة، وأما العار ابن العار فهوالمتعاطي في تهافته ما فوق الطوق، ولهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة إذا مر بهم جلف أومتعاظم يقولون: هذا العار ابن العار، يحسب نفسه رئيسا، وذلك لقرب المناسبة؛ فهوموضوع لبعض الرياسة، كما ا، الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة، وأما الملعون." (١)

"وأقسم أني صممت عن التغافل عن الجواب، وهو الأولى بالصواب، إذ ليس بلبيب من يقيس الشبر بالباع، والجبان بالشجاع، وكيف لا، وكل من تكلف فوق طاقته، افتضح لساعته، ولكن عدم الامتثال محذور، والملجأ إلى ما لا يطاق معذور.

فتكلفت لما يعرض عليك من المسمطات، سوى القصيدة المشار إليها بذكر بعضها، فإنها متقدمة على ورود مشرفتكم.

فمثلك من سد الخلل، وتجاوز عن الزلل.

والله يبقيك، ومن كل سوء يقيك، والسلام.

قوله في القصيدة:) حل المحلة (الخ، كقول ابن الخازن:

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ... ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

ولأبي تمام:

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

وللأمير أبي فراس الحمداني:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩٣/٦

يا هل لصب بك قد زدته ... على بلايا أسره أسرا

قد عدم الدنيا ولذاتها ... لكنه ما عدم الصبرا

فهو أسير الجسم في بلدة ... وهو أسير القلب في أخرى." (١)

"ويكون الفقر نقمة طبق الاستحقاق المسطور، أو نعمة لتنزيه النفوس الشريفة عن متاع الغرور.

ويشارك الغنى في الابتلاء والاختبار، والمصلحة التي يعلمها الحكيم المختار.

فحق المحبو بالغنى أن لا يألو جهدا، في أن يوالي شكرا وحمدا.

وأن يتوصل به لاكتساب الأخرى، ويتصرف فيه بما هو الأولى والأحرى.

ويتخرج من عهدة النوافل والحقوق، ويتحرج عن **وصمة التغافل والعقوق**.

ويستعيذ بالله من إملائه وفتنته، ويحذر أن تغلب الغفلة على فطنته.

وإياه ثم إياه، أن يشغله عن مولاه.

وتحت هذا الإجمال تفصيل طويل، الويل لمن أضرب عنه والعويل.

وحق الممنو بالفقر أن يأخذ بالرضا والتسليم، ويقابل حكم الحكيم بقلب سليم.

ويكشره على آلائه، حيث اختصه بشعار أنبيائه وأوليائه.

وينيب إلى باريه بالتوبة، ويستعيذ به من شؤم الإثم والحوبة.

ويعتاض بعز القناعة والكفاف، ويرتاض على الزهد والعفاف.

ويعتصم بحبل التقى، ويحذر من التخلص بالشفا من الشقا.

ولا ييأس من روح الفرج، وإن عز في الضيق المخرج.

ولا يدع التلطف في الحيلة، لتكلف المظاهر الجميلة.

فهذه السنن المتبعة، مقنعة في الخرج من عهدة المواقع الأربعة.

إذا علم هذا وتقرر، وثبت لديكما وتحرر، فاعلما أن كل واحد منكما جاور من هذه صفاته، وحاور من لا تصدع بالجهل صفاته.

فهو في معرك المفاخرة فارس الصفين، والحائز للقسم المحمود من الوصفين.

وإلا فهو المتسم بالوصف الأخير، الحري وإن قدم بالتأخير.

ثم إن أبيتما، إلا التمييز في الصفات بينكما، فأنت أيها الغني كالسيف الصقيل، يضيء حده في أعناق المعتدين والمهتدين، والجواد الأصيل يصلح حده لقطع السبل ولإعزاز الدين.

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٣٤٧

فلك الفخر الذي يزاحم الكواكب بالمناكب، لكن بعد النظر إلى الضارب والراكب.
وأنت أيها الفقر كالبحر الأجاج، يجري فيه الفلك مواخر، ويستخرج منه الدر الفاخر.
والقفر العجاج، ينجو سالكه من طلب أعدائه، ويرجو عند انتهاء السير لقاء أودائه.
فأنت الحائز للمفاخر، لكن باعتبار العواقب والأواخر.
ثم إني أقول ولا أخشى ملامة، إن الفقر أدل على منهج الاستقامة، وأقرب إلى ساحل السلامة.
وإن كان الغنى إذا كشف عن صاحبه الرين، ووفق على عزة التوفيق لأحمد الاختيارين، فهو الظافر بسعادة الدارين.
وبهذا التأصيل الوثيق، والتفصيل المطابق للتحقيق، يرتفع التناقض بين ما أوردتماه من الحجج، وقلتماه عند الخوض في تلك اللجج.
فتأملاه بعين البصيرة، وتناولاه بيد غير قصيرة.
وعلى كل حال فأنا الممتحن المبتلى بكما، والمرآة المجلى فيها شكلكما.
ولم يكفكما تكليفي المشاق منفردين، حتى جئتماني مجتمعين، وحملتماني ما لو عرض على الجبال لأبين.
وأنا أسأل الله تعالى أن يمنح حكمي القبول، ويوفق بينكما بالإصلاح وهيهات أن تتفق الدبور والقبول.
قال راوي الحديث: فلما سمع الغنى والفقر ما جلاه العقل من الدلائل، وعلما أنه لم يبق مقالا لقائل، ولا مصالا لصائل، قاما حامدين للحكومة راضيين، وانطلقا لشأنهما كالسيفين الماضيين.
وتفرق أرباب المجلس وكل يقول: هذا هو الحكم العدل، والمنطق الفصل، ولواهب العقل جزيل الحمد والمنة والفضل.
محمد بن أحمد حكيم الملك بضم الميم وسكون اللام جواد لا يشق غباره، وكامل خلص من الزيف عياره.
سرح في فنون العلم وسام، واجتلى وجوه خطاياه وهي نضرة وسام.
وهو من بيت رياسة وجلالة، وقوم لم يرثوا المجد عن كلالة.
وكان لسلفه عند ملوك الهند آل تيمور، محل بندى أكفهم معمور، ومنزل بفائض عوارفهم مغمور.
ولما ورد جده مكة المشرفة، قصد آل الحسن السادة، فأحلوه المحل الذي ينبيه أعين الحسادة.
وولد صاحب الترجمة بمكة، فنشأ في بيت مجد علا قدره، ورضع من ضرع ذلك المحتد فلله دره.
فجمع بين تليد المجد وطريفه، وقال من ظل الرعاية في فسيحه ووريفه.
قال ابن معصوم: ولم يزل متبعا تلك الدار، محمود الإيراد والإصدار.
مع تمسكه من سلطانها الشريف محسن بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، وحلوله لديه بالمكانة التي ما حلها ابن دؤاد عند المعتصم.
حتى حصل عليه من الشريف أحمد بن عبد المطلب ما حصل، لما انحل عقد ولاية الشريف محسن منها وانفصل.
فكان ممن نهب الشريف داره وماله، وقطع من الأمان أمانيه وآماله.." (١)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢/٩١

"فأدوأ الداء كما قد رووا ... خلق دني ولسان بذي

وله:

بقية عمر حر مد فيها ... يتم بها المسرة والفخار

ألست ترى الربيع يروق مرأى ... وتأتي في الخريف له الثمار

وله:

روضة جادها الحيا بلآل ... قلدته جواهر الأزهار

ضاحكات أطفال أنهارها إذ ... إذ وعدتها نسائم الأسحار

قال: وقلت لما سمعت قول أبي بكر رضي الله عنه: من **امتطى التغافل ملك** زمام المروءة:

تغافل إذا رمت ود الورى ... يدوم فتصبح للعز جارا

زمام المروءة في كف من ... تغافله يمتطي حيث سارا

وله:

ولى الشباب حميدا حين ورثني ... مجدا وشعرا يحاكي زاهي الحبر

إن جاد طبعي بشعر راق رائقه ... لا تنكروا رقة في نسمة السحر

وله:

أوصاف مولانا سقت ... ظمآن سمعي كوثرا

كجنة معشوقة ... للناس قبل أن ترى

وله:

لي سيد متواضع لغلامه ... وعلى سواه مسرف في كبره

ينقاد للغلمان في خلواته ... مثل السفين زمامه في دبره

وله:

وسارق يسرق شعر الورى ... ويتبع المنظوم بالنثر

ما اقتبس الآيات إلا لما ... يألفه من سرقة الشعر

وله:

قالوا لشاعرك الذي ... أهدى مديحا حط قدرك

جدد وضوءك بعد ذا ... إن كان هذا الشعر شعرك

وله:

كل الأمور لم تزل ... تكبر من بعد صغر

إلا مصائب الورى ... تصغر من بعد كبر

وله:

ومباحث في العلم من نفر ... لا يدركون مباحث النظر

أعرضت عنه كأنه علم ... وتركته بمباحث البقر

العرب تقول: تركته بمباحث البقر، إذا لم يعرف مكانه، وتقول: تركته بملاحس البقر، إذا ترك بمكان لا أنيس به، وملاحس البقر: المواضع التي تلحس فيها بقر الوحش أولادها.

وله:

في دولة وصل منيتي والهجر ... قد حق لذا وحق ربي شكري

في الوصل حلت حياة نفس وصفت ... والهجر به يطيل ربي عمري

ولي أنا من هذا:

رمضان جاء فمرحبا بقدومه ... شهر بلغتق بفضله المأمولا

وأجل منته علي بأن أرى ... عمري النفيس يزيد فيه طولا

وله:

إن يكن أخلق الشباب ورثت ... جدتي والنشاط في كل أمر

كم لبست الشباب غضا جديدا ... ساحب الذيل في مواسم عمري

وله:

معلومي المعلوم يا سيدي ... يحفظه الديوان والدفتر

كأنه همزة وصل به ... يرسم في الخط ولا يذكر

وله:

قد كنت في كنف الخمول منعما ... والآن أتعبني العنأ لما حضر

كالحرف فر من التقاء الساكني ... ن لعسر نطق في التلفظ فانكسر

وله:

أصبحت من يبصرني طرفه ... بكل ما أملكه يدري

كسلحفاة من مياه بدت ... بيتي وما أحوي على ظهري

وله:

رأيتك تعطينا الهبات كتارك ... لدى أهله مستودعات الذخائر

ودائع في حرز من الدهر سالم ... وما ضاع جود مودع عند شاكر

وله:

يقولون إن المد في أثر الجزر ... لنور بدر العصر في ساحل البحر." (١)

"الحرب والشجاعة. وكان من خبره أنه وصل إلى جزيرة قبرص ولم ير أن يتجاوزها الأوان تكون له وفي حكمه. فاستولى عليها ثم زحف إلى الشام (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

حصار عكا والصلح (١١٩١ م) زحفة الفرنج الرابعة (١١٩٦ م)

فاتفق الفرنج جميعا على الرحيل إلى عكا ومحاصرتها فنزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر إلى البحر فليس للمسلمين إليها طريق. فنزل صلاح الدين قبالتهم وبعث إلى الأطراف يستنفر الناس. فجاءت عساكر الموصل وديا بكر وسائر الجزيرة وبقي المسلمون يغادرون القتال ويراوحونه أشهرا. فتتابعت أمداد الفرنج من وراء البحر لإخوانهم المحاصرين لعكا حتى جهد المسلمين بعكا الحصار وضعفت نفوس أهل البلد ووهنوا. فبعثوا إلى الفرنج في تسليمها على أن تصالحهم على الأمان فيعطوهم مائتي ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب الصلبوت فأجابوا إلى ذلك. فدخل الفرنج عكا واستراحوا مما كانوا فيه. ثم تخلف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون إليهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موقفهم. فوضع الفرنج السيف في المسلمين وقتلوا الأسرى. فلما رأى صلاح الدين ذلك رحل إلى ناحية عسقلان وأخربها. ثم هم بترميم ما ثلم من أسوار القدس وسد فروجه وأمر بحفر خندق خارج الفصيل. فنقلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الجين يركب إلى الأماكن البعيدة وينقلها على منكبيه فيقتدي به العسكر. ثم سار ملك اللانكطار في ساقة الفرنج فحملهم وانهزموا إلى يافا. فأقاموا بها والمسلمون قبالتهم ثم ساروا إلى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا إلى أرسوف فسبقهم المسلمون إليها فحملوا على المسلمين وهزموهم. ثم ساروا إلى داروم ثم إلى القدس فانتهوا إلى بيت قوجة على فرسخين من القدس. فاستعد صلاح الدين للحصار فوفد عليه رسوم الفرنج وعقدت الهدنة معهم. وكان سبب ذلك أن ملك الانكطار قد طال مغيبه عن بلاده وطال عليه البيكار. فكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان فأجاب السلطان إلى ذلك واتفق عليه الرأي الأمراء لما حدث عنده العسكر من الضجر ونفاد النفقات. فتحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكطار بل أخذوا يده وعاهدوه. واعتذر بأن الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك. وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وقيسارية وأرسوف وحيفا وعكا مع أعمالها وأن تكون عسقلان خرابا وأذن للفرنج في زيارة القدس. وكان يوما مشهودا غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله. وارتحل ملك انكلطرة فيالبحر عائدا إلى بلده. وأقام الكند هنري صاحب صور بعد المركيس ملكا على الفرنج بسواحل الشام وتزوج الملكة التي كانت تملكهم قبله. وكر صلاح الدين راجعا إلى دمشق وكانت وفاته فيها سنة ٥٨٩ هجري وعمره سبع وخمسون سنة. وكان صلاح الدين حليما كريما حسن الأخلاق متواضعا صبورا **كثير التغافل عن** ذنوب أصحابه.." (٢)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٤٢/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٣٢٤/٦

"ثم قامر عمرو بن معد يكرب الزبيدي: فقال: إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجدة الارتياد وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاحتبذ طاعتنا بلفظ واكتظم بإدراتنا وألن كتفك يسلس لك قيادتا فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع ناقير من أراد قضما ولكن منعا ن كل من رام لناهضما.

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال: إن من آفة المنطق الكذب ومن لؤم الأخلاق الملق ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط فإن أعلمناك أن مواجهتنا لك عن الائتلاف وانقيادنا لك عن تصاف ما أنت لقبول ذلك منا ولا للاعتماد عليه بحقيق ولمن الوفاء بالعهود وإحكام ولث لعقود والأمر بينا وبينك معتدل وما لم يأتمن قبلك ميل أو زلل، قال كسرى من أنت قال الحارث بن ظالم قال إن في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك وأن تكون أولى بالغدر وأقرب من الوزر قال الحارث إن في الحق مغضبة **والسر التغافل ولن** يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة فلتشبه أفعالك مجلسك قال كسرى هذا فتى القوم، ثم قال كسرى قد فهمت ما نطقت به أخطاؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم ولم بحكم أمركم وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم لم أجز لكم كثيرا مما تكلمنم به وإني لأكره أن أجبه وفودي أو أحنق صدورهم والذي أحب من إصلاح مدبركم وتألف شواذكم والإعذار إلى الله فيما يني وبينكم وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان في من خلل فانصرفوا إلى ملككم فاحسنوا موازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وقيموا أودهم وأحسنوا أدبهم فإن في ذلك صلاح العامة.." (١)

"أصول الشريعة السمحة، فقد قال في حقه (١): «وأبو حامد الغزالي لا يشق أحد غباره في العلم وأصول الدين»، .
وإنما انتقاده الخالص من دنييء الأغراض موجه إلى ماورد في " الإحياء " من الأحاديث الموضوعة المنسوبة كذبا وافتراء على النبي – صلى الله عليه وسلم – وهي من الضعف والوهن الثابت بمكان لا ينكره إلا معانت جاهل بالحديث الصحيح، ولا يتسنى لمحدث ثبت قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل الراجح والفهم الدقيق وممارسة العلوم طول عمره كالإمام المازري السكوت على مثل ذلك **أو التغافل عنه** لما يعلم من إقبال المتعلمين على " الإحياء "، وانكباب المعلمين على مطالعته. فكأنما نقده الصحيح المجرد من شوائب الطعن والحسد ينكر وجود مثل تلك الروايات الضعيفة المعزوة إلى صاحب الشريعة العظيم، ويرى أنها لا تليق أن تكون مثبتة في مأثرة جليلة ومفخرة من مفاخر التآليف الإسلامية ك " الإحياء " حتى ينسب إليها الضعف والوهن

---

(١) نقل هذه العبارة الإمام القباب في الانتصار إلى الغزالي – راجع " المعيار المعرب " للونشريسي: ج ٦ ص ١٥٧ (قلم).." (٢)

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢٣٤/١

(٢) الإمام المازري حسن حسني عبد الوهاب ص/٦٥

""كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط، ولا زميتا١ ولا ركينا٢، ولا وقورا حليما ضبط من نفسه، وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك، كان يصلي الغداة في منزله، وهو قريب الدار من مسجده، فيأتي مجلسه، فيحتبي ولا يتكئ، فلا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو، ولا يلتفت ولا يحل حبوته٣، ولا يحول رجلا عن رجل، ولا يعتمد على أحد شقيه، حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر، ثم يعود إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى العصر، ثم يرجع إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة المغرب ... كذلك كان شأنه فيطوال الأيام، وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها، وكان مع ذلك لا يحرك يده، ولا يشير برأسه، وليس إلا أن يتكلم فيوجز، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة. فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه، وفي السماطين٤ بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث، ثم تحول إلى مؤق٥ عينه، فرام الصبر في سقوطه على المؤق، وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته، أو يغضن وجهه، أو يذب بإصبعه، فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله، وأوجعه وأحرقه، وقصد إلى مكان لا **يحتمل التغافل أطبق** جفنه الأعلى على جفنه الأسفل، فلم ينهض "الذباب"، فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح، فتنحى ريثما سكن جفنه، ثم عاد إلى مؤقه بأشد من مرته الأولى، فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك، فكان احتماله له أضعف، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى، فحرك أجفانه، وزاد في شدة الحركة، وفي فتح العين وفي تتابع الفتح والإطباق، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده، فلم يجد بدا من أن يذب عن عينيه بيده، ففعل، وعيون القوم إليه ترمقه، فتنحى عنه بقدر ما رد يده، وسكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أن ذب

---

١ زميتا: وقورا.

٢ ركينا: رزينا.

٣ الحبوة: أن يجمع الرجل بين ظهره، وساقيه بعمامة ونحوها.

٤ السماطين: مثنى سماط، وهو الصف.

٥ المؤق: طرف العين مما يلي الأنف.." (١)

"الفصل الثاني: الناقد العربي والمسؤولية اللغوية

...

الفصل الثاني: الناقد العربي والمسئولية اللغوية.

تتجلى، لمن يراقب النقد العربي المعاصر، ظاهرة خطيرة شائعة فيه، ملخصها أن النقاد يتغاضون تغاضيا تاما عن الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية فلا يشيرون إليها ولا يحتجون عليها. وكأنهم، بذلك، يفترضون أن من حق أي إنسان أن يخرق

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي شوقي ضيف ص/١٦٥

القواعد الراسخة وأن يصوغ الكلمات على غير القياس الوارد وأن يبتدع أنماطا من التعابير الركيكة التي تخدش السمع المرهف، وكأن من واجب الناقد أن يوافق على ذلك كله موفقة تامة فلا يشير إلى الأخطاء ولا يحاول حتى أن يعطي تلك الأخطاء تخريجا أو مسامحة. ولقد أصبح **هذا التغافل هو** القانون النافذ في كل نقد تنشره الصحف الأدبية، حتى لقد يتصدى الناقد إلى نقد ديوان شعر مشحون بالأغلاط المخجلة فلا يزيد على أن يكيل كلمات الإعجاب للشاعر على تجديده وإبداعه، مهملا التعليق ولو بكلمة زجر عابرة، على فوضى." (١)

"الجواب على السؤال ١٦:

١- في "تنام" استعارة تصريحية تبعية مرشحة؛ **شبه التغافل بالنوم**، والجامع عدم النفع، واستعير النوم للتغافل، واشتق منه "تنام" بمعنى تتغافل.

وفي "المنايا" استعارة مكنية أصلية، شبهت المنايا بالعدو، والجامع الكراهة والأذى، واستعير العدو للمنايا ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "نفي النوم عنه" والقرينة إثبات هذا الفعل منفيا للمنايا. وقوله: "تنبه يا نئوم" ترشيح للاستعارة الأولى.

٢- في "يعشق" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه الاشتغال بالدنيا بالعشق، والجامع التعلق والاهتمام في كل، واستعير العشق للاشتغال واشتق منه يعشق بمعنى يشتغل. ويصح أن يكون في لفظ "الدنيا" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الدنيا بامرأة جميلة، والجامع الأخذ بمجامع القلوب ثم استعيرت المرأة للدنيا وحذفت ودل عليها بلازمها وهو "يعشق" والقرينة إثبات العشق الذي هو من ملائمات المرأة للدنيا، وقوله: "ولا سبيل إلى الوصال" ترشيح للاستعارتين.

٣- في "الخلافة" استعارة مكنية أصلية مرشحة شبهت الخلافة بامرأة حسناء، والجامع ميل النفس في كل، ثم استعيرت المرأة للخلافة وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو "أتته" والقرينة إثبات الإتيان للخلافة وقوله: "منقادة" وتجرر أذيالها ترشيح.

٤- في "امتحن" استعارة تصريحية تبعية، شبه الاشتغال بالدنيا بالامتحان والجامع حصول التعب في كل، ثم استعير "الامتحان" للاشتغال واشتق منه "امتحن" بمعنى اشتغل، والقرينة استحالة وقوع الامتحان "بالمعنى المعروف" على الدنيا. ويصح أن يكون في لفظ "الدنيا" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الدنيا بإنسان مخادع، والجامع عدم الثبات على حال، ثم استعير الإنسان للدنيا ثم حذف ورمز له بلازمه، وهو قوله: "امتحن" والقرينة إثبات الامتحان." (٢)

"وهو "الحق" إذ ليس القذف من شئون "الحق"، بل من شئون الأشياء الصلبة. ويصح أن تكون الاستعارة مكنية في "الحق"، فيشبه الحق أي: الحجج القوية بنحو قطعة من حديد، بجامع قوة التأثير في كل، ثم استعير لفظ المشبه به، وحذف ودل عليه بلازمه، وهو القذف على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها -كما علمت- إثبات القذف للحق.

٧- في ﴿وزلزلوا﴾ استعارة تصريحية تبعية؛ شبه ما نالهم من فزع واضطراب بالزلزلة، بجامع شدة الاضطراب في كل، ثم استعير الزلزلة للانزعاج الشديد والاضطراب البالغ، ثم اشتق منه "زلزلوا" بمعنى اضطربوا وانزعجوا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

---

(١) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ص/٣٢٥

(٢) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ١٢٨/١

٨- في ﴿العمى﴾ استعارة تصريحية أصلية؛ شبه الضلال بالعمى بجامع عدم الاهتداء إلى الصالح، ثم استعير العمى للضلال، وتصوير الضلال بصورة العمى البغيض للنفس تنفير من الضلال أشد النفور.

٩- في "تنام" استعارة تصريحية تبعية مرشحة؛ **شبه التغافل بالنوم** بجامع عدم النفع، واستعير النوم للتغافل، واشتق منه "تنام" بمعنى تتغافل وتتشاغل. ويصح أن يكون في "المنايا" استعارة مكنية أصلية، شبهت المنايا بالعدو المترصد بجامع الكراهة والأذى، ثم استعير العدو للمنايا، ثم حذف ودل عليه بلازمه، وهو نفي النوم عنه، والقرينة في التبعية حالية؛ إذ المقام مقام وعظ وإرشاد، والقرينة في المكنية إثبات فعل النوم منفيا إلى المنايا، وقوله: "تنبه يا نئوم" ترشيح للاستعارة الأولى؛ لأنه من ملائمات المشبه به.

١٠- في "يعشق" استعارة تصريحية تبعية مرشحة؛ شبه الاشتغال بالدنيا بالعشق، والجامع التعلق والاهتمام، ثم استعير العشق للاشتغال، واشتق منه يعشق بمعنى يشتغل. ويصح أن يكون في "الدنيا" استعارة مكنية أصلية مرشحة؛ شبهت الدنيا بامرأة." (١)

"ولا تأكل بثدييها١. لم يجر سالك القصد، ولم يعم قاصد الحق، من شدد نفر، ومن تراخى تألف. الشرف التغافل. أوفى القول أو جزه. أصوب الأمور ترك الفضول التغرير مفتاح البؤس. التواني والعجز ينتجان الهلكة. لكل شيء ضراوة٢. أحوج الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى، وهم الملوك. حب المدح رأس الضياع. رضا الناس غاية لا تبلغ. لا تركه سخط من رضاه الجور معالجة العفاف مشقة فتعوذ بالصبر. اقصر لسانك على الخير وآآخر الغضب؛ فإن القدرة ممن ورائك، من قدر أزمع، أمر أعمال المقتدرين الانتقام، جاز بالحسنة ولا تكافئ بالسيئة، أغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة. من حسد من دونه قل عذره، من جعل لحسن الظن نصيبا روح عن قلبه، عي الصمت أحمد من عي المنطق، الناس رجلان محترس ومحترس منه كثير النصح يهجم على كثير الظنة٣، ومن ألح في المسألة أبرم٤، خير السخاء

---

١ أي لا تعيش بسبب ثديها وبما يغلان عليها من أجرة الإرضاع، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب، وذكروا أن أول من قاله الحارث بن سليل الأسدى، وكان شيخا كبيرا وكان حليفا لعلقمة بن خصفة الطائي، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء، وكانت من أجمل أهل دهرها فأعجب بها، فقال له: أتيتك خاطبا، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنح الراغب؛ فقال له علقمة: أنت كفء كريم يقبل منك الصفو، ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر في أمرك، ثم انكفأ إلى أمها فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا، وقد خطب إلينا الزباء، فلا ينصرف إلا بحاجته فقالت امرأته لابنتها: أي الرجال أحب إليك؟ الكهل الجحجاح "أي السيد"، الواصل المناح، أم الفتى الوضاح؟ قالت، لا بل الفتى الوضاح، قالت: إن الفتى يغيرك، وإن الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل، كالحديث السن، الكثير المن، قالت: يا أمتاه، إن الفتاة تحت الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا، قالت: أي بنية، إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يبلي شبابي، ويدنس ثيابي، ويشمت بي أترابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ٢٨٨/٣

على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه؛ فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون، "أي يتصارعون ويتقاتلون" فتنفست الصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ، الناهضين كالفروخ، فقال لها: ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، الحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك.

٢ يقال: ضرى الكلب بالصيد "كفرح" ضراوة أي تعود، وكلب ضار، وأضراه صاحبه عوده وأضراه به: أغراء، وضراه أيضا تضرية.

٣ التهمة.

٤ أبرمه: أضجره وأمله.." (١)

"وحجاب ضعيف، لم يجزم في تفضيل الحلم، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم، ولم تر أهل النهى. والمنسوبين إلى الحجا والتقى، مدحوا الحكام بشدة العقاب. وقد ذكروهم بحسن الصفح، وبكثرة الاغتفار، وشدة التغافل. وبعد، فالمعاقب مستعد١ لعداوة أولياء المذنب، والعافي مستدع لشكرهم. آمن من مكافأتهم٢ أيام قدرتهم؛ ولأن يثنى عليك باتساع الصدر، خير من يثني عليك بضيق الصدر٣، على أن إقالتك عثرة عباد الله، موجب لإقالتك عثرتك من رب عباد الله. وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك، وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك. قال الله عز وجل: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ .

"البيان والتبيين ٢: ٥٥، زهر الآداب ٣: ٨٨".

---

١ في زهر الآداب: "مستودع".

٢ مجازاتهم.

٣ وفي زهر الآداب: "خير من أن توصف بضيقه".." (٢)

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ١٣٢/١

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٤٤/٣